الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والفنون



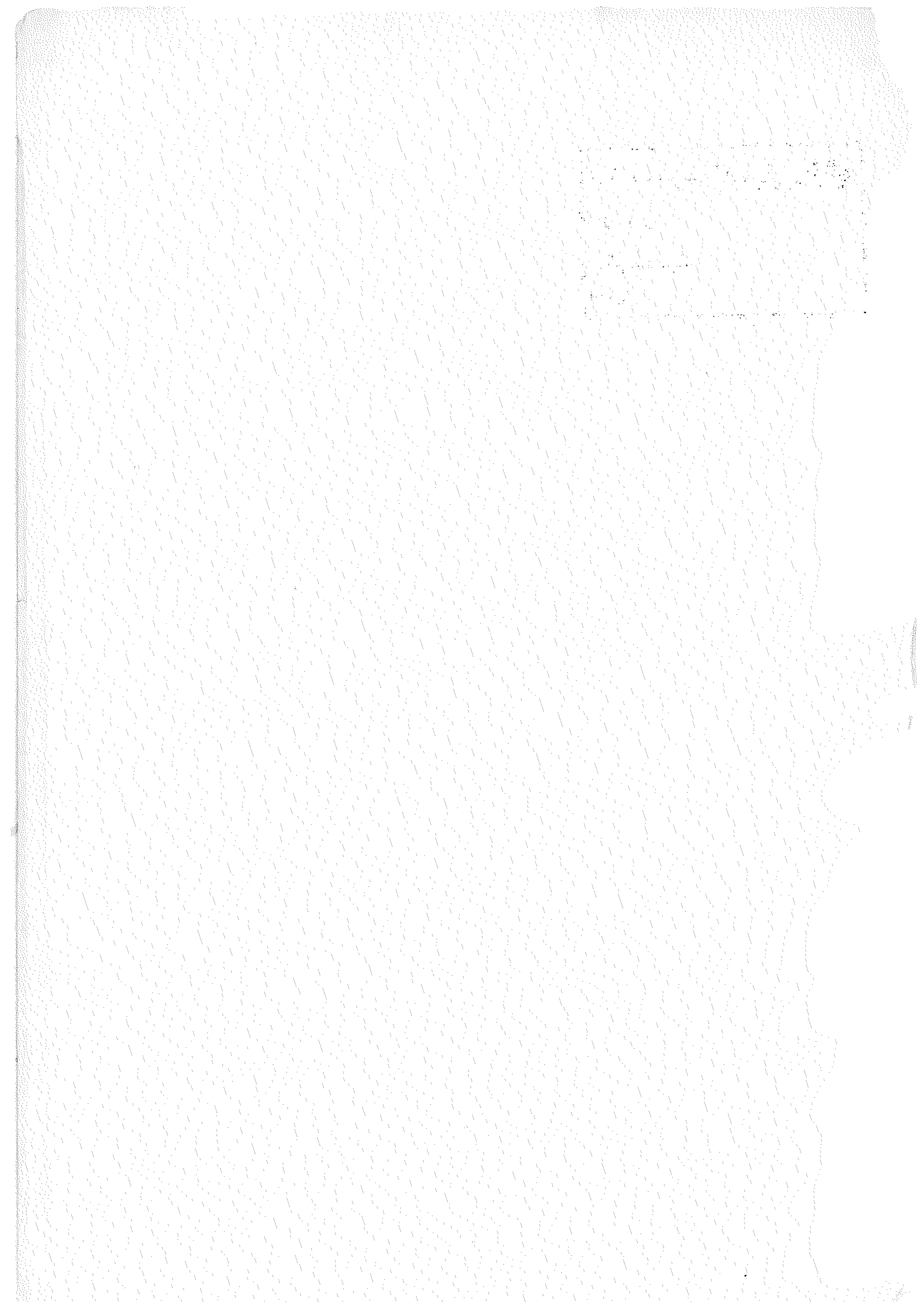
أسواق بغداد

حتى بداية العصر البويهي

د. حمدان عبد المجيد الكبيسي

منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ الجمهورية العراقيه

سلسلة دراسات 1979
(161)

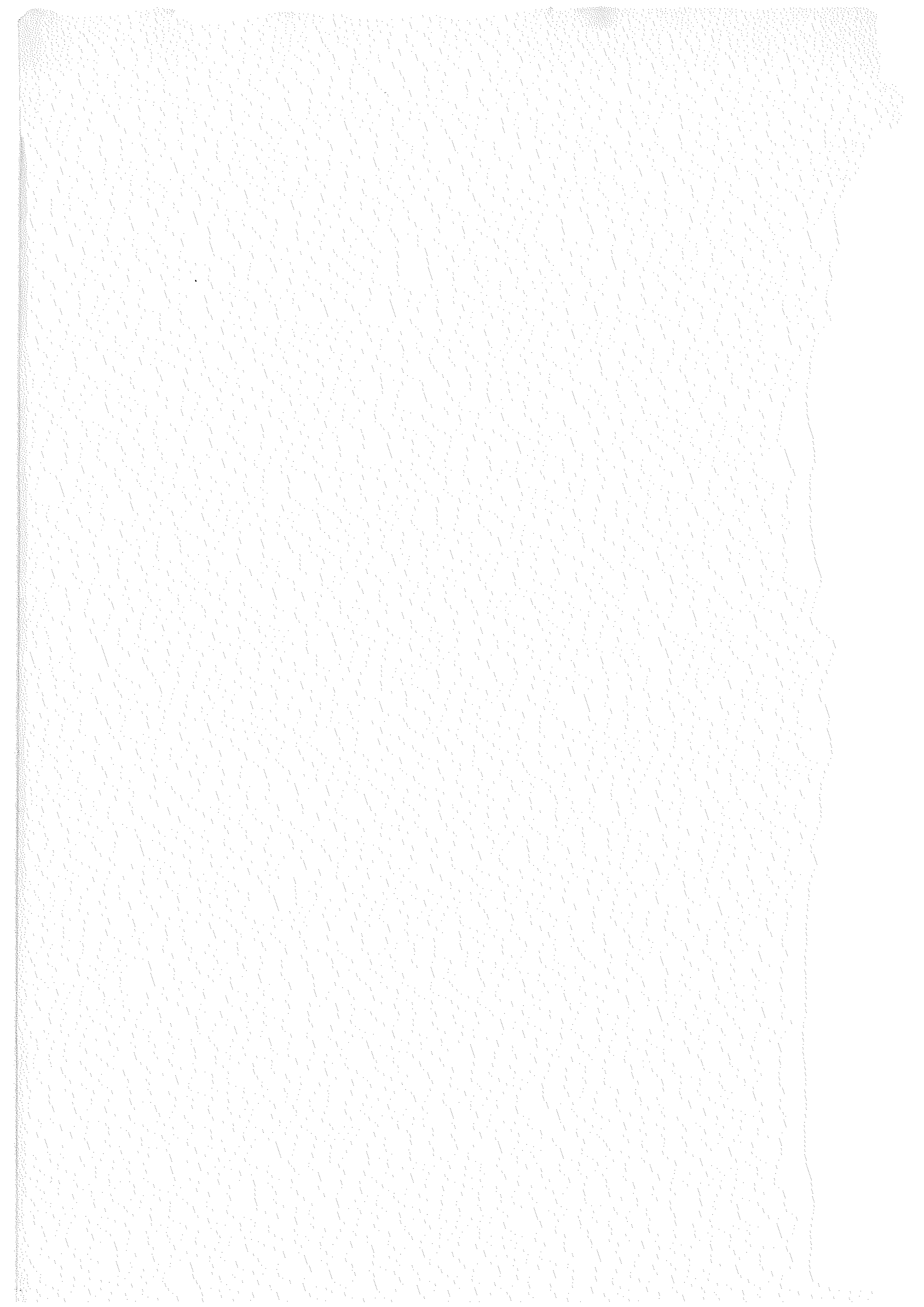


اسواق بغداد

حتى بداية العصر البويهي

١٤٥-٣٣٤هـ/٧٦٣-٩٤٥م

تأليف
الدكتور حمدان عبد المجيد الكبيسي



المقدمة

كانت المدن ، في الدولة العربية الاسلامية ، هي المراكز الرئيسة التي ازدهرت فيها الحضارة ، وتطورت فيها النظم الادارية ومؤسساتها ، ونمت فيها الحركة الفكرية ، وتوفرت فيها الوثائق التي توضح نشاط الانسان الاقتصادي والاجتماعي الذي هو موضوع دراسة التاريخ، الامر الذي حدا ببعض المؤرخين المحدثين الى ان يعتبروا التاريخ المألوف عندهم ، هو في الحقيقة تاريخ المدن والحواضر ووصف نشاط اهلها •

فدراسة نشأة المدن واسواقها وخططها وتطورها ، تمكننا من التعمق في تفاصيل التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والاداري ، وفي الجوانب الاخرى من نشاط الانسان • وتقدم لنا أساسا أدق وأوضح في معرفة الاحداث التاريخية واتجاهاتها •

ومن المعلوم ان دراسة خطط المدن وأسواقها ، تكتنفها الكثير من المصاعب ، ذلك أن الاحياء السكنية والتجارية كثيرا ما تتعرض للظروف الطبيعية القاسية ، فتتقوض أسسها وتندرس معالمها ، بالاضافة الى الظروف السياسية والاجتماعية التي لا يقل أثرها عن العوامل الطبيعية •

ومن هنا يتضح ان التكوين الاجتماعي والاقتصادي لأية مدينة عرضة للتبدل بمرور الزمن ، ويؤدى ذلك الى تغير خطط المدينة ومعالمها ، وعندئذ يصبح في غير مقدور الباحث تعيين شوارع المدينة وأسواقها بدقة •

ومن خلال دراستي تأكد لدى أن ليس بين أيدى الباحثين والدارسين ما يعتمد به في الدراسات العلمية الوافية التي تبحث في نشأة وتطور أسواق بغداد ، وكل ما بين ايدينا اشارات عابرة حول السوق وأهله متناثرة هنا وهناك ، تحتاج الى تنظيم ودراسة وبحث منهجي متقن •

وكنت مدركا ان طريق البحث في مثل هذا الموضوع ، شديد الوعورة ، للتضارب بين روايات المتقدمين في كثير من النقاط التي بحثتها في رسالتي هذه ، فكان عليّ التدقيق في تلك الروايات ، والتوفيق بينها ، والخروج منها بنتيجة تتفق مع الواقع الذي كانت تعيشه حاضرة الخلافة العباسية وأسواقها ومن كان فيها من تجار وباعة وصناع ، وما بها من سلع وحاجيات .

لقد كانت كل تلك الامور في تقديري ، ومع ذلك أقدمت على اختيار موضوع « أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي ١٤٥ - ٣٣٤هـ » . وقد وافق استاذي الدكتور حسن احمد محمود مشكورا على الاشراف وتلمست منه التشجيع والتعضيد .

ان الامور التي استجدت بدخول البويهيين بغداد جعلتني أعتبر منتصف العقد الرابع من القرن الرابع الهجري نقطة حاسمة في تاريخ الخلافة العباسية ، ولذلك اعتبرت هذا التاريخ نهاية بحثي .

وقد توقعت أنني سأجد صعوبات جمة عندما أتصدى لدراسة هذا الموضوع ، وان عقبات كثيرة ستعترض طريقي ، منها ندرة المادة المبعثرة التي كانت تضطرني الى أن أتصفح كتبا بكاملها دون أن أجد نصا واحدا يمس أسواق بغداد .

وما أشد فرحتي واغتباطي عندما كنت أعثر على خبر او رواية فيها تلميح بسيط عن موضوع أسواق بغداد ، فأحاول تفسيرها وتحليلها .

ولكنني مع ذلك كنت يقظا وحذرا في عدم تحميل النصوص وتفسيرها اكثر مما تتحمل . غير أن هذا الحذر وهذه الحيطة لم تمنعنى من أن أمضى الى أبعد من التفسير الظاهري لبعض النصوص .

وحاولت أن أسلك السبيل العلمي السليم بقدر الامكان مستهدفا الصدق والحق ، والدقة في التعبير ، حتى تظهر الصورة التي أقدمها عن أسواق بغداد ، مستمدة مما تقدمه المصادر من معلومات ، متوخيا ابراز

الحقيقة العلمية ، بصرف النظر عن كيفية تقبل الناس لها .

ولقد دفعني الى اختيار موضوع « أسواق بغداد » أنني وجدت ان عددا كبيرا من الكتب قد الفت عن بغداد ، الا أن تلك المؤلفات لم تكن تلتفت كثيرا الى اسواق بغداد وأهلها ، وما يجرى من عمليات البيع والشراء ، وما يتم فيها من صفقات تجارية كبيرة رابحة . وعليه فقد بقى هذا الجانب من حياة مدينة السلام يكتنفه الغموض .

وللفترة التي اقتصر هذا البحث عليها ، أهمية خاصة في مجرى التاريخ العربي الاسلامي . ففيها نشطت الحركة العلمية ، وظهرت المذاهب الدينية والادبية ، كما برزت المدارس الفلسفية من جراء احترام حرية الرأي ، وراجت حركة الترجمة التي لاقت تعضيدا قويا من المسؤولين وغير المسؤولين على حد سواء ، وزادت موارد الدولة والجماعات والافراد ، وجنح الناس الى حياة الترف والبذخ ، فعقدت مجالس اللهو والشراب والمنادمة في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والتجار والموسرين .

واستجدت أحداث ساهمت في تحريك الثروة بين ابناء المجتمع وانتقالها ، سواء عن طريق التجارة والصيرفة وتقديم الخدمات ، أو عن طريق المصادرة والنهب .

ولعبت الاسواق ، حيث الصناع والتجار ، دورا حيويا في تاريخ مدينة السلام ولم يقتصر دورها على الحياة الاقتصادية ، بل تعداه الى النواحي الفكرية والاجتماعية .

فدراسة أسواق بغداد تعطينا صورة واضحة لما مرت به هذه المدينة ، وما جابهه سكانها من مشاكل اقتصادية ، وما قدمه الحكام من حلول لتلك المشاكل ، ومدى نجاحهم او فشلهم في معالجة تلك الازمات الاقتصادية الخانقة .

كما أنني بينت ، أن الحياة الاقتصادية في مدينة السلام ، لم تكن

قاتمة ، كما يتبادر للذهن لاول وهلة ، بل انها مرت بفترات رخاء اقتصادي شمل قطاعا واسعا من ذلك المجتمع ، في تلك الفترة التاريخية المتقدمة .

ولقد اقتضت طبيعة بحثي أن أعقد له اربعة ابواب : خصصت الباب الاول لنشأة أسواق بغداد وتخطيطها . وقسمته الى ثلاثة فصول : درست في الفصل الاول اختيار موقع المدينة المدورة وخططها وتسميتها وموقع الاسواق فيها . وتبين لي ان الخليفة المنصور اقام مدينته عند قرية تقوم بها للفرس في كل سنة سوق عظيمة يجتمع بها في ذلك الموسم التجار للبيع والشراء . ذلك ان المنصور كان يفضل أن تكون عاصمته في موقع متوسط من العراق ، وهو يرغب أن يكون موقعها على دجلة . وهذا لا يمنع أن يكون الخليفة قد استشار أناسا آخرين ليستطلع رأيهم فيما عزم على تنفيذه .

وتلمست ان الخليفة المنصور كان عازما على أن يجعل عاصمة ملكه الجديدة فريدة في نوعها ، من حيث السعة والعمران والاهمية التجارية والاقتصادية والسياسية . وكان الخليفة مقتنعا كل الاقتناع بصلاحية المدينة المدورة وأهمية مركزها وموقعها .

اما الفصل الثاني فتحققت فيه عن الدوافع الاساسية التي حدت بالخليفة المنصور الى الايعاز بنقل الاسواق الى الكرخ . وكيف ان المنصور تولى بنفسه تخطيط الاسواق . واتاح نقل الاسواق الى الكرخ لكي يتلافى المسؤولون عن تخطيطها كل نقص أو خطأ وقعوا فيه أبان تأسيس المدينة المدورة فجعلوا لكل صنف من أصناف التجار موضعا خاصا . كما أباحت الدولة للتجار اقامة المنشآت التجارية لتواكب التوسع الذي شهدته اسواق الكرخ .

وتناولت في الفصل الثالث اسواق الرصافة ، فأوضحت أن بناء الرصافة وأسواقها أملته ضرورات اقتصادية وسياسية وعسكرية . وأن الخليفة قد حقق الغرض الذي كان يرمى اليه . ولعناية المسؤولين بالجانب الشرقي من بغداد ، اتسعت فيه المنشآت السكنية والتجارية ، واخذت تضاهي الجانب الغربي . وقبل أن أختتم هذا الفصل حددت مواقع الاسواق فيه .

وعقدت الباب الثاني للنشاط التجاري في أسواق بغداد • وقسمته الى ثلاثة فصول • تناولت في الفصل الاول عوامل النشاط التجاري في أسواق بغداد • فبينت أن تطور المجتمع ، واجراءات المسؤولين ، قد خلقت عوامل منشطة ، فانتعشت الحركة التجارية في أسواق بغداد ، وبخاصة في فترات الاستقرار السياسي الذي شهدته العاصمة خلال فترات طويلة • وقبل أن أختتم هذا الفصل أبرزت بعض المعوقات التي كانت تبرز للعيان بين آونة وأخرى فتشل الحركة التجارية في حاضرة الخلافة العباسية •

وأوضحت في الفصل الثاني ظاهرة تخصص الاسواق وتعددها • إذ ما ان تم نقل الاسواق الى الكرخ حتى بات من الضروري أن تفي الاسواق بمتطلبات الحياة الجديدة التي صارت تحياها العاصمة العباسية • وأن فصل الاسواق والباعة بعضهم عن بعض جاء بناء على رغبة الخليفة المنصور نفسه ، الذي جعل لكل تاجر وتجارة شارعا معلوما لا يختلط قوم بقوم ، ولا تجارة بتجارة • ثم بينت تخصص أسواق الكرخ وأسواق الرصافة •

وتناولت في الفصل الثالث السلع الواردة على أسواق بغداد والصادرة عنها والطرق التي تسلكها • ولم أغفل المعوقات التي تعرقل وصول السلع الى اسواق العاصمة •

كما بحثت المواد الصادرة عن أسواق بغداد ، موضحا الجهات التي صدرت اليها ، والطرق التي سلكتها • وبينت الفرص المواتية لبغداد في أن تصبح مصدرة لمواد تجارية بحكم مركزها السياسي الذي كانت تتمتع به •

وعقدت الباب الثالث للمعاملات المالية والتجارية • فقسمته الى ثلاثة فصول تناولت في الفصل الاول اسلوب التعامل في اسواق بغداد ، موضحا النظام النقدي المتداول ، واستعمال الصك والسفتجة ، مع بيان دور الصرافين في تنشيط الحركة التجارية في أسواق بغداد •

وتتبعت في الفصل الثاني الزيادة المطردة في اسعار السلع ، وحصول

احتكار السلع من قبل بعض المسؤولين والتجار . ثم ابرزت موقف السلطة من ظاهرة الاحتكار .

وفي الفصل الثالث بحثت رقابة الدولة على اسواق العاصمة . وبينت أن اشراف الدولة يعكس جملة قضايا ، اقتصادية واجتماعية ومالية ودينية ذات صلة وثيقة بحياة المجتمع في عاصمة الخلافة العباسية ، وبذلك تطورت وظيفة عامل السوق ، وصرنا نشهد مقدار عناية المحتسب ومعاونيه بمراقبة اهل السوق مراقبة دقيقة .

وعقدت الباب الرابع لدور اهل السوق في الحياة العامة . وقسمته الى ثلاثة فصول ، تناولت في الفصل الاول العاملين في الاسواق ، اجناسهم ، ودخلهم ومكانتهم الاجتماعية .وتبين لي ان اهل اسواق بغداد كانوا عربا واعاجم . وأن دخل التجار كان كبيرا جدا . وأن مكانتهم الاجتماعية كانت كبيرة الا ان الصناع كانوا اقل منزلة منهم ، وأن أجورهم اليومية كانت زهيدة . وقد بذل بعضهم جهودا مضنية من أجل تحسين وضعهم المعاشي والاجتماعي ، فكللت مساعي بعضهم بالنجاح .

وبحثت في الفصل الثاني اشتراك اهل السوق في الفتن والاضطرابات الداخلية . فتبين لي ان أهل السوق لم يكونوا بمعزل عما يدور في مجتمعهم. غير انهم لم يكونوا متحمسين للاشتراك في الفتن الا عندما تمس مصالحهم . فقاتلوا بجنب الخليفة الامين ضد أخيه المأمون . وآزروا الخليفة المستعين بالله على مناوئيه من جند الاتراك .

وفي الفصل الاخير اوضحت تكتل أهل الحرف ، وبينت العوامل التي أوجدت شعورا بضرورة تماسكهم وتآزرهم ، وبخاصة في الازمات السياسية والاقتصادية التي كانت تتعرض لها مدينتهم بين الحين والآخر .

غير أن التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي نتج عن انتقال المجتمع من طور زراعي الى طور تجاري حرفي، أدى الى تباين الثروات وتكدس رؤوس الاموال

عند فئة محدودة من الناس • ولم تحاول السلطة القائمة آنذاك الحد من التفاوت في الملكية بالطرق المشروعة ، وضمان الحقوق والواجبات المترتبة على ذوى المال ، فحدثت منازعات بين أهل الحرف ، لكن على نطاق محدود •

أما المصادر التي استعنت بها في اعداد هذه الرسالة ، فقد كانت كثيرة ومتنوعة ، وذات اهمية بالغة ، ذلك أن البعض منها كان معاصرا لاحداث الحقبة التي قمت بدراستها ، حيث كان اولئك المؤرخون شهود عيان فيما أوردوه من روايات ونصوص عن أسواق بغداد ونشاطها ، وأسلوب التعامل التجاري فيها ، وموقف العاملين فيها من السلطة •

ولعل من الانصاف أن أبدأ بكتاب « تاريخ الرسل والملوك » لمؤلفه محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م) الذي يمتد في سرد حوادثه حتى السنة ٣٠٢هـ/٩١٤م • وكتاب الطبرى هذا يعد من أهم مصادر التاريخ الاسلامي ، فهو يمتاز بجمع كل ما يتعلق بالحادث من روايات تاريخية • ولذلك تبدو الروايات التي يسوقها الطبرى مرتبكة أحيانا • وقد ركز اهتمامه على مركز الخلافة ، فأورد عنها نصوصا طريفة أوضحت جوانب كثيرة عن أسواق بغداد ، وما دار فيها من أحداث • الا أنه كان لا يعير أهمية كافية للحركات المعارضة للسلطة •

واستفدت كثيرا من كتاب « فتوح البلدان » لأحمد بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) وخاصة ما يتعلق بنشأة بغداد ، والنقود التي جرى التعامل بها في أسواق تلك المدينة • ومما يزيد في أهمية كتاب (فتوح البلدان) موضوعية المؤلف وقدمه ودقة رواياته •

ورجعت الى كتاب (الاخبار الطوال) لأبى حنيفة احمد بن داود الدينورى (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) الذي تلمست أهمية رواياته من صفة أصالتها وقدمها وتركزها • ومما يؤخذ على المؤلف انه كان يعطى أهمية كبيرة لدور الافراد في الحوادث التاريخية •

كما رجعت الى كتاب « تاريخ اليعقوبي » لأحمد بن ابى يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) • وهو مؤرخ عراقي عرف الشؤون الداخلية للدولة العباسية جيدا • وتتصف رواياته بكونها واضحة ومتكاملة الا أن اليعقوبي لا يذكر أسانيد رواياته في الغالب ، اذ يكتفي بذكر الرواة الذين اعتمد عليهم • واليعقوبي متهم بأنه ذو ميول علوية ، الا أنني لمست أن ميولة تلك كانت معتدلة ، ولم يطمس الحقائق التاريخية على الرغم من كونها قد تخالف وجهة نظره •

واعتمدت كثيرا على كتاب « الوزراء » لأبى عبدالله محمد بن عبدوس الجهشيارى (ت ٣٣١هـ/٩٤١م) • ولما كان الجهشيارى من رجالات الدولة، وموظفا في احدى مؤسساتها ، لذا عد مؤلفه « الوزراء » من أدق المصادر ، وبخاصة ، فيما يتعلق في الشؤون المالية والادارية ، والنظم المتبعة في الدولة العباسية •

كما أنه يحتوى على مادة طريفة عن واردات الدولة ، وعن الحالة السياسية والتنافس بين الوزراء وغيرهم من الكتل السياسية ممن كان يعج بهم البلاط العباسي •

وذكر أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) في كتابه « الاوراق » نصوصا فريدة في بابها • قسم منها يتعلق بالامور المالية والادارية ، وقسم آخر له صلة وثقى بأهل السوق وموقفهم من السلطة واضطرار بعضهم الى الهجرة من بغداد الى الشام ومصر بعد أن تعذر عليهم ممارسة حرفهم داخل اسواق العاصمة التي غلبت عليها الفوضى والاضطرابات في فترات متعددة •

ولا يقل كتاب « أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم » للصولي عن كتابه سالف الذكر من حيث الاهمية ، وبخاصة فيما يتعلق بمبايعة أهل بغداد ابراهيم بن المهدي وخلعهم المأمون • والصولي عندما دون كتابيه كان شاهد عيان لحوادث جرت أمام عينيه ، وكان على تماس مباشر بها بحكم صلته

الوثيقة بالخلفاء وأولادهم والوزراء والامراء وقادة الجيش •

وأورد ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) في كتابه « مروج الذهب » روايات استفدت منها كثيرا ، وهي تعتبر مكملة لما أورده المؤرخون من قبله • ويؤخذ على المؤلف موقفه السلبي من السلطة العباسية ، كما أنه لا يتورع في ادخال بعض الاساطير والاشاعات المتداولة بين الناس • وفي هذا المجال تظهر نزعة المسعودى الميالة للعلويين •

ووجدت في كتاب «تاريخ الموصل» لابى زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدى (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) معلومات اقتصادية واجتماعية لها علاقة مباشرة بالاحوال الدائرة في أسواق بغداد • ومما يزيد في اهمية (تاريخ الموصل) أن مؤلفه لم يكن متحزبا ، كما انه كان يعطي لكل رواية سندها على طريقة الطبرى •

ويعتبر كتاب أحمد بن محمد مسكويه « تجارب الامم » كنزا لا يمكن الاستغناء عنه • فهو من أهم المصادر التي اعتمدت عليها ، وبخاصة في الامور المالية • وقد اسهب مسكويه في سرد معلومات طريفة عن الامور الادارية ، وفي كثير من الاحيان ينبرى المؤلف في ابراز التنافس الحاد بين رجال السلطة • ومما يزيد في قيمة المعلومات التي اوردها مسكويه ، هي خبرته الشخصية ، وكونه عاش قريبا من احداث الفترة التي تصديت لدراستها •

ورجعت لكتاب « الكامل في التاريخ » لعلي بن أبي الكرم بن الاثير ، الذي أورد نصوصا كثيرة استفدت منها في جميع فصول هذا البحث • وكان ابن الاثير قد اعتمد على من سبقه من المؤرخين كالطبرى والمسعودى وعريب ومسكويه وغيرهم ولكنه كان في بعض الاحيان يضيف الى تلك الروايات التي نقلها • ومن هنا تظهر أهمية كتابه الآنف الذكر •

ويمكن اعتبار كتاب « الوزراء » لأبى الحسن الهلال بن المحسن الصابى ذا قيمة كبيرة لدراسة أسواق بغداد ، لان الصابي اهتم بالمؤسسات الادارية والامور المالية والسياسية •

ولا يمكن ان تبخس أهمية كتب عبدالرحمن بن الجوزى وخاصة كتاب « المنتظم » الذي احتوى على نصوص طريفة القت الضوء على الاحوال الاجتماعية والمالية • كما ان كتابه « مناقب بغداد » أورد فيه نصوصا طريفة عن مواقع أسواق بغداد وتخصصها • الا ان ابن الجوزى يعتمد في هذا المجال كثيراً على ما ورد في كتاب « تأريخ بغداد » للخطيب البغدادي •

وهناك نصوص كثيرة في كتب التراجم والطبقات والانساب ، استفدت منها كثيرا • وفي مقدمتها « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي الذي اورد بجزئه الاول نصوصا كثيرة عن خطط بغداد واسواقها • كما استفدت من كتاب (وفيات الاعيان) لابن خلكان ، و (فوات الوفيات) لابن شاكر الكتبي ، و (الوافى بالوفيات) للصفدى ، ومعجم الادباء لياقوت الحموى وغيرهم •

ورجعت الى كثير من كتب الجغرافية وفي مقدمتها كتاب « البلدان » لليعقوبي • ففي هذا الكتاب يصف المؤلف بدقة (المدينة المدورة) في الوقت الذي بناها الخليفة أبو جعفر المنصور • كما يشير بوضوح الى مواقع الاسواق في الطاقات على جانبي الشوارع الاربع الرئيسة • ويصف اليعقوبي مجاري الانهار في الكرخ والرصافة ومواقع القناطر والاسواق عليها • كما يورد اليعقوبي أنواع السلع التجارية التي ترد على تلك الاسواق والطرق التي كانت تسلكها وبخاصة (نهر عيسى) •

ويحدد اليعقوبى موقع (الفرضة) التي ترسو فيها السفن المحملة

بالبضائع ، ويشير الى قيام الاسواق والمخازن التجارية عند مواضع رسو السفن •

واطلعت على كتاب (البلدان) لياقوت ، و (المسالك والممالك) لابن خرداذبة الذي فيه معلومات قيمة ودقيقة • وكتاب (أحسن التقاسيم) للمقدسي ، (والمسالك والممالك) للاصطخرى وغيرها من كتب الجغرافية التي تمس الموضوع •

ودرست بعض كتب الادب التي عالجت اسواق بغداد واهلها ، على أساس ان الادب مرآة تتركز فيها صورة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية • ففي الكتب الادبية سّلط الادباء والشعراء ضوءا كشافا على كثير من الحوادث السياسية والاجتماعية • فأرجوزة عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ ـ ٩٠٨ م) تعطي صورة واضحة للاحوال السياسية الاقتصادية في أواخر القرن الثالث الهجري ، كما توضح تطاولات الجند ، وتجاوزات رجال الادارة ، وعنف طرق الجباية وتذمر الناس منها •

كما استفدت من كتب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ ـ ٨٦٨م) الذي كتب في المواضيع السياسية والاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية • ففي كتاب « التبصر بالتجارة » يورد نصوصا فريدة تبين أنواع السلع الواردة على اسواق بغداد ، ومن أي الاقاليم أو الدول وردت • ولا تقل المعلومات التي وردت في كتب الجاحظ الاخرى مثل : « الرسائل » و « البخلاء » و « التاج » و «البيان والتبيين » أهمية عن كتاب التبصر بالتجارة ، فقد وردت نصوص فريدة استفدت منها في فصول هذا البحث •

ووجدت في كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي (٣٢٧ ـ ٣٨٤ هـ) نصوصا مفيدة جدا توضح بعض جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية لاهل

اسواق بغداد • كما اطلعت على كتاب « الفرج بعد الشدة » للتنوخى •

ووجدت في الاشعار والنصوص التي اوردها (ابو الفرج الاصفهاني) في كتاب (الاغاني) دلالة أكيدة لمواقف أهل السوق من السلطة ، ولشحة مواردهم وضيق ذات يدهم • كما استعنت بالدراسات الاثرية معتمدا على مجموعات السكة والنقوش في متحف بغداد ومتحف الفن الاسلامي بالقاهرة •

أما بقية المصادر والمراجع فقد وضعت لها ثبتا تفصيليا في اخر هذه الرسالة وفي استطاعة القارىء الاطلاع عليها ان رغب في ذلك •

والله الموفق •

الدكتور حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الباب الأول

نشأة اسواق بغداد وتخطيطها

الفصل الاول : بناء المدينة المدورة

١) اختيار موقع المدينة المدورة وتخطيطها .

٢) تسمية المدينة المدورة .

٣) موقع الاسواق في المدينة المدورة .

الفصل الثاني : انتقال الاسواق الى الكرخ

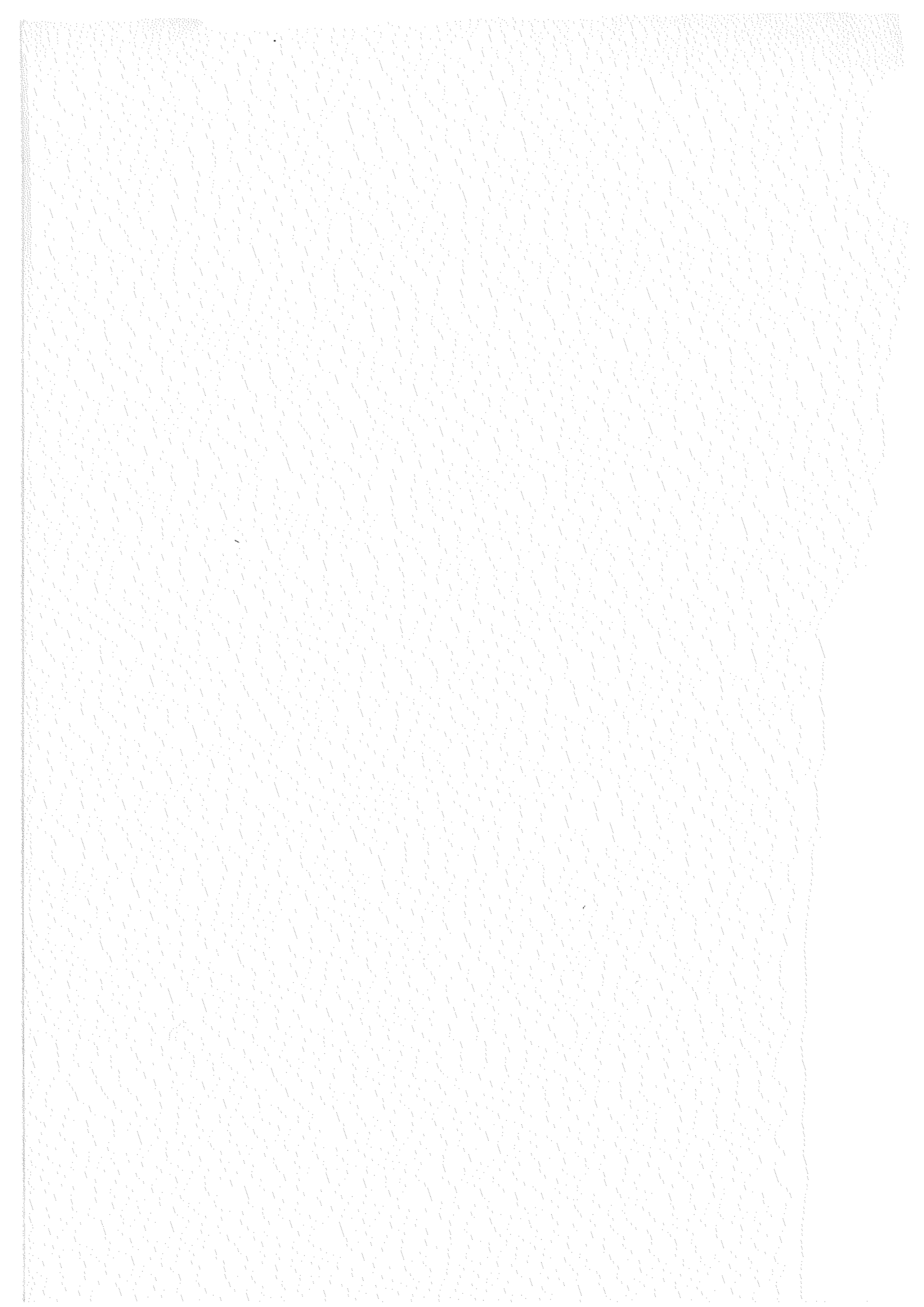
١) دوافع نقل الاسواق من داخل المدينة المدورة .

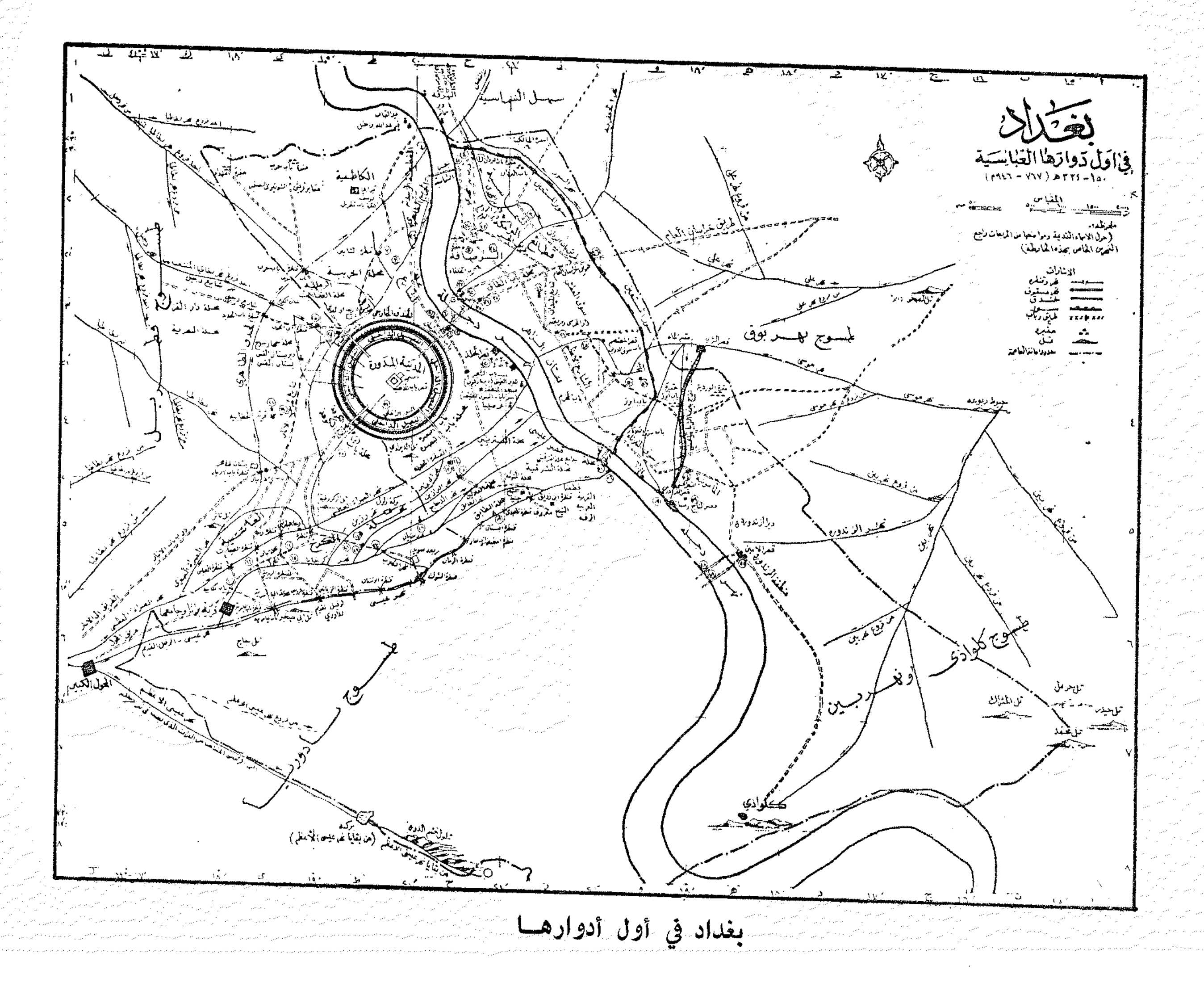
٢) مواقع أسواق الكرخ .

الفصل الثالث : أسواق الرصافة

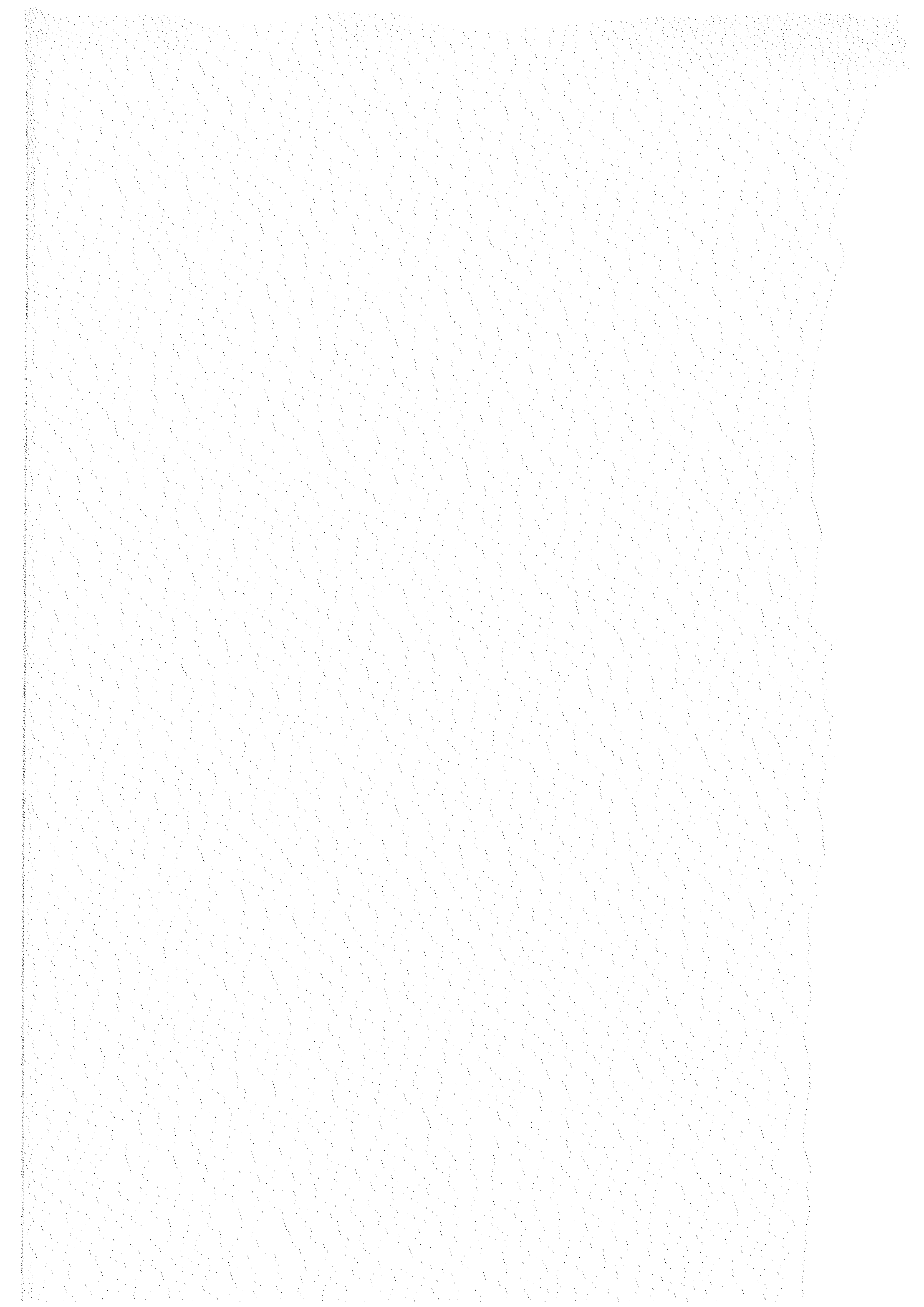
١) الدوافع السياسية والضرورات الاقتصادية .

٢) مواقع أسواق الرصافة .





بغداد في أول أدوارها



الفصل الاول

بناء المدينة المدورة

(١) اختيار موقع المدينة المدورة وتخطيطها :

من الضروري القاء نظرة سريعة على منطقة بغداد قبيل تأسيس المدينة المدورة سنة ١٤٥هـ ـ ٧٦٢م[١] . ذلك أن هذه الفترة جديرة بان تبحث قبل الدخول في دراسة كيفية بناء مدينة المنصور ، وخططها وأسواقها . فان دراسة هذه المنطقة قبل تمصيرها توضح لنا العوامل التي حدت بالخليفة المنصور الى اختيار هذا الموضع ليتخذه عاصمة لدولته. وان الوقوف على طبيعة هذا العهد، ييسر تتبع التطور الذي طرأ على خطط هذه المدينة ، وما فيها من اسواق[٢] .

ومن المؤكد ان انهار بغداد القديمة ، كانت تشكل منطقة جذب ، فهي الاساس الذي شيدت عليه المدينة في مختلف أدوارها التاريخية ، لان العمران اقتفى أثر الانهار في كل خطوة من خطوات حياة المدينة ، وما من عمارة او محلة ذات شأن ، شيدت ، في دور من ادوار المدينة ، الا رافقها مشروع ارواء مشى الى جنبها ، وذلك لاهمية المياه لتلك الاحياء ، ولعدم تيسر وسائل الضخ

---

(١) محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ مطبعة دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص ٦١٨ .
احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، دار النشر للجامعيين، (بيروت : ١٩٥٨) ، ص ٤١٤ .
ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، ج ١ ، مطبعة السعادة (القاهرة : ١٩٣١) ، ص ٦٦ .
علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٥ ، دار الطباعة المنبرية ، ص ١٥ .

(٢) وعلى هذا الاساس رأيت من المناسب وضع خارطة خاصة توضح واقع منطقة بغداد في اواخر العهد الساساني واوائل العهد الاسلامي قبل ان شيد المنصور مدينته .

الآلية في ذلك العهد . فتتبع أنهار بغداد يعيننا كثيرا في دراسة خطط هـذه المدينة[٣] .

ومنطقة بغداد القديمة ، كانت تخترقها شبكة من الانهار ، مما جعلها من ازهى البقاع وأجملها . ولعل ذلك من جملة العوامل التي جذبت الخليفة المنصور اليها ، فشعر بجمالها الطبيعي ، وحصانة موقعها[٤] .

ومن اهم انهار منطقة بغداد « نهر عيسى »[٥] الواسع الذي يتفرع من الجانب الايسر لنهر الفرات وعند فوهته قنطرة يقـال لها « قنطرة دمما » ، فيقطع أرض الجزيرة الواقعة بين الفرات ودجلة ، ويسقى هو وفروعه ، المزارع والبساتين الواقعة على جانبيه ، حتى اذا انتهـى الى « المحـول »[٦]

---

(٣) مصطفى جواد (الدكتور) واحمد سوسة (الدكتور) ، دليل خارطة بغداد المفصل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغـداد : ١٩٥٨) ، ص ٢ .
جريدة الثورة ، العدد ٢١٣٩ ، في ٣٠ تموز لسنة ١٩٧٥ ، ص ٨ .

(٤) احمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي ، البلدان ، (بريل : ١٨٩٢) ، ص‌ص ٢٣٣ — ٢٣٤ و ٢٣٧ .
ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ١ ، ج ٢ ، المطبعة الازهرية المصريـة ، (القاهـرة : ١٣٠٣ هـ) ص ١٦٦ .
محمد كرد علي ، الادارة الاسـلامية في عز العرب ، مطبعـة مصـر ، (القاهرة ١٩٣٤) ، ص ١٣٨ .

(٥) نهر عيسى : ينسب هذا النهـر الى عيسى بن علي بن عبداللـه عم المنصور . (انظر الخطيب البغدادي ، بغـداد ، ج ١ ، ص ٩٢ . واسماعيل بن نورالدين بن علي بن محمود بن محمد ابو الفداء ، تقويم البلدان ، مطبعة دار الطباعة السلطانية ، (باريس : ١٨٤٠) ، ص ٥٢ .
Le - Strange, Description of Mesopotamia and Baghdad, Writte by Ibn Serapion, P. 14.

(٦) المحول : بليدة حسنة طيبة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه بينها وبين بغداد فرسخ (انظر : ياقوت بن عبدالله الحموي ،

تفرعت منه الانهار التي كانت تخترق مدينة السلام ، ثم ينتهي الى دجلة ويصب فيها عند تلول قرب « الدورة » الحالية ، ولا تزال اثار هذا النهر العظيم وبعض فروعه العديدة ظاهرة[٧] . وان تاريخ حفر نهر عيسى غير معروف ، الا أنه من المرجح أنه يرجع الى ما قبل ميلاد السيد المسيح .[٨] .

وخلال العهد العباسي عرف هذا النهر باسم « نهر عيسى الاعظم » نسبة الى عيسى بن علي عم الخليفة المنصور[٩] ويخرج من هذا النهر فرع كان يعرف باسم « نهر الرفيل »[١٠] ، ثم سمى باسم نهر عيسى الاصفر . وكانت معظم

معجم البلدان ، ج ٧ مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٠٦) ص ٤٠٠ . ويظهر ان المحول هذه توسعت فيما بعد فقال عنها ياقوت ، ج ١ ص ٣١٢ ، ج ٢ ، ص ٢٢) بانها محلة كبيرة من محال بغداد متصلة بالكرخ ، وهي الآن متنزه ، ذات جامع وسوق مستقلة بنفسها في غرب الكرخ على الصراة) .

(٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١١ .
ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري ، الأخبار الطوال ، ط ١ ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٨٨٨) ، ص ٣٧٩ .
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 14.
ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص‌ص ٥٢ – ٥٣ .

(٨) جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٥ . (انظر : ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٣) .
جريدة الثورة ، العدد ٢١٣٩ ، في ٣٠ تموز لسنة ١٩٧٥ ، ص ٨ .

(٩) اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية)، ص ٢٥٠ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٢ .
ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٥٢ . (ومن المعلوم ان علي بن عيسى جدد انشاء هذا النهر فقط . انظر : جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ص‌ص ٦٣ – ٦٤) .

(١٠) الرفيل : هو اسم احد دهاقنة الفرس ، اسلم على يد سعد بن أبي وقاص . وتعنى كلمة دهقان زعيم الفلاحين من نبلاء الفرس الذين كانوا ملاكين .

اراضي منطقة بغداد الغربية تسقى من هذا النهر الكبير وفروعه ، ومنها « نهر الصراة العظمى » و « الصراة الصغرى » [(١١)] . وعلى مقربة من مصب نهر الرفيل بدجلة بنى عيسى بن علي قصرا سمى « قصر عيسى » ، وهو أول قصر بناه العباسيون في ايام المنصور ببغداد[(١٢)] .

ويتشعب من الضفة اليسرى لنهر الرفيل ـ في موضع يبعد نحوا من ميل تحت صدره ـ نهر يعرف باسم « نهر كرخايا »[(١٣)] ، فيمتد بموازاة نهر الرفيل من الشمال مؤلفا شبكة من القنوات بين نهر الصراة ونهر الرفيل ، بعضها يصب في الصراة ، والبعض الآخر في دجلة . ومن الضفة اليسرى لنهر كرخايا تتفرع أنهر صغيرة منها نهر رزين ونهر البزازين ، ونهر الدجاج . ويدعى القسم الاخير من نهر كرخايا باسم « نهر طابق »[(١٤)] .

وكان في موضع المدينة المدورة ، في أواخر الحكم الساساني قرية تقوم بها للفرس كل سنة سوق عظيمة ، يجتمع بها في ذلك الموسم التجار للبيع والشراء[(١٥)] . وهناك روايةاخرى تقول بان هذه السوق كانت تقوم مرة في كل شهر [(١٦)] وظل الامر كذلك الى الفتح العربي الاسلامي .

---

(١١) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٢ .
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص‌ص ٥ ـ ٦ .
Le - Strange, Mesopotamia and Baghdad, P. 24.

(١٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(١٣) نهر كرخايا : سمى نهر كرخايا لانه كان يسقى رستاق الفروسيتج والكرخ (انظر : الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩١ و ١١٢ ـ ١١٣ . انظر كذلك : ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٤ .
وعلي بن محمد الشابشتي ، الديارات ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٥١) ص ٢١ .

(١٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ و ٩١ و ١١٢ ـ ١١٣ .
الشابشتي الديارات ، ص ٢١ . Ibn Serapion, Op. Cit. P. 26.

(١٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، (مطبعة لجنة البيان العربي) . ص ٣٠١ . الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٢١ .

وقد اشتهر ذكر موضع بغداد في بداية العقد الثاني للهجرة ، وبخاصة بعد الانتصار الذي أحرزه الفاتحون العرب في موقعها . ففي سنة (١٣ هـ - ٦٣٤م) أرسل قائد الجيش العربي خالد بن الوليد عددا من جنوده الى سوق بغداد بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني ، فباغت المهاجمون القرية وأغاروا على سوقها ، وهرب الناس وتركوا أمتعتهم وأموالهم ، وملأ المسلمون أيديهم من

محمود شكري الالوسي ، اخبار بغداد وما جاورها من البلاد ، مخطوطة موجودة بجامعة الحكمة ببغداد ، برقم ١٣٥ ، ورقة ٣٧ - ٣٨ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٢٥ .
عبدالرحمن بن الجوزي ، مناقب بغداد ، مطبعة دار السلام (بغداد : ١٩٢٣) ص ٦ - ٧ .
صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة : ١٩٥٤) ص ١٦٣ و ٢٠٩ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ - ص ٢٣١ .
عمر بن أبي علي حسن بن علي المعروف بذي النسبين دحية والحسين ، النبراس في تاريخ بني العباس ، مطبعة المعارف ، بغداد : ١٩٤٦) ص ٢٤ .

Encyclopedia of Islam, Vol. 11, P. 40.

كي لسترانج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ط ١ ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس ، المطبعة العربية ، (بغداد : ١٩٣٦) ، ص ١٧ ، ١٩ - ٢٠ .
ستيفن رانسيمن ، « بغداد والقسطنطينية » ، ترجمة بشير فرنسيس ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد الثاني عشر لسنة ١٩٥٦ ، بغداد ، ص ١٠٢ .
جريدة الثورة ، العدد ٢١٣٩ ، تموز لسنة ١٩٧٥ ، ص ٨ .
عبدالعزيز الدوري (الدكتور) ، العصر العباسي الاول ، مطبعة التفيض الاهلية ، (بغداد : ١٩٤٥) ، ص ٩٦ .
فيليب حتى ، تاريخ العرب مطول ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٣ .

(١٦) الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٣٧ .
الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ١٢١ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

الصفراء والبيضاء ، وما خف حمله من المتاع [١٧] • وربما اثر هذا الهجوم على النشاط التجاري في هذا السوق • ويبدو ان سوق بغداد قد استعاد نشاطه مرة اخرى ، وخاصة بعد ان حرر العرب المسلمون أرض العراق •

ويذكر البلاذري[١٨] ، ان خالد بن الوليد هو الذي أرسل المثنى بن حارثة الشيباني فاغار على سوق بغداد ، في حين يذكر ابن الجوزي والدينوري ان أهل الحيرة ذكروا للمثنى بن حارثة الشيباني أمر سوق بغداد ، وحبذوا له مهاجمتها ، ومنوه بكثرة الاموال التي سوف يحصل عليها ان هو باغت هذه السوق التي حان موسمها • فصارت تعج بالتجار والباعة الذين قدموا اليها من انحاء مختلفة[١٩] •

ولسوق بغداد هذا اهميته التاريخية في تسمية المدينة التي اضيف اليها ، وعرفت ببغداد حتى يومنا هذا •

وقد ذكر سوق بغداد في حوادث سنة ٧٦هـ ــ ٦٩٥م ، في الحرب التي دارت بين شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني ، والجزل عثمان بن سعيد • وكان

---

(١٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، (مطبعة لجنة البيان العربي) ، ص ٣٠١ . مطبعة بيروت ص ٣٤٤ . احمد بن محمد بن الفقيه الهمداني ، بغداد مدينة السلام ، ص ٢٩ .
الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٨ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ٦ ــ ٧ .
الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص‌ص ١٢١ ــ ١٢٢ و ٣٦٦ و ٣٧٩ .
الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٩٦ .
محمد صادق الحسيني ، عمران بغداد ، مطبعة دار السلام (بغداد : ١٩٣) ص ١٩ .

(١٨) فتوح البلدان ج ٢ (مطبعة لجنة البيان العربي) ، ص ٣٠١ . وطبعة بيروت ص ٣٤٤ .

(١٩) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ٦ ــ ٧ .
الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص‌ص ١٢١ ــ ١٢٢ .
انظر : الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٢٦ ــ ٢٧ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٣٧ ــ ٣٨ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ــ ص ٢٣٢ .

الجزل قد أوفده الحجاج بن يوسف الثقفي لمقابلة شبيب بن يزيد ، فجرح في المعركة . وعبر شبيب بن يزيد دجلة عند الكرخ ، ويروى انه أرسل الى أهل سوق بغداد ما يؤمنهم ، وكان يومها بدء سوقهم ، وبلغه انهم يخافونه ، واشترى اصحابه منهم دواب واشياء اخرى يحتاجون اليها[٢٠] .

وتتضح أهمية موقع بغداد الاستراتيجي ، من أن بعض الخلفاء الامويين كانوا يضعون في موقع بغداد عددا من جنودهم ليرابطوا في هذه البقعة المهمة ، وينطلقوا منها لاخماد الفتن والثورات ضد الحكم الاموي . « وكان لهشام بن عبدالملك وغيره من الخلفاء خمسمائة فارس رابطة يغيرون على الخوارج اذا خرجوا في ناحيتهم ، قبل ان يضعف امرهم »[٢١] .

وذكر الطبرى[٢٢] انه « كانت مدينة ابي جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة ، وكانت لستين نفسا منهم ، فعوضهم منها وارضاهم » . اما ابن رسته[٢٣] ، فيذكر ان هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ عهد البابليين ، ويضيف البلاذرى[٢٤] : ان موضع بغداد كان مأهولاً بالسكان قبل ان يمصرها الخليفة أبو جعفر المنصور ، وابتاع هذه الارض من أصحابها .

---

(٢٠) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٢٣٦ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٠١ .

(٢١) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ٦ ، ص ٢١٣ .

(٢٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، (مطبعة دار المعارف) ، ص ٦١٩ .
انظر كذلك : ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٧ .
وابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٢ .

(٢٣) احمد بن عمر بن رستة ، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٨٩١) ص ١٠٨ .
انظر : جريدة الثورة ، العدد ٢١٣٩ ، في تموز لسنة ١٩٧٥ ، ص ٨ .

(٢٤) فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ، ص ٤١٤ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٨ .

والظاهر أن بغداد ، لم تكن مدينة عامرة قبل ان يختطها المنصور ، وانما كانت قرية من قرى طسوج[٢٥] بادوريا[٢٦] ، فقد ذكر صاحب (البلدان) أنها : « مدينة بنى هاشم ، ودار ملكهم ، ومحل سلطانهم ، لم يبتد بها أحد قبلهم، ولم يسكنها ملوك سواهم »[٢٧] • اذن لم يكن بموقع بغداد ــ في بداية العصر العباسي ــ الا دير على مقربة من مصب نهر الصراة في دجلة ، الذي يقال له قرن الصراة • وهو الدير الذي سمي الدير العتيق ، والذي كان قائما حتى أيام اليعقوبي •[٢٨] لذلك أضاف صاحب البلدان قوله : « ولم تكن بغداد مدينة في الايام المتقدمة ، أعني أيام الاكاسرة والاعاجم ، وانما كانت قرية من قرى طسوج بادوريا »[٢٩] •

ولم يستقر العباسيون الاوائل في عاصمة معينة في أيامهم الاولى ، حيث نجد الخليفة ابا العباس عبدالله بن محمد يتنقل بين الكوفة والهاشمية التي

---

(٢٥) طسوج : لفظة فارسية تعنى المنطقة الزراعية ، أو الارض المزروعة . (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ١٤١ • وكذلك الزبيدي ، تاج العروس جـ ٢ ص ٧٠) •

(٢٦) بادوريا : طسوج من كورة الاستان بالجانب الغربي من بغداد • وهو اليوم محسوب على كورة نهر عيسى بن علي • وقالوا ما كان من شرقي الصراة فهو بادوريا ، وما كان غربها فهو قطربل • (انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص‌ص ٢٩ ــ ٣٠) •
و (ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٤) •

(٢٧) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٤ •
انظر : ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، المسالك والممالك ، (القاهرة : ١٩٦١) ، ص ٥٨ •
محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، (مصر : ١٣٤٠ هـ) ص ١١٧ •

(٢٨) توفى اليعقوبي سنة ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م •

(٢٩) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٥ ٢٣•
انظر : البلاذري • فتوح البلدان • جـ ٢ ، (مطبعة لجنة البيان العربي) ص ٣٠١ •

بناها على الفرات قرب الانبار[٣٠] ثم أن أبا جعفر المنصور نفسه كان يفتش عن موضع ملائم ليجعله موقعا لعاصمة جديدة ، اذ وقع اختياره اولا على مكان بين الكوفة والحيرة وبدأ بانشاء مدينة جديدة سماها الهاشمية ايضا[٣١] ، واقام بها مدة ، ثم بنى الرصافة بظهر الكوفة[٣٢] الى أن « عزم على توجيه ابنه محمد المهدى لغزو الصقالبة في سنة أربعين ومائة فصار الى بغداد ، فوقف بها وقال : « ما اسم هذا الموضع ؟ قيل له : بغداد . قال . هذه والله المدينة التي أعلمني أبي محمد بن علي أني أبنيها وانزلها وينزلها ولدي من بعدي ، لقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والاسلام »[٣٣] .

ورغم احتواء هذا النص على أمور غيبية تبدو ضعيفة واهية أمام التحليل المنطقي العلمي ، الا أنه في الوقت نفسه يؤكد القلق الذي كان مستحوذا على عقل وفكر الخليفة العباسي الثاني . كما أنه ايضا يؤكد نقطة اساسية مهمة اخرى هي : أن اختيار الموقع كان قد تم من قبل الخليفة نفسه وليس بايحاء من جهة اخرى .

فمن المؤكد ان المنصور ترك الهاشمية في اعقاب ثورة الراوندية[٣٤] ،

---

(٣٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، (مطبعة لجنة البيان العربي) ص ٣٥١ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢ .

(٣١) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٤ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٤ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢١ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣ .
لسترانج ، بغداد ، ص ١٤ .

(٣٢) الطبري ، م. ق ، ج ٧ . ص ٦١٤ .

(٣٣) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٧ .
ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١١٧ .

(٣٤) الراوندية : قوم من أهل خراسان يقولون بتناسخ الارواح ، ويزعمون ان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور ، فحمل عليهم المنصور ←

وكره سكناها فخرج بنفسه يرتاد لها موضعا يتخذه مسكنا لنفسه وجنده[٣٥] فانحدر الى جَرجرايا[٣٦] ، ثم صار الى بغداد ، ثم مضى الى الموصل ، وكر ثانية الى موقع بغداد فقال : « هذا موضع معسكر صالح ، هذه دجلة ، ليس بيننا وبين الصين شيء ، تأتينا فيها كل ما في البحر ، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك . هذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقة ، وما حول ذلك ، فنزل وضرب عسكره على الصراة ، وخط المدينة ووكل بكل

وقاتلهم فقتلوا جميعا ، وهم يومئذ ستمائة رجل .

(انظر : الطبري ، م. ف ، جـ ٨ ، ص ٨٣ .

ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٠ .

لسترانج ، بغداد ، ص ١٤ .

جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٤٤ .

فاروق عمر فوزي (الدكتور) ، العباسيون الاوائل ، جـ ١ ، ص ٨٥ ـ ٨٦ وطبيعة الدعوة العباسية ، جـ ١ مطبعة دار الارشاد ، (بيروت : ١٩٧٠) ص‌ص ٢٣٢ ـ ٢٣٥) .

(٣٥) الطبري ، م. ق ، جـ ٧ ، ص‌ص ٦١٤ و ٦١٦ .

الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٧٦ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٩ .

ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ٧ ـ ٨ .

ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤ .

ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١١ .

ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١١٧ .

ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص‌ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ ١ ، ص ١٩٥ .

ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٣ .

(٣٦) جَرْجَرايا : بلد من أعمال النهروان بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي .

(انظر : ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع جـ ١ ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ . وابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٣٠٥) .

ربع قائدا »[٣٧] ، ويضيف اليعقوبي أن أبا جعفر سار بنفسه الى بغداد وأعجبه الموضع لاهمية موقعه[٣٨] . كما تتواتر الروايات بان المنصور قد تحكم ايضا في تسمية العاصمة الجديدة[٣٩] .

اما ابن الساعي فيذكر ان المنصور هو الذي سأل راهبا كان في صومعة عن مكان بغداد قبل ان يختطها ، ثم ان الراهب قال للخليفة ان الملك الذي

---

(٣٧) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٤ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٩ — ٣٠ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٣٨ — ٣٩ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ٧ — ٨ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٤ .
ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص‌ص ١١٧ — ١١٨ .
عبدالرحمن بن سنبط الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٢ .

(٣٨) احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ، مطبعة الغري ، النجف : ١٣٥٨ هـ) ، ص ١٠٩ .
المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١١٦ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ج ٢ ، (القاهرة : ١٩٣٤) ، ص ٢٠٢ .
Richard Coke, Baghdad The City of Peace, (London: 1927), P. 19.

(٣٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ص ٤١٤ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٥٨ و ٦٦ — ٦٧ .
الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٧٩ . ابن رستة ، الاعلاق النفيسة، ص ١٠٨ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .
احمد بن علي القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة ١٩١٣ — ١٩٢٠) ، ص ٣٢٠ .

سيختط بغداد يقال له : « ابو الدوانيق ، فضحك وقال هو أنا »[٤٠] ان هذه الرواية تبدو واهية ، وانها حيكت فيما بعد ، فهي تتضارب مع روايات اخرى • وعندئذ التبست الحقيقة على كثير من الباحثين •

وفي تقديري ان الخليفة كان يفضل أن تكون عاصمته في موقع متوسط من العراق • ولا شك في ان موقعها على دجلة خير منه على الفرات ، اذ بذلك تكون العاصمة الجديدة في وسط أراض خصبة يمكن أن تصلها المياه من نهري دجلة والفرات معا ، ولا يمنع ان يكون الخليفة قد استشار اناسا آخرين ليستطلع رأيهم فيما عزم تنفيذه •

وتذكر الروايات أن من جملة من استشارهم المنصور في هذا الموضوع ، خالدا البرمكي[٤١] ، وسليمان بن خالد ، وابا أيوب الموريانى ، وعبدالملك بن حميد الكاتب[٤٢] ، وبطريقا كانت له رحى على نهر الصراة[٤٣] ، وصاحب قرية بغداد الذي بين للمنصور أهمية موقع بغداد من الناحية المناخية ، وصاحب المخرم ، وصاحب دير بستان القس[٤٤] ، وعرف هذا الدير فيما بعد باسم الدير العتيق، وزعم بعض الباحثين ان المنصور أقام قليلا في الدير عند مجيئه الى هذه المنطقة لوضع تصميم عاصمته الجديدة[٤٥] •

---

(٤٠) علي بن انجب بن الساعي البغدادي ، مختصر اخبار الخلفاء ، المطبعة الاميرية ، (مصر : ١٣٠٩ هـ) ، ص ١١ •

(٤١) الطبري ، م • ق ، جـ ٧ ، ص ٦٥٠ •

(٤٢) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٢٣٢ • ابن الفقيه الهمداني ، بغداد، ص ٣٠ •

(٤٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤ • ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣١ •
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٧ •

(٤٤) الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٢ ، ٣٩ •
ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ــ ص ٢٣٣ •
ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٤ • ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣١ •
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٨ •

(٤٥) نفس المصدر ، ص ٩ •

وقيل ان احد جند المنصور أصاب عينيه رمد فتخلف بالمدائن عن ركب الخليفة ، فاخبره الطبيب الذي تولى علاجه ، بأنه قرأ في كتبهم ان رجلا مقلاصا يبنى مدينة بين دجلة والصراة ، وسوف يكون لها شأن عظيم . ونقل الجندي هذه النبوءة الى الخليفة فقال : انا والله كنت ادعى مقلاصا ، وانا صبي. وعندئذ قرر ان تكون منطقة قرية بغداد موضع مدينته[٤٦]. ورغم بساطة هذه النبوءة الا انها هي الاخرى توضح دور الخليفة المنصور في اختيار موقع بغداد .

ويعتبر لسترانج[٤٧] ، ان مناخ مدينة الكوفة القريب من البطائح الموبوءة بالامراض التي يحملها البعوض الموجود هناك ، قد ضايق الخليفة المنصور ودفعه لان يفتش عن مكان آخر . غير ان مناخ بغداد لم يكن خاليا من البعوض وبخاصة اذا ما علمنا ان منطقتها لم تكن تخلو من وجود المياه الراكدة ، وان مستنقع (عقرقوف) لم يكن يبعد عنها سوى فراسخ قليلة . ولذا أرجح ان الخليفة كان قد وفد الى هذا المكان في موسم يطيب فيه الهواء عموما ، وان الدوافع والاغراض السياسية والاقتصادية والشخصية كان لها دورها الاول المقدم على عامل المناخ الذي يبدو تافها امام تلك الاغراض .

ولاتقل تفاهة عن ذلك ، النبوءة التي رواها الطبرى وغيره من المؤرخين، وظهرت عليها مسحة الاختلاق ، وهي تقول بأن كتب الرهبان (النصارى) القديمة تتنبأ بقيام مدينة عظيمة في زمن من الازمان بين الصراة ونهر دجلة اسمها الزوراء ، يبنيها رجل يدعى مقلاصا ، فلما سمع المنصور هذه الرواية

---

(٤٦) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٥ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، صص ٧ — ٨ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٤ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٢ و ٣٩ .
ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، صص ١١٧ — ١١٨ .

(٤٧) بغداد ، ص ٢١ .

ازداد عزما في النزول في هذا الموضع [٤٨] • وأرى ان صاحب قرية بغداد ، وبطريق دير بستان القس ، وصاحب المخرم وغيرهم ، كانوا يختلقون الروايات، لانهم يحبذون اقامة الخليفة بين ظهرانيهم وهم يرمون من وراء ذلك تحقيق أهداف مادية سوف يجنونها من جراء الانتعاش الاقتصادي الذي سيعم المنطقة باسرها في حالة انشاء حاضرة الخلافة فيها •

وقد يكون من المحتمل أن بعض هذه الروايات وضعت بعد قيام المدينة ، ذلك ان المؤرخين يجمعون على أن اسم الزوراء ظهر بعد بناء المدينة المدورة وأن فريقا منهم يرجع ذلك الازورار الى وجود انعطاف نحو اليسار في دهليز السور الاول ما بين الباب الاول والثاني • وآخرون يرجعون ذلك الى وجود ميل قليل في قبلة المسجد الجامع للمدينة المدورة •

ولا ريب في أن أقوالهم تلك ـ بغض النظر عن صحتها ـ قد شدت اهتمام المنصور نحو الموقع المقترح لعاصمته الجديدة ، خاصة بعد أن قيل له : «وأنت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر او قنطرة ، فاذا قطعت الجسر ، وأخربت القناطر لم يصل اليك عدوك» [٤٩] • لذلك أقسم بالله ليبنينها ويسكننها طيلة حياته ، وتنبأ لها ان تكون أعمر مدينة [٥٠] •

واختار المنصور العراق ليكون مركز حكمه ، لاهمية موقعه الاستراتيجي• وفضل موقع بغداد على غيره لانه يقع في وسط العراق ، وبذا اصبحت بغداد حينذاك مدينة عظيمة قل ان نجد لها نظيرا ، سعة وعمارة ، ووفرة مياه ،

---

(٤٨) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٥ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٤ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ٧ ـ ٨ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٤ .

(٤٩) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٧ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٢١ .
ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص‌ص ١١٧ ـ ١١٨ .

(٥٠) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٨ .

وكثرة غلال ، ونشاطاً تجارياً واسعا . وسكنها من أصناف الناس ، وأهل الامصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها اهل الآفاق على أوطانهم ، لانها اصبحت مركز الخلافة ، وفيها فرص كثيرة لاهل التجارة وطلاب الجاه والثراء ، فوصفها اليعقوبي بقوله : « فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف ، فاجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا »[٥١] .

ولعل صاحب كتاب البلدان لم يكن مبالغا في كلامه هذا ، ذلك أننا نلمس صحة هذا القول ، اذا ما تتبعنا خطط مدينة بغداد ، ونشاط أسواقها وسكانها الذين « فضلوا الناس في العلم والفهم والادب ، والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب ، والحذق في كل مناظرة ، واحكام كل مهنة ، واتقان كل صناعة ، فليس عالم أعلم من عالمهم ، ولا أروى من راويتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا أعرب من نحويهم ، ولا أصح من قارئهم ، ولا أحذق من مغنيهم ، ولا ألطف من صانعهم ، ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أبين من منطقيهم ، ولا أعبد من عابدهم ، ولا أورع من زاهدهم ، ولا أفقه من حاكمهم ، ولا اخطب من خطيبهم ، ولا اشعر من شاعرهم ، ولا أفتك من ماجنهم »[٥٢] . كما ان كثيرين من تجار البصرة والكوفة انتقلوا الى حاضرة الخلافة الجديدة[٥٣] .

ويبدو ان الخليفة المنصور كان عازماً على أن يجعل عاصمة ملكه الجديدة ، فريدة في نوعها ، من حيث السعة والعمران والاهمية التجارية والاقتصادية والسياسية . وعبر عن وجهة نظره هذه بقوله : « ثم لتكونن اعمر مدينة في الارض »[٥٤] .

---

(٥١) ن . م ، ص ٢٣٤ .
انظر : معين الدين الندوي ، معجم الامكنة ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر اباد الدكن : ١٣٥٣ هـ) ص ١١ .
(٥٢) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٥ .
(٥٣) نفس المصدر والمكان .
(٥٤) نفس المصدر ، ص ٢٣٨ .

وتتيجة لهذا التصميم ، وصدق العزيمة ، أخذت حاضرة الخلافة تنمو وتتطور في جميع مرافق حياتها ، وبخاصة الجانب الاقتصادي ، حيث تهيأت لها جميع مقومات النمو والازدهار ، في الموقع الجغرافي الفذ الذي تحلت به ، والعامل السياسي الذي أدى الى أن تستجد ظروف أخرى للعاصمة الناشئة ، بحيث تتجه اليها انظار التجار ، والعلماء والادباء ، فازدادت أهميتها ، وعظمت مكانتها .

ويظهر أن الخليفة المنصور كان مقتنعا كل الاقتناع بصلاح المدينة المدورة وأهمية مركزها وموقعها . وانه ما أنشأها الا لتبقى ما دامت الاسرة العباسية في دست الحكم . فهو حريص كل الحرص على بقائها حاضرة الخلافة العباسية ، لذا كان يؤكد على ابنه المهدي في وصيته له ، ويحثه على ضرورة الابقاء عليها اذ قال : « وانظر هذه المدينة (اى بغداد) ، فاياك ان تستبدل بها، فانها بيتك وعزك . وقد جمعت لك فيها من الاموال فان كسر عليك الخراج عشر سنين كان عندك كفاية لارزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور ، فاحتفظ بها ، فانك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا »[٥٥] .

ولم يكن المنصور وحده معتزاً بمدينة بغداد ، فقد كان معظم الخلفاء العباسيين لديهم مثل هذا الشعور ، فهم ينظرون اليها بتفاؤل كبير . ففي سنة ١٨٩هـ ــ ٨٠٤م أثيرت تخرصات ، وراجت شكوك ، مفادها ان الخليفة هارون الرشيد معرض عن مدينة السلام وصار لا يطيق الاقامة فيها . فلما علم الخليفة بهذه الأراجيف دحضها بقوة وعلانية ، وأبان اعتزازه بمدينة السلام[٥٦] .

---

(٥٥) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ١٠٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٣ .
الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٨٩ .
رزق الله منقريوس الصدفي ، تاريخ دول الاسلام ، ج ١ ، مطبعة الهلال ، (القاهرة : ١٩٢٣) ص ٨٧ . كرد علي ، الادارة الاسلامية ، ص ١٢٩ .

(٥٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

وابان الحرب الاهلية التي نشبت بين الخليفة الامين وجيش اخيه المأمون ، التجأ الاول في آخر الامر الى الى داخل المدينة المدورة ليجد فيهـا ملاذا من شدة الضغط الذي تعرض له من جيش المأمون الذي اطبق على المدينة وحاصرها اكثر من سنة(٥٧) .

وظل الخليفة المأمون في حيرة واضطراب ، ولم تهدأ له الامور ، الا بعد أن استقر به المقام في بغداد(٥٨) . ولم يكن الخليفة المعتصم بالله يمتلك حرية البقاء في بغداد ، أو الانتقال منها الى مكان آخر . فالمصادر تجمع على ان هناك ضغطا شديدا ، والحاحا كبيرا تعرض له المعتصم من قبـل جنـده الاتراك ، ومن قبل سكان بغداد الذين سئموا عـدوان غلمان الخليفـة التي تعدت وتجاوزت الحد الذي يمكن السكوت عليه(٥٩) .

ورغم انتقال الخلفاء الى سامراء ، ظلت بغداد ملاذا للخلفاء عندما تثور في وجوههم الازمات السياسية الحادة التي كان يثيرها بين آونة وأخرى ذوو الاطماع والقابضون على ناصية الامور ، والمسيطرون على الخلافة . ففي سنة ٢٥١هـ ــ ٨٦٥م أصبحت بغداد الملجأ الوحيد للخليفة المستعين بالله الذي تعرض

---

(٥٧) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٤٧٣ ــ ٤٧٤ .
المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص‌ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨ . (مطبعة دار الطباعة القاهرة) . يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدي ، تاريخ الموصل ، (القاهرة ١٩٦٧) ، ص ٣٢٥ و ٣٣٠ ــ ٣٣١ .
انتشارات جهان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٩ (تحت كلمة بغداد) .

(٥٨) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الحيدرية) ، ص‌ص ٦٥ ــ ٦٦ .
الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٥٤٣ ــ ٥٤٤ و ٥٤٦ ــ ٥٤٧ و ٥٥٥ ــ ٥٥٦ .

(٥٩) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ١٨ .
المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٥٣ (مطبعة دار الطباعـة العامرة) .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ .
حسن احمد محمود (الدكتور) ، الاسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى ، دار الحمامي للطباعة ، (القاهرة : ١٩٦٨) . ص ٥٩ .

لعدوان جند الاتراك المتكرر ، فاقام ببغداد يحاربهم ويصد هجماتهم[٦٠] .

ولا يقل تعلق الناس ببغداد وانتصارهم لها عن خلفاء بنى العباس ، وقد تجلى ذلك في التفاف سكان مدينة السلام حول ابراهيم بن المهدي ومبايعتهم له بالخلافة[٦١] اعتقادا منهم أنه سيبقى بغداد مقرا للخلافة . ونظم شاعر البلاط (الصولى) قصيدة طويلة مدح فيها الخليفة الراضى بالله وحبذ له الاقامة في بغداد ، ذلك ان هذا الشاعر كان قد طرق سمعه ان الخليفة يروم ترك بغداد والاقامة في سرمن رأى . وقال له: « بغداد دار المملكة ووطن الخلافة وفتقها لا يتلافى . فقال : انما كانت بغداد كذا حيث كان في بيت مالها عشرة الاف الف دينار في أيام المعتضد ... فاما ولا مال بها فهي كسائر البلدان »[٦٢] .

وقبل الخوض في تحديد موعد الشروع في البناء يجدر بنا أن تتحرى عن الدوافع الاساسية التي حدت بالخليفة المنصور الى هذا الاختيار . يذكر بعض المؤرخين ان المنصور كره الاقامة بالكوفة بعد ثورة الراوندية ، فجدّ في التفتيش عن بقعة لائقة يتخذها عاصمة لدولته الجديدة[٦٣] .

---

(٦٠) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص‌ص ٢٨٠ ـ ٢٨٣ .
المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص‌ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ (مطبعة دار الطباعة العامرة) . حسن محمود ، الاسلام والحضارة العربية ، ص ٦٤ .
انتشارات جهان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ١٠ ـ ١١ (تحت كلمة بغداد) .
لسترانج ، بغداد . ص ١٥٠ .

(٦١) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦ .
المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص‌ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ (مطبعة دار الطباعة العامرة) .

(٦٢) ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ، اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، أو الاوراق مطبعة الصاوي ، (مصر : ١٩٣٥) . ص ١١١ و ١١٤ ـ ١١٥ .

(٦٣) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٤ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢١ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٤ .

وهناك رأى آخر مفاده ان الخليفة ابا جعفر ، ما بنى مدينته المدورة ، الا لأنه لم يأمن اهل الكوفة على نفسه[٦٤] ، ولخوفه من أن يفسدوا جنده ويحملوهم على مناصرة العلويين[٦٥] . ولم يبدأ ببنائها الا بعد أن اعلمه

ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١١٧ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ١٩٦ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣ .
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١١ .
جرجي زيدان ، التمدن الاسلامي ، ج ٢ ، دار الهلال ، (مصر : ١٩١٠) ص ١٧٥ . رفائيل بابو اسحق ، احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة شفيق ، (بغداد : ١٩٦٠) ، ص ٥ .
محمد امين واصف ، الفهرست ، معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية ، مطبعة المعارف ، (القاهرة : ١٩١٦) . ص ٢٩ .
فوزي ، العباسيون الاوائل ، صص ٨٥ — ٨٦ .

(٦٤) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ض ٦١٤ .
ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١١٧ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ١٩٥ .
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١١ .
كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ، ترجمة الدكتور نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، (بيروت : ١٩٤٩) ، ص ٨ .

(٦٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، (مطبعة لجنة البيان العربي) ، ص ٣٥٣ .
الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٥ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢١ و ٣٨ — ٣٩ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٤ .
ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١١٧ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣ .
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٢١ .
لسترانج ، بغداد ، ص ١٤ . رمزية محمد الاطرقجي ، بناء بغداد ، ص ٣٨ ، ٤١ .

المنجم (نوبخت)[٦٦] أن أهلها يسلمون من الاعداء ، وأنهم سيكونون موالين للبيت العباسي • وكان العباسيون في صدر دولتهم مغرمين بالتفاؤل الديني وكثيرا ما يلجأون الى أخذ آراء المنجمين قبل ان يقدموا على تنفيذ الخطوات التي لها مساس بدولتهم[٦٧] •

وهناك روايات كثيرة حول تحديد السنة التي شرع فيها الخليفة أبو جعفر المنصور في بناء مدينته المدورة • فيروى الاسحاقى[٦٨] ان المنصور ابتداء في بناء بغداد سنة ١٤٠هـ ـ ٧٥٧م • أما اليعقوبي فيؤكد ان المنصور اختط المدينة المدورة في شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائة[٦٩] •

وحسب رواية محمد بن الوراق ، واحمد بن علي المحتسب وغيرهما ذكر الخطيب البغدادي[٧٠] ان المنصور أمر ببناء بغداد سنة مائة واربع وأربعين وبضعةشهور • وكانصاحب «تاريخ بغداد» قد أورد قبلذلك رواية أخرى اشار فيها الى أن الخليفة المنصور « ابتدأ اساس المدينة سنة خمس واربعين ومائة ، واستتم البناء سنة ست واربعين ومائة وسماها مدينة السلام »[٧١] •

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ ٢ ، ط ٣ ، مطبعة السعادة ، (مصر : ١٩٥٥) • ص ٣١٣ •

(٦٦) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٨ •
ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣٦ • ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٠ •

(٦٧) توفيق احمد عبدالجواد ، تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، جـ ٣ ، المطبعة الفنية الحديثة ، (القاهرة : ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠) ، ص ١٨٢ •
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٣١٨ •

(٦٨) محمد عبدالمعطي بن ابي الفتح بن احمد الاسحاقي ، اخبار الدول ، المطبعة الميمنة ، (القاهرة : ١٣١٠ هـ) ص ٥٧ •
انظر : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، المطبعة الميمنية ، (القاهرة : ٢٣٠٥ هـ) ص ١٠١ •

(٦٩) البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٨ •

(٧٠) تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٦٧ •

(٧١) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٦٦ •

وأرجح ان الخطيب البغدادي كان مقتنعا بصحة الرواية الاخيرة لذا قدمها على غيرها ثم أنه اكمل بعدها اجراءات الخليفة التي اتخذت بعد ان انتهى من التخطيط كما أنه كررها في مكان آخر من مؤلفه هذا[٧٢] • في حين أن ابن كثير[٧٣] لا يجزم في سنة شروع المنصور في البناء ، فهو يقول : قيل سنة ١٤٤هـ - ٧٦١م ، وقيل سنة ١٤٥هـ - ٧٦٢م •

ويتفق بقية المؤرخين مع الطبرى ، الذي يرى ان تخطيط المدينة المدورة والبدء في البناء ، كان قد تم في سنة ١٤٥هـ - ٧٦٢م[٧٤] ، واذ ما ان استقر

---

(٧٢) انظر : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٧٣) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٣٢) ، ص‌ص ٩٦ - ٩٧ .

(٧٤) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٦١٨ .
انظر : الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٩٤ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٨ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٦ .
يا قوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ط ٢ ، (ليدن : ١٩٠٦) ، ص ١٢١ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢١ و ٢٣ و ٣٨ و ٤٠ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص‌ص ١٤ - ١٥ .
ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص‌ص ١١٧ - ١١٨ .
الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٢ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣ .
ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١١ .
شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايباز الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، (حيدر اباد الدكن : ١٣٦٤ هـ) ، ص ٧١ .
شمس الدين ابو عبدالله محمد ابو طالب الانصاري الدمشقي ، تحفة الدهر في عجائب البر والبحر ، (بطرس بورغ : ١٨٦٥) ، ص ١٨٦ .
الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري ، تاريخ الخميس ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .
ابو الفلاح عبدالحي بن احمد بن محمد بن العماد الحنبلي ، شذرات

رأي المنصور على بناء عاصمته الجديدة، واختيار موقعها «وجه في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة ، فأحضروا ، وامر باختيار قوم من ذوى الفضل والعدالة والعفة والامانة والمعرفة بالهندسة . فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن ارطأة ، وابو حنيفة النعمان بن ثابت، وأمر بخط المدينة وحفر الاساسات ، وضرب اللبن وطبخ الاجر فبدىء بذلك ، وكأن أول ما ابتدأ به في عملها سنة خمس واربعين ومائة »(٧٥) . ونزلها

→

الذهب في اخبار من ذهب ، ج ١ (القاهـــرة : ١٣٥٠ هـ) ص‌ص ٢١٦ — ٢١٧ .

لسترانج ، بغداد ، ص‌ص ١٦ — ١٧ .

نخلة بك صالح شفوات ، تاريخ الخلفاء ، مطبعة هندية ، (القاهرة : ١٩١٤) ص ٥٥ .

ف. بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ط ٣ ، ترجمة حمزة طاهر ، مطابع دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٥٨) ، ص ٧٣ .

الندوى ، م. ق . ص ١١ .

جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٤٣ .

الصدفي ، تاريخ دول الاسلام . ج ١ ، ص ٨٦ .

واصف ، الفهرست ، ص ٢٩ .

زكي محمد حسن (الدكتور) ، الفنون الاسلامية ، ص ٥٩ .

رانسيمن ، « بغداد والقسطنطينية » ، ترجمة بشير فرنسيس ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد ١٢ ، لسنة ١٩٥٦ ، بغداد ، ص ١٠٢ .

عطا الحديثي ، « سقايا بغداد » مجلة سومر ، المجلد ٢٩ ، لسنة ١٩٧٣ ، بغداد ، ص ١٩٧ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين ، « المشهد الكاظمي في العهد العباسي » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد ١٨ لسنة ١٩٦٢ ، بغداد ص ١٢٠ .

(٧٥) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٨ .

انظر : اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٨ .

الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٦ .

ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٢ .

ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص‌ص ١٤ — ١٥ .

الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢١ و ٢٣ و ٣٨ و ٤٠ .

المنصور سنة ١٤٦هـ – ٧٦٣م ، ونقل اليها بيت المال والدواوين[٧٦] ، واكمل بناءها وسورها وخندقها وجميع امورها سنة ١٤٩ هـ – ٧٦٦م [٧٧] . وهذا ما يؤكد لنا تكامل اسواق المدينة المدورة .

---

(٧٦) البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ، ص ٤١٤ .
أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، (القاهرة : ١٩٣٨) ، ص ١٠٠ .
عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ط ١ ، المطبعة الاسلامية (القاهرة : ١٩٣٤) ، ص ١٦٥ .
المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٨ و ٣٩ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٦٦ – ٦٧ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٤ – ٢٥ .
ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١١٨ .
الاسحاقي ، اخبار الدول ، ص ٥٧ .
الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٧ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ١٩٦ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٣ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .
آل ياسين ، « المشهد الكاظمي في العهد العباسي » مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد ١٨ لسنة ١٩٦٢ بغداد ص ١٢٠ .
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٤٣ .

(٧٧) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٢٨ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٩ .
المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢١ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٦ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٨ .
الاسحاقي ، اخبار الدول ، ص ٥٧ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٤٥ .
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٤٩ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .

تسمية المدينة المدورة :

وهنا يكون من المفيد ان نستعرض مختلف آراء المؤرخين الذين بحثوا في أصل تسمية بغداد • فقد ذهب بعضهم الى أن بغداد محرفة من (بعل جاد) ومعناها (معسكر البعل) ، على اعتبار انها معسكر للجيش البابلي • وقال البعض الآخر ، أنها تحريف (بعل داد) ، أي مدينة إله الشمس • ومنهم من يرى ان اسم بغداد لفظ كلداني هو (بلداد) وهو مشتق من اسم إله كلداني • وذهب آخرون الى ان اسم بغداد آرامى ، بدلالة كثرة وجود الديارات النصرانية في هذه المنطقة التي ترجع الى عهد الآراميين في العراق • واللفظة الاخيرة تعنى بيت الغنم او بيت الضأن ، ومن المحتمل أنهم كانوا يبيعون الغنم في سوق بغداد في أول الامر(٧٨) •

ولما كانت لفظة بغداد أعجمية الاصل ، فقد وردت باشكال مختلفة فقيل : « بغداد ، وبغداذ ، وبغذاذ ، ومغداد ، ومغداذ ، ومغدان ، وبغدان »(٧٩) وهي تذكر على اسم البلد وتؤنث على اسم المدينة(٨٠) •

---

(٧٨) جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٨ . دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٣ .
ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٧ .
بابو اسحق ، احوال نصارى بغداد ، ص ١٩ . الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٧ .
Encyclopedia of Islam, Vol. 11, P. 563.
الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٩٦ — ٩٧ .

(٧٩) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٥٩ — ٦٠ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٧ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص‌ص ٢٣٠ — ٢٣١ .
القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .
ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .
الدمشقي ، تحفة الدهر ، ص ١٨٦ ، الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٧ .

(٨٠) احمد بن محمد بن علي المقري ، المصباح المنير ، ط ٣ ، (القاهرة : ١٣١٦ هـ) ص ٢٨ .

اما معنى الكلمة فتضاربت فيها آراء المؤرخين أيضا ، وعللوها بتعليلات متنوعة ، شأنهم تجاه كل لفظة غريبة . ومما ذكره ياقوت في هذا الصدد عن محمد بن القاسم الانباري ان : « أصل بغـداد للاعاجم والعرب تختلف في لفظها ، اذ لم يكن أصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم »[٨١] .

وتتفق الروايات في أن اسم بغداد فارسي ، غير أنها تختلف في اشتقاقها ، ففي رواية أنها سميت بغداد لان كسرى اهدى اليه خصى من المشرق فأقطعه بغداد . وكان الخصى من عباد الاصنام ببلده فقال : (بغ دادى) اى الصـنم أعطاني[٨٢] . وقيل : (بغ) هو البستان ، و (داد) أعطى ، فيكون كسرى قد وهب لهذا الخصى هذا البستان فقال : (بغداد) فسميت به[٨٣] .

وذهب آخرون الى أن بغداد مشتق من اسم ملك الصين (بغ) ، فكان تجار الصين اذا انصرفوا الى بلادهم بأرباحهم الطائلة من سوق بغداد قالوا :

ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ .
ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣١ .
ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، جـ ١ ، ص ١٦٣ .
الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٧ .

(٨١) معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٦٠ .
Encyclopedia of Islam, Vol. 11, P. 563.

(٨٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٥٨ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٧ .
ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٣ .
القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٣٠ .

(٨٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، صص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٧ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٦٠ .
ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٣ .

(بغداد) اي هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك [٨٤] . لكن المنصور سماها مدينة السلام ، لان دجلة يقال لها وادي السلام [٨٥] ، ولان المسلمين كانوا يتحاشون قول ـ بغداد ـ لان (بغ) بالفارسية تعنى صنم ، و (داد) عطية ، فكأنها عطية الصنم [٨٦] . كما أنهم ايضا لا يحبذون استعمال اسم (بغداذ) ، لان (بغ) شيطان ، و (داذ) عطية . [٨٧]

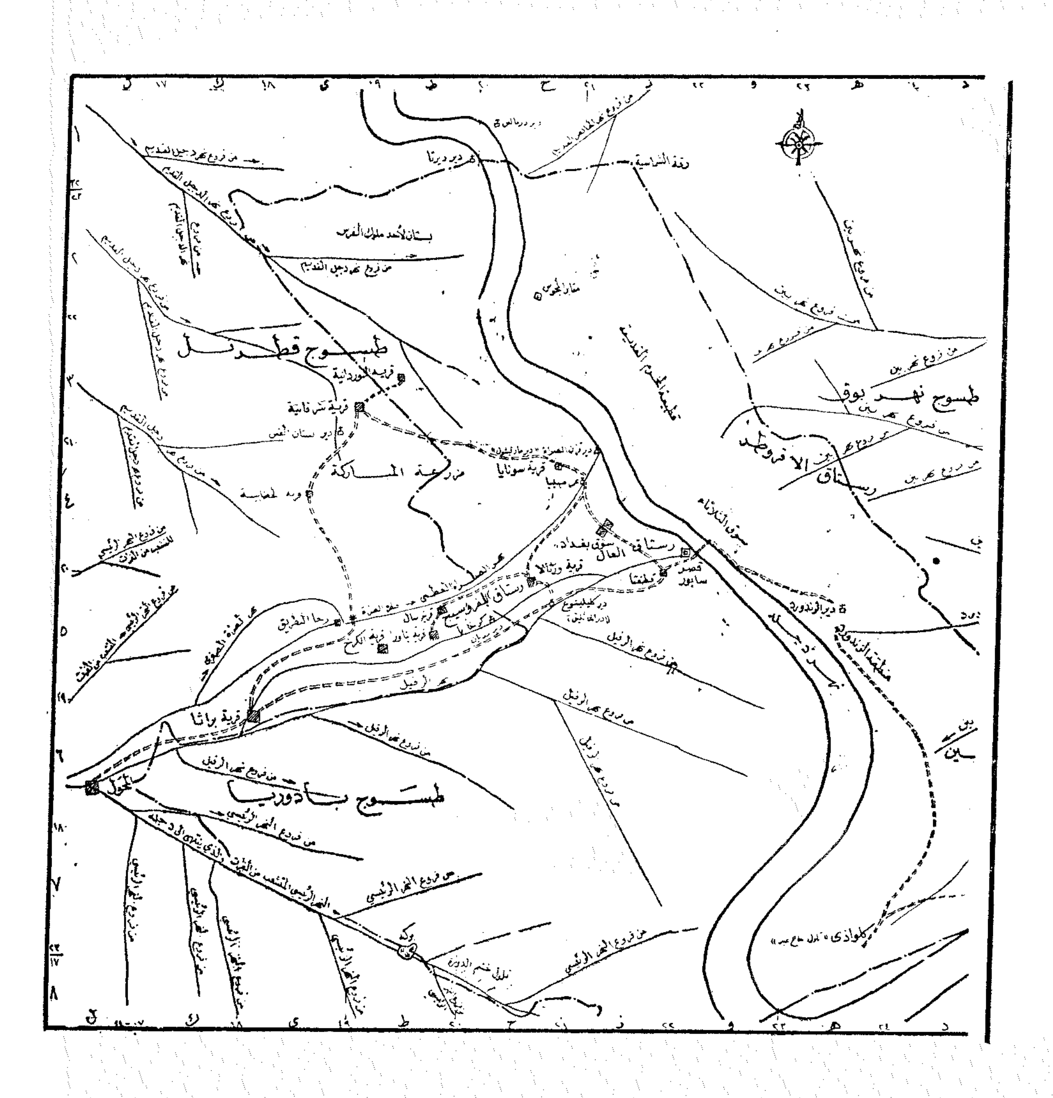
---

(٨٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص‌ص ٣١٥ ـ ٣١٦ .
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٩ . ابن الفقيه الهمداني بغداد ، ص ٢٧ .

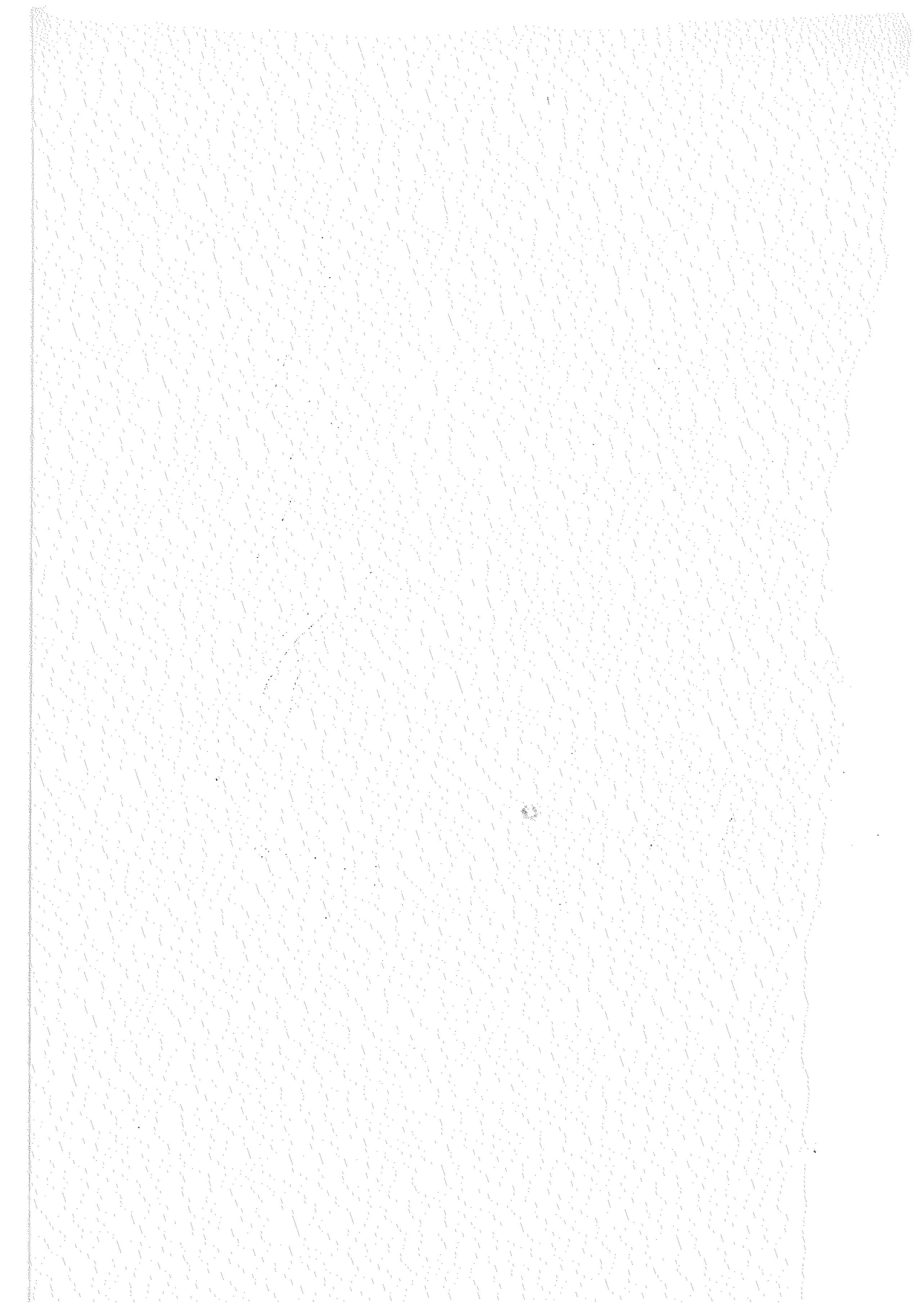
(٨٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٧ .
الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٧٩ .
البلاذري ـ فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ، ص ٤١٤ .
ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٠٨ .
الدمشقي ، تحفة الدهر ، ص ١٨٦ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٩ .
ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٢ .
ابن الفقيه الهمداني ، البلدان ، مطبعة بريل ، ص ١٨٤ .
القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .
Encyclopedia of Islam, Vol. 11, P. 563.
لسترانج ، بغداد ، ص‌ص ١٧ ـ ١٨ .
احمد امين ، هرون الرشيد ، الناشر دار الهلال ، ص ٢٥ .
بابو اسحق ، احوال نصارى بغداد ، ص‌ص ١٧ ـ ١٨ .
الندوي ، معجم الامكنة ، ص ١١ .
الصدفي ، تاريخ دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٨٦ .
دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٣ .

(٨٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٥٨ ـ ٥٩ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .

(٨٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .
بابو اسحق ، احوال نصارى بغداد ، ص ١٨ .



طسوج قطربل
بستان لأحد ملوك الفرس
من فروع نهر دجيل القديم
مقابر المجوس
قرية الوردانية
قرية شرفانية
دير بستان القس
مزرعة المباركة
قرية سونايا
رستاق العال
سوق بغداد
قرية وردانا
قطفتا
قصر سابور
رستاق الفروسيج
قرية الكرخ
قرية براثا
رحا البطريق
طسوج بادوريا
المحول
طسوج نهر بوق
رستاق الافروطد
سوق الثلاثاء
دير الزندورد
نهر دجلة



وعرفت المدينة المدورة بـ (الزوراء) ، أي العوجاء ، لان المخططين لهذه المدينة جعلوا أبواب السور الاول الداخلية مزورة عن أبوابه الخارجية ، أي ليست على سمتها .[88] او لان المُصلّي في جامع المدينة المدورة يحتاج الى أن ينحرف قليلا الى باب البصرة ليكون مستقبلا القبلة بشكل صحيح[89] .

غير ان أسم (مدينة السلام) الذي اسماها به مؤسسها ، لم يكتب لـه الرواج ، لكن الخلفاء استعملوه في مسكوكاتهم[90] .

---

(٨٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤١٣ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٧٣ — ٧٤ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٥ — ٢٦ .
ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٣٥٣ .
الحسيني ، عمران بغداد ، ص‌ص ١٧ — ١٨ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .

(٨٩) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١٠٧ .
المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢١ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .

(٩٠) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ج ٤/قسم ١ ، مطبعة النعمان ، النجف : ١٩٧٢) ص ٨٠ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٧ . الصولي ، الاوراق ، ص ١٤٨ . المقريزي اغاثة الامة ص ٦٠ . وشذور العقود ص ٢٠ ، ٢٥٥ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
بارتولد ، م. ق ، ص ٧٣ .
Lane - pool, op. cit, P. 31, 50, 62.
فهمي ، فجر السكة ص ٨٨ — ٨٩ و ٩٠ . دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٣ .

وقد أجمع المؤرخون على أن الخليفة المنصور اختط بغداد وجعلها مدورة[٩١] . وكان ذلك فريدا في بابه . وعلى حد قول الاربلي[٩٢] : انه لا يعرف في اقطار الارض مدينة مدورة سواها في ذلك الحين .

وعلّل الالوسي هذا التدوير بقوله : « وجعل المدينة مدورة لئلا يكون بعض الناس أقرب الى السلطان من البعض الآخر »[٩٣] . كما أضاف المستشرق

---

(٩١) الطبري ، م . ق ، ج ٧ ، ص ٦٥١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٥ .
الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٧٩ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٦ و ٧٢ – ٧٣ .
ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١١٨ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٥ .
الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٧١ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ١٩٦ .
احمد امين ، هرون الرشيد ، ص ٦٣ .
عطا الحديثي « سقايا بغداد » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد ١٩ ، لسنة ١٩٧٣ ، بغداد ، ص ١٩٧ .
الحسيني ، عمران بغداد ، ص ٢٨ .

(٩٢) خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٤ .
أنظر كذلك : اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٨ .

(٩٣) مخطوطة اخبار بغداد ، ورقة ٢٥ .
انظر : الطبري ، م . ق ، ج ٧ ، ص ٦٥١ . وابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٥ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .
ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١١٨ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٥ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ١٩٦ .
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١١ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٧ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .
الحسيني ، عمران بغداد ، ص ٢٨ .

ستيفن رونسمان قوله « وبنيت بهيئة ترضى ذوق خليفة يهتم بالرياضيات وجعلت مدورة »[٩٤] .

وكان المنصور يشرف بنفسه على تخطيط المدينة ، فكان أول ما ابتدأ به منها أنه أمر بخطها بالرماد ، ثم وضع على تلك الخطوط حبات من القطن وصب عليها النفط ، واضرمت النار بغية ابرازها بشكل واضح ، فتكونت خطوط من الرماد تمثل خارطة بغداد ، وعندئذ تمثلت امام الخليفة صورة المدينة كاملة ، ومر في فصلاتها ، وطاقاتها ، ورحابها ، وهي مخططة بالرماد ، ثم أمر أن تحفر الاسس[٩٥] .

وَجَدَ المنصور في احضار البنائين والعمال من انحاء مختلفة من الدولة ، وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والعفة والامانة والمعرفة بالهندسة. فكان ممن أحضر لهذا الغرض الحجاج بن أرطاة وابو حنيفة النعمان ثابت[٩٦] ، حيث اختير الاخير للاشراف على العمل ، فأهمل الطريقة القديمة في احصاء الآجر

---

(٩٤) « بغداد والقسطنطينية » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد ١٢ لسنة ١٩٥٦ ، بغداد ، ص ١٠٢ .

(٩٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص‌ص ١٤ — ١٥ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٨ الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٤٠ — ٤١ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ص ٧١ .
ناجي معروف (الدكتور) عروبة المدن الاسلامية ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٩٦) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٨ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٢ .
اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٠٩ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٦٦ — ٦٧ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص‌ص ١٤ — ١٥ .
زكي محمد حسن ، الفنون الاسلامية ، ص ٥٩ .
محمد كرد علي ، الادارة الاسلامية في عز العرب ، (القاهرة : ١٩٣٤) ، ص ١٢٨ .
شفوات ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٥ .

واللبن المهيأ للبناء واستعاض عنها باستعمال القصبة[٩٧] .

وشكلت اربع لجان أشرفت على عمارة المدينة ، فيها اربعة من المهندسين ، وأربعة من القادة ، ومعهم أربعة من موالي الخليفة[٩٨] ومع ذلك ظل الخليفة يتابع عملهم بنفسه ، ويحاسبهم على ما أنجزوه كل يوم[٩٩] .

ووضع الخليفة المنصور أول لبنة بيده ايذانا بالشروع في البناء وقال : « بسم الله ، والحمد لله ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال ابنوا على بركة الله » [١٠٠] . ونقل خمسة أبواب من مدينة واسط الى المدينة الجديدة .[١٠١] وبابا جيء به من الشام من عمل الفراعنة ،

---

(٩٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ٧١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٣ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٥ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ و ٣٢٠ .

(٩٨) تكونت اللجنة الاولى من القائد المسيب بن زهير ، والمهندس عمران ابن الوضاح ، والربيع بن يونس مولى الخليفة . واللجنة الثانية فيها القائد سليمان بن مجالد ، والمهندس عبدالله بن محرز ، والمولى واضح. واللجنة الثالثة تكونت من القائد حرب بن عبدالله ، والمهندس الحجاج ابن يوسف ، وغزوان مولى أمير المؤمنين . واللجنة الرابعة فيها القائد هشام بن غزوان التغلبي ، والمهندس شهاب بن كثير ، وعمارة بن حمزة مولى الخليفة .
(انظر : اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٤١ — ٢٤٢ ومعروف ، تخطيط بغداد ، ص‌ص ٧ — ٨) .

(٩٩) الشيخ ابو اسحق برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن علي الوطواط ، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة ، دار الطباعة العامرية ببولاق (القاهرة : ١٢٨٤ هـ) ص ٢٩٢ .

(١٠٠) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣١ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٤ و ٣٨ — ٣٩ .
الحسيني ، عمران بغداد ، ص ٢٩ .

(١٠١) الطبري ، م. ق ، جـ ٧ ، ص ٦٥١ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٥ .

وبابا اخرجىء به من الكوفة كان قد عمله خالد بن عبدالله القسرى(١٠٢) .
وأمر بصنع باب الشام فكان أضعفها(١٠٣) .

وأراد الخليفة المنصور أن يأخذ الحجارة من خرائب المدائن الواقعة على بضعة فراسخ جنوبي بغداد ، لكن خالدا البرمكى أقنع الخليفة بالعدول عن ذلك والبحث عن مواد بناء في موضع آخر . ووجد الخليفة ان مقدار ما يلزمه للنقل والحمل اكثر من ثمن الطابوق الجديد لو صنع في بغداد ، فأعرض عن الهدم(١٠٤) .

→
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٠ .
ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٥ .
الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٤ .
ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٥ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ ١ ، ص ١٩٦ .
المدورة ، حضارة الاسلام ، ص ٣١ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٨ .

(١٠٢) الطبري ، م. ق ، جـ ٧ ، ص ٦٥١ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٥ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٩ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٣١٩ .

(١٠٣) الطبري ، م. ق ، جـ ٧ ، ص ٦٥١ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٥ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٩ .

(١٠٤) الطبري ، م. ق ، جـ ٧ ، ص ص ٦٥٠ — ٦٥١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٦ — ٣٧ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ .
ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٥ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ ١ ، ص ١٩٦ .
الحسيني ، عمران بغداد ، ص ٣١ .
Coke, Op. Cit, P. 37.

وكان البناء قد توقف على أثر نشوب ثورة محمد بن عبدالله (ذي النفس الزكية) في الحجاز ، الا أن العمل سرعان ما عاد الى طبيعته بعد اخماد هذه الثورة[١٠٥] .

ويمكننا أن نعد بغداد نموذجا جيدا لتخطيط المدن الاسلامية التي انشأها العرب في الاقطار المختلفة ، وهي تجمع بين التحصينات العسكرية والاغراض المدنية[١٠٦] . فقد أحيطت بسور مستدير فيه أربعة أبواب وهي : باب الكوفة ، وباب البصرة ، وباب خراسان ، وباب الشام . وعلى كل باب منها بابان عظيمان من حديد ، لا يغلقه ولا يفتحه الا عدة رجال[١٠٧] ، يدخل الفارس بالعلم ، والرامح بالرمح دونما حاجة الى أن يثني أي منهما ما بيده[١٠٨] .

وعرض هذا السور عند أساسه[١٠٩] تسعون ذراعا بالسوداء[١١٠] ،

---

(١٠٥) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٠ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٢٨ .
ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص ١٦٥ .
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٥ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٤ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٤ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .

(١٠٦) الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص‌ص ٧٥ — ٧٦ .
معروف ، تخطيط بغداد ، ص‌ص ٩ — ١٠ .
عبدالجواد ، تاريخ العمارة ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

(١٠٧) اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .
تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٠٩ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٥ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٧٢ و ٧٥ .
ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٠٨ .

(١٠٨) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .

(١٠٩) يذكر الخطيب البغدادي ان عرض السور من اسفله نحو عشرين ذراعا (انظر بغداد ، ج ١ ، ص ٧٣ — ٧٤) .

(١١٠) الذراع السوداء : أول من وضعها الخليفة هرون الرشيد وقدرها بذراع ←

ويقل سمكه تدريجيا الى أن يبلغ في أعلاه خمسة وعشرين ذراعا • أما ارتفاعه فستون ذراعا مع الشرفات(١١١) • وعليه مئة وثلاثة عشر برجا ، اذ جعل بين كل بابين ثمانية وعشرين برجا الا ما بين باب البصرة وباب الكوفة ، فانه يزيد واحدا(١١٢) •

وأجمع المؤرخون(١١٣) على أن المسافات بين الابواب الرئيسة للمدينة المدورة كانت متساوية • فذكر ابن الجوزي : « ومن الباب الى الباب ألف ذراع ومائتا ذراع ••• وبين كل بابين ثمانية وعشرون برجا(١١٤) » • في حين قال الاربلي(١١٥) : انه جعل بين كل بابين ثمانية وعشرين برجا ، الا بين باب البصرة والكوفة فانه يزيد واحدا •

←

خادم اسود كان على رأسه ، وهي التي يتعامل بها الناس في التجارة والابنية • (انظر : نور الدين ابي الحسن علي بن محمد الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، مخطوطة برقم ٢٤ في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ورقة ٥٢ ــ أ •

ومحمد بن محمد بن احمد بن الاخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ، (كمبرج : ١٩٣٧) ، ص ٨٧ •

(والذراع السوداء تساوي أربعة وعشرين اصبعا أي ٥٤٫٠٤ سم • انظر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ص ٨٨) •

(١١١) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٩ •
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٧ •
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٤٩ •

(١١٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٣٢ •
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٩ •

(١١٣) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٧١ ــ ٧٢ •
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٠ •
ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص‌ص ١٤ ــ ١٥ •

(١١٤) مناقب بغداد ، ص ١٠ •

(١١٥) خلاصة الذهب المسبوك ، ص‌ص ٧٥ ــ ٧٦ •

والناظر الى تخطيط بغداد يلاحظ ظاهرة معمارية جديرة بالملاحظة ذلك ان الداخل من باب خراسان يلاحظ عطفا على يساره في دهليز معقود بالآجر والجص ، عرضه عشرون ذراعا ، وطوله ثلاثون ذراعا[١١٦] .

ولا ريب ، في ان هذا الازورار كان مقصودا من قبل الخليفة المنصور ، وان له أهمية عسكرية بالغة ، ذلك ان المهاجمين يضطرون الى الانحراف نحو اليسار فتنكشف جوانبهم وتتعرض للسهام الموجهة من الجند المدافعين عن المدينة ، ذلك ان الغزاة عادة يحملون التروس بأيديهم اليسرى فتبقى جوانبهم اليمنى مكشوفة .

ومن خلال التصور العام للمدينة المدورة ، لابد لنا من الاقرار بعظمة هذه المدينة ، وبراعة تخطيطها . ذلك أن مهندسي مدينة السلام ، كانوا قد أخذوا بهذه الحسابات العسكرية الدقيقة في تلك الحقبة التاريخية الباكرة ، وأن خططهم هذه أصبحت ظاهرة معمارية جديدة ، تدل على الابداع والابتكار .

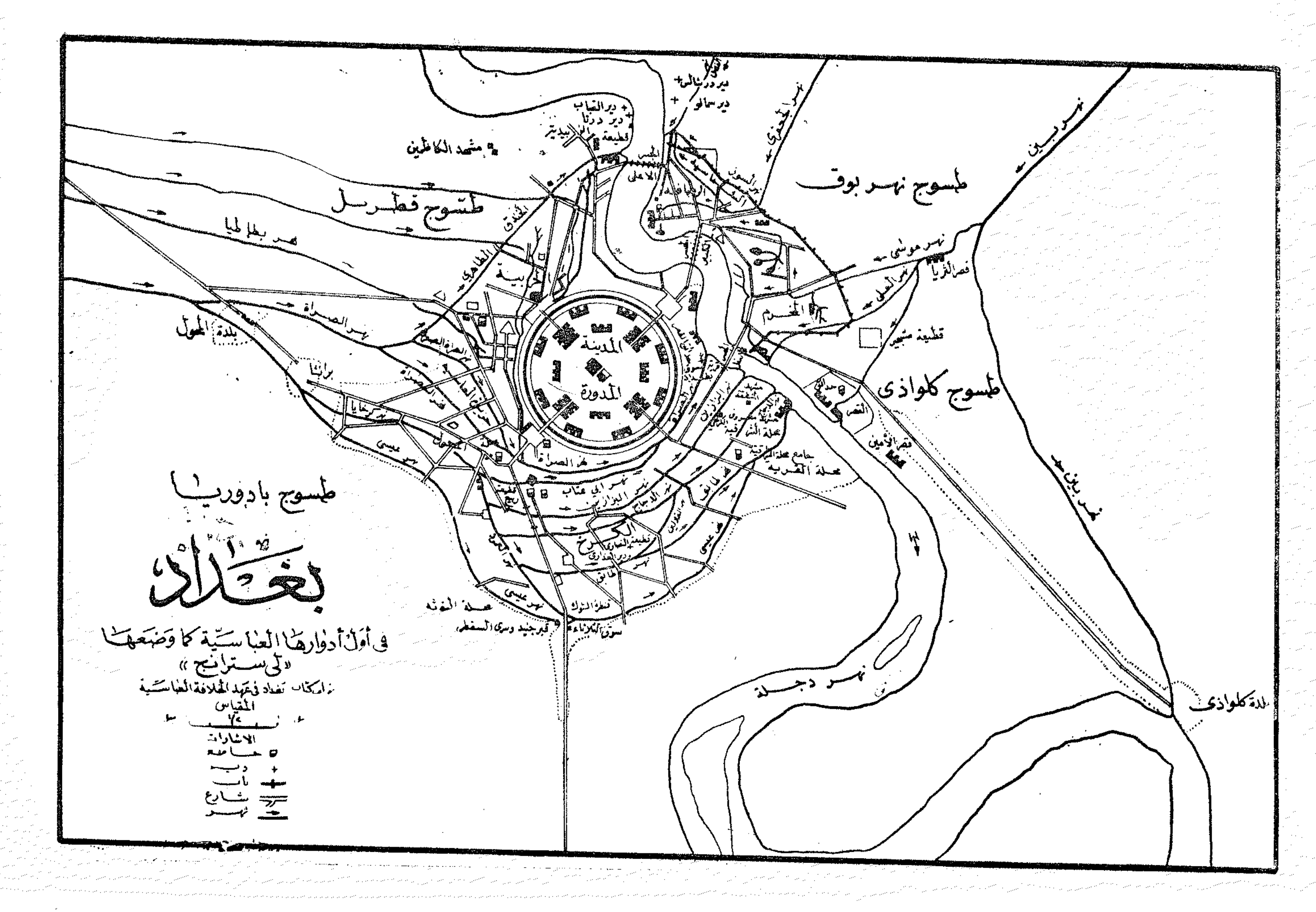
فمن باب الحيطة ، وضع لكل مدخل دهليز من أبواب المدينة ، حرس يتكون من الف رجل[١١٧] ، وعلى كل باب قائد معين ، فكان على باب الشام سليمان بن مجالد في الف رجل ، وعلى باب البصرة ابو الازهر التميمي في الف ، وعلى باب الكوفة خالد العكّي في الف ، وعلى باب خراسان مسلمة بن صهيب الغساني في الف رجل[١١٨] .

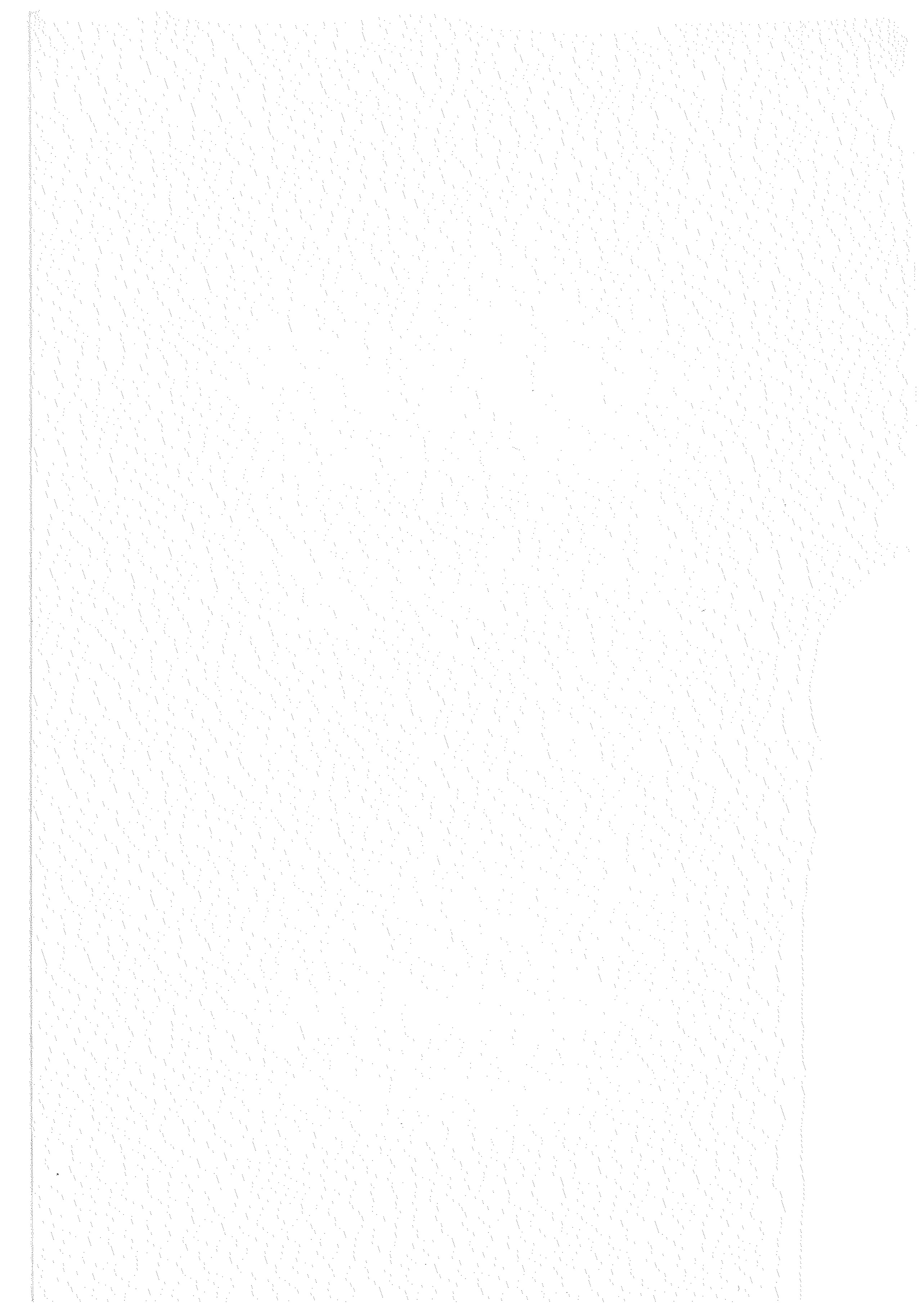
---

(١١٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص‌ص ٧٣ — ٧٤ .
ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٣٥٣ .
معروف ، تخطيط بغداد ، ص ١٢ .
زكي محمد حسن ، الفنون الاسلامية ، ص ٥٩ — ٦٠ .

(١١٧) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٠ .

(١١٨) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٧ و ٨٣ .
الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٤ .
معروف ، تخطيط بغداد ، ص ١٦ .


بغداد
في أول أدوارها العباسية كما وضعها
«لي سترانج»
المقياس
الاشارات
جامع
دير
باب
شارع
نهر
طسوج بادوريا
طسوج قطربل
طسوج نهر بوق
طسوج كلواذى
المدينة
المدورة
مشهد الكاظمين
نهر بطاطيا
نهر الصراة
نهر عيسى
نهر دجلة
نهر بين
نهر موسى
بلدة المحول
براثا
قطيعة مشيخ
قصر الثريا
قصر الأمين
بلدة كلواذى
الحريم
الخلد
نهر أبي عتاب
نهر البزازين
نهر الدجاج
محلة القرية
سوق الثلاثاء



ويدور حول السور الأول[119] ـ سالف الذكر ـ خندق، أجري الماء فيه من القناة التي تأخذ ماءها من نهر كرخايا . تقوم على جوانبه مسناة محكمة بنيت بالآجر والصاروج[120] . ولم يكتف المهندسون بهذا الخندق والسور ، بل احاطوهما بسور ثان أعظم من الاول ، وجعلوا بين السورين فصيلا دائريا أعد للدفاع عن المدينة[121] ، وجعلوا فيها سورا ثالثا يحيط بالرحبة العظمى . وفتحت في كل سور أربعة أبواب يقابل احدهما الاخر ، ووضع لكل باب من أبواب السورين الخارجيين بابان ، باب دون باب . أما السور الثالث فكل فتحة فيه لها باب واحد ، وبذلك تكون مجموع أبواب المدينة المدورة عشرين بابا[122] .

وكانت هذه الاسوار ، في مدينة بغداد ، عملا عسكريا حقق الامن للسلطة والسكان ، ولكنها كانت في نفس الوقت وسيلة للسيطرة الفعلية على سكان المدينة ان أبدوا أية معارضة للدولة ، كما كان لهذه الاسوار أثرها السيء في الحد من توسع المدينة بسهولة ويسر .

---

(119) اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٩ ، لسترانج ، بغداد ، ص ٢٦ و ٣٠ .

(120) الصاروج : خليط من النورة مع مواد البناء الاخرى .

(121) اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٩ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٦ .
ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٠٨ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٤ .
معروف ، تخطيط بغداد ، ص ١٠ .
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٤٩ .

(122) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٠ .
الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ص ٧٢ ـ ٧٤ .
لسترانج ، بغداد ، ص ٢٦ .
معروف ، تخطيط بغداد ، ص ١٣ .
حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٢٠ .

وفي مركز المدينة شيد قصر الخليفة المسمى « قصر باب الذهب » المشهور ، الذي كانت مساحته مئة وستين ألف ذراع مربع(١٢٣) . وكان في صدره ايوان طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا . وفي صدر الايوان مجلس عرضه عشرون ذراعاً في عشرين(١٢٤) . وتعلو هذا القصر القبة الخضراء التي ترتفع عن الارض ثمانين ذراعا ، وعلى رأسها تمثال فرس عليه فارس(١٢٥) . وروي ان رأس هذه القبة سقط يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٢٩هـ — ٩٤١م ، وكان بسبب اعصار شديد صاحبه مطر غزير وبرق شديد (١٢٦) .

---

(١٢٣) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ١٠٧ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٦ .
الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٦٦ .
الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٦ .
ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ ١ ، ص ١٩٦ .

(١٢٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٣ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١١ .
معروف ، تخطيط بغداد ، ص‌ص ١٩ — ٢٠ .

(١٢٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٣ .
ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١١ .
لسترانج ، بغداد ، ص‌ص ٣٧ — ٣٨ .
معروف ، تخطيط بغداد ، ص‌ص ١٩ — ٢٠ .

(١٢٦) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٢٩ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٣ . مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، جـ ٤ / قسم ٢ ، ص ١٠٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ط ١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية (حيدر اباد الدكن : ١٣٥٧ هـ) ص ٣١٨ . ومناقب بغداد ص ١٢ . محمد بن عبدالملك بن ابراهيم بن احمد الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري ، جـ ١ ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت : ١٩٦١)، ص ١٢١ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٦ . لسترانج ، بغداد ، ص ٣٩ . معروف ، تخطيط بغداد ، ص ٢٠ . جواد وسوسة، دليل خارطة بغداد ، ص ٥٤ .

وانفرد صاحب (تاريخ بغداد) بذكر رواية مفادها ان المنصور قد عمل نفقا لقصره يستطيع ان يخرج منه على بعد فرسخين ان هو تعرض للحصار بمدينة السلام (١٢٧) . غير اننا لم نسمع ان الخليفة الامين استطاع ان يستعمل هذا النفق عندما اطبقت عليه جيوش المأمون سنة ١٩٨هـ - ٨١٣م (١٢٨!) .

والى جانب قصر الخلافة ، بنى المسجد الجامع الذي بلغت مساحته أربعين الف ذراع (١٢٩) . وليس حول القصر والجامع بناء ، وانما تحيط بهما الرحبة العظمى . وعلى مقربة من القصر دار للحراس من ناحية باب الشام ، وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص ، يجلس في احداهما صاحب الشرطة وفي الاخرى قائد الحرس . وفي ايام اليعقوبي صار الناس يصلون في هذه السقيفة (١٣٠) ، لان المسجد الجامع الذي اختطه المنصور لم يعد يتسع للمصلين الذين ازداد عددهم بتوسع المدينة الجديدة ، وزيادة سكانها .

وعندي أن هذا الاجراء كان من باب أخذ الحيطة والحذر ، للمحافظة على حياة الخليفة من أي اعتداء متوقع . ويبدو ان الخليفة المنصور كان يوجس خيفة من اقرب المقربين اليه ، فحتى منازل اولاده الاصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيد ، وموظفي بيت المال ، والمسؤولين عن خزانة السلاح ، وكتاب الدواوين بأنواعها ، كانت بعيدة عن قصره الخاص حيث تفصلهم عن تلك الدار ، الرحبة الكبرى (١٣١) .

---

(١٢٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(١٢٨) انظر : الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٧٣ وما بعدها . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ ، وما بعدها .

(١٢٩) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ، ص ١٠٧ . الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٦٦ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٦ . لسترانج ، بغداد ، ص ٣٩ . معروف ، تخطيط بغداد ، ص ٢٠ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٥٦ .

(١٣٠) اليعقوبي البلدان ، (الطبعة الاوربية ؟ ، ص ٢٤٠ . حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .

(١٣١) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٠ . لسترانج ، بغداد ، ص ٣٧ . احمد امين ، هرون الرشيد ، ص ٦٣ .

ومعلوم أن العرب في صدر الاسلام ، والعصر الاموي ، كانوا يتبعون بعض القواعد في بناء مدنهم الجديدة . فكانوا اذا اختطوها بدأوا بالمسجد الجامع اولا فجعلوه في مركز المدينة ، وجعلوا حوله فراغا ، منه تشرع الطرق ، واليه تفضى الشوارع . وكانوا يجعلون دار الامارة ملاصقة تماما للضلع القبلي من الجامع [١٣٢] . اما في العصر العباسي فقد حدث تطور ملحوظ ، فحين تم تخطيط بغداد اختير أولا قصر الخلافة وجعل في مركز المدينة المدورة ، ومن ثم خطط المسجد الجامع بجواره [١٣٣] . ولعل هذا الذي حدث في خطط بغداد سببه أن المدينة عاصمة الخلافة ، وأن القصر سيكون بلاطا للخليفة .

وشغلت الاحياء السكنية المنطقة المحصورة بين السور الثاني والثالث وكانت مقسمة الى اربعة أرباع ، كل منها يكون ربع دائرة ، تفصل بينها الطرق الاربعة الرئيسة ، فيها الطاقات ، والشارع من الابواب الاربعة الى مركز المدينة . وتتخلل الدور شوارع وسكك عديدة عرفت بأسماء قواد الخليفة ومواليه وسكان كل سكة [١٣٤] .

وبلغت مساحة المدينة المدورة مائة وثلاثين جريباً [١٣٥] . ولما كان الجريب

---

(١٣٢) الطبري ، م. ق ، ج ٥ ، (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٤٨٨-٢٤٨٩ . ناصر خسرو علوي ، سفرنامة ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، (القاهرة : ١٩٤٥) ، ص ٥٩ . معروف ، تخطيط بغداد ص ١٩ .

(١٣٣) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٠ . ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٠٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .

(١٣٤) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٠ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٠٩ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢١ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٦ و ٨٩ . ياقوت ، كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ٣٤٤ . لسترانج ، بغداد ، ص ٣٢ .

(١٣٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٩ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ .

يساوي الفا وخمسمائة واثنين وتسعين مترا مربعا [١٣٦] ، تكون مساحة المدينة المدورة اذن حوالي خمسة كيلو مترات مربعة تقريبا .

ونقل المؤرخون روايات متعددة عن المبالغ التي صرفها الخليفة المنصور على تشييد المدينة المدورة . ولعل أقربها الى التصديق ، أن هذه النفقات بلغت « ثمانية عشر ألف ألف درهم »[١٣٧] . وأبعدها عنه كانت « أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهما » [١٣٨] . وان هذه المبالغ انفقت على تشييد قصر الخلافة والمسجد الجامع والاسوار والخندق والاسواق ودواوين الدولة [١٣٩] . علما ان (الاستاذ) من البنائين والصناع كان يعمل يومه بقيراط الى خمس حبات ، والعامل البسيط يعمل بحبتين الى ثلاث حبات [١٤٠] . واشتغل بها مائة ألف عامل من أصناف المهن والصناعات المختلفة[١٤١] .

---

(١٣٦) فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ، ترجمة كامل العسلي ، (عمان : ١٩٧٠) ، ص ٩٦ . (الجريب مقياس للأرض يساوي شرعا في اوائل العصور الوسطى ١٠٠ قصبة مربعة ، وبذلك يكون الجريب على وجه الدقة ١٥٩٢ مترا مربعا) . انظر : هنتس ، ص ٩٦) .

(١٣٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٩ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٠ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٤٣ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٤ .

(١٣٨) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٥ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢١ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٩ . ابن الجوزي، مناقب بغداد ، ص ٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ . حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ . حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٢٧ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٦٣ .

(١٣٩) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٠ . الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٥ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ . حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ .

(١٤٠) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٠ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ص ٩ . ابن الفقيه ، بغداد ، ص ٤٠ . الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٤٣ . الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٥ – ابن الاثير ، الكامل ، ص ٥ ص ٢١ .

(١٤١) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٧ .
Philip Hitti, The Arabs, P. 83.

ويعتبر الدكتور الريس[١٤٢] ، ان العمال الذين استخدمهم المنصور في بناء بغداد كانوا شبه مسخرين ، وأجرتهم اليومية القليلة لا يمكن القياس عليها ، كأجرة حقيقية لهؤلاء العمال اذا ما اشتغلوا في أعمال اخرى غير حكومية .

والواقع ان القوة الشرائية للنقود في أيام العباسين كانت تساوى أضعاف ما تساويه اليوم ، وان هؤلاء العمال كانوا غير مسخرين . ونستطيع ان ندرك رخص الاسعار حينذاك ، اذا ما علمنا ان سعر ستين رطلا [١٤٣] من التمر بدرهم[١٤٤] . ولم البقر تسعون رطلا بدرهم ولحم الغنم ستون رطلا بدرهم[١٤٥] . فتكون أجرة البناء اليومية تساوي قيمة عشرة أرطال من لحم الغنم ، او قيمة خمسة عشر رطلا من لحم البقر ، أو عشرة ارطال تمر . وهي والحالة هذه غير قليلة حتى اذا أخذناها بمقياس هذا العصر . ويبدو أن مؤلف كتاب « الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية » لم يفطن الى قول اليعقوبى : « وأحضر البنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين والحفارين فلما اجتمعوا وتكاملوا أجرى عليهم الارزاق واقام لهم الاجرة » [١٤٥] .

ويبدو أن الشكل العام الذي أصبحت عليه مدينة السلام أعجب المنصور كما أنه لمس فائدة سور بغداد وخندقها فعمل لكل من الكوفة والبصرة سورا وخندقا من اموال أهلها [١٤٦] .

---

(١٤٢) محمد ضياء الدين الريس (الدكتور) ، الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط ٢ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة : ١٩٦١) ص ٣٦٨ .

(١٤٣) الرطل يساوي أساسا ١٢ أوقية — والرطل البغدادي يساوي الرطل الشرعي وهو يساوي حوالي ١٣٠ درهما ويساوي ٤٠٦ر٢٥ غراما .. (هنتس ، ص ٣٠ و ٣٥) .

(١٤٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٠ . ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

(١٤٥) البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٨ .

(١٤٦) ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٧ . ابن الوردي ، تاريخ ، ابن الوردي ، جـ ١ ، ص ١٩٨ .

وهكذا كان لبغداد تأثير معماري وحضاري على كثير من المدن التي انشأها العرب المسلمون ، بعد مدينة السلام ، ومن تلك المدن (الرافقه) التي انشأها المنصور في ١٥٥هـ - ٧٧١م على غرار مدينته [١٤٧] . كما ان الذين اشرفوا على بناء سامراء استفادوا كثيرا من خطط بغداد وفنها المعماري [١٤٨] . ويظهر تأثير تخطيط بغداد الدائري في مدينة (صبرة) التي بنيت على مقربة من القيروان . وأنشئت بحلب اسواق على هيئة اسواق بغداد . وأن التطور الذي جرى على مدينة القدس في العصر العباسي ، كان لتخطيط بغداد فيه تأثير ما . ويظهر تأثير بغداد واضحا في تسمية بعض المدن والاماكن باسمها فقد دعيت فاس بـ (بغداد) المغرب وغيرها [١٤٩] .

موقع الأسواق في المدينة المدورة :

ان المنشآت التجارية التي ورد ذكرها في المصادر ، سواء أكانت داخل أسوار المدينة المدورة ، ام في الكرخ ، أو في الجانب الشرقي من دجلة ، تعتبر دليلا واضحا على حرص منشئيها واهتمامهم بالنواحي الاقتصادية . واذا كانت تلك الاسواق قد زالت من الوجود ، ولم يبق منها سوى الذكرى والاطلال ، فان ما جاء في بطون الكتب من نصوص ، ليدل دلالة أكيدة على دقة تخطيطها ، وعظم أهميتها ، واهتمام السلطة بها .

ورغم كثرة النصوص التي ورد فيها ذكر الاسواق ، الا أننا لا نجد صورة واضحة متكاملة لمان كان عليه تخطيط السوق في الفترة التي سبقت بناء بغداد [١٥٠] .

---

(١٤٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ (مطبعة لجنة البيان العربي) ، ص ٢١٣ . معروف ، تخطيط بغداد ، ص‌ص ٢٦ - ٢٧ .

(١٤٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ . زكي محمد حسن ، الفنون الاسلامية ، ص ٥٦ . معروف ، تخطيط بغداد ، ص ٢٧ .

(١٤٩) معروف ، تخطيط بغداد ، ص‌ص ٢٧ - ٢٩ .

(١٥٠) احمد الشنتناوي وآخرون ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ١٢ ، « تحت كلمة سوق » ، ص ٣٨٤ .

ويخال الباحث أن أسواق بغداد سارت في تخطيطها وفق نظم وقواعد معينة . لكن هذه النظم حددت اكثر ، وتبلورت أسسها وقواعدها بعد ان تبلور نظام الحسبة ، وأحكم اشراف الدولة على الاسواق ، وعندئذ كان لابد ، عند اقامة الاسواق ، ان تكون في الاتساع والارتفاع ، وفق مقاسات معينة حددتها كتب الحسبة[١٥١] .

لقد ظهر اهتمام المنصور باسواق مدينته منذ البداية ، فعند الشروع في البناء « وقع الى كل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الذرع ولمن معه من اصحابه ، وما قدره للحوانيت والاسواق في كل ربض ، وأمرهم أن يوسعوا في الحوانيت في كل ربض سوق جامعة تجمع التجارات »[١٥٢] .

وأرى ان الخليفة أبا جعفر كان مستوعبا للامور مقدرا عواقبها . فخصيصة المنصور أنه كان يقيس الاشياء بمقياس التعقل والتأمل البعيد المدى ، فهو والحالة هذه ، كان يرمي من وراء ذلك ان تتخذ المنشآت التجارية في مدينته الجديدة مكانها المناسب ، لانه أدرك بثاقب بصره أن المدينة الفتية ستشق طريقها الطويل متخطية حدود الزمان والمكان الى مجال أرحب ، لتبنى مجداً أثيلا ، تتفيأ بظلاله مظاهر الحضارة العربية الاسلامية . الا أنه فيما يبدو لم يستطع ان يحقق كل أحلامه في هذا المجال . ولو لم تمتد الابنية الى خارج اسوار المدينة المدورة لبقيت مدينة المنصور المدورة قلعة عسكرية ليس الا . ولما استطاعت ان تأخذ المكانة التي احتلتها والشهرة التي اكتسبتها .

ومما يؤكد اهمية الاسواق عند تخطيط بغداد ، ان هذه المنشآت التجارية

---

(١٥١) ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ٨٧ ــ ٧٩ . عبدالرحمن بن نصر الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٤٦) ، ص ١١ و ١٤ .

(١٥٢) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٢ .

اعتبرت من المؤسسات الاساسية التي تولت الدولة الانفاق على انشائها (١٥٣) •
ولم تذكر المصادر ان الدولة أخذت او تقاضت مبلغا من المال من التجار والباعة
لقاء اشغالهم لاسواق المدينة المدورة • لكن المنصور « وضع عليهم الغلة على
قدر الذرع »(١٥٤) لما انتقلوا الى أسواق الكرخ التي انشئت لهم •

والذي يهمنا في هذا الصدد هو تحديد موقع الاسواق داخل المدينة
المدورة • فرواية ابن الجوزي فيها الكثير من الغموض والابهام ، ذلك أن
أبا الفرج يقول ما ان : « فرغ المنصور من مدينته وصير الاسواق فيها من كل
جانب »(١٥٥) • في حين يحدد الخطيب البغدادي هذا الموقع بدقة اذ يقول ان
المنصور : « صير الاسواق في طاقات مدينته من كل جانب »(١٥٦) • ويبدو أنه
حدثت تجاوزات ، رغم ارادة الخليفة ، حيث أقدم بعض السكان
على اقامة منشآت تجارية أو دكاكين خاصة بهم بدون اشراف الدولة ، الامر
الذي أدى الى حدوث اختناق في شوارع وسكك المدينة المدورة ، وكان ذلك
من جملة الدوافع التي حدت بالخليفة المنصور الى نقل الأسواق الى خارج
اسوار المدينة المدورة ليكون في مقدوره توسيع طرق المدينة ووضعها على مقدار
أربعين ذراعا (١٥٧) •

---

(١٥٣) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٠ . الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٩ و ٧٩ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٣٥ .

(١٥٤) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٣ . البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ، ص‌ص ٤١٤ — ٤١٥ . (في حين ذكر الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص ٨٠ أن المنصور لم يضع غلة على الاسواق طيلة حياته) . وهو يقصد داخل المدينة المدورة .

(١٥٥) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ .

(١٥٦) تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٨٠ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٧ .

(١٥٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .

ويجد الباحث في اسواق دار البطيخ ـ التي وجدت في درب الاساكفة ، ودرب الزيت ، ودرب العاج ـ دلالة مادية ملموسة تومىء بوضوح الى أن دكاكين الباعة وأسواقهم الفرعية ، كانت قد انتشرت في دروب وسكك كثيرة تخللت المناطق السكنية داخل المدينة المدورة (١٥٨) .

وعلى كل فقد وجدت في داخل المدينة المدورة أربعة اسواق رئيسة في الطاقات الممتدة في الطرق الاربعة الواقعة بين الرحبتين اللتين بين السور الثاني والثالث . وهي ثلاثة وخمسون طاقا(١٥٩) . وكل منهما نظير لصاحبه . يتوسطها طريق عرضه حوالي ثمانية أمتار ، يدخل اليها من رحبة السور الثاني، من مدخل عليه باب ساج كبير فردين ، وعرض الطاقات خمسة وعشرون ذراعا ، وطولها من أولها الى الرحبة التي في مدخل السور الثالث مائتنا ذراع (١٦٠) .

ولهذه الطاقات نوافذ وضعت بحيث تسمح بدخول أشعة الشمس ، وفي نفس الوقت تمنع تساقط المطر . وقد وصفها اليعقوبي بقوله : « وفيها كواء رومية يدخل منها الشمس والضوء ولا يدخل منها المطر »(١٦١) ، وهي في الارجح تشبه الكوى الجانبيه التي في خان مرجان ببغداد ، او الكوى التي في المدرسة المستنصرية (١٦٢) .

وفي الطاقات غرف كانت لمرابطة غلمان الخليفة ، قال عنها الخطيب

---

(١٥٨) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٨١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٥ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٤ .

(١٥٩) الخطيب البغدادي ، جـ ١ ، ص ٧٦ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٦ و ٣٧ . ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، صص ١٠٨ ــ ١٠٩ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، صص ٢١١ ــ ٢١٢ . لسترانج ، بغداد ، ص ٣٣ . معروف ، تخطيط بغداد ، ص ٢٤ .

(١٦٠) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٦ .

(١٦١) البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٩ .

(١٦٢) معروف ، تخطيط بغداد ، ص ٢٤ .

البغدادي : « وجنبي الطاقات ، وبين كل طاقين غرف كانت للمرابطة » [163].
وأرجح أن هذا التداخل بين الطاقات التي شغلها التجار وباعة السلع ، وبين الغرف التي أعدت للمرابطة ، انما هو اجراء متعمد ، وتخطيط مبتكر ، وضعت تقديراته الدقيقة ، وحساباته المسبقة من قبل مخططي المدينة المدورة عامة واسواقها على وجه الخصوص . ولعل هؤلاء تلمسوا ، منذ البداية ، حاجة اسواق بغداد الى مراقبة الدولة لها ، وضرورة وجود قوات بقرب الاسواق ، لا بل على تماس مباشر بها ، لتتولى ايقاف ما قد يحدث من مخالفات في هذه الاسواق .

وقد اشتركت التأثيرات الدينية والحضارية والمناخية في ابتكار اسلوب فني تمتاز به عمارة بغداد عامة ، واسواقها خاصة فذكر اليعقوبي [164] ، أن الطاقات التي شغلتها أسواق بغداد ، كانت مقبية بالطابوق المفخور والجص ، وأن الزخارف التي كانت تزين جدران وسقوف هذه المنشآت ، كانت مصنوعة من الآجر . وان الدقة والكثرة التي تمتاز بها هذه الزخارف حملت بعض الباحثين على الاعتقاد بأنها مصنوعة من الجص ، ومصبوبة في قوالب خاصة . غير ان الابحاث الدقيقة لم تترك مجالا للشك في أن هذه الزخارف كلها من الآجر .

ان سقوف هذه الطاقات تتكون من تلاصق قطع الآجر ، مختلفة الاشكال والاحجام ، كل واحدة منها منقوشة بنقوش خاصة . فتتكون من تلاصق هذه القطع أشكال هندسية . وتكون قطع الآجر في بعض جوانبها منحنية

---

(١٦٣) تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٦ . انظر : اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٩ .

(١٦٤) البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٩ . انظر كذلك : ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٠٨ الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ص ٧٤ — ٧٥ .

السطوح ، وتقع نقوشها على سطحها المقعرة فتتكون بتصلاقها قبب مزخرفة في غاية الابداع والاتقان (١٦٥) .

وعرفت العمارة الاسلامية أنواعا مختلفة من العقود ، منها العقود الدائرية ، (وواحدها عقد) ، يرتفع مركزه على قائمتي العقد فيتألف من قطاع دائرة — اكبر من نصف دائرة — وكذلك عرف العرب المسلمون العقود ذات الفصوص ، والعقد المزين باطنه بالنقوش (١٦٦) .

وهكذا ظلت الاسواق داخل المدينة المدورة تحتل الطاقات الممتدة على جانبي الطرق الاربعة الرئيسة ، ما بين السور الثاني والثالث ، ولم تزل على هذه الحال حتى أمر الخليفة المنصور بتحويلها الى ربض الكرخ (١٦٧) ، على أن يبقى في كل ربع من مدينته بقال يبيع البقل والخل فحسب (١٦٨) . وهنا نجد ان الاسواق لم تنتقل برمتها من داخل المدينة المدورة ، وانما بقيت بعض الدكاكين التي يباع فيها بعض الحاجيات والسلع التي يحتاجها الناس خلال حياتهم اليومية .

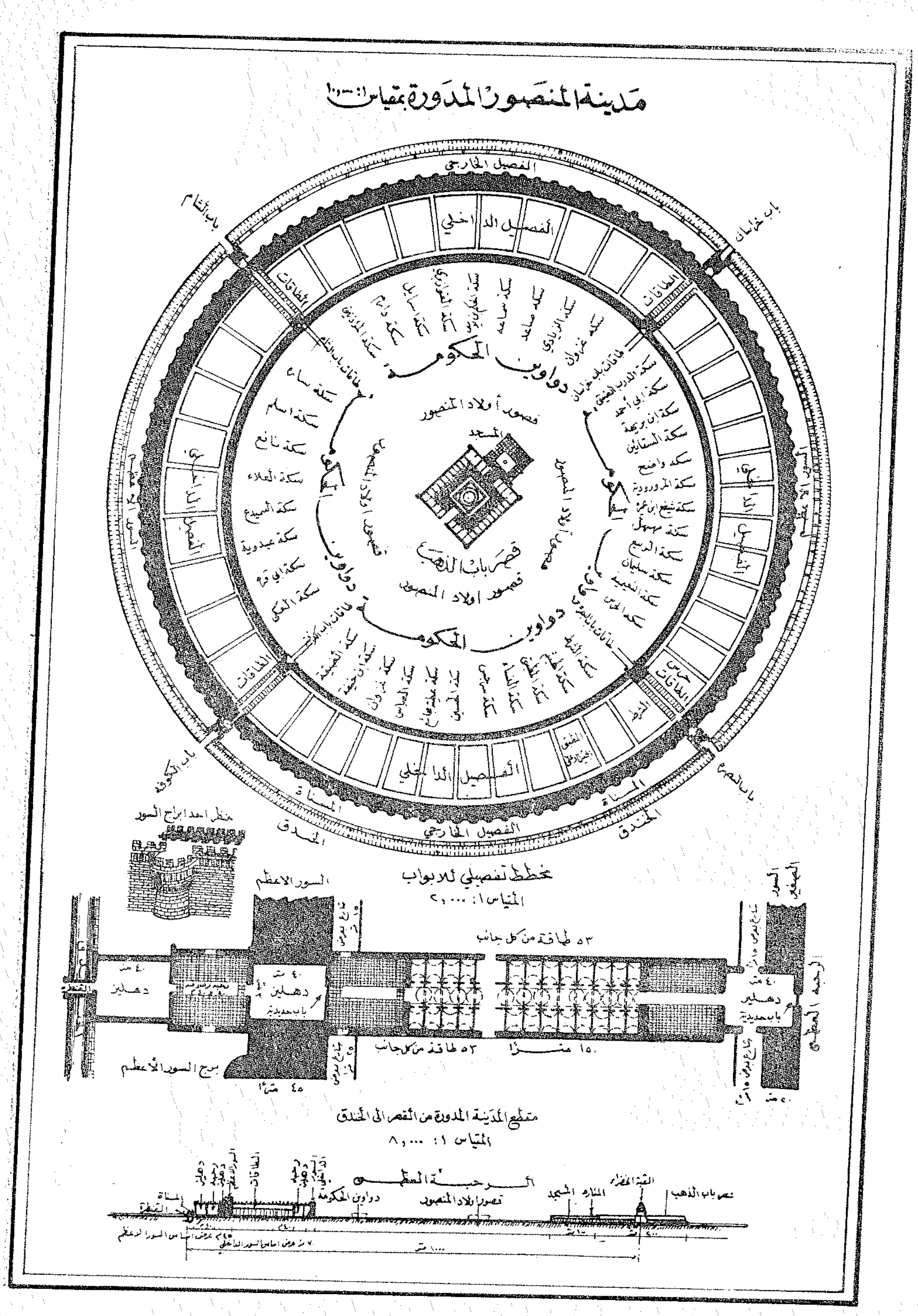
---

(١٦٥) مديرية الآثار القديمة ، بقـايا القصر العباسي ، (بغداد : ١٩٣٥) ص‌ص ٢٧ — ٢٨ . آمال احمد حسن العمري ، المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب جامعة القاهرة غير مطبوعة ، ص‌ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

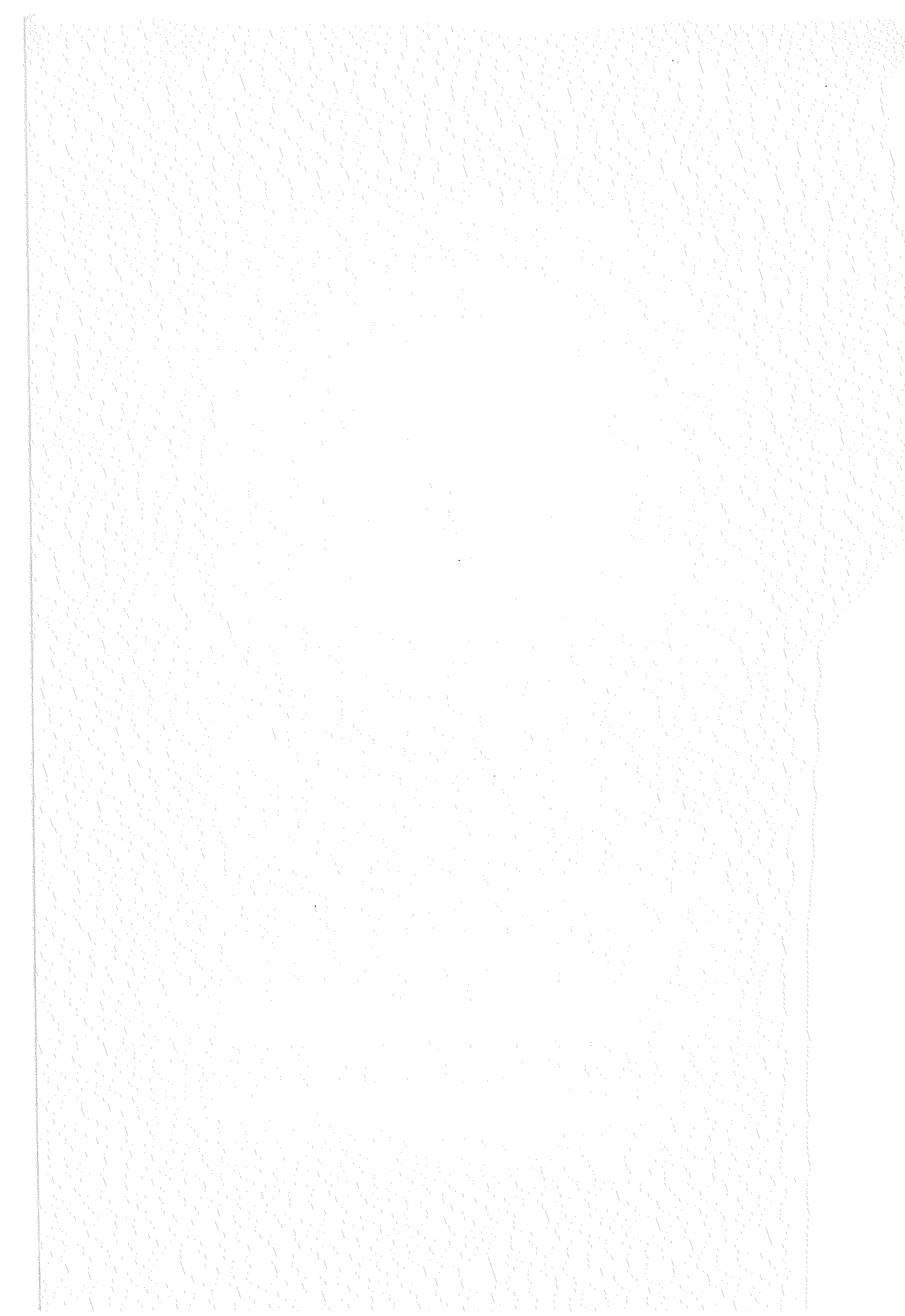
(١٦٦) زكي محمد حسن ، الفنون الاسلامية ، ص‌ص ١٥٠ — ١٥١ . عبد الجواد ، تاريخ العمارة ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

(١٦٧) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص‌ص ٦٥٢ — ٦٥٣ و ج ٨ ، ص ٥٢ . الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٢٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ و ٨١ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ و ٦٤ — ٦٥ . البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٦١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

(١٦٨) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٤ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ .



مدينة المنصور المدورة
الفصيل الخارجي
باب الشام
باب خراسان
باب الكوفة
باب البصرة
الفصيل الداخلي
الطاقات
دواوين الحكومة
قصور أولاد المنصور
المسجد
قصر باب الذهب
سكة سماء
سكة اسلم
سكة نافع
سكة العلاء
سكة السميدع
سكة عبدوية
سكة ابي قرة
سكة العكي
سكة غزوان
سكة ابي أحمد
سكة السقايين
سكة واضح
سكة المروروذية
سكة مهلهل
سكة الربيع
سكة سليمان
سكة الحرس
المسناة
الخندق
منظر أحد ابراج السور
مخطط تفصيلي للابواب
المقياس ١ : ٢٠٠٠
السور الاعظم
٥٣ طاقة من كل جانب
دهليز
باب حديدي
١٥٠ مترا
برج السور الأعظم
مقطع المدينة المدورة من القصر الى الخندق
المقياس ١ : ٨٠٠٠
الرحبة العظمى
القبة الخضراء
المنارة
المسجد
قصر باب الذهب
قصور اولاد المنصور
دواوين الحكومة
١٠٠٠ متر



الفصل الثاني

انتقال الأسواق الى الكرخ

دوافع نقل الأسواق من داخل المدينة المدورة :

على الرغم من الاهتمام الفائق ، والعناية الخاصة التي أولاها الخليفة المنصور لاسواق المدينة المدورة[١] ، الا أنه كان قد تلمس الخلل ، وبان له النقص في بنيانه الشامخ ، ولم يكن قد مضى اكثر من ثلاث عشرة سنة على وضع اللبنات الاولى لمدينته الفتية .

وقد يكون في مقدور الباحث ان يتلمس الاعذار والمبررات لهذا الخليفة ، بسبب النقص الذي ظهر في مدينته ، لان المسؤولين عن اقامة منشآت المدينة الجديدة ، صبوا جل اهتمامهم في أن تكون العاصمة حصنا منيعا ، فأعطوا الاولوية للاسوار والابراج ، التي أصبحت متراسا ماديا للدفاع عن المدينة ومن فيها . ولم يغفلوا متطلبات قصر الخلافة المنيف ، ودواوين الدولة، أما بقية المنشآت الاخرى ، بما فيها الاسواق ، فقد تحكمت في اقامتها الاهواء والاجتهادات الفردية التي نظرت للامور من زاويتها الخاصة ، ومصلحتها الذاتية ، ولم تقدر حسابات المستقبل تقديرا صائبا ودقيقا .

ويبدو أن أوامر الخليفة وتوجيهاته ، التي أعطاها للرجال المشرفين على بناء الارباض ، لم تنفذ بدقة ، التي اكد فيها على ضرورة توسيع الحوانيت والشوارع والسكك[٢] . هذا (الى جانب) ان الحياة العامة في داخل المدينة

---

(١) انظر : اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٣٨ — ٢٣٩ الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٧ الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٧ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢١ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٢ .

المدورة أخذت تتطور بسرعة مدهشة ، وأن هذه المدينة صارت تنمو وتتسع بشكل غير متوقع . فما أن أصبحت بغداد حاضرة الخلافة حتى « سكنها من أصناف الناس وأهل الامصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم ، فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محل ومتجر »[٣] . وحينئذ باتت أسواقها وشوارعها وسككها تغص بالمارة ، وتضيق بالمشترين والباعة والمتجولين[٤] ، حتى وصل الامر انها أصبحت تعوق سير موكب الخليفة أثناء مروره فيها .

وازاء هذا الوضع بات التفكير في نقل الاسواق الى خارج اسوار المدينة المدورة أمرا واردا ، لا بل ضرورة ملحة فرضها واقع المدينة الناشئة ، اذا ما أريد لها البقاء .

واذا ما اخذنا برواية اليعقوبي[٥] ، لا نستبعد ان يكون الخليفة المنصور قد تنبه للنقص الذي وقع فيه بعد أن كان قد أرسى اساس المدينة المدورة ، فبالاستيعاب الواعي المدرك ، شعر بان القواعد الكلية عامة ، يقبل مضمونها التطور حسب مقتضيات الزمان والمكان ، لاسيما عندما تكون متحلية بصفة المرونة . وتلمس أن المجتمعات تخضع باستمرار لناموس التطور ، وان هناك ضوابط عامة تحكم النشاط الاجتماعي والاقتصادي ، حتى لا تكون عاصمته الجديدة منغلقة ، وانما تتمشى مع التطورات التي طرأت على المجتمع ، وان تتسق والحوادث التي تعترى هذا المجتمع في مراحله التاريخية القادمة ، فأمر بنقل الاسواق الى الكرخ لكي تتنفس المدينة المدورة بملء رئتيها .

ولعل اقدامه على تشييد بنايات حكومية في الجانب الشرقي من نهر

(٣) نفس المصدر ، ص‌ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ و ٢٥١ .

(٤) الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ . الحسيني ، عمران بغداد ، ص ٣٣ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١١٠ . انظر كذلك : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ١ . ص ٢٤٠ ــ ٢٤١ .

دجلة سنة ١٥١هـ - ٧٦٨م [٦]، وبناءه قصر الخلد على شاطئ دجلة الغربي سنة ١٥٧هـ - ٧٧٣م [٧]، وتمليكه الناس أراضي خارج اسوار المدينة [٨]، ما يعزز هذا الاستنتاج .

وغير خاف أن إقدام الخليفة المنصور على بناء قصر الخلد خارج مدينته في هذا التاريخ ، كان متفقا مع أمره باخراج الاسواق الى الكرخ ، فهو يريد أن يظهر لاهل السوق الذين أخرجهم ، بأن لا ضير عليهم ولا خوف من وجودهم خارج اسوار المدينة المدورة ، ذلك ان الخليفة نفسه سيقضي شطرا من وقته خارج الاسوار ايضا . ولا اظن ان اهل السوق كان يقنعهم ويرضيهم مثل هذا الادعاء ، ولكنهم على الارجح كانوا مرغمين على قبول الامر الواقع .

ويورد الطبرى عدة روايات في سبب نقل الاسواق الى الكرخ . ففي صدد سرده لحوادث عام ١٥٧هـ - ٧٧٣م يقول « حول المنصور الاسواق

---

(٦) البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة بيروت) ، ص ٤١٤ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١١٠ . الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ . الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٩٤ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٨١ - ٨٢ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٨ - ٢٩ - ٦٦ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٥٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٤ و ٣٤ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٢٧ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص‌ص ٨١ - ٨٢ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٦ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٧٤ . والعبر في خبر من غبر ، ج ١ ، ص ٢١٥ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٤٠ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ . (ويقول الخطيب البغدادي ، ان المنصور بنى قصر الخلد سنة ١٥٨ هـ انظر ج ١ ص ٨٠) (وقال ابن الفقيه الهمداني ان الخلد بني سنة ١٥٩ هـ . انظر بغداد ص ٣٨) .

(٨) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ص ٢٤٢ .

من مدينة السلام الى باب الكرخ وغيره من المواضع »[٩] وهنا لم يذكر صاحب كتاب « تاريخ الرسل والملوك » ان أحدا اقترح على الخليفة ضرورة ابعاد أهل السوق[١٠] .

وفي مكان آخر يوضح المؤلف نفسه أن الاسواق لم تزل في طاقات المدينة المدورة حتى وفد بطريق من بطارقة الروم الى حاضرة الخلافة العباسية ، وخلال اقامته ببغداد طاف في هذه المدينة ليرى معالم العمران والبناء فيها . ولما سأله الخليفة المنصور ، أن يبدى انطباعه عن المدينة المدورة أظهر اعجابه بها . غير أنه ابدى ملاحظة لفتت نظر الخليفة حيث قال البطريق : « اني رأيت اعداءك معك . قال : ومن هم ؟ قال : السوقة »[١١] .

وأورد الخطيب البغدادي وابن الجوزى ، تحذيرا أقوى واخطر عندما قالا : « وعدوك يخترقها متى شاء وأنت لا تعلم ، وأخبارك مبثوثة في الآفاق لا يمكنك سترها . قال كيف ؟ . قال : الاسواق فيها ، والاسواق غير ممنوع منها أحد ، فيدخل العدو وكأنه يريد أن يتسوق . وأما التجار فانها ترد الآفاق فيتحدثون بأخبارك »[١٢] .

والظاهر ان الخليفة أخذ بملاحظات هذا البطريق فأمر « بأخراج السوق من المدينة (المدورة) ، فتقدم الى ابراهيم[١٣] بن حبيش الكوفي ، وضم اليه

---

(٩) تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٥٢ . انظر كذلك : الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١٧٩ . الازدي ، تاريخ الموصل . ص ٢٢٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .

(١٠) انظر كذلك : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

(١١) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٣ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٧ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ .

(١٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨١ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ .

(١٣) في مناقب بغداد لابن الجوزي ص١٣ : (محمد بن حبيش الكاتب) .

جواس بن المسيب اليماني مولاه ، وأمرهما أن يبنيا الاسواق ناحية الكرخ ، ويجعلاها صفوفا وبيوتا لكل صف ، وأن يدفعاها الى الناس ، فلما فعلا ذلك حول السوق من المدينة اليها ووضع عليهم الغلة على قدر الذرع فلما كثر الناس بنوا في مواضع من السوق »(١٤) . واضاف الخطيب البغدادي : أن المنصور بنى اسواق الكرخ من ماله على يد الربيع بن يونس ، وأنه انما فعل ذلك حتى يكون في مقدوره توسيع طرق المدينة التي جعل عرضها أربعين ذراعا(١٥) .

ويفهم في رواية اخرى أوردها الخطيب البغدادي وابن الجوزي ، أن انتقال الاسواق من المدينة المدورة الى الكرخ ، جاء عرضا ، ولعب به عامل الصدفة عمله ، ذلك أنه في اثناء استقبال الخليفة المنصور لرسول ملك الروم سمع أبو جعفر المنصور صرخة قوية هزت أركان قصره ، ثم تبعتها صرخة اخرى هي أشد من الاولى ، فأوعز الخليفة لوزيره الربيع بن يونس ان يتحراهما ، الا ان الحضور فوجئوا بصرخة ثالثة هي أشد من الأولين عندئذ اضطر الخليفة أن يطلب من الربيع ليخرج بنفسه ويتحرى الامر عن كثب ، فوجد أن بقرة قربت لتذبح فغلبت الجزار وخرجت تدور في الاسواق . ولما فهم رسول ملك الروم بالحادث عندئذ قال للمنصور : « يا أمير المؤمنين انك بنيت بناء لم يبنه أحد كان قبلك وفيه عيوب ثلاثة . قال : وما هي ؟ قال : أما أول عيب فيه فبعده عن الماء ولابد للناس من الماء لشفاههم ، وأما العيب الثاني : فان العين خضرة وتشتاق الى الخضرة وليس في بنائك هذا بستان ، واما العيب الثالث فان رعيتك معك في بنائك ، واذا كانت الرعية مع الملك في بنائه فشا سره . قال فتجلد عليه المنصور وقال : اما قولك في الماء فحسبنا من

---

(١٤) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٣ . البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٦١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٨ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٣٣ .

(١٥) تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ .

الماء ما بل شفاهنا ، وأما العيب الثاني فانا لم نخلق للهو واللعب ، وأما قولك في سري فما لي سر دون رعيتي • قال : ثم عرف الصواب فوجه بشميس وخلاد فقال : مُدّا لي قناتين من دجلة ، واغرسوا لي العباسية وانقلوا الناس الى الكرخ »[١٦] •

ويبدو أن المنصور كان قد كابر أمام رسول ملك الروم وفند انتقاداته ، على الرغم من قناعته بصحتها ، ذلك أنه أخذ بها فيما بعد • وتبدو في هذا النص ناحية ضعيفة هي قول رسول ملك الروم للمنصور : « يا أمير المؤمنين •• » في حين ترد كلمة « ملك » في محل آخر من النص • فاستبعد أن يخاطب خليفة المسلمين بـ أمير المؤمنين ، من قبل بطريق موفد من ملك الروم •

ولعل (ابن الربيع) هو الاخر كان قد تلمس النقص الذي وقع فيه المنصور عند اتمامه بناء بغداد ، لذا اشترط هذا المؤرخ على من يريد أن ينشىء مدينة ، أن يسوق اليها الماء العذب ليشرب منه الناس ، وان يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب مع عدد سكان المدينة ، وتتحمل نموها المرتقب ، وان يقدر أسواقها بحسب كفايتها لينال سكانها حوائجهم عن قرب ، وأن يحيطها بسور يحميها من الاعداء[١٧] •

وترد رواية أخرى[١٨] تبين السبب الذي حدا بابي جعفر المنصور الى الايعاز بنقل التجار وأسواقهم من داخل المدينة المدورة الى الكرخ ، ذلك أن الخليفة كان قد بلغه أن تجارا غرباء يبيتون في داخل اسواق المدينة ، وان وجودهم

---

(١٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص‌ص ٧٨ ـ ٧٩ • ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٤ ـ ١٥ •

(١٧) محمد بن محمد بن الربيع ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، (القاهرة : ١٣٢٩ هـ) ، ص‌ص ٩٤ ـ ٩٥ •

(١٨) الطبري ، م• ق ، جـ ٧ ، ص ٦٥٣ • الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ • ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١ •

على هذه الحال ربما فيه خطورة ، اذ لا « يؤمن ان يكون منهم جواسيس ومن يتعرف الاخبار ، أو ان يفتح ابواب المدينة ليلا لموضع السوق ، فأمر باخراج السوق من المدينة وجعلها للشرطة والحرس ، وبنى للتجار بباب طاق الحراني وباب الشام والكرخ »[19] .

وهناك رواية اخرى يتفق فيها الطبرى والخطيب البغدادي ، نقلاها عن الفضل بن سليمان الهاشمي عن أبيه ، فحواها : أن سبب نقل الاسواق من مدينة السلام الى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول ، هو الشغب الذي أثاره ببغداد سنة ١٥٧هـ - ٧٧٣م أنصار (محمد ذى النفس الزكية) وكان محتسب بغداد وأسواقها (ابو زكريا يحيى بن عبدالله) له ميل معهم ، وقد استغوى هؤلاء بجماعة من أهل بغداد ، فأحدثوا اضطرابا في المدينة المدورة وأسواقها ، فأقدم المنصور على حسم هذا الموضوع بسرعة قبل أن يرتفع ضجيج الشكوى ، ويتبرم سكان المدينة المدورة ، فامر بقتل المحتسب أبي زكريا يحيى بن عبدالله ، كما اوعز بنقل الاسواق من داخل المدينة المدورة الى الكرخ[20] .

وانفرد ياقوت[21] بذكر سبب آخر في نقل الاسواق الى الكرخ : هو ارتفاع الدخان منها واسوداد حيطان بغداد مما ضايق الخليفة .

وثمة حقيقة واضحة ، هي ان التجار والباعة لم ينتقلوا كلهم الى خارج أسوار مدينة المنصور ، وانما بقى قسم منهم في دكاكينهم وحوانيتهم المنشرة في طرق وسكك هذه المدينة ، وكان الخليفة قد أقر بقاءها لانه علم يقينا

---

(١٩) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٣ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

(٢٠) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص‌ص ٦٥٣ - ٦٥٤ . الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٢٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٧٩ - ٨٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ . الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ .

(٢١) معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ .

بحاجة الناس اليومية الماسة الى وجودهم . فمثلا ان اسواق باعة النواكه الذين لهم حوانيت في درب الاساكفة ، وفي درب الزيت ، وفي درب العاج ، ظلت داخل المدينة المدورة ولم تنتقل حتى عهد الخليفة محمد المهدي[٢٢] . كما وافق الخليفة المنصور على ان يبقى في كل ربع من مدينته بقال يبيع البقل والخل[٢٣] . وهكذا نجد ان الاسواق لم تنقل كلها الى خارج مدينة المنصور ، وانما سمح لبعض الباعة في البقاء لقضاء حاجات الناس .

مواقع اسواق الكرخ :

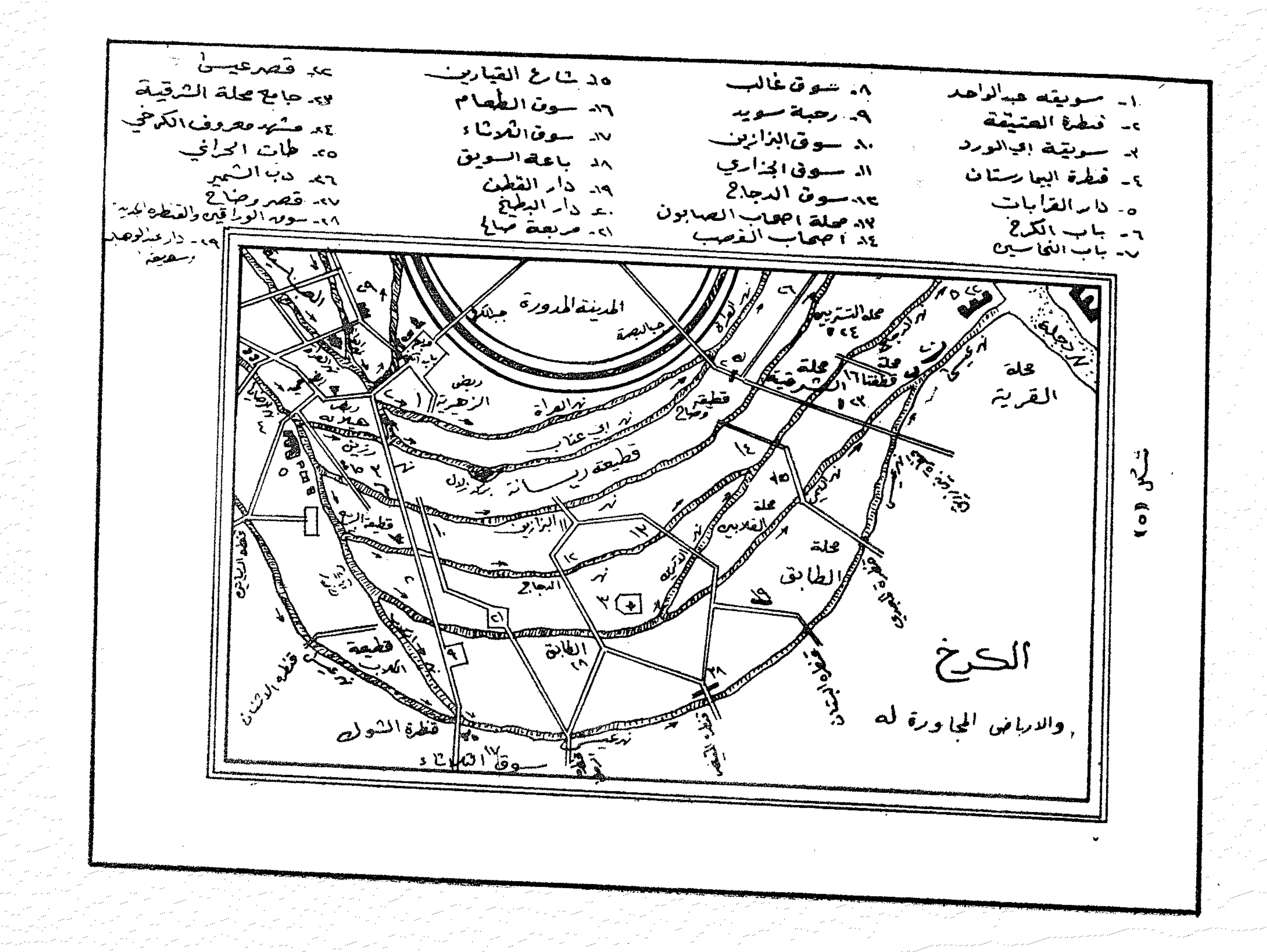
لقد تطورت خبرات الخليفة المنصور العمرانية . وظهر هذا التطور عند انتقال الاسواق الى الكرخ . فقد ثبت وضع تصميم بناء الكرخ على قطعة قماش عين عليها مواضع الاسواق ، حتى لا يقع في نفس الخطأ الذي سبق ان وقع فيه أثناء تخطيط المدينة المدورة ، لذا وسع الشوارع وجعل عرض كل منها اربعين ذراعا ، وأمر ببناء جامع يصلى فيه أهل هذه الاسواق حتى لا يدخلوا المدينة المدورة ، وأقر لكل حرفة سوقا خاصة ، واكد على ضرورة جعل سوق القصابين في آخر الاسواق لانهم سفهاء ، وبحكم مهنتهم يكون في أيديهم الحديد القاطع[٢٤] . وقد اقيمت أسواق الكرخ في الجبهة الجنوبية من بغداد ، ما بين نهر الصراة ونهر عيسى ، لتكون مركزا للنشاط الاقتصادي ، حتى اذا أخذت بغداد في الاتساع صارت الكرخ في وسطها .

---

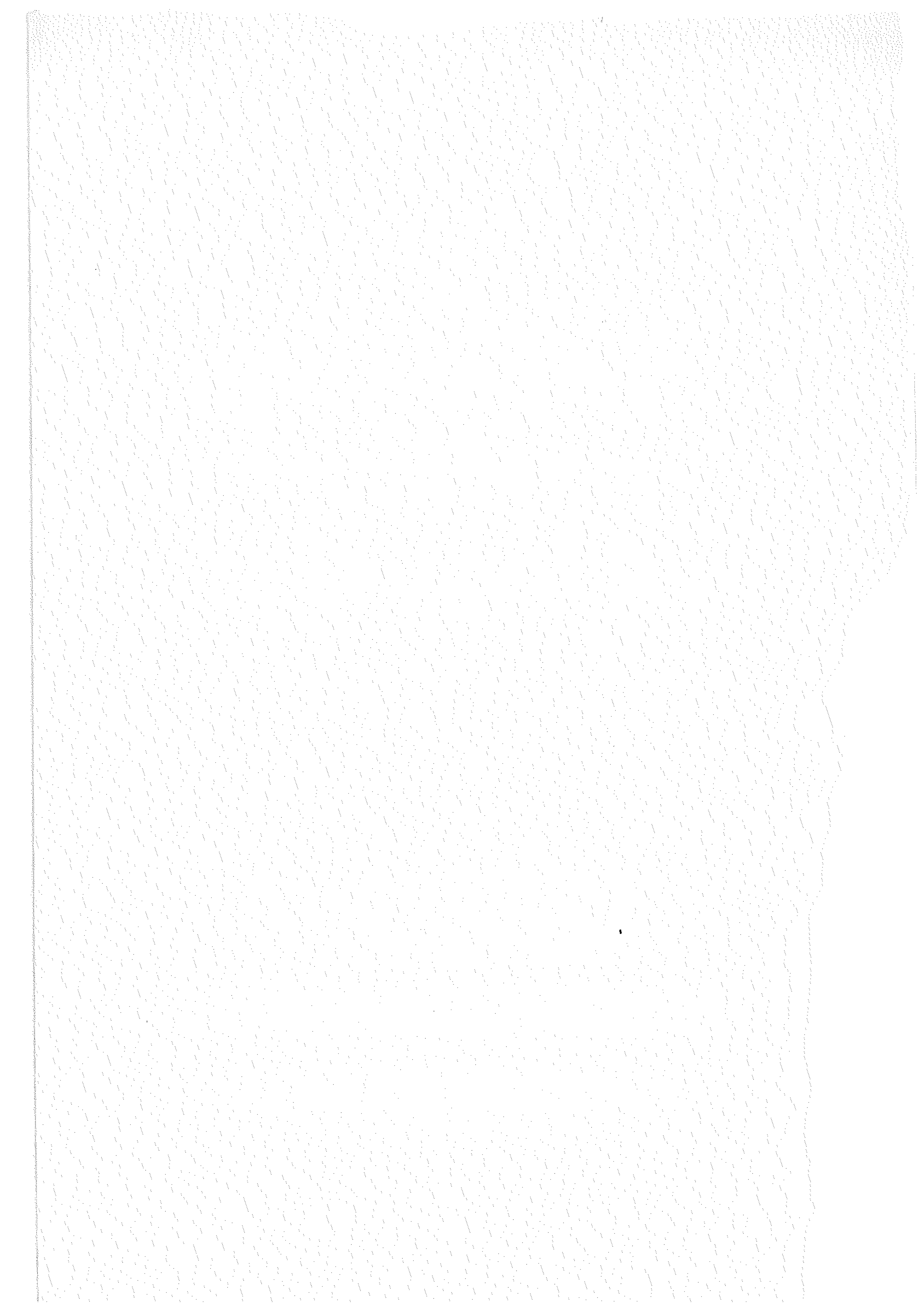
(٢٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨١ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .

(٢٣) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٤ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢١٢ . سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ترجمة رياض رافت ، (القاهرة : ١٩٣٨) ، ص ١٨٧ .

(٢٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٠ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ .


١- سويقة عبد الواحد
٢- قنطرة العتيقة
٣- سويقة أبي الورد
٤- قنطرة البيمارستان
٥- دار القرابات
٦- باب الكرخ
٧- باب النخاسين
٨- سوق غالب
٩- رحبة سويد
١٠- سوق البزازين
١١- سوق الجزاري
١٣- سوق الدجاج
١٧- محلة أصحاب الصابون
١٤- أصحاب القصب
١٥- شارع القيارين
١٦- سوق الطعام
١٧- سوق الثلاثاء
١٨- باعة السويق
١٩- دار القطن
٢٠- دار البطيخ
٢١- مربعة صالح
٢٢- قصر عيسى
٢٣- جامع محلة الشرقية
٢٤- مشهد معروف الكرخي
٢٥- طاق الحراني
٢٦- درب الشمير
٢٧- قصر وضاح
٢٨- سوق الوراقين والقنطرة الجديدة
٢٩- دار عبد الوهاب وسويقة
الكرخ
والأراضي المجاورة له
المدينة المدورة
محلة القرية
محلة الطابق
قنطرة الشوك

شكل (٥)



وهكذا اتاح نقل الاسواق الى الكرخ ، ليتلافى المسؤولون عن تخطيطها كل نقص او خطأ وقعوا فيه ابان تأسيس المدينة المدورة ، فجعلوا كل صنف من اصناف التجار في موضع خاص[٢٥] .

والظاهر أن الاسواق كانت تدر على أصحابها ومالكيها أرباحا كبيرة ، لذا حول الربيع بن يونس ، مولى أمير المؤمنين ، قطيعته بناحيته اسواقا ومستغلات لتدر عليه فوائد مادية اكثر مما لو أنه استغلها في مجالات أخرى[٢٦] .

ان النشاط التجاري الذي شهدته أسواق الكرخ الجديدة جعلها هي الاخرى لا تفي بالحاجة ، وتضيق بالباعة والتجار الذين وفدوا اليها من جميع البلدان ليمارسوا نشاطهم التجارى[٢٧] . فلا غرو أن طلب هؤلاء التجار من الدولة السماح لهم باقامة منشآت تجارية جديدة من أموالهم الخاصة . ولم تر السلطة بدا من اجابة طلبهم هذا فاتسعوا في البناء والاسواق[٢٨] ، التي ظلت تزداد اتساعا بحيث كونت ثلاث مناطق رئيسة هي : الكرخ والمحول والحربية[٢٩] يعتبرها اليعقوبي[٣٠] مع المدينة المدورة ، تكون الجانب الغربي من بغداد .

---

(٢٥) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٤٥ — ٢٤٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٠ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٨ .

(٢٦) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٥٢ . لسترانج ، بغداد ، ص ٢٨ .

(٢٧) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٣٣ — ٢٣٤ و ٢٥١ . الطبري ، م. ق ، جـ ٧ ، ص ٦٥٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧١ .

(٢٨) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٥١ . الطبري ، م. ق ، جـ ٧ ، ص ٦٥٣ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٨ . ياقوت ، البلدان ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ .

(٢٩) الحربية : نسبة الى حرب بن عبدالله صاحب حرس المنصور (انظر

ان المتتبع لخطط اسواق الكرخ يلاحظ ظاهرة جديدة هي : تجمعها حول مجاري الانهار المنسابة في هذا الجانب من بغداد ، وفي نفس الوقت يلمس أن الامور التجارية طغت على كل شيء ، بحيث استطاعت ان تؤثر في اسماء هذه الانهر وتصبغها بصبغتها الخاصة ، فدعيت الانهار باسم نوع البضاعة المباعة عندها ، فصرنا نسمع نهر البزازين ، ونهر القلائين ونهر الدجاج وغيرها[٣١] .

وفي ربض الكرخ السوق العظمى ممتدة من قصر وضاح[٣٢] الى سوق الثلاثاء ، طولا بمقدار فرسخين وعرضا بمقدار فرسخ واحد ، وتمتد على جانبي الشارع الذي يخرج من محلة الشرقية حتى باب الكرخ . فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة ، لا يختلط قوم بقوم ، ولا تجارة بتجارة ، وكل سوق مفردة ، وكل أهل مهنة مفردون بتجاراتهم[٣٣] . ومن هذه الاسواق سوق عبدالواحد التي أقيمت على الضفة اليسرى لنهر الصراة[٣٤] ثم سويقة

الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ٨٥ و ١٢١) (أو صاحب شرطته . انظر : البلاذري فتوح البلدان ، ص ٤١٥) . انظر : الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٩٤ — ١٩٥ . (وانظر : ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٤ و ٦٤) .

(٣٠) البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٥١ .

(٣١) اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٦ و ٢٥٠ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٩ و ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٩ .
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 26.

(٣٢) وضاح : مولى أمير المؤمنين المنصور (ياقوت ، البلدان ، جـ ٧ ص ٢٣٣) وكذلك : الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، صص ٨٠ — ٨١ . اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٥ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٦ .

(٣٣) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .

(٣٤) ياقوت ، البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٧٦ . والمشترك ، ص ٣٦٠ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤١ . الشنتاوي ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ١٢ ، ص ٣٨٤ .

أبي الورد[٣٥] التي تقع على الجانب الايسر من الطريق العام الخارج من باب الكوفة[٣٦] وفي هذه السوق سائر المبيعات ، ثم سوق غالب ، وتقع على امتداد سويقة أبي الورد وبنفس اتجاهها بين نهري الدجاج وطابق[٣٧] .

أما سوق البزازين فيبدأ من القنطرة المقامة على نهر البزازين ويتجه جنوبا حتى يقترب من نهر الدجاج . ويلي سوق البزازين ، عند اسفل النهر ، سوق الجزارين ، اذ أن المنصور لما وضع تصميم اسواق الكرخ جعل سوق الجزارين في آخر الاسواق « فانهم سفهاء وفي أيديهم الحديد القاطع »[٣٨] . ولعل هذا الموضع كان يشكل الطرف الخارجي من الكرخ في بداية نقل الاسواق اليه . لكن التوسع الذي حدث بعدئذ ، لم يجعل موضع السوق الاخير في نهاية الاسواق .

ومن سوق الجزارين يتفرع طريقان ، أحدهما ينحدر نحو الجنوب

---

(٣٥) ابي الورد : هو كوثر بن اليمّان خازن بيت المال (انظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٤) . وقال ياقوت تنسب سويقة ابي الورد الى عمر ابن مطرف الخرساني وكان يلي المظالم للمهدي ، جـ ٥ ، ص ١٨٣ . والمشترك ص ٣٦٢) وكذلك في ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٦) .

(٣٦) ياقوت ، البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٨٣ . والمشترك ، ص ٣٦٠ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٩ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤٣ .

(٣٧) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٣ . ياقوت ، البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٨٣ . والمشترك ، ص ٣٦٢ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤٣ . محمد بن احمد بن المطهر الازدي ، حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص ٢٢ . المدور ، حضارة الاسلام ، ص ٣٨ .

(٣٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٠ و ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ . ياقوت ، البلدان ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ .
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 25.
الحسيني ، عمران بغداد ، ص ٣٦ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٨١ .

الغربي ليلتقى بسوق الدجاج الذي يقع على النهر المسمى باسمه[٣٩] ، وآخر ينحدر نحو الجنوب الشرقي ليلتقى بسوق يباع فيه الصابون في الاغلب ، وهو الاخر يمس نهر الدجاج في قسمه الشرقي ويعبر على قنطرة ليقترب من نهر القلائين حيث يقع سوق باعة اللحوم المقلية على الضفة اليمنى من هذا النهر[٤٠] • ويمر النهر الاخير بموضع باعة حساء السويق ، ومن ثم ينحرف نحو يسار اتجاهه فيلتقى بنهر الدجاج • ويرى الخطيب البغدادي[٤١] ان سويق الحمص كان يباع بمقادير كبيرة في أسواق بغداد ، اذ قدر ما كان يبيعه رجل واحد من سويق الحمص المطحون في كل سنة « مائة وأربعين كرا »[٤٢] ، وهذا المقدار كان يزن قبل طحنه ضعف وزنه هذا • ومعلوم ان هذا النوع من الطعام يأكله الفقراء عادة •

وعلى القنطرة الجديدة التي على الصراة عند باب البصرة « سوق كبيرة فيها سائر التجارات مادة متصلة »[٤٣] وأقيمت في غرب القنطرة الجديدة أسواق

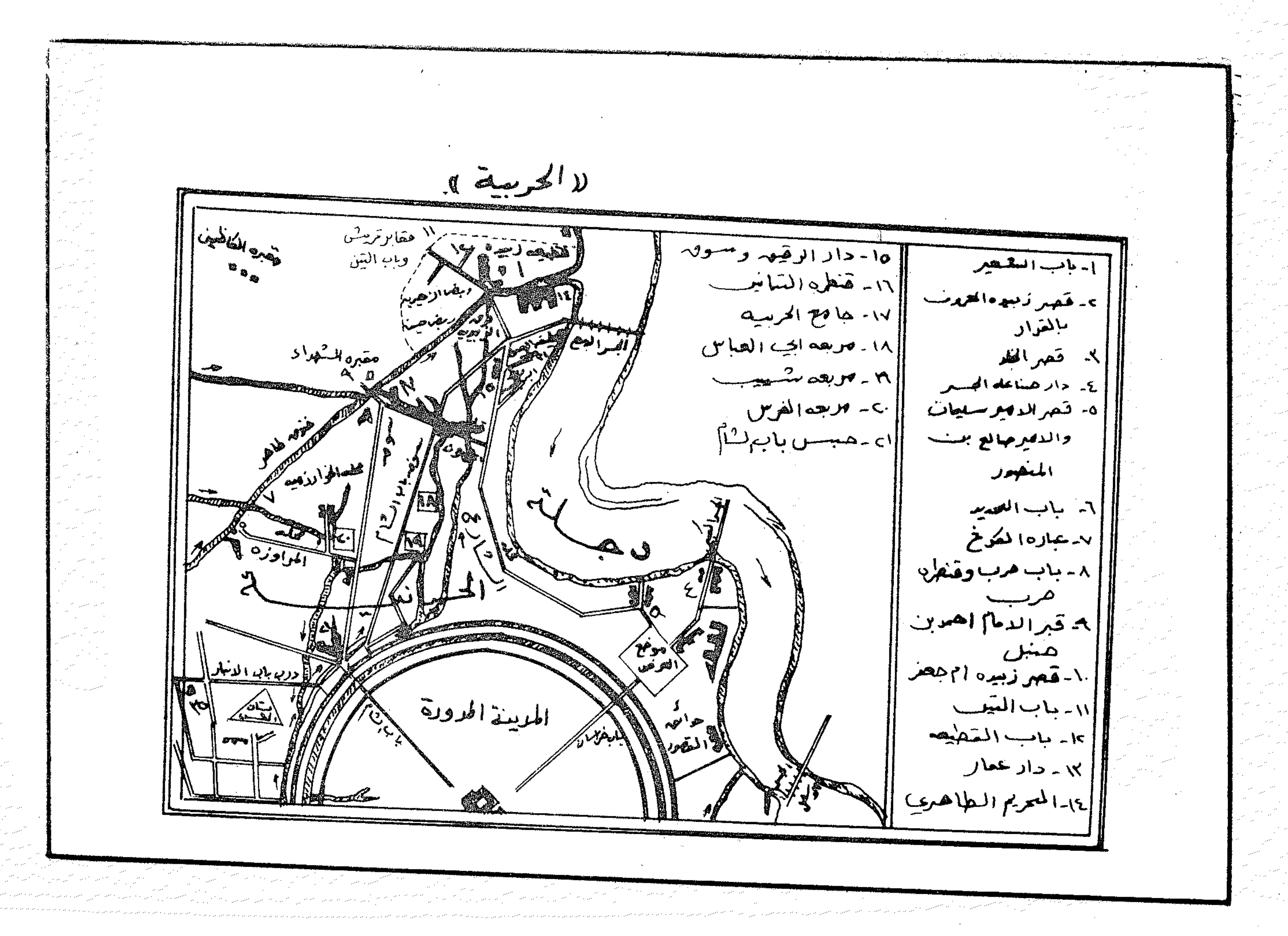
(٣٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٦ و ٢٥٠ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ و ١١٣ .

(٤٠) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ و ١١٣ — ١١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٣ .

(٤١) بغداد ، ج ١ ، ص ١١٩ . انظر : ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٦٠ .

(٤٢) الكر : هو مكيال بابلي الأصل ، وكان يساوي في العراق من حيث الاساس ٣٠ كارة = ٦٠ قفيزا . وكل قفيز = ٨ مكاكيك . وفي القرن العاشر الميلادي (اواخر القرن الثالث الهجري) كان الكر الكبير الوافي في بغداد والكوفة = ٦٠ قفيزا . وكل قفيز ٨ مكاكيك ، وكل مكوك ٣ كيلجات وكل كيلجة ٦٠٠ درهم من القمح = ٢٧٠٠ كغم (انظر : هنتس ، المكاييل والاوزان ، ص ٦٩) . ومن جهة اخرى كان ما يدعى (بالكر المعدل) يساوي ٦٠ قفيزا ايضا لكن كل قفيز كان ٢٥ رطلا بغداديا فقط ، اي انه يعادل ٦٠٩٫٣٧٥ كغم قمح . (انظر : الخوارزمي مفاتيح العلوم ، ص ٧٦) .

(٤٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٥ .



الحربية
دجلة
المدينة المدورة
مقبرة الشهداء
مقابر قريش وباب التبن
مقبرة الكاظمين
خندق طاهر
المراوزة
درب باب الانبار
١- باب الشعير
٢- قصر زبيدة المعروف بالقرار
٣- قصر الخلد
٤- دار صناعة الجسر
٥- قصر الامير سليمان والامير صالح بن المنصور
٦- باب الحديد
٧- عبارة الكرخ
٨- باب حرب وقنطرة حرب
٩- قبر الامام احمد بن حنبل
١٠- قصر زبيدة ام جعفر
١١- باب التبن
١٢- باب القطيعة
١٣- دار عمار
١٤- الحريم الطاهري
١٥- دار الرقيق وسوقه
١٦- قنطرة التبانين
١٧- جامع الحربية
١٨- مربعة ابي العباس
١٩- مربعة شبيب
٢٠- مربعة الفرس
٢١- حبس باب الشام



اكثر من فيها في زمن اليعقوبي[٤٤] من الوراقين الذين يتعاطون بيع وشراء الكتب ، وفي هذا السوق اكثر من مائة حانوت للوراقين تمتد الى غرب محلة الشرقية[٤٥] . واتساع سوق الوراقين لهذا الحد يعطينا دليلا حيا على نشاط الحركة الثقافية والعلمية .

وأقيم سوق الطعام الى شرقي الطريق العام الخارج من باب البصرة ، ويمتد من قنطرة على الجزء الشرقي من نهر الدجاج ليقترب من نقطة التقاء نهر طابق بنهر عيسى الاعظم[٤٦] .

ويبدو أنه كانت توجد في ربض الكرخ أسواق ومحلات بيع وشراء أهملت من قبل كثير من المؤرخين فلم يذكروها ضمن الاسواق عندما وردت عرضا في سياق كلامهم . وهذه الاسواق جلها تقع على جانبي أحد القناطر التي أقيمت على نهر عيسى الاعظم . ويخيل الي ان عمليات البيع والشراء في هذه المواضع كانت تتم في العراء ، في الاعم الاغلب ، بحيث لا توجد سقائف يأوى اليها الباعة عند مارستهم عملهم هذا . وربما كان هؤلاء الباعة من سكان القرى المجاورة لمدينة بغداد ، يأمون العاصمة صباحا ويعرضون سلعهم ، ثم يرجعون الى قراهم بعد تصريفها . ومن هذه الاسواق ، سوق الزياتين الذي أقيم على قنطرة الزياتين جنوب المحول ، ثم سوق باعة الاشنان[٤٧] على قنطرة الاشنان ، وبعده سوق باعة الشوك على قنطرة الشوك التي أقيمت على نهر عيسى الاعظم عند التقائه بنهر الكلاب ، ثم سوق الثلاثاء ، ومن اسمه يفهم أن

---

(٤٤) توفي اليعقوبي سنة ٢٨٤ هـ .

(٤٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٥ . الشنتناوي ، دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٣٨٤ .

(٤٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٣ .
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 26.

(٤٧) الاشنان : نوع من النبات ، يجفف ثم تغسل به الملابس او اليدان . ويستعمل بدل الصابون من قبل ذوي الدخل المحدود .

هذا السوق كان يقام يوم الثلاثاء ، وهو كنظيره في الجانب الشرقي من بغداد[٤٨] .

والى الشرق من سوق الثلاثاء ، يقع سوق باعة الرمان عند قنطرة الرمان، والى الشرق منه يقع سوق دار القطن في محلة طابق التي تقع ما بين نهر عيسى ونهر طابق ، وهذا السوق يقع على امتداد شارع يعبر نهر عيسى على قنطرة البستان[٤٩] .

وقبلأن يصب نهر عيسى بدجلةيمر بسوقدار البطيخ الذي يقع على الضفة اليسرى من النهر المذكور ، وهو آخر الاسواق التي نقلت من داخل المدينة المدورة الى هذا الموضع من ربض الكرخ ، وتباع فيه الفواكه[٥٠] .

وعند الفرضة ، حيث يصب نهر عيسى الاعظم بدجلة ، شيدت بحذاء جانب الفرضة مخازن التجار ، وبالقرب منها قامت اسواق كثيرة[٥١] ، كما ظلت محلة قصر عيسى مزدحمة بالسكان والاسواق حتى آخر الفترة موضوعة البحث[٥٢] .

---

(٤٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص‌ص ١١١ — ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب ، ص ١٨ .
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 14.

(٤٩) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٩١ و ١١٢ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٨ . ياقوت ، البلدان ، جـ ٤ ، ص ١١ .
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 14.
البستاني ، دائرة المعارف ، مجلدان ٧ ، ص ٥٤٢ .

(٥٠) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٨١ و ٩١ و ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١ .
Ibn Serapion, Op. Cit P. 26.

(٥١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٠ . لسترانج ، بغداد ، ص ٨٢ .

(٥٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٩٢ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٣ . ياقوت ، البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٥٤ . لسترانج ، بغداد ، ص ٨٣ .

ونظرا لاهمية المنطقة الواقعة بين باب البصرة وشاطىء دجلة ، وكثـرة الاسواق فيها عين قاض خاص لحل المنازعات التي قد تحدث بين أهل السوق . وقد اطلق على هذه المنطقة اسم « الشرقية » . ويظهر أن هذا الاسم نبـذ استعماله في اواخر القرن الثالث الهجري . ولعل سـبب ذلـك ، ان اسـم (الشرقية) اصبح يطلق تدريجيا على الجانب الشرقي من دجلة الذي انتقـل اليه مركز الخلافة بعد رجوع الخلفاء من سامراء سنة ٢٨٠هـ ـ ٨٩٢م[٥٣] ، وصارت في الحقبة الاخيرة في موضع الشرقيـة عنـد باب البصرة (محلـة التستريين [٥٤] الذين كانوا يصنعون الثياب التسترية التي كانت تشتهر بها مدينتهم في موطنهم الاصلي[٥٥] .

وعند فرضة المحول ، حيث يتم تفريغ السلع الواردة بالسفن عبر نهـر عيسى أقيمت هناك مخازن وأسواق وحوانيت كثيرة[٥٦] .

وعلى امتداد الطريق الآتي من المحول ، والمحاذي لنهر كرخايا ، تقـع دكاكين على طول هذا الطريق عن اليمين وعن الشمال ، فأصبح سوقا مغمورة بالسلع المختلفة الاصناف[٥٧] . وعن يمين هذه السوق تقع قنطرة اليهـود (انظر شكل ٤) ، ومن المحتمل ان يكون في هذا السوق كثير من التجار اليهود . والى الشرق من هذه السوق يمتد سوق آخر تباع فيه الدواب مثل

---

(٥٣) الطبري ، م. ق ، ج ١٠ ، ص ٣٤ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٨٠ ـ ٨١ . ابن الجوزي ، مناقب بغـداد ، ص‌ص ١٥ ـ ١٧ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٨٢ و ٨٧ .

(٥٤) نسبة الى مدينة تستر الواقعة في خوزستان . وقد دعيت هذه المحلة بهذا الاسم لان اهل خوزستان سكنوا فيها . (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٩) . انظر ايضا : حمدان عبدالمجيد الكبيسي ، عصر الخليفة المقتدر بالله ، مطبعة النعمـان ، (النجف : ١٩٧٤) ، ص ٤١٣ .

(٥٥) ياقوت ، البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ و ٣٨٩ . لسترانج ، بغـداد ، ص‌ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٥٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٠ . ياقوت ، البلدان ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

(٥٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٣ .

الجمال والخيل والبقال ، والحسير[٥٨] • ويلاحظ أن سوق الدواب هذا كان في طرف المدينة الغربي ، وسنشاهد نظيره في الجانب الشرقي من بغداد •

وفي موقع متوسط ما بين باب الكوفة وباب الشام ، أقيمت « الاسواق الاربعة » التي كانت مركزا لاحدى محلات بغداد المزدحمة بالسكان حينذاك • وتعرف هذه الاسواق الاربعة باسم فارسي – عربي ، هو (شار سوق) أو (شهار سوق) أي « جهار سوق » • ومعناه في العربية الاسواق الاربعة • بنى هذه الاسواق الهيثم بن معاوية ، أحد قواد الخليفة المنصور ، واحدث بها الشوارع والدروب ومخازن السلع[٥٩] والى الجنوب من الاسواق الاربعة تقع سويقة عبدالوهاب التي لا تبعد كثيرا عن رحبة باب الكوفة[٦٠] •

وتتصل بسوق الهيثم من جهة الغرب أسواق النصرية والعتابية ودار القز وتدعى النصرية أيضا : ربض نصر بن عبدالله ، أما سوق العتابية فيقع الى شمال سوق الهيثم ، وهو مشهور أيضاً بصنع الثياب العتابية[٦١] ، وكانت تحاك من حرير وقطن مختلف الالوان • ولهذه الثياب شهرة واسعة النطاق في جميع الاقطار الاسلامية • أما دار القز فهي ربض واسع على بعد فرسخ من محلات بغداد الغربية ، واشتهر بصنع الكاغد[٦٢] •

---

(٥٨) نفس المصدر ، ص‌ص ٢٤٣ – ٢٤٤ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ١١٤ – ١١٥ .

(٥٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٧ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٥ . ياقوت ، البلدان ، ج ٤ ، ص ١١ و ج ٥ ، ص ١٨٣ . والمشترك ، ص ٣٦٢ .

(٦٠) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٧ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٥ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤٣ . ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ١٨٣ . والمشترك ، ص ٣٦٢ .

(٦١) العتابية : دعيت هذه المحلة بالعتابية نسبة الى عتاب حفيد بني امية ، واحد اصحاب النبي (ص) . والظاهر أن احفاده حلوا في هذه المحلة وسكنوها في زمن غير معروف . (لسترانج ، بغداد ، ص ١٢٢) .

(٦٢) ياقوت ، البلدان ، ج ٤ ، ص ١١ . دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٧ ، ص ٥٤٢ .

وتوجد سوق رئيسة يسميها اليعقوبي « سوق باب الشام » وتقع هذه السوق على جانبي الشارع الخارج من باب الشام والمتجه نحو الجسر الاعلى « وهي سوق عظيمة فيها جميع التجارات والبياعات ، ممتدة ذات اليمين وذات الشمال آهلة عامرة ... وتمتد في شارع عظيم »[٦٣] .

وعلى الرغم من اتساع جانب الرصافة[٦٤] ، ونزول الخلفاء فيه منذ عهد المهدي وحتى بداية عصر الخليفة المعتصم بالله ، الا ان الجانب الغربي ظل يضاهي في كثرة الاسواق والتجارات وما وصل اليه الجانب الشرقي من بغداد في هذا المجال . وقد أوضح الأصطخري ـ المتوفى في النصف الاول من القرن الرابع الهجري ـ ان الكرخ واسواقها بقيت محتفظة بتفوقها على الجانب الشرقي من بغداد ، اذ كان بها الموسرون ومساكن معظم التجار[٦٥] . ومن هنا لمس اليعقوبي[٦٦] ان الجانب الغربي من بغداد يتميز عن الجانب الشرقي بكثرة الاسواق والتجارات ، التي تركزت هناك ، على ما يظهر ، منذ السنوات الاولى لنشأة حاضرة الخلافة العباسية .

ويرد في النصوص ، أن لبعض أسواق الجانب الغربي من بغداد ، أبواباً خاصة بها ، مثل : باب سوق الدواب ، وباب سوق الثلاثاء وباب سوق الغنم وغيرها[٦٧] . وربما كانت هذه الابواب تغلق بعد الغروب عندما يتوقف البيع

---

(٦٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٨ .
(٦٤) كما سنشاهد في السطور القادمة .
(٦٥) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٩ . انظر ايضا : محمد بن احمد بن جبير ، رحلة ابن جبير ، مطبعة دار مصر للطباعة ، (القاهرة : ١٩٥٥) ، ص ٢١٢ .
(٦٦) البلدان ، ص ٢٥٤ .
(٦٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ١١٤ ـ ١١٥ .

والشراء في مثل هذه الاسواق. ويخيل الي أن هذه الابواب انما وجدت لغرض المحافظة على ما في السوق من سلع قد تكون ذات قيمة كبيرة. كما ان فكرة صنع أبواب خاصة لبعض أسواق الجانب الغربي من عاصمة الخلافة العباسية ، كانت لحرص السلطة على ضرورة المحافظة على البضائع المعروضة في الاسواق وان هذه السلطة قد تجد نفسها في بعض الاحيان ، عاجزة عن تقديم الحماية الكافية لاصحاب السوق ولبضائعهم التي كثيرا ما تعرضت للنهب والسلب والحرق والاتلاف من جراء الازمات المتعاقبة ، والنكبات التي تعرضت لها مدينة بغداد بجانبيها الشرقي والغربي ، كما سنرى في فصل قادم .

الفصل الثالث

أسواق الرصافة

ان وجود الابنية والاسواق في الجانب الشرقي من دجلة ، لم يكن وليد المصادفة ، ولا هو حديث العهد ، ذلك ان سوق الثلاثاء كان قائما قبل بناء المدينة المدورة بفترة بعيدة . غير ان انشاء أحياء سكنية في شرق دجلة بشكله المتسع ، وقيام عدة أسواق بقرب هذه الاحياء ، يرجع في أساسه الى عام ١٥١هـ - ٧٦٨م[١] ، حين وصول محمد المهدي في شهر شوال من تلك السنة قادما من خراسان وهو على رأس جيشه ، فأمر الخليفة أن يبقى الجيش معسكرا في الجانب الشرقي من دجلة ، وأن تبنى له الرصافة التي سميت عسكر المهدي ايضا[٢] .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة بيروت) ص ٤١٤ . و (طبعة لجنة البيان العربي) ج ٢ ص ٣٦١ . الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٣٧ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٢ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٢ - ١٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٣ . ياقوت ، المشترك ، ص ٢٠٥ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٢٣٠ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص‌ص ٨١ - ٨٢ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٦ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٧٤ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٨ . ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ١٩٧ . لسترانج ، بغداد ، ص ١٤٩ و ١٦٣ و ١٦٥ . الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ١٠٦
Coke, Baghdad, P. 40.

(٢) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٣٧ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٩ . البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٦١ . (وطبعة بيروت ، ص ٤١٤) . الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٩ . والاقاليم ، ص ٤١ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٣ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ . ابو الفداء ، البلدان ، ص ٣٥٣ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٠٧ .

الدوافع السياسية والضرورات الاقتصادية :

في تقديري ، أن التفكير في بناء الرصافة وأسواقها أملته ضرورات اقتصادية ودوافع سياسية وعسكرية . وان هناك عاملين رئيسين دفعا الخليفة المنصور الى بناء الجانب الشرقي من بغداد ، أولهما عامل سياسي ذكره الطبري وابن الاثير باسهاب ، يتضح في الاقتراح الذي قدمه (قثم بن العباس بن عبدالله بن العباس) الذي كان المنصور قد استشاره على أثر الشغب الذي أثاره الراوندية على أبي جعفر وحاربوه على باب الذهب ، وكان قثم بن العباس قد دبر حيلة[٣] غاظ بها أهل اليمن ، وفرق كلمة الجند ، فصارت مضر فرقة ، واليمن فرقة ، والخراسانية فرقة ، وربيعة فرقة . وعندئذ استطاع المنصور احداث الوقيعة بين جنده ، وجعلهم احزابا كل حزب منهم يخاف أن يحدث منه حدث فيضربه الخليفة بالحزب الآخر[٤] .

كما أشار (قثم) على المنصور أن يبنى لابنه المهدي قصرا في الجانب الايسر من دجلة قبالة المدينة المدورة ، على أمل ان يصير الجانب الشرقي بلدا ، وقال للخليفة : « فيصير ذلك بلدا ، وهذا بلدا ، فان فسد عليك هذا الجانب ضربتهم بأهل ذلك الجانب ، وان فسد عليك أهل ذلك الجانب ضربتهم بأهل هذا الجانب ، وان فسدت عليك مضر ضربتها باليمن وربيعة والخراسانية »[٥] .

---

(٣) انظر : الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٣٨ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص‌ص ٣٣ – ٣٤ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٧ – ٢٨ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٢٧ .

(٤) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٣٨ – ٣٩ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٢ – ١٣ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٨ .

(٥) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٣٨ – ٣٩ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٢ – ١٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٤ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٨ – ٢٩ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٢٧ . كرد علي ، الادارة الاسلامية ، ص ١٢٨ . والاسلام والحضارة العربية ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ . حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ .

ومن هنا نجد أن بناء الرصافة أملته دوافع سياسية وعسكرية تطلبتها ظروف الخليفة الحرجة آنذاك ، ولهذا أخذ المنصور برأى قثم بن العباس ، وبدأ في بناء الرصافة تحقيقا للهدف السياسي •

اما العامل الاقتصادي فنستطيع ان ندركه اذا ما علمنا أن شغل جانب الرصافة كان في ذهن المنصور منذ بداية تأسيس المدينة المدورة ، ذلك أن صاحب « قرية بغداد » كان قد قال للخليفة لما استشاره : « واني أرى ان تنزل أربعة طساسيج ، في الجانب الغربي طسوجان هما : قطربل وبادوريا ، وفي الجانب الشرقي طسوجان هما : نهر بوق وكلواذى، فتكون بين نخل وقرب ماء ، وأن أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الآخر العمارات • وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الشام والرقة والمغرب في طرائف مصر ، وتجيئك الميرة من الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل وغيرها »[٦] فوجد هذا الكلام هوى في نفس الخليفة وأدرك حينئذ الأهمية الاقتصادية لجانبي بغداد ، وان كل واحد يكمل الآخر[٧] •

ويبدو أن بناء الرصافة حقق الغرض الذي رمى اليه المنصور ، فاصبح في مقدوره أن يخمد أي تمرد قد يحدث ضده ، ذلك أن الجيش الذي عسكر بالجانب الشرقي كان مستعدا ـ اذا اقتضت الحال ـ لقمع أي نزاع قد ينشب بين حاميات المدينة المدورة • وهكذا أصبح في مقدور الخليفة ، إن شغب عليه من في الجانب الغربي ضربهم بأهل الجانب الشرقي ، وان فسد اهل الجانب الشرقي ضربهم بأهل الجانب الغربي •

وسرعان ما عمرت الرصافة ، حتى قاربت الجانب الغربي في العمران والاتساع ، وزادت أهميتها من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، لان عناية المسؤولين توجهت اليها ، وبنى الناس فيها القصور الشامخة ، والمنازل

---

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٤ •

(٧) ابن بطوطة ، رحلته ، ص ص ١٣٥ ـ ١٣٦ •

المزخرفة ، واتخذوا فيها الاسواق والجوامع والحمامات(٨) .

لذا لم يكن الخليفة المنصور مؤسس بغداد الغربية فحسب ، بل بغداد الشرقية ايضا ، التي كسفت مع الايام شمس المدينة المدورة(٩) .

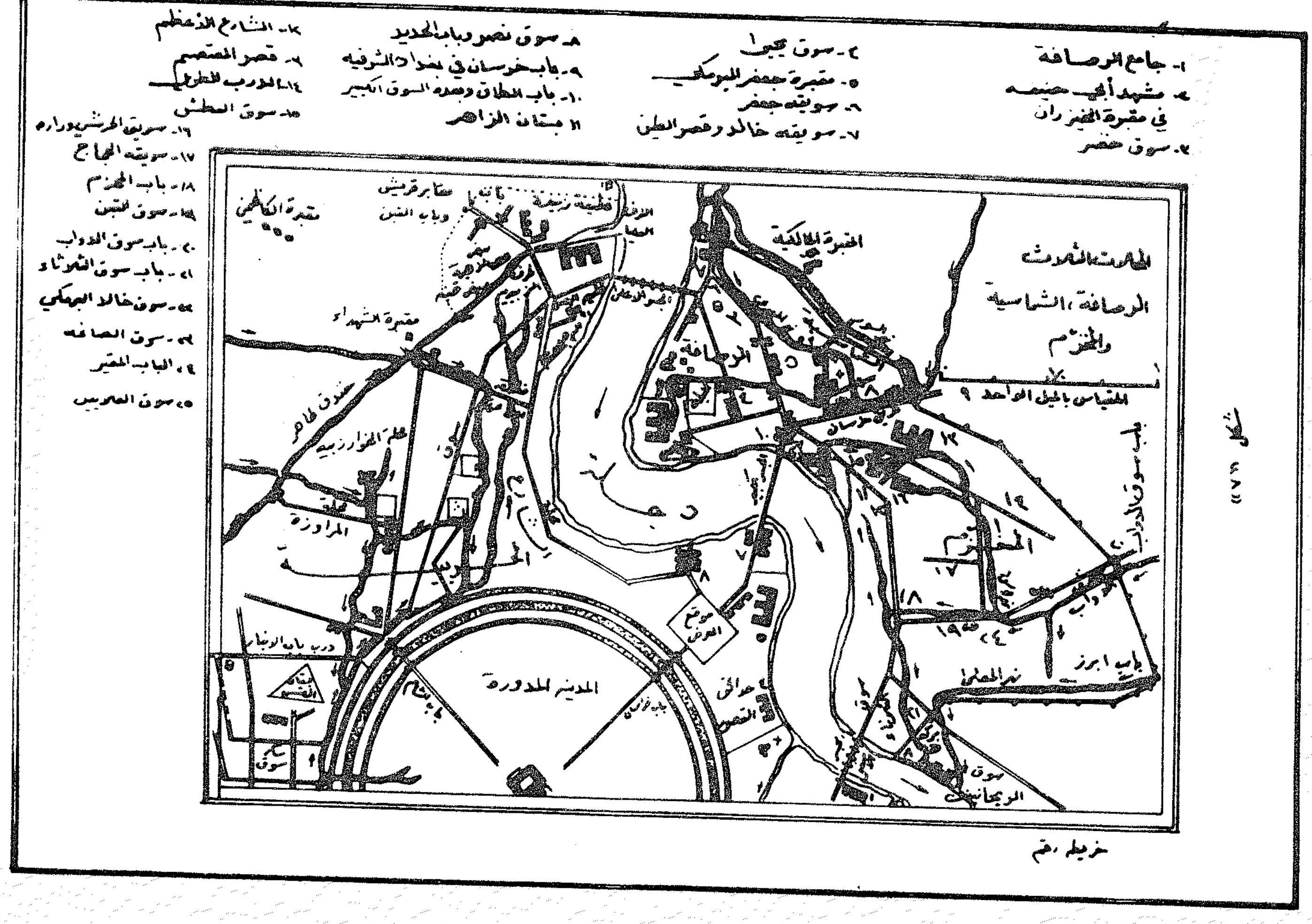
ومع أن الاتجاه نحو الجانب الشرقي من دجلة قد تم منذ عهد المنصور ، لكنه قد خطا خطوات سريعة أيام المهدي(١٠) ، واستمر بعد ذلك ، ولكن ليس على وتيرة واحدة . وان فكرة نقل دواوين الدولة ومؤسساتها الرسمية الى جانب الرصافة قد نال حظوة كبيرة من لدن عدد من الخلفاء(١١) . وبعدئذ بات من المؤكد أن تنشأ اسواق كبيرة ونشطة في جانب الرصافة لتواكب الوضع الجديد ، ولتفى بحاجات التوسع الهائل الذي شهده هذا الجانب من بغداد .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى توسع الجانب الشرقي من بغداد ، وصارت الاسواق تحتل مركزا حيويا بالنسبة لسكان المدينة ، وبذلك وجدنا أن أبا احمد الموفق لما استطاع قتل صاحب الزنج(١٢) جاء برأسه الى بغداد ، وقد طغت عليه نشوة النصر ، فصار يستعرض جيشه في المناطق الحيوية المكتظة بالناس مبتدئا « في سوق الثلاثاء وباب الطاق ، وسوق يحيى ، حتى هبط الحربية ثم انحدر في دجلة الى قصر الخلافة »(١٣) .

وزينت أسواق الجانب الشرقي وشوارعه بأفضل زينة وأحسن ترتيب ،

---

(٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٥١ ، ٢٥٢ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٥ ـ ١٦ . والمنتظم ، جـ ٥ ، ص‌ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .
(٩) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢٢١ .
(١٠) الطبري ، م. ق ، جـ ٨ ، ص ١١٠ .
(١١) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٥ ـ ١٦ . والمنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٤٣ . الاصطخري ، الاقاليم ، ص ٤١ .
(١٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٥٣ .
(١٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ٧٠ .


١- جامع الرصافة
٢- مشهد أبي حنيفة
في مقبرة الخيزران
٣- سوق خضر
٤- سوق يحيى
٥- مقبرة جعفر البرمكي
٦- سويقة جعفر
٧- سويقة خالد وقصر الطين
٨- سوق نصر وباب الحديد
٩- باب خراسان في بغداد الشرقية
١٠- باب الطاق وسوق السوق الكبير
١١- بستان الزاهر
١٢- الشارع الأعظم
١٣- قصر المعتصم
١٤- الدرب المطرح
١٥- سوق العطش
١٦- سويقة الحرشي ودار
١٧- سويقة الحجاج
١٨- باب المخرم
١٩- سوق التبن
٢٠- باب سوق الدواب
٢١- باب سوق الثلاثاء
٢٢- سوق خالد البرمكي
٢٣- سوق الصاغة
٢٤- الباب المثير
٢٥- سوق العطارين
المحلات الثلاث
الرصافة، الشماسية
والمخرم
المقياس بالميل الواحد
المقبرة المالكية
مقبرة الكاظمين
مقابر قريش
باب التبن
مقبرة الشهداء
خندق طاهر
المدينة المدورة
باب الشام
باب خراسان
موقع الخلد
المخرم
الرصافة
دجلة
باب سوق الدواب
باب ابرز
نهر المعلى
سوق الريحانيين
المراوزة
درب باب الانبار
سوق
خريطة رقم

شكل «٧٧»



بحيث أنها بهرت رسول ملك الروم الذي قدم عام ٣٠٥هـ - ٩١٧م لزيارة الخليفة المقتدر بالله .[١٤]

مواقع اسواق الرصافة :

تشير الروايات التاريخية بوضوح الى أن السوق الرئيس في الجانب الشرقي من بغداد كان معقودا بالآجر والجص ، وله باب مقوّس عرف بباب الطاق ، وهو بذلك يشبه الى حد كبير ما سبق ان شاهدناه في عمارة الاسواق بالجانب الغربي[١٥] . وفي سوق يحيى كانت الدكاكين عالية وهي على طراز باب الطاق[١٦] ، في حين كان الاعتناء ببناء سوق الصاغة كبيرا جدا بحيث : « لم يشاهد أحسن بناء منه ، بناء شاهق وأساطين ساج عليها غرف مشرفة »[١٧] .

وعلى الرغم من التشابه الواضح في أسواق جانبي بغداد ، الا أنه يبدو أن أسواق الرصافة كانت اكثر تنسيقا من أسواق الجانب الغربي . وقد يكون لعامل الزمان أثره في عملية تخطيط أسواق الرصافة ، ذلك أن المسؤولين عنه

---

(١٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٨١ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص‌ص ١٠٠ - ١٠٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ١٤٣ - ١٤٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص‌ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(١٥) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ . الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٩ . والأقاليم ، ص ٤١ .

(١٦) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ .

(١٧) نفس المصدر والمكان .

قد حاولوا تجنب كل نقص وقع به من سبقهم[١٨] .

ان التنظيم والتنسيق الذي أصبح عليه الجانب الشرقي من بغداد وأسواقه كان قد أعجب رسل ملك الروم الذين نقلوا له تلك الصورة الرائعة عن بغداد عامة وجانب الرصافة خاصة . الامر الذي جعل الملك يطلب ايضاحات وافية عن هذه المدينة فصورت له « أرضها وأسواقها وشوارعها وقصورها .. فكان ملك الروم اذا شرب دعا بالصورة فيشرب على مثال سويقة نصر ويقول : لم أر صورة شيء من الابنية أحسن منه »[١٩] .

ومهما يكن من أمر ، فالذي يهمنا في هذا الصدد هو تحديد موقع الاسواق في جانب الرصافة . قال اليعقوبي : « وسوق هذا الجانب العظمى التي تجتمع فيها أصناف التجارات على رأس الجسر ، مارا من رأس الجسر مشرعا ذات اليمين وذات الشمال من اصناف التجارات والصناعات »[٢٠] .

وبهذا يمكن تحديد موقع الحي التجاري الرئيس في الجانب الشرقي من بغداد عند رحبة الجسر الاوسط . فمن هذه الرحبة يمتد السوق الرئيس[٢١]، على جانبي الطريق الواصل من طرف الجسر الشرقي ، مجتازا مشرعة الجسر ،

---

(١٨) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢١١ ، ٢١٥ . ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، جـ ١ ، ص ١٣٥ .

(١٩) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٩٤ . ياقوت ، المشترك ، ص ٣٦٢ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٩ .

(٢٠) البلدان ، ص ٢٥٣ .

(٢١) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٩ . والأقاليم ، ص ٤١ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٦٨ . ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٣ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٣٠ . لسترانج ، بغداد ، ص ٥٥ .

وبعدها يمر تحت الباب المعقود المعروف بباب الطاق فيسير نحو الشرق حتى يصل الى باب خراسان في السور الذي شيده الخليفة المستعين بالله للدفاع عن بغداد الشرقية • وكانت تمتد على جانبي هذه السوق الدكاكين والمخازن التي تباع بها السلع على أنواعها المختلفة ، من منسوجات ومصنوعات • ومما يدل على كثرة الحوانيت في هذا السوق أنه احترق منه ألف دكان مملوءة متاعاً للتجار من جراء الحريق الذي حدث بالقرب من الجسر سنة ٢٩٢هـ - ٩٠٤م[٢٢] •

ومن رحبة الجسر أيضا يتفرع سوقان الاول هو سوق الاساكفة ، والثاني سوق الطيب ، حيث تباع العطور والزهور • وفي حواشيها الصيارف الظراف وأصحاب الطيالس ، وفاخر الملابس[٢٣] • ومن وراء هذين السوقين تمتد سوق الطعام وفيها حوانيت للخبازين والقصابين وغيرهم[٢٤] •

والى يمين باب الطاق يوجد سوق الصاغة في بناية فخمة ذات آساطين ساج عليها غرفة مشرفة[٢٥] • ثم سوق الوارقين الذي لا يبعد كثيرا عن الجسر الاوسط ، وهو كبير فيه عادة مجالس العلماء والشعراء[٢٦] • وربما

---

(٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١١١ •

(٢٣) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ •

(٢٤)) نفس المصدر والمكان •

(٢٥) عريب بن سعيد القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ، مطبعة بريل ، ص ١٥٨ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ •

(٢٦) نفس المصدر والمكان •

حاكى في هذا الامر ما كان عليه سوق عكاظ في الحجاز[٢٧] . والى الشمال يمتد سوق الرصافة ، وهو سوق عظيم فيه أنواع مختلفة من البضائع[٢٨] .

وتستد سوق خضير في الطريق المتفرع من الشارع الرئيس باتجاه الشمال ، ويقترب هذا السوق من الجسر الاعلى . وكانت تباع فيه طرائف من سلع الصين وغيرها من السلع النادرة .[٢٩] ومن هذا السوق يتفرع سوق صغير تباع فيه الجرار[٣٠] وعلى ضفة دجلة المقابلة لسوق خضير كانت تباع أحطاب الوقود[٣١] .

أما سوق يحيى ، فيشير المقدسي الى أنه كان قرب مشهد أبي حنيفة[٣٢] ويذكر اليعقوبي[٣٣] ان هذه السوق أخذت اسمها من يحيى بن الوليد . في

---

(٢٧) انظر : الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٤ ، ط ١ ، ص ٢١١ . الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص ١٥٧ . ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ١ ، ص‌ص ٨٣ — ٨٥ . المرزوقي ، الازمنة والامكنة ، ج ٢ ، ص ١٧٠ . البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٣٢٨ . احمد امين « عكاظ والمربد » مجلة كلية الآداب ، المجلد الاول ، لسنة ١٩٣٣ ، ص ٤٦ . (القاهرة) .

(٢٨) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ .

(٢٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٤ . ابن عبدالحق ، المراصد والاطلاع ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .

(٣٠) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٣ .

(٣١) لسترانج ، بغداد ، ص ١٧٢ .

(٣٢) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤٦ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤٢ . ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ص ٦٩ . الكبيسي ، عصر المقتدر ، ص ١١٤ .

(٣٣) البلدان ، ص‌ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

حين ينسبها كل من الخطيب البغدادي وياقوت الى يحيى بن خالد البرمكي الذي كان الخليفة هرون الرشيد قد منحه اقطاعا هناك ثم صار الاقطاع بعد نكبة البرامكة الى أم جعفر ، ثم أقطعها المأمون الى طاهر بن الحسين بعد مقتل الامين[٣٤] .

وكانت دكاكين سوق يحيى عالية ، على طراز باب الطاق . وهي سوق جامعة فيها دقاقون وخبازون وحلايون[٣٥] . ونستطيع أن ندرك النشاط التجاري في سوق يحيى اذا ما علمنا ان هذه السوق تقع بين مساكن الوزراء والامراء والرؤساء والموسورين ، وهؤلاء عادة تكون عندهم القدرة الشرائية كبيرة جدا فيحركون السوق .

وعلى امتداد الطريق الصاعد شمالا من سوق يحيى يقع سوق خالد البرمكي الذي هو الآخر لا يبعد كثيرا عن مرقد أبي حنيفة . وعلى مقربة منه سويقة جعفر[٣٦] . وفي الجزء الاسفل من نهر المهدي يقع سوق نصر[٣٧] ، وهو سوق صغير .

---

(٣٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٩٣ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٥ . ياقوت ، البلدان ، جـ ٢ ، ص‌ص ١٧٧ — ١٧٨ . والمشترك ، ص ٣٦٠ . انظر : الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٩ . الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ . ابن عبدالحق ، المراصد والاطلاع ، جـ ٢ ص ٦٩ .

(٣٥) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ .

(٣٦) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٧ . ياقوت ، البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٨٢ . الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٩ الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤٢.
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 23.
لسترانج ، بغداد ، ص‌ص ١٧٣ — ١٧٤ . بابو اسحق « محلة الشماسية ببغداد » ، مجلة سومر ، المجلد التاسع ، لسنة ١٩٥٣ ص ١٣٩ .

(٣٧) نسبة الى نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي الذي منحه المهدي هذه القطيعة . (انظر : الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص‌ص ٩٣ — ٩٤ . ياقوت ، البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٨٣ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤٣
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 23.

وأقدم أسواق الجانب الشرقي من بغداد هو سوق الثلاثاء[٣٨] وكانت تقوم يوم الثلاثاء لاهل كلواذى قبل أن يعمر الخليفة المنصور مدينته[٣٩] . فلما ازدهرت المدينة الشرقية أصبح سوق الثلاثاء مركزا تجاريا نشيطا امتد الى مسافة كبيرة [٤٠] ، تبدأ من الطرف الشرقي للجسر الاسفل ممتدة مع الشارع الاعظم الصاعد الى باب الطاق . ومما زاد في أهمية هذه السوق أنها أصبحت من أهم محلات بغداد الشرقية المكتظة بالسكان[٤١] . والى الجنوب الشرقي من سوق الثلاثاء يقع سوق الرياحين الذي لا يبعد كثيرا عن دار الخلافه . وفي هذا السوق اثنان وعشرون دكانا ، وبقربه سوق للعطارين فيه ثلاثة وأربعون دكانا ، اضافة الى ستة عشر دكانا فيها مواد الذهب[٤٢] .

ويعد سوق العطش من أسواق الرصافة التي نالت عناية الخلفاء وبعض كبار رجال الدولة ، ذلك أن هذا السوق كان يقع في أهم واكبر محلة بالجانب

---

(٣٨) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٦ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٩ . أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٥ . ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ١٧٦ . وكتاب المشترك وصفا ، ص ٣٦٠ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ص ٥٦ .

Ibn Serapion, Op. Cit., P. 22.

لسترانج ، بغداد ، ص ١٩٦ ، ١٧٢ . دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٦ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١١٧ .

(٣٩) ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ١٧٦ . والمشترك ، ص ٣٦٠ . ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٥ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٨ . ابن عبدالحق ، المراصد والاطلاع ، ج ٢ ، ص ٦٩ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤١ . دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٦ .

(٤٠) ياقوت ، المشترك ، ص ٣٦٠ . أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٥ . الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٦٨ و ١٤١ . الشنتناوي ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ١٢ ، ص ٣٨٥ .

(٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠٦ .

(٤٢) ياقوت ، البلدان ، ج ٤ ، ص ٨ . والمشترك ، ص ٣٦٠ . البستاني ، دائرة المعارف ، المجلد ٧ ، ص ٥٤٢ .

الشرقي ، بناه صاحب الشرطة سعيد الخرشي[٤٣] للخليفة المهدي ، وحول اليه كل ضرب من التجار حتى يضعف النشاط التجاري بأسواق الكرخ ، وكان المهدي قد سماه « سوق الرى » ، فغلب عليه (سوق العطش)[٤٤] وكأنى بالخليفة المهدى ، أراد أن يثبت للناس بأنه لا يقل مقدرة عن أبيه المنصور الذي كانت له الريادة في اختيار حاضرة الخلافة العباسية التي بقيت مركزا لهذه الدولة ما يقارب الخمسة قرون .

وتتصل بداية سوق العطش بسويقة الخرشي وداره والاقطاعات التي أقطعها له المهدي هناك[٤٥] وبنفس محلة سوق العطش تقع دار الوزير علي ابن محمد بن الفرات[٤٦] ، ودار الوزير محمد بن مقلة[٤٧] . ويرجح ياقوت أن سوق العطش يقع بين الرصافة ونهر المعلى[٤٨] ، غير أنه يعود فيقول :

---

(٤٣) ورد (الخرشي) في اليعقوبي ، البلدان ص ٢٥٣ . (كما ورد الحرشي) في الطبري ، ج ٩ ، ص ١٨) ، (وجاء في (تاريخ بغداد) الخرسي ، الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص ٩٣) . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٦ .

(٤٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ص ٢٥٢ — ٢٥٣ . الصابي الوزراء ، ص ٢٣ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٣ . ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ص ١٧٦ — ١٧٧ . والمشترك ، ص ٣٦٠ . ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ٦٩ . لسترانج ، بغداد ، ص ص ١٩٠ — ١٩١ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٤٩ .

(٤٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ص ٩٣ — ٩٤ . ياقوت ، المشترك ، ص ٣٦٠ . لسترانج ، بغداد ، ص ١٩١ .

(٤٦) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ص ٧ — ٨ و ٩١
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 22

(٤٧) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٨٧ .

(٤٨) سمى هذا النهر « المعلى » نسبة الى احد القواد المقربين للخليفة هرون الرشيد . (انظر : الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٦ — وابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٩) . (بينما يقول أبو الفداء — البلدان ، ص ٣٥٣ أن هذا النهر منسوب الى مولى المنصور) .

« وقيل ان سوق العطش بين باب الشماسية والرصافة تتصل بمسناة معز الدولة »[٤٩] .

واختير موضع سوق الدواب على الضفة اليمنى من نهر موسى[٥٠] بعد اجتيازه السور الذي أقامه الخليفة المستعين بالله عام ١٥١ – ٨٦٥م[٥١] . وهو بذلك يقع في الطرف الشرقي من هذا الجانب من بغداد ، بعيدا عن مواقع السكن ، وقد سبق أن شاهدنا نظير هذا السوق في الجانب الغربي[٥٢] .

وكانت تباع في سوق الدواب أنواع الحيوانات[٥٣] . وبالضرورة تطلب الامر وجود اسواق يباع فيها ما تعلف به هذه الحيوانات ، لذا وجد على نفس امتداد شارع سوق الدواب ،سوق للعلافين ، وسوق لباعة التبن ، يقعان في جنوب نهر موسى[٥٤] ، ومابين باب المخرم[٥٥] وباب المقير[٥٦] .

---

(٤٩) ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص‌ص ١٧٦ – ١٧٧ . انظر كذلك : اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٢ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٣ . ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ٦٩ .

(٥٠) Ibn Serapion, Op. Cit., P. 22

(٥١) انظر الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ و ٢٨٧ .

(٥٢) انظر صفحة ٩١ و ٩٢ من هذا البحث .

(٥٣) لسترانج ، بغداد ، ص ١٨٨ و ١٩٥
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١١٩ .
Ibn. Serapion, Op. Cit., P. 21.

(٥٤) لسترانج ، بغداد ، ص ١٩٥ .
Ibn Serapion, Op. Cit., P. 22

(٥٥) المخرم : سمى المخرم ببغداد مخرما لان مخرم بن شريح بن حزن الحارثي نزله . (انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ج ٢ ص ٣٦٢ . والخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٥) . (انظر : ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٧ و ٦٤ وتقع محلة المخرم جنوب الشماسية ويفصلها عن الاخيرة طريق خراسان او الطريق الشرقي . (انظر : لسترانج ، بغداد ، ص ١٨٨ .
Ibn. Serapion, Op. Cit., P. 23.

(٥٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٥٣ – ٢٥٤ .

وعند الباب الاخير ينحرف الطريق شمالا ويقترب من قصر احمد الخصيب وزير الخليفة المقتدر بالله (٥٧) الذي تقع بقربه سويقة الحجاج الوصيف أحد موالى المهدي(٥٨) .

وفي جانب الرصافة أيضا سوق يدعى « سوق السلاح » يقع في محلة تحمل نفس الاسم(٥٩) . ويكون موضع هذا السوق وراء بستان الزاهر الواقع على دجلة عند مصب نهر موسى(٦٠) .

وهكذا أخذت الرصافة بالنمو والتوسع ، بحيث اصبحت تزاحم بغداد الغربية في ضخامة قصورها(٦١) ، وسعة وتنظيم ونشاط أسواقها(٦٢) .

---

(٥٧) الكبيسي ، عصر الخليفة المقتدر بالله ، ص ٢١٣ .

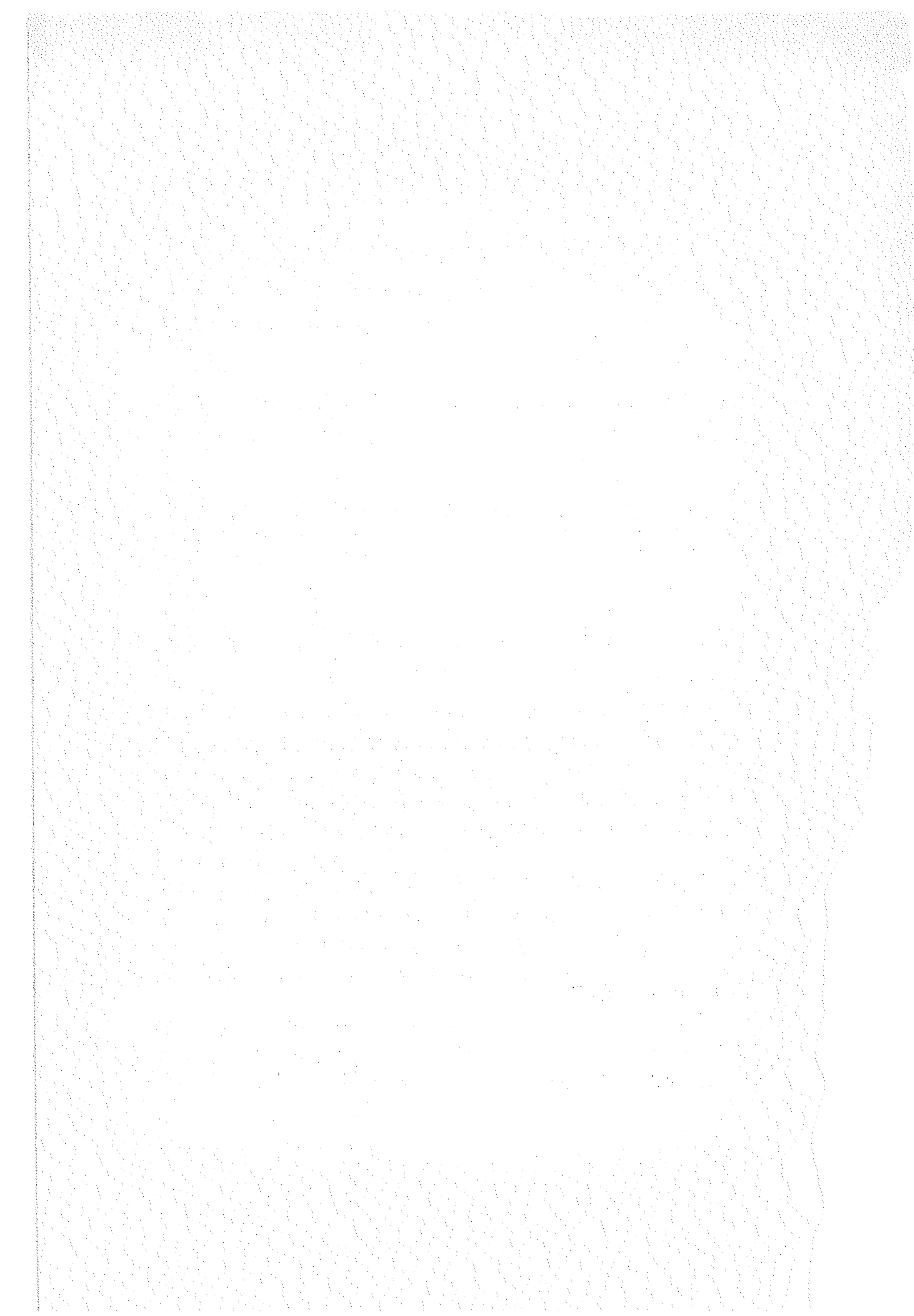
(٥٨) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٨ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٦ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤٢ . لسترانج ، بغداد ، ص ١٩٤ .

(٥٩) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٧ . ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ١٧٦ . والمشترك ، ص ٣٦٠ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤١ . ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، ج ٢ . ص ٦٩ .

(٦٠) جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ص ١٢١ .
Ibn Serapion, op. cit. P. 21.

(٦١) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٥ — ١٧ و ١٩ . ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢١١ و ٢١٦ .

(٦٢) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ١٣٥ . ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢١٥ .



الباب الثاني

النشاط التجاري في أسواق بغداد

الفصل الاول : العوامل المؤثرة في النشـــاط التجـــاري بأسواق بغداد

١) تطور المجتمع واجراءات المسؤولين .
٢) الزيادة في رواتب الموظفين .
٣) زيادة أرزاق الجنـــد .
٤) منح الخلفاء والوزراء .
٥) الاستقرار السياسي في بغداد .
٦) معوقات النشاط التجاري في أســواق بغـــداد .

الفصل الثاني : تخصص الاسواق وتعددها :

١) تخصص اسواق الكرخ .
٢) تخصص أسواق الرصافة .
٣) الاسواق الجامعة .

الفصل الثالث : السلع الواردة على أســـواق بغـــداد والصادرة عنها :

١) الطرق المؤدية الى بغداد .
٢) السلع الواردة على أسواق بغداد .
٣) المعوقات التي قد تعرقل وصول السلع الى أسواق بغداد .
٤) المواد الصادرة عن أسواق بغداد .

الفصل الاول

العوامل المؤثرة في النشاط التجاري بأسواق بغداد

تطور المجتمع واجراءات المسؤولين :

لم تكد الدولة العباسية تتخذ بغداد عاصمة لها حتى أقبل الناس عليها من كل مكان[1] . وتكاثفت فيها مساعى رجال المال والاعمال مع الدولة على اقامة الاسواق والمنشآت التجارية[2] . كما تضافرت الجهود والايدي لتوسيع هذه المنشآت وزيادة عددها عندما نشطت حركة الاسواق وباتت لا تسد الحاجة[3] .

وأيقن المنصور ، أن قوة الدولة وزيادة منعتها وثروتها وعزها ، تتوقف على سعادة أفرادها ورضاهم . لذا آل على نفسه ألا يرهق رعيته بالضرائب[4]، فلم يضع على الاسواق غلة[5] . وهكذا ظلت أسواق بغداد معفاة من هذه الضريبة أكثر من عشر سنوات ، وبذلك أستطاعت خلال هذه الفترة أن تنتعش وتنشط قبل أن تثقل بهذه الضريبة المحدثة التي وضعها المهدي على الاسواق

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ و ٢٥١ . الثعالبي لطائف المعارف ، ص ١٧٠ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، (مطبعة لجنة البيان العربي) ، ص ٣٦١ . اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٤٢ و ٢٥٢ . الطبري ، م ـ ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٣ و ٦٥٥ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٣٨ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٩ و ٧٩ ـ ٨٠ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٢ ، ٢٥١ . الطبري ، م ـ ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧١ . ابن الجوزي، مناقب بغداد ، ص ٣٠ ـ ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ . الألوسي ـ اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ .

(٤) حسن محمود ، العالم الاسلامي ، ص ١٨٦ .

(٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٨٠ ـ ٨١ .

عام ١٦٧هـ ـ ٧٨٣م(٦) • فكان من جراء ذلك أن أثرت البلاد ، وأخذ الناس يشعرون بالرخاء ، ولاسيما في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري(٧) • ومن المؤكد أن النشاط التجارى بأسواق بغداد ، له صلة قوية بالرخاء الاقتصادي الذي يعيشه المجتمع •

ومع أنه لم يكن قد مضى نصف قرن على انشاء بغداد ، الا أنها احتلت المقام الاول في الثروة والرخاء ، وأصبحت من مدن العالم الكبرى ، ومركزا تجاريا مهما(٨) • وليس من المستغرب أن تبلغ أسواقها أوج عظمتها خلال هذه الفترة •

وبلا ريب ، فأن نشاط وأزدهار أسواق بغداد كان متناسبا مع درجة تقدم الدولة التي هي عاصمتها ، حتى قيل انه : « لم يكن لبغداد في الدنيا نظير ، في جلالة قدرها، وفخامة أمرها، وكثرة علمائها وأعلامها،وتميز خواصها وعوامها وعظم أقطارها وأطرارها(٩) ، وكثرة دورها ومنازلها وشعوبها ومحلاتها وأسواقها »(١٠) فهذا الاطراء البليغ الذي اسبغه مؤلف كتاب «تاريخ بغداد » لخير شاهد على ما بلغته العاصمة العباسية من السعة وانشاط التجاري • وليس من شك في ان الخلفاء وقصورهم ، وما تحتاج اليه ، كانت من العوامل الرئيسة المحركة للنشاط التجاري بأسواق بغداد • فاذا ما ألقينا نظرة سريعة على زاوية من زوايا دار الخلافة نجد فرش الديباج المثقلة بالذهب• والطنافس الكبيرة النفيسة المنقوش عليها الصور البديعة(١١) ، وأنواع الدرر ، وخزانة الطيب وغيرها(١٢) •

---

(٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٨١ .

(٧) نفس المصدر والمكان . (أصبح دخل مزارع الرز حوالي ١٠٠ دينار شهريا) انظر : التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ١ ، ص ٥٥ .

(٨) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، صص ٣٠ ــ ٣١ .

(٩) اطرار : جمع طر : وهو شفير النهر أو الوادي . اي طرف كل شيء

(١٠) الخطيب البغدادي . بغداد ــ جـ ١ ، ص ١١٩ .

(١١) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ .

(١٢) نفس المصدر ، جـ ٧ ، ص ٢١٧ .

ونستطيع ان تتلمس أحد عوامل النشاط التجاري بأسواق بغـداد في الرخاء والرفاه الذي عاشه سكان المدينة منذ خلافة المهدي ، وكان ذلك فاتحة لنشر حياة الترف في المجتمع ، وظهور الميل الى البذخ والاسراف في الكماليات . وعلى الرغم من ان هذا الاتجاه كان نتيجة طبيعية لنمو الدولة ، ولكن المهدي أفرط فيه فأصبح بادرة خطيرة لعبت دورها في زعزعة كيان الدولة فيما بعد[١٣] . وصار سكان العاصمة يتفننون في تناول مالذ وطاب من ألوان الطعام ، ويطلبون الجديد من اللباس والزينة ، والآنية الفاخرة فتوسعوا في الملـذات الى حـد الافراط وبرزت فيهم ظاهرة الاستمساك بالدنيا والتماس النعيم منهـا[١٤] . ويتعاطون الماء مذابا فيه السكر بعد أن يعطر بماء البنفسج او سائر الزهور . ويتعاطى الناس الشراب الوانا ، واتخذ المترفون الندماء واشترطوا فيهم شروطا دقيقة ، من خفة الروح ، وحسن الحديث ، وحفظ السر . وكان صاحب البيت عادة يعطر ضـيوفه بالمسك او بماء الورد[١٥] .

وأستخدم البذخ في البلاط ، وبنوع خاص في الاحتفالات الرسـمية كتنصيب خليفة جديد ، او في أعراس الخلفـاء والامـراء[١٦] ، ومواكـب

---

(١٣) عبدالرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ج ٢ ، مطبعة لجنـة البيان العربي (القاهرة ١٩٦٥) ، ص‌ص ٨٤٠ – ٨٤١ .

(١٤) الصابي ، الوزراء ، ص ١٩٥ . الازدي ، حكاية ابي القاسم البغدادي ص‌ص ٢٣ – ٢٤ .

(١٥) أحمد أمين ، هرون الرشيد ، ص ٥٤ .

(١٦) الطبري ، م – ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٦٠٨ – ٦٠٩ و ج ١٠ ، ص ٣٠ . ابن طيفور ، بغداد ، ص ١١٥ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ . احمد بن الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، مطبعـة حكومـة الكويت (الكويت ١٩٥٩) ص‌ص ٩١ – ٩٢ . الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠١ . داود بن عمر الانطاكي الاكمة ، تزيين الاسواق (القاهرة : ١٢٩١ هـ) ، ص ١١٧ . محمد بن ابراهيم بن دقماق ، الانتصار لواسطة عقد الامصار ، ج ٤ – ص ٦٧ .

الحج[١٧] ، أو في حفلات الختان [١٨] ، كل هذا يدل على أن هذا العصر كان عصر بذخ واغراق في الترف .

وتعتبر وليمة زفاف هرون الرشيد على زبيدة ، من أعظم الولائم ، لكثرة ما وهب بها من أموال ، التي قدرت كما قيل بحوالي خمس وخمسين مليون درهم[١٩] . وكذلك زفاف بوران على المأمون ، الذي قدر ما خرج فيه من بيت المال بأربعين مليون درهم[٢٠] . وأقام الحسن بن سهل ولائم بمناسبة هذا الزواج أظهر فيها ضروب الكرم والسخاء ، فانفق ما يقارب خمسين مليون درهم[٢١] . وسيدات البلاط العباسي اللواتي حضرن حفل الزفاف جلبو الانتباه لجمالهو الاخاذ ، وفخامة ملابسهن[٢٢] . وأقام المأمون وليمة لمجالسيه من الفقهاء ، فوضع على المائدة أكثر من ثلاثمائة لون من الطعام[٢٣] .

وقدم لنا الخليفة المتوكل على الله نموذجا للبذخ لا مثيل له في وليمته لما أعذر ابنه المعتز ، فقد أحصيت نفقات الختان فبلغت ستا وثمانين مليون درهم ونيف[٢٤] . ولكثرة ما بذخ في تلك الوليمة من مال وطعام « سميت

---

(١٧) الريس ، الخراج ، ص ٤٢٩ — ٤٣٠ .

(١٨) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٧ . الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠٠ .

(١٩) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص‌ص ٩١ — ٩٢ . الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠٠ . الاكمة ، تزيين الاسواق ، ج ٢ — ص ١١٧ .

(٢٠) الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠١ . الاكمة ، تزيين الاسواق ، ج ٢ ، ص ١١٧ . (وفي التنوخي ، خمسين مليون درهما — الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ص ٦) .

(٢١) ابن طيفور ، بغداد ، ص ١١٣ . ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص‌ص ٣٢ — ٣٣ و ٩٨ — ٩٩ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٣٠ . ولطائف المعارف ، ص‌ص ١٢٠ — ١٢٣ .

(٢٢) الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص‌ص ١١٧ — ١١٨ و ٢١٥ . سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣٢ . المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٢٤ . الريس ، الخراج ، ص‌ص ٤٠٦ — ٤٠٧ .

(٢٣) ابن طيفور ، بغداد ، ص ٣٦ .

(٢٤) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١٩ .

بدعوة الاسلام الثانية ، في حين أن دعوة الحسين بن سهل في زواج المأمون بينته بوران قد عرفت بدعوة الاسلام الاولى »[٢٥] .

وبلغت نفقات قطر الندى عندزواجها من المعتضد بالله ، عشرين الف الف دينار[٢٦] ، في حين كان صداقها مليون درهم[٢٧] . وكانت نعال السيدة أم الخليفة المقتدر تطلى بالمسك والعنبر[٢٨] . وكان الوزير حامد بن العباس ينفق في كل يوم على مائدته مائتي دينار ، وفي داره نيف وثلاثون مائدة منصوبة ، على كل واحدة ثلاثون شخصا[٢٩] . وما كان يروى عن موائد الوزير على بن الفرات قد لا يصدق ، ففي داره مطبخان : مطبخ العامة ، ومطبخ الخاصة ، ويصعب أن يحصى ما كان يدخله من الحيوان لكثرته[٣٠] ، وكانت ألوان الطعام توضع وترفع على مائدته أكثر من ساعتين ، وفي داره ماء مبرد يسقى منه جميع من يريد الشرب من الرجالة والفرسان والاعوان ، وبرسم الشراب خدام نظاف. ويوم تولى الوزارة « استهلك أربعين ألف رطل[٣١] ثلج[٣٢] » .

---

(٢٥) ابن طيفور ، بغداد ، ص ١١٣ .

(٢٦) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦٧ . الوطواط ، غرر الخصائص ص ٢٢٢ .

(٢٧) ابن دقماق ، نزهة الانام ، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ورقة ٩ .

(٢٨) التنوخي ، نشوار ، ج ١ (دار الصياد) ، ص ٢٩٢ .

(٢٩) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣٧ .

(٣٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٢١٦ .

(٣١) الرطل : هو اثنا عشرة أوقية (المقريزي . النقود الاسلامية ، ص ١٩٤ . وهو اكثر وحدات الوزن استعمالا في المشرق العربي ، وكان الرطل البغدادي يساوي الرطل الشرعي . وفي قول احدى المدارس الفقهية يساوي ١٢٨ و٤/٧ درهما – وفي قول مدرسة أخرى – ١٣٠ درهما . ويبدو أن القيمة الثانية (١٣٠ درهما = ٤٠٦ر٢٥ جم) كانت هي الراجحة في الوجهة العملية وبناء على ذلك فقد اعتمدناها . (انظر : هنتس ، الاوزان ، ص‌ص ٣٠ و ٣٥) .

(٣٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٢١٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣٨ .

هذا وكانت الطبقة (الممتازة) والغنية تشكل قوة شرائية كبيرة تمتص اكثر ما كان يعرض في أسواق بغداد من سلع وحاجيات ، ذلك أن حاجاتها المعاشية وزيادة دخلها ومتطلباتها الاجتماعية ، خلقت قوة دافعة للنشاط الاقتصادي في أسواق مدينة السلام • وفي نفس الوقت حملت التجار على أن يضربوا في الامصار لارضاء تلك الاحتياجات المتنوعة المتزايدة •

ولم تكن مثل هذه المظاهر الاجتماعية مقتصرة على الطبقة العليا في المجتمع ، اذ أن العامة أخذت في التماس وجوه الملذات بعد تقلبهم في الاسفار التي اكسبتهم التجارب ، ووسعت أفق تفكيرهم ، وجلبت عليهم الاموال فعمرت عندهم الاسواق لاندفاعهم في أقتناء الاشياء للزينة والمباهاة[٣٣] •

وقد ربط « أحمد أمين »[٣٤] التطور الحضاري الذي طرأ على حياة المجتمع البغدادي ، بالحياة الاقتصادية • ورأى أن التقدم الحضاري يتبعه نشاط وتطور اقتصادي وان ما يطرأ على المجتمع من تغير في العادات والاخلاق ونمط الحياة الاجتماعية والعلمية والفنية ، ليس الا نتيجة طبيعية لما طرأ عليهم من تغير اقتصادي •

كما كان للميراث الحضاري أثره في هذا المجال • وندرك ذلك من النظرة الفاحصة في موضوع الاشتغال بالتجارة وما يدر من كسب عن طريقها • فقد سئل أحمد بن حنبل عن : « أربعة دراهم : درهم من تجارة برة ، ودرهم من صلة الاخوان ، ودرهم من التعليم ، ودرهم من غلة بغداد • فقال : ما منها شيء أحب الي من التجارة »[٣٥] • ثم أن توسع المدن الاسلامة ، وتعدد دور الضرب ومهارة الذميين في التبادل النقدي ، وظهور نظام المصارف ، كل

---

(٣٣) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، صص ١١٧ — ١١٨ و ٢١٥ المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٢٤ . الريس ، الخراج ، صص ٤٠٦ — ٤٠٧ .

(٣٤) ضحى الاسلام ، ج ٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٥٢) ، ص ٣ .

(٣٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٥ .

ذلك ادى الى تنشيط الحركة التجارية في أسواق بغداد[٣٦] .

وحتى البسة الناس تعددت وتنوعت ، فكان للخلفاء لباس خاص ، وكذلك حال الوزراء ، والامراء والقضاة وعامة الناس . هذا فضلا عما في الملابس في اختلاف بين الصيف والشتاء ، وفي المناسبات العامة . واذا ما ارتدى الشخص لباساً واحداً لفترة طويلة عابوا عليه ذلك ، مما يضطره ان يقتني ثيابا مختلفة لمناسبات متباينة حتى يتجنب السنة الناس[٣٧] . وبلغت قيمة ثوب القاضي عمر بن يوسف سبعين دينارا[٣٨] .

والخلاصة أن التغير السياسي الذي شهده المجتمع صحبه تطور حضارى سريع أدى الى نقلة المجتمع من حالة الى أخرى جديدة تطلبت حياتها اليومية كثيرا من السلع التي باتت ضرورية لهذا اللون من الحياة .

ويبدو ان الخليفة المنصور مؤسس بغداد ، لم يكن يدر في خلده أن تصل الاسواق في حاضرة الخلافة العباسية الى ما وصلت اليه من الحركة والنشاط والسعة والازدهار التجاري .

والاجراء الذي اتخذه الخليفة الثاني ، والقاضي بنقل الاسواق من داخل المدينة المدورة الى خارج الاسوار ، هو في حد ذاته عامل اساس ساعد على توسع أسواق العاصمة ونشاطها[٣٩] .

---

(٣٦) السيد الباز العريني (الدكتور) ، « كتاب عن الحسبة في بيزنطة في القرن العاشر الميلادي » . مجلة كلية الاداب ، المجلد التاسع عشر ، ج ١ ، لسنة ١٩٥٧ ، ص ١٣٥ .

(٣٧) الجاحظ ، البيان والتبيين ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت : ١٩٥٩) ص ٦٠ — ٦٢ . والتاج في اخلاق الملوك ، المطبعة الاميرية (القاهرة ١٩١٤) ص ١٥٤ .

(٣٨) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١٠ ، ص ١٦ .

(٣٩) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٥٢ ، الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٢٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ و ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .

ثم ان بناء المنشآت العسكرية والسكنية والتجارية في جانب الرصافة(٤٠) هو عامل آخر عمل على توسع وازدهار أسواق بغداد ، اذ حدث نوع من التنافس التجاري بين اسواق الجانبين ، كان يشجعه ويغذيه بعض المسؤولين(٤١) ، وهذا الامر عمل على تطور الاسواق وازدهارها ، كما ساعد على امتداد المنشآت السكنية على جانبي نهر دجلة حتى بلغت مساحتها (٥٣٧٥٠) جريبا . منها (٢٦٧٥٠) جريبا في الجانب الشرقي ، و (٢٧٠٠٠) جريبا في الجانب الغربي(٤٢) . كما بلغ تعداد سكان بغداد ـ وهي في أوج عظمتها ما يقرب من مليون ونصف نسمة(٤٣) .

لذلك تطلب الامر اقامة جسور لتربط جانبي العاصمة الشرقي والغربي وتسهل عبور السابلة والنشاط التجاري . والمراجع تشير الى ان الخليفة المنصور كان قد بنى أول جسر أوصل به جانب الرصافة بجانب الكرخ عام ١٥٧هـ ـ ٧٧٣م . ويبدو أن الخليفة شعر أن هذا الجسر لم يعد يفى بالحاجة المتزايدة التي صارت تتطلبها مدينته الجديدة الاخذة في النمو والتوسع المطردين ، لذا أمر بعقد ثلاثة جسور(٤٤) ، وعقد محمد المهدى جسرين ، كما

---

(٤٠) البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة بيروت) ص ٤١٤ و (طبعة لجنة البيان العربي) ، ج ٢ ص ٣٦١ . الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٣٧. الخطيب ، البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٢ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٢ ـ ١٣ ـ ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٣ . لسترانج ، بغداد ص ١٤٩ و ١٦٣ ـ
Coke, Baghdad, P. 40.

(٤١) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٣ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص‌ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(٤٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٧ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٥ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٦ . (في حين كانت مساحة بغداد عند بنائها ١٣٠ جريبا .

(٤٣) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٧٦ . سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٨٣ . احمد امين ، هرون الرشيد ص ٦٣ .

(٤٤) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٥ .

عقد الرشيد عند باب الشماسية جسرين آخرين وبذلك اصبح عدد الجسور المعقودة على نهر دجلة ، والتي ربطت جانبي بغداد سبعة[٤٥] .

وأتخذت الدولة بعض الاجراءات التي كان يقصد بها تيسير أمر التجارة فقد ألغى المنصور ضريبة الحنطة والشعير التي كانت تدفع نقداً وأدخل نظام المقاسمة . وكان ذلك من العوامل المنشطة للانتاج الزراعي ، الذي بدوره أدى الى زيادة النشاط التجارى في أسواق المدينة . ولما رأى المهدى أن الجباة يبتزون اموال الفلاحين ، منعهم من الاشتطاط أثناء عملهم . وجعل المقاسمة حسب نوع السقى ، مستهدفا مصلحة الفلاحين[٤٦] .

وفي سنة ٢٠٤هـ – ٨١٩م خفض المأمون ضريبة الارض فاصبح يجبى الخمسين بدلاً من النصف[٤٧] . وفي سنة ٢١٠هـ – ٨٢٥م أمر بأعدام أربعة أشخاص ذكر انهم تسببوا في أحراق سوق العطارين والصيارفة والصفارين والفرائين[٤٨] . وترك الواثق بالله جباية أعشار سفن البحر عام ٢٣١هـ – ٨٤٥م[٤٩] . وكان المعتضد بالله قد اسقط ضريبة المكس[٥٠] . وأمر الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥هـ – ٩٠٧م بهدم الحوانيت التي بناها سلفه المكتفي بالله

---

(٤٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ١١٥ – ١١٦ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٥ .

(٤٦) عبدالرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي ، الاستخراج لاحكام الخراج ، ورقة ١٠ – ب . سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٦٧ . الدور ، حضارة الاسلام ، ص‌ص ٨٨ – ٨٩ .

(٤٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٤٨) ابن طيفور ، بغداد – ص ٩٨ .

(٤٩) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ . (وفي الكامل لابن الاثير ، تم هذا الاجراء سنة ٢٣٢ هـ . انظر ج ٥ ، ص ٢٧٧) .

(٥٠) الاسحاقي ، اخبار الدول ، ص ٩١ .) والمكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق . انظر : المصباح ، ج ٢ ، ص ٧٩٣ . والمقدسي ، احسن التقاسيم ص ١٠٤) .

في رحبة باب الطاق ببغداد الشرقية لانها كانت تلحق الضرر بصغار الباعة الذين كانوا يقعدون فيها لتجارتهم بلا اجر[٥١] .

ويبدو أن الخليفة المنصور قد شدد الرقابة على أسواق بغداد ، وتابع ارتفاع الاسعار فيها[٥٢] . وكان الخليفة يختار لهذه المهمة رجالا أتصفوا بالورع والتقوى والمكانة[٥٣] ليراقبوا الاسواق ويمنعوا الغش والتدليس والتطفيف[٥٤] .

ولشدة أهتمام الخلفاء بالاسواق كان بعضهم يتفقد أحوالها وما يجرى فيها بنفسه ، ليطمئن على أن الامور تسير وفق المصلحة العامة[٥٥] . وفي مثل هذه الاحوال كان الخليفة الرشيد قد تزيا بزي التجار وتفقد أحوال أسواق بغداد ، كما أكد على محتسب بغداد بضرورة مراقبة الاسواق والاشراف على الموازين والمكاييل ومراعاة أثمان الحاجيات ، منعا للغش او ابتزاز أموال الناس[٥٦] . وكانت السلطة تضع على الاسواق حراسا في الليل منعا للسرقات[٥٧] .

وشعر المسؤولون أن النشاط التجاري في بغداد يتطلب تنشيط الطرق الموصلة الى العاصمة وتأمينها ، والى وسائل النقل . فكانت اكثر السلع تصل الى أسواق العاصمة بالطرق المائية التي هي أنسب من المواصلات البرية وأكثر

---

(٥١) عريب ، الصلة ، ص ٢٤ .

(٥٢) الطبري ، م ـ ق ، جـ ٨ ، ص ٩٦ .

(٥٣) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٦ ـ ٧ و ١٠ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٧ ـ ٨ .

(٥٤) ابن الرفعة ـ الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٣ ـ ب . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٥ .

(٥٥) محمد دياب الاتليدي ، اعلام الناس ، (مصر : ١٣٠١ هـ) ، ص ٦٧ . شفوات ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٧ .

(٥٦) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧ . المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٥١ .

(٥٧) علي بن محمد الماوردي ، الاحكام السلطانية ، مطبعة الوطن ، (مصر : ١٢٩٨ هـ) ص ٢٤ .

ضمانا وأسرع في بعض الاحيان • وكان دجلة والفرات أهم ممرين يصلان الى عاصمة الخلافة العباسية ، فيربطان الاقسام العليا من العراق بالخليج العربي عبر بغداد • وبذا طفقت السفن التجارية تسير في الرافدين ونهر عيسى وهي محملة بالسلع المختلفة ومتجهة نحو بغداد ، وكان هذا من شأنه تنشيط التجارة في اسواق العاصمة ، وبينها وبين موانيء الخليج العربي والشرق الاقصى (٥٨) •

وتتكرر الاشارات الى طريق دجلة اكثر من طريقي الفرات ونهر عيسى ، اذ قدر عدد السميرات(٥٩) المتواجدة في نهر دجلة قرب بغداد بما يقرب من ثلاثين ألفا ، بلغ كسب ملاحيها في كل يوم تسعين الف درهم(٦٠) • وأصبح في الامكان تحويل السفن التجارية والحربية ـ على مقربة من بغداد ـ من نهر دجلة الى نهر الفرات ومن الفرات الى دجلة أيضا(٦١) • ولعل ذلك راجع الى

---

(٥٨) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٣٣٨ ، ٤٦٩ . الصولي ، الاوراق ، ص ٢٠٦ . عريب ، الصلة ، ص ٩٠ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص‌ص ١١٩ ـ ١٢٠ و ٤٨١ . الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٧٥ . الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٩ . جورج فضلو حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهرة : ١٩٥٨) ، ص ١٩٦ .

(٥٩) السميرات : مفردها سميرة ، وهي نوع من السفن والمراكب النهرية ، وقد تستعمل لنقل الركاب (انظر : حبيب زيات ، « معجم المراكب والسفن في الاسلام » ، مجلة المشرق ، ج ٣ و ٤ ، لسنة ١٩٤٩ ، ص ٣٤٢) .

(٦٠) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ . الصولي ، الاوراق ، ص ٢٤٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٧ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٤ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٥٣ . ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢١١ .

(٦١) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ١٧٥ ـ ١٧٦ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٥٣ .

أن نهر دجلة كان صالحا للملاحة حتى آقسامه العليا ، وكان السير فيه من بغداد الى الخليج العربي أسهل من بقية أجزائه لان النهر يتسع في هذا الجزء ، وتقل فيه الموانع ، كما تقل سرعة تياره . ولما هدد القرامطة بغداد سنة ٣١٥هـ - ٩٢٧م رصف الناس ضفاف النهر بالقوارب ونقلوا اليها أمتعتهم وتهيأوا للنزول الى واسط(٦٢) . وكان نهر دجلة يستخدم للنقل شمالا في اتجاه معاكس لتيار الماء حتى مدينة الموصل . وعلى الرغم من أن تياره كان قويا شمال تكريت ، فان القوارب والسفن التجارية الصغيرة كانت تسير فيه بمعدل فرسخين في اليوم(٦٣) .

وان اختراع العرب للبوصلة البحرية ساعدهم على القيام برحلات بعيدة طلبا للتجارة ، وغدت البصرة ثغرا تجاريا هاما تتجر مع الهند والصين . ونشطت قوافل بغداد المتجهة الى أواسط آسيا وشمال الهند بمحاذاة الخليج العربي(٦٤) وامتدت تجاراتهم الى بحر قزوين(٦٥) ، والبحر الاسود(٦٦) ، ووصلوا الى القسطنطينية(٦٧) وتوغلوا في روسيا(٦٨) ، حتى وصلت النقود

(٦٢) عريب ، الصلة ، ص‌ص ١٣١ - ١٣٢ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٧٥ و ١٧٩ - ١٨٠ . ابن الاثير . الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٨ .

(٦٣) الصولي ، الاوراق ، ص‌ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٦٤) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٢٢ . الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٠٥ . الصولي ، الاوراق ، ص ١٩٢ و ٢٠٦ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤٠٢ و ٤٤٢ . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص‌ص ٦٦ - ٦٧ و ٧٠ - ٧١ و ١٥٣ - ١٥٥ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١١ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٨٣ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١١٨ .

(٦٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٨٠ و ٣٩٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣١٨ .

(٦٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٥٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٦٥ .

(٦٧) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٧ .

(٦٨) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٤ .

العباسية الى شواطيء بحر البلطيق[٦٩] •

وخلال هذه الفترة كان المحيط الهندى بحر أمن وسلام ، فقد كانت سواحله العربية والفارسية تحت سيطرة العباسيين ، مما ساعد على التوسع التجارى مع الشرق[٧٠] • وتحتوى الحوليات الصينية على وصف دقيق للطريق الذي سلكته السفن التجارية منذ القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) من كانتون الى بغداد[٧١] ، وكان التجار المسلمون قد ظفروا ، من حكام الصين بحق رفع أقضيتهم الى قاض منهم[٧٢] •

وكان للتجار المسلمين محطات تجارية على الطريق البرية ، وكانت توجد في سمرقند جالية عراقية تجارية ، كما وجدت جاليات اسلامية في كثير من الدول التي يحكمها غير المسلمين ، كبلاد الخزر والهند والصين ، والقسطنطينية[٧٣] • وكان تجار بغداد الذين يفدون الى تلك المناطق يلاقون تأييدا من هذه الجاليات تسهل أمر اتمام معاملاتهم التجارية في تلك البلاد النائية • وكان في بلاد البلغار جماعة من التجار المسلمين وبعض الصناع العراقيين ، وفي مصر جاليات من اليهود العراقيين يشتغل بعض أفرادها وكلاء لتجار بغداد[٧٤] •

ولعل أهم ما يوضح لنا مكانة بغداد ونشاط أسواقها ، كثرة ما يورد

---

(٦٩) متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٧٤ . سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص‌ص ٣٩٤ — ٣٩٥ •
Lewis, the Arab in History, P. 88.

(٧٠) حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ص ١٩٠ •

(٧١) نفس المصدر ، ص ٢٠٠ •

(٧٢) متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ . حوراني ، العرب والملاحة ص ٢١٧ •

(٧٣) محمد جمال الدين سرور (الدكتور) تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، مطبعة المعارف (القاهرة : ١٩٦٥) ، ص‌ص ١٥٩ — ١٦٠ •

(٧٤) عبدالعزيز الدوري (الدكتور) ، تاريخ العراق الاقتصادي في الرابع الهجري ، (بغداد : ١٩٤٨) ص ١٥٥ •

لنا الخطيب البغدادي[٧٥] من الاحاديث والروايات التي تؤكد ان من لم يـر بغداد فكأنه لم ير الدنيا ولا رأى الناس . والذي رأى بغـداد فكأنه رأى الارض كلها ، لان بغداد حاضرتها ، وبلغت اجرة أسواق بغداد (١٢) مليون درهم سنويا[٧٦] .

فبغداد كانت حاضرة العالم الاسلامي في ذلك العصر ، وملتقى كثير من الطرق التجارية . الامر الذي ساعد على تدفق السلع على اسواقها[٧٧] ، كما تدفقت اليها الاموال والميرة من الامصـار[٧٨] ، واياها قصـدت الرسـل والسفارات[٧٩] واليها جلبت التجارات من مناطق مختلفة من العالم[٨٠] . فورود الاموال الكثيرة من الاقاليم ، كان يؤدي الى زيادة السيولة النقدية في العاصمة وعندئذ نشطت حركة البيع والشراء مما أدى الى زيادة أرباح أهل السوق .

---

(٧٥) تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٤٥ .

(٧٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٤ .

(٧٧) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ١ . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص ٤١ .

(٧٨) الجهشياري ، الوزراء ، ص‌ص ٢٨١ ــ ٢٨٨ . الطبري ، م. ق ، جـ ٨ ، ص ٦١٤ و جـ ٩ ، ص ٢٨٨ . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص‌ص ٥٧ و ٧٣ ــ ٧٤ . قدامة ، الخراج ، ص‌ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ . و ٢٤٢ ــ ٢٤٤ . المسعـودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٦٢ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٠ و ١٣٨ و ٢١٢ و ٢٤٠ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٣٩ ــ ٣٤٠ و ٤٠٠ ــ (ويورد المقدسي ان خراج خراسان ٤٤٨٠٠٩١٣ درهما) . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٢٥ و ٤٣ و ٥٩ و ٦١ . انظر ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٠ و ٤٢٢ و ٤٢٦ ــ ٤٢٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣٢١ . السيوطي ، حسن المحاظرة ، جـ ٢ ، ص ١٣ .
« في الميزانية التي اعدها علي بن عيسى سنة ٣٠٦ هـ كان وارد بيت المال من العين ١٨٨ و ١٤٫٨٢٩ دينارا » .
Kremer, Einnahmebuget des Abbasiden - Reiches, P. 24.

(٧٩) الطبري ، م. ق ، جـ ٧ ، ص ٦٥٣ . ابن طيفور ، بغداد ، ص ١٥٣ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، مطبعة العاني ، (بغداد : ١٩٦٤) ، ص‌ص ١١ ــ ١٤ . عريب ، الصلة ، ص ٤٥ . مسكويه ، تجارب الامم ،

وعن طريق التوسط في الانفاق ، والتزام جادة الاعتدال في الاستهلاك إبان خلافة المنصور[81] والرشيد[82] والمعتضد بالله[83] ، نشأ فائض في الثروة ناتج عن زيادة الاموال الواردة على بيت المال ، على ما يخرج منه • وهذا يؤكد قوة اقتصاد الدولة وقوة التبادل التجارى فيها • وقد زادت واردات الدولة سنة ١٧٩هـ – ٧٩٥م اذ بلغت « بالورق[84] ثلثمائة الف الف وثمانية وثلاثين الف الف وستمائة ألف وعشرة آلاف درهم وبالعين[85] خمسة الآف

→

ج ١ ، ص‌ص ٥٣ – ٥٤ . الخطيب البغدادي ، بغــداد ، ج ١ ، ص‌ص ٧٨ – ٧٩ و ٨١ . ابن الجـوزي ، مناقب بغــداد ، ص‌ص ١٣ – ١٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ ، ج ٦ ، ص ١٤٨ . الألوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ .

(٨٠) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٥ و ٣٢٣ – ٣٢٤ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٥٤ و ١٧٤ .

(٨١) خلف المنصور في بيوت الاموال تسعمائة ألف دينار وخمسين ألف الف درهم (أنظر : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٤٨٧). ويقول ابن الزبير ان المنصور خلف ست مئة الف الف درهم ، وأربعــة عشر الف الف دينار (انظر : الذخائر والتحف ، ص ٢١٣) . ومات المهدي وفي بيت ماله ٢٠ مليون درهم فقط . (الذخائـر والتحف ، ص ٢١٣) .

(٨٢) ومات الرشيد وفي بيت ماله ٩٠٠ مليون درهم ونيف . وهي تساوي حوالي ٤٨ مليون دينــار (انظر : ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢١٣) . ومسكويه تجـارب الامم – ج ١ ، ص ٢٣٨) . وخلف المعتصم ٨ ملايين دينار وثمانية وثلاثين ألف درهمـــا (ابن الزبير ، الذخائر ، ص ٢١٣) . وتوفى الواثق وحاصل بيت المال من العين ٥ ملايين دينار ، ومن الورق ١٥ مليون درهم (ابن الزبير ، الذخائـر ، ص ٢١٨) .

(٨٣) الصابي ، الوزراء ، ص ١٨٨ – (اجتمع في بيت المال بعد النفقــات الراتبة والحادثة تسعة آلاف الف دينار فاضلة عن جميع النفقات . (انظر : الصابي الوزراء ، ص ١٨٩) . ويذكر ابن الزبير : ان المعتضد خلف في بيوت امواله ١٠ ملايين دينارا . الذخائر ، ص ٢١٤) . وخلف

←

ألف وثمانمائة ألف ونيف وثلاثين ألف دينــار »[86] . ومن الغــلة بالورق أربعمائة ألف ألف وستة عشر ألف ألف وتسعمائة ألف واثنين وعشرين ألف درهم[88] . الا أنه في أواخر الفترة التي حددناها للبحث أصــيبت ميزانية الدولة بعجز شديد ، وبخاصة في عهد الخليفة المقتدر بالله[88] الذي كان جملة ما حصل في بيت المال في عهده (٨٩ر٨٣٠ر٠٠٠ دينارا)[89] ، ومع ذلــك قتل هذا الخليفة ولم يكن في بيت المال شيء يستحق الذكر[90] .

ومن الممكن ادراك ذلك النشاط التجاري الكبير ، والاوج الذي بلغته

المكتفي ١٦ مليون دينار و ٣٠ مليون درهــم في بيت مال الخاصــة . وقيل ١٤ مليون دينار . الذخائر ص ١٢٠) . وكذلك مسكويــه ، تجارب الامم جـ ١ ، ص ٢٣٨) . ويقول الطبري خلف ١٥ مليون دينار، جـ ٣ ، ص ٢٢٨) . انظر كذلك : عريب الصلة ، ص ٢٢) . وابــن الجوزي المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٧ . وابن خلدون ، العبر ، مجلــد ٣/قسم ٤ ، ص ٧٥٣) .

(٨٤) الورق : المال بالدراهم . (انظر : المصباح المنير ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ . وابن مماتي ، قوانين الدواوين ، ص ٣١٠ — والكبيسي — عصر الخليفة المقتدر ص ١٦٠) .

(٨٥) العين : ما يضرب نقدا من الدنانير . ويقــال اشتريت بالعين لا بالدين (انظر : ابراهيم مصطفى وآخــرون ، المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٦٤٧) والعين النقد يقال اشتريت العبد بالدين . او العين الدينار . والعين الذهب عامة ، وتقول العرب هذا دينار عين . (انظر ابن منظور، لسان العرب ، المجلد الثاني ، دار لسان العرب ، ص ٩٤٧) .

(٨٦) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، صص ٢٨ — ٢٩ .

(٨٧) نفس المصدر ، ص ٢٩ .

(٨٨) انظر : الكبيسي ، عصر الخليفة المقتدر بالله ، ص ٥٦ و ١٦٨ و ١٧٣ و ١٩٤ و ٢١٢ — ٢١٤ و ٢٢٩ و ٢٣٦ — ٢٣٧ .

(٨٩) مسكويه ، تجارب الامم — جـ ١ ، ص ٢٤١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٤٣ — عريب الصلة ، ص ١٨٤ .

(٩٠) مسكويه ، تجارب الامم — جـ ١ ، ص ٢٣٦ .

Sourdel, Le Vezarat Abbaside, Tome 11, P. 469.

أسواق بغداد من تلمس الاموال التي يمتلكها بعض التجار في أسواق المدينة[٩١] ومن الاطلاع على بعض أرقام السلع المباعة في هذه الاسواق[٩٢] . فمثلا « قدر ثمن ما يباع من الباقلي المطبوخ في كل يوم من أحد جانبي بغداد ستون ألف دينار »[٩٣] وان حمامات بغداد كانت تستهلك مليونا ونصف رطل صابونا . ومن الزيت ستمائة وتسعين ألفا وخمسمائة وعشرة أرطال[٩٤]. فمجرد أمعان النظر في هذه الارقام تتلمس نشاط أسواق بغداد في عملية البيع والشراء ، وبخاصة في المناسبات الدينية .

وثمة ظاهرة أخرى ندرك من خلالها نشاط اسواق بغداد وعظمتها وهي : شدة الزحام الذي كانت تشهده تلك الاسواق[٩٥] ، فهو بدوره يؤكد نشاط حركة البيع والشراء في أسواق هذه المدينة وكثرة روادها .

---

(٩١) عريب ، الصلة ، ص ٣٣ — ٣٤ و ٣٩ و ٤٧ — ٤٨ . مسكويه ، تجارب الامم — ج ١ ، ص ٣٥ . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص ١٤٨

Fischel, Op. Cit. P. 579., 580 - 582.

الصابي ، الوزراء ، ص ١١١ و ٢٢٣ . الصولي ، الاوراق ، ص ١٦ و ٢٦ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٩ و ٥٠ و ٦٣ و ٦٥ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥ و ٢٨ . والفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١١٨ . ابن دقماق ، نزهة الانام ، ج ٢ ، ورقة ٤٨ .

Bowen, op. cit., p. 147.

Sourdil, op. cit., Tome 11, p. 403-404.

(٩٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ١١٧ — ١١٨ .

(٩٣) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٠ . ابن مهمندار ، فضائل بغداد العراق ، ص‌ص ١٨ — ١٩ .

(٩٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٨ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٤ . (في حين يذكر الاسحاقي الف رطل فقط . انظر : اخبار الدول ، ص ٥٧) .

(٩٥) الطبري م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٢ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧١ . الازدي ، حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص ٢٤ .

ونستطيع أن ندرك المدى الذي بلغته أسواق بغداد : من كثرة السلع الواردة عليها والمعروضة في أسواقها[٩٦] ، وكثرة عدد السفن التجارية الناقلة لهذه البضائع[٩٧] . ونظرا لهذه الكثرة تطلب الامر تنصيب شخص معين ليكون مسؤولا عن حركة هذه السفن ، ويجبى الرسوم المفروضة على السلع المنقولة بواسطتها . ولما استشرى فساد النظام الاداري في أواخر هذه الفترة التي نحن بصدد البحث فيها . وأنتشرت الرشوة وأشتد عدوان موظفي الدولة على التجار وغيرهم ، حاول الموظف المسؤول عن حركة السفن التجارية الصاعدة من البصرة الى بغداد ، أو النازلة من بغداد الى البصرة ، أن يأخذ أموالا اضافية من التجار الذين يصدرون تجاراتهم بهذه السفن ، او الذين يستوردون سلعهم فيها ، الا أن التجار لم يذعنوا لهذا الطلب غير المشروع فدبروا قتل ذلك الشخص[٩٨] .

كما ان بغداد والمناطق المحيطة بها كانت عامرة بالقرى والمزارع والضياع الجميلة التي كانت تدر غلالا زراعية متنوعة ترد معظمها على أسواق بغداد فتنشط الحركة التجارية فيها[٩٩] .

لقد اعتقد كثير من المؤرخين ان مصير بغداد ، كمدينة كبرى ورخاءها وأسواقها وحضارتها ، كانت مرتبطة ارتباطا تاما بكونها حاضرة الخلافة العباسية ومن هذا الاعتقاد كان تجار بغداد أنفسهم حريصين حرصاً بالغاً على بقاء مدينتهم محتفظة بالمركز السياسي الذي انشئت من أجله . وأرجح أن هؤلاء التجار كانوا غير راضيين عن بقاء المأمون في خراسان بعد أن انتقلت اليه الخلافة على أثر مقتل الامين سنة ١٩٨هـ - ٨١٣م . وأن موقفهم هذا لابد

---

(٩٦) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص‌ص ٢٠ - ٢١ . ابن خرداذبة - المسالك والممالك - ص‌ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٩٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٧ . الازدي ، حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص‌ص ٢٣ - ٢٤ .

(٩٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٠٦ .

(٩٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٣ .

أن يكون له أثره على أهل بغداد عامة عندما بايعوا ابراهيم بن المهدي خليفة ، لانه كان من المؤكد أنه سيعيد لمدينة بغداد وأسواقها مكانتها السياسية التي عن طريقها تستعيد مركزها التجارى المرموق بأعتبارها قلب الدولة العباسية . ولعل هذه الاحداث جعلت تجار بغداد يرقبون التطورات السياسية بيقظة وحذر لان آثارها كانت تنعكس على مصالحهم مباشرة(١٠٠) .

ان رجوع الخليفة المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤هـ - ٨١٩م ، أعاد لهذه المدينة مركزها السابق وساعد كثيرا على استقرار الاوضاع فيها ، فدب النشاط في أسواقها ومرافقها العامة مرة أخرى(١٠١) .

ولاول وهلة كان يبدو أن أسواق بغداد ستتعرض مكانتها التجارية للهبوط حين تركها الخليفة المعتصم بالله وانتقل الى سر من رأى ، المدينة الجديدة التي أمر ببنائها(١٠٢) . الا انه من حسن طالع بغداد وأسواقها ، أن سامراء لم تكن تستلك نفس الفرص الاستثمارية التي تقدمها للتجار على أختلاف دولهم ، ولا هي في نفس موقع بغداد الجغرافي الفريد ، ذلك ان بغداد - آنذاك - كانت بمثابة القلب النابض لعالم فسيح مزدهر متجانس ، ترتبط أطرافه المترامية بروابط وثيقة الصلة ، فكرية وعاطفية ، هي في حقيقة الامر أقوى من الوحدة السياسية .

وان الخلفاء العباسيين الذين أقاموا بسامراء كان يهمهم كثيرا أن يكون

---

(١٠٠) ابن الجراح ، الورقة ، ص ١٩ . ابن الساعي ، مختصر تاريخ الخلفاء ، ص٣٩. ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٦٣ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٠٠ . الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٦٨ . (وخالف الاسحاقي جميع الروايات حين ذكر ان المأمون جاء على رأس جيشه عام ١٩٨ هـ . انظر : اخبار الدول ص ٧٠) .

(١٠١) ابن طيفور ، بغداد ، ص ٩ . الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٥٧٤ .

(١٠٢) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ١٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ .

من في بغداد على علم تام بالاجراءات المهمة التي كانت تقوم بها الدولة (١٠٤) ، كما ان بغداد وأسواقها لم تفقد رعاية السلطة لها ، على الرغم من انتقال الخلافة الى سامراء ، فقد أوعز الخليفة المعتصم بالله بتفريق عشرة ملايين درهم على تجار أسواق الكرخ كتعويض لهم عما أصابهم من أضرار من جراء الحريق الهائل الذي التهم دكاكينهم وما فيها(١٠٥) . وفي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م قسم الخليفة الواثق في أهل بغداد أموالا كثيرة « مرة بعد أخرى على أهل البيوتات وعلى عامة الناس ... وفرق على قوم من التجار أموالا جمة »(١٠٦). فلا غرو أن ظلت أسواق بغداد محتفظة بمكانتها التجارية النشطة حتى بلغت شأوا بعيدا من العظمة والازدهار خلال الحقبة موضوعة البحث .

الزيادة في رواتب الموظفين :

نستطيع أن ندرك مدى النشاط الاقتصادي في أسواق بغداد من مقدار الزيادة التي حدثت في رواتب موظفي الدولة . ففي العهد الاموى كان راتب عامل الاقليم ثلاثمائة درهم شهريا(١٠٧) . ويبدو أن الرواتب ظلت على ماهي عليه في أيام السفاح والمنصور ، الا أنها صارت ترتفع تدريجيا مع تقدم الايام وزيادة دخل الدولة الذي شهدناه(١٠٨) .

وعلى الرغم من أن النصوص لا تسعفنا كثيرا في هذا المجال ، الا أننا توقعنا زيادة في رواتب وأرزاق موظفي الحكومة تتفق مع التطور الذي شهدته

---

(١٠٤) الطبري ، م. ق ، ج ٩ - ص ص ٥٣ - ٥٤ .
(١٠٥) محمد بن خلف بن حيان وكيع ، اخبار القضاة ج ٣ مطبعة الاستقامة (القاهرة ١٩٥٠) ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .
(١٠٦) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٧٧ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٢٤ .
(١٠٧) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٢ . بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٧٥ . الصولي ، الاوراق ، ص ١٤٧ و ١٥٠ - ١٥١ .
(١٠٨) انظر ص ١٢٧ من هذا الفصل . والثعالبي لطائف المعارف ، ص ٢٢ .

الدولة والمجتمع. ويؤكد (بارتولد)[١٠٩] زيادة في رواتب الموظفين في العهد العباسي بحيث كان قاضي مصر في عهد المأمون يتقاضى راتبا قدره أربعة آلاف درهم شهريا - ويشير الثعالبي[١١٠] الى أن الفضل بن سهل ذا الرئاستين وسع على الكتاب في الجرايات .

لقد كانت أرزاق مشايخ الهاشميين وأصحاب المراتب والخطباء في المساجد الجامعة ستة عشر ديناراً في الشهر وجمهور بني هاشم من العباسيين والطالبيين لكل واحد في كل شهر دينار[١١١] . الا أن الخليفة المعتضد اقتصر بهم على ربع دينار في كل شهر ، بينما كان راتب الوزير عبيدالله بن سليمان خمسة آلاف دينار ، والقاسم ابنه ، برسم العرض بالحضرة وكتابة بدر قائد الجيش ، ألفا وخمسمائة دينار شهريا[١١٢] . وكان المعتضد يصرف على أرزاق المرسومين بخدمة دار الخلافة من القراء وأصحاب الاخبار والمؤذنين والمنجمين والفنجانين واصحاب الاعلام والبوقيين والمضحكين والطبالين في كل يوم مائة وعشرة دنانير[١١٣] .

وأمر المعتضد بزيادة رزق حامد بن العباس المتقلد لبلاد فارس من الفين وخمسمائة دينار في كل شهر الى ثلاثة آلاف دينار[١١٤] .

وعندما أسندت الوزارة الى علي بن الفرات سنة ٢٩٦هـ - ٩٠٨م أقطع ضياعا كانت ايراداتها خمسين ألف دينار ، وأجرى له خمسة آلاف دينار في كل شهر[١١٥] . وأجرى المقتدر لوزيره محمد بن عبيدالله الخاقاني (٢٩٩ - ٣٠١هـ - ٩١١ - ٩١٣م) خمسة آلاف دينار في كل شهر ، ولعبدالله

---

(١٠٩) تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٧٥ .

(١١٠) لطائف المعارف ، ص ٢٢ .

(١١١) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٠ .

(١١٢) Kremer, Abbasiden - Reiches, P. 70.

(١١٣) الصابي ، الوزراء ، ص ١٥ .

(١١٤) نفس المصدر ، ص ٨٣ .

(١١٥) نفس المصدر ، ص ٢٩ . دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ٣ ، ص ٤٢٣ .

ابنه ألف دينار ، ولعبدالواحد ابنه الآخر خمسمائة دينار ، وكذلك فعل لعلي ابن عيسى عند استيزاره عام ٣٠١هـ ـ ٩١٣م[١١٦] • وتولى علي بن عيسى الاشراف على مصر والشام براتب قدره ألف دينار في كل شهر[١١٧] •

وأصبح ابن الفرات في وزارته الثالثة (٣١١ ـ ٣١٢هـ ـ ٩٢٣ ـ ٩٢٤) يمتلك أموالا تزيد على عشرة ملايين دينار[١١٨] ، وصار ابنه المحسن يتقاضى الفي دينار في الشهر زيادة على راتبه المقرر باعتباره مشرفا على الدواوين[١١٩] • وبلغ ما كان يتقاضاه كاتب ديوان السواد في سنة ٣١٥هـ ـ ٩٢٧م خمسمائة دينار شهريا ، ولكاتب ديوان المشرق مائة دينار في الشهر[١٢٠] • وكان راتب الكاتب الحسين بن احمد الماذرانى عشرين دينارا في الشهر ، ثم أصبح فيما بعد عامل مصر فصار يتقاضى أضعاف راتبه السابق[١٢١] •

أما محمد بن مقلة فكان يكتب لعلي بن الفرات بمرتب شهري قدره عشرة دنانير ، ثم زاده الى ثلاثين دينارا لما تقدمت به الحال وعندما تقلد ابن الفرات الوزارة جعل رزق ابن مقلة خمسمائة دينار في الشهر[١٢٢] • اما حاجب الوزير ابن الفرات فكان يجرى له مائة وعشرين دينارا في الشهر[١٢٣] ، وكان ابن الفرات قد أمر بمضاعفة هذا المرتب لمجرد أن الحاجب نفذ أمرا للوزير[١٢٤] • وأن رزق ابن جبير كان خمسة وعشرين دينارا عندما كان

---

(١١٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٢ .
(١١٧) نفس المصدر ، ص ٣٠٩ .
(١١٨) شمس الدين احمد بن أبي بكر بن خلكان . وفيات الاعيان ، ج ٣ ، مطبعة السعادة . (القاهرة : ١٩٤٨) ، ص ٤٢٣ . عريب ، الصلة ، ص ٣٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٩٠ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٥ .
(١١٩) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٩٣ .
(١٢٠) الصابي ، الوزراء ، ج ٣١٤ .
(١٢١) نفس المصدر ، ص ٩٢ .
(١٢٢) الصابي ، الوزراء ، ص ١١٩ .
(١٢٣) نفس المصدر ، ص ١٢٠ .
(١٢٤) نفس المصدر ، ص ١٢٢ .

يكتب في مجلس ديوان الخراج فلما تقلد ابن الفرات الوزارة بلغ به مائة دينار[١٢٥] . وارتفع راتب يعقوب بن اسطفن كاتب مؤنس المظفر ، من عشرة دنانير الى أربعين دينارا في وزارة ابن الفرات الثانية[١٢٦] .

وكان الخليفة المقتدر بالله قد خصص لجعفر الملاح ما بين عشرة دنانير الى مائتي درهم لتسد نفقات الحلواء التي يأكلها هذا الملاح مع طعامه[١٢٧] .

وفي الجملة فان رواتب الوزراء والعمال وبقية موظفي الدولة ، قد زادت كثيرا خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) عما كانت عليه قبل هذا التاريخ وأن هذه الزيادة ساهمت في تنشيط الحركة التجارية في أسواق بغداد .

الزيادة في أرزاق الجند :

لقد طرأ أيضا تغير ملحوظ على مقدار رواتب الجند خلال العصر العباسي كما طرأ تغيير آخر على نظام دفع الرواتب لهؤلاء الجند .

وكانت مرتبات الجنود تختلف باختلاف الفرق التي ينتمون اليها ، او الاقاليم والولايات التي يعسكرون فيها ، فقد كان راتب الجندي في حرس المنصور عشرين درهما في الشهر[١٢٨] ، في حين كان يعطى للجنود المرابطين في مدينة ملطية[١٢٩] سنة ١٣٩هـ ـ ٧٥٦م عشرة دنانير علاوة على المخصصات السنوية البالغة مائة دينار ، علما بأن الجنود الذين كانوا يرابطون في مثل تلك الحاميات كانوا يتناولون المكافآت علاوة على الرواتب الاعتيادية المقررة[١٣٠] .

---

(١٢٥) نفس المصدر ، ص ١٤٠ .
(١٢٦) نفس المصدر والمكان .
(١٢٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
(١٢٨) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٨٢ .
(١٢٩) ملطية : بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام وهي للمسلمين (أنظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٨ ، ص‌ص ١٥٠ ـ ١٥١) .
(١٣٠) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٦٩ .

وثار الجند على أثر وفاة المهدى ولم يهدأوا الا بعد أن وزعت عليهم الاموال[١٣١] . وعند ولاية الامين ، أمر للجند بمدينة السلام برزق سنتين[١٣٢] وزاد في أرزاقهم[١٣٣] . وأجرى المأمون للرجالة في العراق عشرين درهما في الشهر علاوة على الارزاق ، كما خصص للفارس أربعين درهما مع المخصصات المعتادة . في حين أن الجندي كان ينال في فرقة دمشق أربعين درهما ، والفارس مائة درهم[١٣٤] . ولما عاد المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤هـ - ٨١٩م أعطى جنده أرزاق ستة أشهر[١٣٥] .

وحاول المعتصم أن يستميل الجند الى جانبه ويبعد ولاءهم عن العباس ابن المأمون فوزع عليهم مائة ألف وستة وعشرين الف دينار[١٣٦] .

وأجرى الخليفة المعتضد بالله مرتبات شهرية لغلمانه الصغار خمسة دنانير ، والكبار عشرة دنانير ، وزادهم بعد سنتين دينارين فنسبوا الى الاثنى عشرية[١٣٧] . فلما تقلد المكتفي بالله أشفق من أن يميل الغلمان الى القائد بدر ، وكان اذ ذاك بفارس ، فالحق من له سبعة دنانير بالاثنى عشرية . ورفع الكبار الى ستة عشر دينار[١٣٨] ومعنى هذا ان الظروف السياسية المستجدة ، والمنافسة بين كبار المسؤولين ، تجعل بعضهم يحاول أن يستميل بعض فرق الجيش فيزيد في أرزاقهم .

وفي بعض الاحيان ، كان المسؤولون يتعمدون التقتير على الجند فيرفعون أيام شهرهم . فالغلمان الخاصة الذين أعتقهم الناصر وأضافهم في الجرائد الى

---

(١٣١) الريس ، الخراج ، ص ٤٣٢ .
(١٣٢) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص‌ص ١٧٣ - ١٧٤ .
(١٣٣) الريس ، الخراج ، ص ٤٥٥ .
(١٣٤) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧٥ .
(١٣٥) ابن طيفور ، بغداد ، ص ١٠ .
(١٣٦) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ .
(١٣٧) الصابي ، الوزراء ، ص ١٧ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, p. 70.
(١٣٨) الصابي ، الوزراء ، ص ١٧ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, p. 68.

الاحرار كانت أيام شهرهم أربعين يوما فأساءوا الادب في مطالبة كانت منهم فجعل أيام شهرهم خمسين يوما[139] ، ثم جعل المعتضد بالله أيام شهرهم ستين يوما[140] ، وأرزاق الفرسان من الاحرار الذين كانت أيام شهرهم خمسين يوما جعلت تسعين ، ونسبوا الى التسعينية[141] .

وأحيانا تتحدد عدد أيام شهور الجند بمدى اتقانهم الرماية واجادتهم وبراعتهم في الفروسية وتحليهم بالطاعة وبناء على ذلك يصنفون الى ثلاثة أقسام ، فالجيد منهم يدرج أسمه في الجريدة ويحدد رزقه ويكون شهره عادة تسعين يوما وسمي هؤلاء عسكر الخاصة . أما الاقل شأنا من هؤلاء فتعهد اليهم حراسة الطرق العامة ويدعون عسكر الخدمة ، وتكون أيام شهرهم مائة وعشرين يوما . اما القسم الثالث وهو ما يسمى (الدون) فتدفع لهم الارزاق دفعتين في السنة [142] . وهكذا نرى الاجتهادات الشخصية ، والنزوات الفردية الخاصة ، والظروف السياسية والاقتصادية لها تأثيرها المباشر في تحديد أرزاق الجند ورواتبهم ، التي بدورها تكون لها آثارها على احوال اسواق بغداد ونشاطها التجاري .

ولما تقلد المقتدر بالله الخلافة أعطى الجند مال البيعة ؛ للفرسان رزق ثلاثة أشهر ، وللرجالة ستة اشهر [143] ، وبلغ مجموع ما أنفقه في هذا الشأن ثلاثة ملايين دينار [144] .

وبعد اخفاق حركة عبدالله بن المعتز سنة ٢٩٦هـ – ٩٠٨م اطلق المقتدر صلة ثانية للغلمان الاولياء الذين آزروه في محنته هذه ، فمنح الفرسان رزق

---

(١٣٩) الصابي ، الوزراء ، ص ١٢ .

(١٤٠) الصابي ، الوزراء ، ص ١٢ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, p. 65.

(١٤١) الصابي ، الوزراء ، صص ١٢ – ١٣ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, P. 66.

(١٤٢) الصابي ، الوزراء ، ص ١٤ .

(١٤٣) عريب ، الصلة ، ص ٢٣ .

(١٤٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩٢ .

ثلاثة اشهر وللرجالة ست نوائب [١٤٥] . هذا بالاضافة الى أن الوزير الجديد كان قد أمر بازالة الرسوم الجائرة وزاد من أرزاق بني هاشم [١٤٦] . وفي سنة ٣٠٣هـ - ٩١٥م زيدت أرزاق الجند اذ منح كل غلام ثلاثة دنانير في كل شهر من شهورهم . وزيد الرجالة كل واحد منهم نصف دينـار [١٤٧] .

وأحيانا كان الجند يطالبون بمنح جديدة لقاء ما حققوه من نصر وظفر على بعض الخارجين على السلطة . وكثيرا ما كان يصحب ذلك شغب الجند وقد حدث مثل ذلك على أثر اخماد حركة الحسين بن حمدان سنة ٣٠٤هـ - ٩١٦م [١٤٨] . وبلغت الزيادة التي حصل عليها (الرجالة المصافية)[١٤٩] عشرة آلاف دينار في الشهر [١٥٠] وحينئذ أصبحت الزيادة السنوية مائة وعشرين الف دينار . وعلى أثر تغلب جيش الخلافة على المتمرد يوسف بن أبى الساج سنة ٣٠٧هـ - ٩١٩م « زيد الرجالة المصافية نصف دينار لكل واحد في الشهر » [١٥١] . وحصلوا على زيادة اخرى سنة ٣١٢هـ - ٩٢٤م [١٥٢] . وبعد أن زال خطر القرامطة عن بغداد ، حصل الجند على زيادة في أرزاقهم في بداية عام ٣١٦هـ - ٩٢٨م ، وأن زيادتهم هذه بلغت مائة وأربعين الف دينار في السنة [١٥٣] .

---

(١٤٥) عريب ، الصلة ، ص ٢٩ و ٥٨ . مسكويـه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٨ .
(١٤٦) نفس المصدر ، ص ١٣ .
(١٤٧) نفس المصدر ، ص ٣٨ . الهمداني تكملة ، جـ ١ ، ص ١٦ .
(١٤٨) نفس المصدر والمكان . Kremer, Abbasiden - Reiches, P. 77.
(١٤٩) هم الجند الذين يقاتلون وهم راجلون ، وقد كان هؤلاء الرجال في صفوف حرس الخلافة ، وقد وقع عليهم عبء محاربة الاعداء . (انظر عريب ، الصلة ص ١٤٩) .
(١٥٠) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٣٨ .
(١٥١) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٥٠ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ١٨ .
(١٥٢) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ١٤٢ .
(١٥٣) نفس المصدر ، ص ١٨٤ .

وبعد فشل حركة عام ٣١٧هـ - ٩٢٩م ، ورجوع المقتدر الى الحكم خاطب الجند « وقال للرجالة لكم عليّ ست نوب وزيادة دينار ، وقال للغلمان لكم عليّ أرزاق أربعة أشهر ، وقال لسائر الجند لكم عليّ أرزاق أربعة أشهر وزيادة خمسة دنانير لكل واحد منكم » (١٥٤) .

ونستطيع أن ندرك ضخامة المبلغ الذي دفع في هذه الحركة اذا علمنا أنهم يستحقون في كل نوبة من نوب الرجالة المصافية مائة وعشرين الف دينار اذ كانوا في عشرين ألف رجل(١٥٥) . وكان عدد الفرسان اثنى عشر ألفاً ، ومبلغ مالهم في كل شهر خمسمائة الف دينار (١٥٦) . فعندئذ تكون الزيادة فقط التي حصل عليها الفرسان مليونين وستين الف دينار (١٥٧) . فاذا اضفنا هذه الزيادة الى المبلغ السنوي السابق الذي كانوا يتقاضونه (١٥٨) قبل الزيادة فيكون مجمل ذلك أربعة ملايين وستين الف دينار .

وعلى أساس المبلغ السابق يصبح ما يتقاضاه الفارس في الشهر واحداً وأربعين دينارا وثلثي دينار . وهذا المبلغ كبير بالقياس الى ما كانت تتقاضاه بقية فرق الجيش الاخرى ، علما بأن شهر هؤلاء الفرسان كان تسعين يوما (١٥٩) . وبما أن هؤلاء قد حصلوا على زيادة شهرية مقدارها خمسة دنانير فعندئذ أصبح راتبهم الشهري ستة وأربعين دينارا وثلثي دينار .

---

(١٥٤) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ص ١١٩ - ١٩٩ و ٣٢٠ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٦٢ . ابن دقماق ، نزهة الانام ، ورقة ٥٨ .

(١٥٥) عريب ، الصلة ، ص ١٤٢ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(١٥٦) عريب ، الصلة ، ص ١٤٢ .

(١٥٧) ٥ دنانير × ١٢ ألف جندي = ٦٠ ٠٠٠ دينار
٤ أشهر × ٥٠٠ ٠٠٠ = ٢٠٠٠ ٠٠٠ دينار
فيكون المجموع ٢ر٠٦٠ر٠٠٠ دينار

(١٥٨) المبلغ الذي كانوا يتقاضونه سنويا = ٥٠٠٠٠٠ × ٤ = ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ دينار
فيكون المجموع = ٤ر٠٦٠ر٠٠٠ دينار .

(١٥٩) الصابي ، الوزراء ، ص ١٧ ، (اذا كانت أيام شهرهم خمسين يوما فجعلت تسعين) . انظر : الصابي ، الوزراء ، ص ١٧ .

وفي الحق كان الخليفة المقتدر قد وفى بكل ما ضمنه لجنده[١٦٠] ، على الرغم من نفاد الاموال المدخرة في بيت المال ، اذ اضطر الخليفة أن يأمر بأخراج الخزائن من الكسوة ، كما بيعت الضياع السلطانية لتسديد ما تعهد به [١٦١].

وأطلق القاهر بالله مال البيعة عند تقلده الخلافة ، ولما لم يكن يملك من المال ما يكفيه اضطر الى بيع دار الوزارة بالمخرم ، كما بيعت الضياع والاملاك السلطانية لتفي بمال البيعة الذي بلغ مليونا وأربعمائة ألف دينار [١٦٢] . ومنح الراضي الجند خمسين الف دينار أبان تقلده دست الحكم [١٦٣] ، وفرق المتقى لله سنة ٣٢٩هـ ـ ٩٤٠م في الاتراك أربعمائة ألف دينار [١٦٤] .

وأستبشارا بقتل محمد بن رائق سنة ٣٣٠هـ ـ ٩٤١م زاد الخليفة مرتب الفارس عشرة دنانير ، وزاد الراجل دينارا [١٦٥] . وابان الجفوة التي حدثت سنة ٣٣١هـ ـ ٩٤٢م بين الخليفة المتقي لله وبين ناصر الدولة الحمداني زاد الاخير الفارس من جنده عشرة دنانير في رزقه ، وزاد الراجل دينارا[١٦٦] . وان هذه الزيادات التي حصلت في رواتب وأزراق الجند لابد أن تكون قد حركت النشاط التجاري في أسواق بغداد .

منح الخلفاء والوزراء :

كان بعض الخلفاء والوزراء يرى أن مقتضى الحال يستوجب اعطاء منح كبيرة لسائر الاولياء ، كلما جاء خليفة جديد ، أو أخمدت نار فتنة مناوئة[١٦٧]. كما ان مثل هذه السنّة صارت تستعمل لتبرير بعض الاجراءات غير الشرعية

---

(١٦٠) عريب ، الصلة ، ص ١٤٤ .
(١٦١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(١٦٢) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ص ٧٥ .
(١٦٣) نفس المصدر ، ص ٨٣ .
(١٦٤) نفس المصدر ، ص ١٢٢ .
(١٦٥) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٢٦ .
(١٦٦) نفس المصدر ، ص ٢٤١ .
(١٦٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٨٨ و ٢٩٢ .

التي يتوقع المسؤولون أن يعارضها الناس ، فتغدق عليهم الاموال التي تكم أفواههم ، وتسكت أصواتهم المعارضة[١٦٨] . فأصبحت منح الخلفاء هـذه عوامل من شأنها زيادة النشاط التجاري في أسواق بغداد ودفعه الى الامام[١٦٩] .

وعلى الرغم مما قيل عن شح المنصور ، الا أنه أعطى لرجل واحد ألف ألف درهم ، وفرق على جماعة من أهل بيته عشرة آلاف درهم [١٧٠] ، وأعطى زيدا مولى عيسى بن نهيك مائة وثمانين الف دينار[١٧١] . ويروي الجاحظ هـذه الروايات وهو يرمي من ورائها نفي تهمة البخل عن الخليفة المنصور .

وعندما شرع المهدي في مباشرة أعماله كولي عهد لابيه الذاهب الى الحج فرق في الناس أموالا طائلة وأخذ تجارتهم بعين الرعاية بعد أن كان المنصور يساهمهم فيها [١٧٢] .

ولما أصبح المهدي خليفة فرق في الناس أموالا كثيرة ووصل ذوي القربى وبر أهله وأقرباءه ومواليه ، وقرر لكل واحد من أهل بيته في كل سنة ستة آلاف درهم فأغنى كل فقير ، وجبر كل كسير ، وفرج عن كل مكروب [١٧٣] . وأنفق في سنة ١٦٠هـ - ٧٧٦م ثلاثين الف الف درهم[١٧٤] . ووفد عليـه الحسين بن علي بن الحسن فأعطاه أربعين الف دينار [١٧٥] ، وأنشده مروان

---

(١٦٨) نفس المصدر ، ص ١١٦ و ٢٩٢ .
(١٦٩) الشابشتي ، الديارات ،ص‌ص ٩٧ - ٩٨ .
(١٧٠) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤١ . الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٢ .
(١٧١) الجاحظ ، التاج ، ص‌ص ١٤١ - ١٤٢ .
(١٧٢) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٩١ .
(١٧٣) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص‌ص ٩٣ - ٩٥ و ٩٧ و ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٨ و ١١١ و ١١٦ و ١١٩ و ١٢١ و ١٢٤ و ١٢٨ و ١٣٠ و ١٣٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٥٤ . ابن الجراح ، الورقة ص ٢٥ و ٢٧ و ٣٠ . ابن الجوزي ، اخبار الحمقى والمغفلين ، مطبعة التوفيق (دمشق : ١٣٤٥هـ) ص ١٥ .
(١٧٤) الريس ، الخراج ، ص ٤٢٩ .
(١٧٥) نفس المصدر ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

ابن أبي حفصة قصيدة فأجازه بسبعين الف درهم[176] وبذلك قال الجاحظ : « وكان المهدي كثير العطايا قل من حضره الا اغناه » [177] ، وقد تكون في بعض هذه الاخبار مبالغة لكنها على أية حال ، تدل على مقدار اسراف المهدي في الانفاق والعطاء .

وفاق الهادي أباه المهدي في الانفاق والاسراف ، وذلك انه أمر بأعطاء اخيه ابراهيم بن المهدي - وعمره يومئذ سبع سنين وبضعة أشهر - مليون درهم [178] ، ولما تزوج ابراهيم منحه خمس مائة الف درهم [179] . وأعطى لاخيه الاخر هرون مرة واحدة مليون دينار ، وأعطى لعيسى بن دأب ثلاثين الف دينار لانه كان سمير الخليفة وألحقه بأربعين الف درهم أخرى لانه أنشده أبياتا على الشراب [180] . وكافأ أعرابيا على تفسير كلمتين لغويتين فمنحه مائة ألف درهم . وأنعم على الشاعر (سلم الخاسر) بثلاثين ألف درهم [181] .

وأقتفى هرون الرشيد أثر المهدي والهادي في العطاء والصلات والخلع [182] فمنح ابراهيم الموصلي مائتي الف درهم لانه كان قد غنى له فاجاد [183] ، والحقه بخمسة آلاف دينار لانه وضع لحنا لبيت من الشعر [184] ، وكانت أرزاق هذا المغني عشرة آلاف درهم في كل شهر ، سوى غلات ضياعه ، وسوى الصلات التي كان يحصل عليها بين آونة

---

(176) نفس المصدر والمكان .
(177) الجاحظ ، التاج ، ص ٣٥ .
(178) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١٢ .
(179) نفس المصدر والمكان .
(180) الريس ، الخراج ، ص‌ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .
(181) نفس المصدر والمكان .
(182) الجاحظ ، التاج ، ص ٣٧ .
(183) نفس المصدر ، ص ٤٢ .
(184) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .

وأخرى ، وبذا أصبح ابراهيم الموصلي يملك « أربعة آلاف وعشرين الف ألف درهم » [185] .

وأعطى الرشيد ابراهيم بن المهدي مائتي الف دينار لغناء اجاده [186] ، ومنح علي بن حمزة الكسائي خمسين ألف دينار لانه أصغى الى كلام الخليفة وهو يقص له حكاية اقدام عبدالملك بن مروان على سك الدراهم والدنانير[187] .

ومنح لعبدالملك بن قريب الاصمعي مائة ألف درهم[188] ، واعطي أعرابيا عشرة آلاف درهم [189] . ولما تولى الامين الخلافة وعد الناس بالخير وبسط الامال للاسود والابيض [190] .

ومنح المأمون ، الاديب النضر بن شميل خمسين الف درهم[191] ، ولابي زكريا يحيى بن زياد الفراء عشرة آلاف درهم [192] ، ولمحمد بن حازم عشرة آلاف درهم[193] ، ومنح أحمد المحرز المعروف بالأحول أربعة ملايين درهم [194] . ولما علم المأمون أن الاحول ينفق كل ما تصل اليه يده أمر أن يجرى له رزق واسع في كل شهر[195] .

وبلغت نفقات الحضرة على أيام الخليفة المعتضد ووزارة عبيد الله بن

---

(١٨٥) نفس المصدر ، ص ١٦٣ .
(١٨٦) الجاحظ ، التاج ، ص ٤٣ .
(١٨٧) ابراهيم بن محمد البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ج ٢ ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٠٦) . ص‌ص ١٢٩ — ١٣٠ .
(١٨٨) كمال الدين عبدالرحمن بن محمد الانباري ، نزهة الالباء في طبقات الادباء ، ط ٢ ، الناشر مكتبة الاندلس (بغداد : ١٩٧٠) ، ص ٩٦ .
(١٨٩) الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ٢٦٥ .
(١٩٠) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص‌ص ١٧٣ — ١٧٤ .
(١٩١) الانباري ، نزهة الالباء ، ص ٧٣ و ٧٥ .
(١٩٢) نفس المصدر ، ص ٨٣ .
(١٩٣) الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ٢٥٨ .
(١٩٤) ياقوت ، ارشاد الاريب ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .
(١٩٥) نفس المصدر ، ص ١٣٠ .

سليمان سبعة آلاف دينار [196] . ولا شك أن هذه النفقات الهائلة كان لها أثرها المباشر على النشاط التجاري بأسواق بغداد .

ولما تقلد المقتدر بالله الحكم ، أعاد رسوم دار الخلافة الى ما كانت عليه من التوسع في الطعام والشراب ، وأجرى الوظائف ، وفرق في بني هاشم خمسة عشر ألف دينار ، وزاد في الارزاق ، وأعاد الرسوم في تفريق الاضاحى على القواد والعمال وأصحاب الدواوين والقضاة والجلساء ، وفرق عليهم يوم التروية ويوم عرفة من البقر والغنم ثلاثين ألف رأس ، ومن الابل الف رأس [197] . وكانت منح الخليفة كبيرة جدا أثناء أعذار ابنائه عام ٣٠٥هـ - ٩١٧م [198] .

واعتاد المقتدر بالله أن ينفق واحداً وعشرين الف دينار في الجوائز والهبات في كل شهر [199] ، فخصص له في كل سنة في هذا الباب مائتي الف واثنين وخمسين ألف دينار [200] .

وعلى سبيل التخفيف عن كاهل أهل السوق أمر المقتدر بهدم بعض الدكاكين التي بناها سلفه المكتفي بالله في الرحبة مضحيا بمواردها التي بلغت ألف دينار في الشهر ، مستهدفا توسيع الطرقات والغاء الايجار الذي كان يدفعه الباعة المستفيدون منها [201] .

وشمل كرم المقتدر بالله ، أبا بكر محمدا الصولي الذي كان الخليفة قد

---

(١٩٦) الصابي ، الوزراء ، ص ١٠ و ٢١ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, P. 71.

(١٩٧) عريب ، الصلة ، ص ٢٣ . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٣ .

(١٩٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٦٥ .

(١٩٩) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٥ .

(٢٠٠) نفس المصدر ، ص ٢٦ .

(٢٠١) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٦٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ .

أمر باعطائه عشرة آلاف درهم [٢٠٢] ، كما أن محمد بن الحسن بن دريد اللغوي والنسابة والشاعر المشهور ، هو الآخر نال من كرم الخليفة الذي أجرى عليه مرتبا قدره خمسون دينارا في الشهر اعترافا من الخليفة بعلمه وفضله [٢٠٣] ، وأكرم المغني (ابن عائشة) الذي وفد الى بغداد ابان حكم المقتدر بالله [٢٠٤] .

وأهدى الخليفة الراضي الى أمير الجيش بجكم هدايا قيمتها مائة ألف دينار سنة ٣٢٨هـ ـ ٩٣٩م [٢٠٥] . ويبدو من كثرة الهدايا والمنح وشدة الاهتمام بها ، أن الدولة كانت تضرب نقودا خاصة لهذا الغرض [٢٠٦] . وكان بعض المسؤولين يقدم مساعدات لاهل السوق عندما يتعرضون لحوادث طارئة تلحق بهم أضرارا مادية كبيرة [٢٠٧] .

وهكذا نجد أن المنح والهبات والعطايا والمساعدات المالية ، بأشكالها المتنوعة ، كانت تقدم الى فئات متباينة من الشعب ، وأن حصولهم عليها كان يؤدي بدوره الى زيادة السيولة النقدية في العاصمة ، كما يبعث على النشاط التجاري بأسواقها .

وكان البرامكة ينفقون المال بغير حساب ، حتى تجاوز حد المألوف ،

---

(٢٠٢) عريب ، الصلة ، ص ٨٤ .
(٢٠٣) محمد بن اسحق بن النديم ، الفهرست ، مطبعة الاستقامة (القاهرة) ص ٩٧ . زيدان ، تاريخ التمدن ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ . بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، جـ ٢ ، دار المعارف بمصر (القاهرة : ١٩٦٨) ص ١٧٨ .
(٢٠٤) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ .
(٢٠٥) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٤٦ .
(٢٠٦) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٤٢ . الهمداني ، تكملة ـ جـ ١ ، ص ١٣٠ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٨٢ و ٨٤ و ٨٧ و ٩٢ . ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٣٨ و ٣٩ و ١١٦ . المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٩ ـ ٦٠ . الثعالبي ، يتيمة الدهر ، جـ ١ ، ص ١٥ و ١٧ .
(٢٠٧) ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ .

وصار عطاؤهم مضرب الامثال . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، زاد الفضل بن يحيى البرمكي في أرزاق الجند والقادة ، ووصل الزوار والكتاب بعشرة آلاف درهم[٢٠٨] . وأنفق جعفر بن يحيى البرمكي من مالـه خمسة عشر مليون درهم[٢٠٩] . وهـذا نزر قليل من كثير كان البرامكة قـد أنفقوه في وجوه مختلفة . ومن المؤكد أن وراء هذا السخاء المفرط دوافع سياسية وقومية ، ومصالح شخصية ، الا اننا لو نظرنا اليه من زاوية تحريك النشاط التجاري بأسواق بغداد ، فهو بلاشك ، ساهم في هذا المجال مساهمة كبيرة .

وحاول الحسن بن سهل أن يقتفي أثر البرامكة في مجال المنح والعطاء فوهب أموالا كثيرة [٢١٠] . ولعله كان مدفوعا بنفس الدوافع والاغراض ، وبذا لم تكن خاتمة حياته تختلف كثيرا عن النتيجة التي آل اليها آل برمك .

وفي الربع الاخير من القرن الثالث الهجري برزت عائلة آل الفرات[٢١١] في ميدان السياسة والادارة والاقتصاد والمنح والعطاء ، وكان على رأس هذه الاسرة أحمد وأخوه علي ولدا محمد بن الفرات . وكان احمد بن الفرات يهب أصحابه ومؤيديه وذوي الفضل عليه جرايات مستمرة . فقد أعطى أحد الشيوخ مائتي دينار ، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير برسم الكتاب ، فما زال هذا الشيخ يقبضها حتى مات ، لانه قدم لابن الفرات جرعة مـاء بارد أثناء مسيره في الطريق [٢١٢] .

والظاهر أن هبات آل الفرات شملت الشاعر عبدالله بن المعتز فمدحهم بأشعاره [٢١٣] .

---

(٢٠٨) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٢ .
(٢٠٩) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١٠١ .
(٢١٠) الثعالبي ، ثمار القلوب ص ١٥٤ . ولطائف المعارف ، ص ٢٢ .
(٢١١) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢/ قسم٢ ورقة ١٩٠ ب ــ الصابي ، الوزراء ، ص ١٢ .
(٢١٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣٩ .
(٢١٣) نفس المصدر ، ص ٨٧ .

وأستهل الوزير علي بن الفرات سياسته المالية بأن وزع أموالا طائلة على الجند في أعقاب حركة عبدالله بن المعتز ، مع العلم أنهم كانوا قد قبضوا أموال البيعة قبل أربعة أشهر [٢١٤] ، وزاد في أرزاق بني هاشم [٢١٥] . ورفع الاجرة الشهرية لاحد كتابه من عشرة دنانير الى خمسمائة دينار [٢١٦] ، وآخر من خمسة وعشرين ديناراً الى مائة دينار ، وثالث من عشرة دنانير الى أربعين دينارا [٢١٧] .

وهكذا نلمس أن علي بن الفرات كان يسكت كتابه والمتصلين به بما يمنحهم من رشاوى كبيرة . اذ كان قد منح محمد بن مقلة مرة واحدة ستين ألف دينار ، الامر الذي جعل هذا الكاتب يسير وفق أشارة الوزير ، ويسكت عن أطماعه ولا يبوح بها لاحد [٢١٨] ، فاذا ما علمنا أن في معيته عشرات الكتاب أمثال هؤلاء ، حينئذ ندرك ضخامة الاموال والعطايا التي كان علي بن الفرات يمنحها لهؤلاء .

وكان علي بن الفرات يطلق للشعراء في كل سنة من سني وزاراته الثلاثة، عشرين ألف درهم رسما لهم ، عدا ما كان يصلهم به متفرقا ، وعند مدحهم أياه . وأجرى « الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء أكثرهم مائة دينار في الشهر ، وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك » [٢١٩] . وخصص لطلاب الحديث من ماله الخاص عشرين ألف درهم [٢٢٠] .

---

(٢١٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٨ . عريب ، الصلة ، ص ٢٩ .
(٢١٥) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٣ .
(٢١٦) الصابي ، الوزراء ، ص ١٣٥ .
(٢١٧) نفس المصدر ، ص ١٥٨ .
(٢١٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣٧ .
(٢١٩) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٩٩ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ١٢/ قسم ٢ ، ورقة ١٩٠ ب . ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ١١ ، ص ١٥١ .
(٢٢٠) الصابي ، الوزراء ، صص ٢٠١ ـ ٢٠٢ و ٢٢٣ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١١٩ . العيون والحدائق ، (تحقيق نبيلة داود) ، ج ٤ قسم ١ ، ص ٣٠٩ .

وأنفق الامير ناصر الدولة الحمداني يوم دخل بغداد مع المتقى سنة ٣٣٠هـ - ٩٤١م الفى الف دينار[٢٢١] .

الاستقرار السياسي في بغداد :

لم تكد دعائم الدولة العباسية تتوطد في بغداد ، حتى عم الامن والاستقرار فيها ، وخيم السلام والطمأنينة على ارباضها ، وكفل مجيء خلفاء أقوياء مثل المنصور والرشيد ، والمأمون ، والمعتضد ، توافر عنصر الامن والاستقرار داخل العاصمة . وهو عامل وثيق الصلة بالنشاط التجاري في الاسواق .

وتوجهت عناية الخلفاء ، وكبار المسؤولين الى تأمين السبل للقوافل ، وتمهيدها للتجار ، فجلبوا اصناف السلع التجارية من مناطق شتى وعرضوها في أسواق العاصمة بحيث بدت بغداد في عهد المهدي وكأنها مستودع للتجارة مع الهند والشرق الاقصى [٢٢٢] .

وكان بعض الخلفاء يولون الاسواق عناية خاصة ، يتفقدون أحوالها وما يجري فيها ، ولا يتوانون عن أن يضربوا بشدة على يد كل من حاول الحاق الضرر بها [٢٢٣] .

وخلال عصر الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ/٨٩٢ - ٩٠١م) تمت الهيمنة على الامور ، فأخمد الثورات وحركات التمرد ، وأطفأ نار الفتن والاضطرابات ، وأقصى عن بغداد جميع القتلة واللصوص الذين كانوا متى أرخى الليل سدوله سطوا على الدور والحوانيت [٢٢٤] . فلا غرو أن نعمت أسواق بغداد وتجارها في ظله بالطمأنينة والعدل .

---

(٢٢١) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٤٩ .

(٢٢٢) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص‌ص ٢٠ - ٢١ . بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٥ . حوراني ، العرب والملاحة ص ٢٠٠ .

(٢٢٣) ابن طيفور ، بغداد ، ص ٩٨ .

(٢٢٤) المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، (مطبعة الرجاء) ص ١٦٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٢٤ - ١٢٨ .

وفي رواية أبي القاسم بن اسماعيل زنجي [٢٢٥] • ان واردات السواد لم ترتفع بعد عمر بن الخطاب (رض) بمثل ما ارتفعت أيام المعتضد بالله ، اذ كان موردها في أحد السنين ، من الحنطة والشعير فقط (أربعة ملايين وثمانمائة الف دينار ٤٫٨٠٠٫٠٠٠ دينارا) • ولا شك أن استقرار الاحوال السياسية في زمن المعتضد هو الذي زاد في واردات الدولة ونشاط الاسواق التجارية فيها • ويرجع الصابي [٢٢٦] سبب ذلك الى تعاون الخليفة المعتضد مع وزيره عبيد الله بن سليمان مع صاحب الديوان أحمد بن الفرات ، وأمير الجيش بدر •

ولا ريب في أن في استقرار الاحوال السياسية والادارية ، تزدهر وتنشط الحياة الاقتصادية • ويبدو أن هذه العناصر قد توفرت في عهد المعتضد وصارت السلع التجارية تصل الى أسواق بغداد آمنة [٢٢٧] •

وصفوة القول ، أن عناية الخلفاء العباسيين بالتجارة وحرصهم على تبادلها وتيسير طرقها البرية والبحرية ، كان له أثر بعيد على قوة النشاط التجاري في أسواق المدينة •

معوقات النشاط التجاري في أسواق بغداد :

والى جانب العوامل ، سالفة الذكر ، المنشطة للحركة التجارية في اسواق بغداد طرأت عوامل أخرى أعاقت الحركة التجارية وشلت فاعليتها في بعض الفترات •

فالاضطرابات والفتن الداخلية التي كانت تحدث بين آونة وأخرى أصبحت تعوق النشاط التجاري في أسواق العاصمة • ومن سوء طالع أهل السوق ، أن مثل هذه الحوادث حدثت مرات متعددة في اسواق بغداد وشلت نشاطها التجاري تماما •

---

(٢٢٥) انظر : الصابي ، الوزراء ، ص ١٨٨ •
(٢٢٦) الوزراء ، ص ١٨٩ •
(٢٢٧) انظر : ابن المعتز ، الارجوزة ، ص ١١ •

لقد غمرت الاضطرابات والفتن العاصمة بغداد واسواقها عام ١٩٧هـ ـ ٨١٢م عندما ضيق الجيش المحاصر لبغداد الخناق على سكان المدينة ، وبخاصة أهل السوق والتجار ، حيث أخذ زهير بن المسيب الضبي(٢٢٨) « بعشر أموال التجار ويجبى السفن وبلغ الناس كل مبلغ »(٢٢٩) . ومن جراء شدة الحصار كثر الخراب ، وسادت الفوضى وتغلب اللصوص وقطاع الطرق ، وعاث الاشرار فسادا ،دون ان يوجد من يردعهم فتعطلت الاسواق ، وتعذر على أهل المدينة أداء صلاة الجمعة في المساجد الجامعة (٢٣٠) . ومما زاد الطين بلة أن حاتم بن الصقر ، أحد قواد الامين ، أباح النهب فعاث الاوباش والرعاع فسادا في عاصمة الخلافة وأسواقها (٢٣١) .

وتردت الاحوال ببغداد لدرجة خطيرة ، ذلك ان المأمون لم يقصدها توا بعد انتصار جيشه على أخيه الامين ، فخلع سكان العاصمة طاعة المأمون وبايعوا ابراهيم بن المهدي علّه يستطيع ان يعيد الى المدينة سابق عهدها . غير ان الخليفة المنتخب فشل في تحقيق الآمال فاستمرت الامور في التردي حتى وصل المأمون الى بغداد سنة ٢٠٤هـ ـ ٨١٩ م (٢٣٢) .

ويحاول بعض المؤرخين أن يلتمس الاعذار للخليفة المأمون ، ويختلق له المبررات على أساس ان وزيره لم يسمح بان تتطرق الى مسامع الخليفة الاخبار

---

(٢٢٨) احد قادة جيش المأمون (انظر : الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٤٥) .

(٢٢٩) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٤٥ و ٤٦٠ ـ ٤٦١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٥٧ و ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٢٣٠) الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٨٧ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص‌ص ٢١٦ ـ ٢١٨ . ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ٢١١ .

(٢٣١) الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٨٣ .

(٢٣٢) ابن الجراح ، الورقة ، ص ١٩ ـ ابن الساعي مختصر تاريخ الخلفاء ص ٤٠ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٦٣ ـ الاربلي خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٠٠ .

الحقيقية عما يجري في بغداد . في حين يلوم ابن الاثير الخليفة هرون الرشيد لانه بايع بولاية العهد لابنه الثاني عبدالله المأمون بعد أخيه الامين ، وولاه خراسان وما يتصل بها . ويستغرب صاحب (الكامل) من اقدام الرشيد على هذه الخطوة مع أنه لم يكن بعيد العهد بما صنع أبوه وجده المنصور بعيسى ابن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد ، كما أن الرشيد نفسه قد عانى من هذه المشكلة عندما حاول اخوه الهادي خلعه من ولاية العهد ، ولو لم يعاجله الموت لخلعه[٢٣٣] .

ومهما يكن من أمر ، فانه بمجرد أن عرف المأمون الصورة الحقيقية عن بغداد وأسواقها وما يدور فيها حتى أولاها عنايته ، وضرب بشدة على يد كل من حاول العبث والاضرار بها [٢٣٤] .

وأعتقد ان الازمة التي نشبت بين الخليفة المستعين بالله وجنده أثرت تأثيرا بينا على النشاط الاقتصادي لاسواق بغداد . ذلك أن الجند الاتراك تحركوا نحو المدينة وصاروا ينهبون القرى الواقعة بالجانب الغربي من دجلة والممتدة ما بين بغداد وسامراء ، فخربت الضياع ، ونهبت الغلال والامتعة وهدمت المنازل وسلب الناس في الطريق [٢٣٥] ، كما أنهم نهبوا بعض محلات بغداد[٢٣٦] .

وأثرت ثورة الزنج في جنوب العراق (٢٥٥-٢٧٠هـ / ٨٦٨-٨٨٣م)[٢٣٧] على النشاط التجاري في أسواق بغداد ، ذلك أن هؤلاء الثوار كانوا قد تعرضوا مرات عديدة للسفن التجارية الصاعدة من البصرة والابلة الى بغداد

---

(٢٣٣) انظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٠٧ .

(٢٣٤) ابن طيفور ، بغداد ، ص ٩٨ .

(٢٣٥) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٢٩١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، صص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢٣٦) الشابشتي ، الديارات ، صص ٧٩ - ٨٠ .

(٢٣٧) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٤٧٢ . ابن الجوزي ، المنتظم - ج ٥ ، ص ٨ و ١٩ و ٤٥ و ٤٩ - ٥٠ و ٥٨ و ٦٩ .

أو النازلة منها [٢٣٨] . ثم اعقبتهم ثورة القرامطة[٢٣٩] ، وآل البريدي [٢٤٠] . والحسن بن عمران صاحب البطيحة [٢٤١] وغيرهم . وأصبح العراق الجنوبي تحت رحمة العصابات وقطاع الطرق الذين أدخلوا الفزع والهلع في قلوب سكان بغداد مرات عديدة [٢٤٢] .

وفي سنة ٢٩٣هـ ـ ٩٠٥م تعرض رجل طالبي اسمه (محمد بن رباح) وجماعته الثائرون بواسط لأموال تقدر قيمتها بثلاثمائة الف دينار كانت

---

(٢٣٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص‌ص ٤٩ ـ ٥٠ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣٤٩ ، و جـ ٦ ، ص‌ص ٥٢ ـ ٥٣ . الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ٢١٢ ، الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص‌ص ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢٣٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص‌ص ١٣٣ ـ ١٣٤ . عريب ، الصلة ، ص ١١ و ١٣١ ـ ١٣٢ و ١٣٧ و ١٤٦ و ١٤٧ . المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٨٣ . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٨٠ و ١٨٢ . العيون والحدائق ، جـ ٤/قسم ١ ورقة ١٠٩ ب و ١١٠ ب و ١١٩ ب . ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، جـ ١٢ ، ورقة ١٣٢ ـ أ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ـ ص ٢ ، ٢٠٩ و ١٨٨ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ١ ، ص ١٨٧ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٦ ، ١٨٨ و ١٩٤ . الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، مطبعة المدني ، (القاهرة) ، ص ٢٩٠ . حمزة الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الارض والانبياء . مطبعة كاوباني ، ص ١٥٤ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٣ ، ص ٢١٧ و ٢٢٠ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/قسم ٤ ، ص ٧٠ . الوطواط ، غرر الخصائص ، ص‌ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

(٢٤٠) الصابي ، فصول ضائعة ، من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٤٨) ص ٧٤ . (وكان زعيمهم ابو عبدالله احمد البريدي) . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٣٥٠ ، ٣٦٦ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص‌ص ١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٢٤١) الصابي ، الوزراء ، ص ٨١ .

(٢٤٢) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ١٠٧ .

مرسلة من فارس والاهواز والبصرة ومحملة في شذوات [٢٤٣] ، فقطع هؤلاء الثوار عليها الطريق وكادوا أن يستولوا عليها ، الا أن واحدة منها استطاعت الافلات من قبضتهم وصعدت الى بغداد ، ورجعت الاثنتان الى البصرة[٢٤٤] . وعلى الرغم من أن الثوار لم يظفروا بشيء الا أن مثل هذه الاعمال كان لها ردود فعل عكسية على الحركة التجارية في أسواق بغداد .

وكانت الدور والاسواق قد تعرضت للاعتداء والنهب على أثر أخفاق حركة عبدالله بن المعتز في ٢٩٦هـ ـ ٩٠٨م [٢٤٥] . وتكررت مثل هذه الحوادث سنة ٢٩٩هـ ـ ٩١١م ابان اقصاء علي بن الفرات من الوزارة [٢٤٦] . وكان لمثل هذه الامور صداها المؤلم في عاصمة الخلافة اذ اصابت بغداد وأسواقها الفتنة ، ونهب السكان بعضهم بعضا ، فلقى الناس من ذلك ضيقا شديداً استمر ثلاثة أيام بلياليها[٢٤٧] .

وفي الربع الاول من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ضعفت

---

(٢٤٣) شذرات ضرب من السفن . الواحدة شذاة . انظر : زيات ، « معجم المراكب والسفن في الاسلام » ، مجلة الشرق ، ج ٣ و ٤ ، لسنة ١٩٤٩ ص ١٩ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٦ . والصابي ، الوزراء ص ١٩ .

(٢٤٤) عريب ، الصلة ، ص ٥٥ .

(٢٤٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣ ، عريب ، الصلة ، ص ٢٨ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٨١ . ابن الاثير ،الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٢ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، السيوطي ، الخلفاء ، ص ٣٧٩ .

(٢٤٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩ ، ٣٤ ، عريب ، الصلة ، ص ٣٦ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٢٠ ـ ٢١ . العيون والحدائق ، ج ٤/ قسم ١ ورقة ٧٣ ـ أ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٩ ، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٧٧ و ١٧٩ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، ج ٤ ، ص ٧٦٨ .

(٢٤٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٩ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٧٧ .

هيمنة الدولة على الامور ، لاستئثار الجند الاتراك بالسلطة دون الخلفاء ، وأصبح في أيديهم تولية الخليفة وعزله أو قتله[٢٤٨] . وهم حين يحتاجون الى المال ارضاء لجشعهم ، لا يتورعون عن سلوك شتى السبل للحصول عليه بغض النظر عما اذا كان سلوكهم أخلاقيا ، أو هو على النقيض من ذلك . وكان مسلكهم هذا غريبا ، كما أنه يدل على تجردهم من روح الجندية الى حد بعيد . وهذا يدعونا لان نتصور بأن العاصمة بغداد واسواقها ، غدت مرتعاً للفوضى والاضطراب والقلاقل[٢٤٩] وكثر اللصوص ، وكبست دور التجار ، واختطفت ثياب الناس[٢٥٠] ، وصارت أسواق العاصمة تتعرض لحرائق مدمرة بين آونة وأخرى ، تلتهم بألسنة نيرانها كثيرا من الدكاكين وما فيها ، وتحيلها رمادا[٢٥١] .

---

(٢٤٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص‌ص ٣٧٦ ــ ٣٧٧ . عريب ، الصلة ص‌ص ١٤١ ــ ١٤٣ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٥ و ٥٦ و ١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٨ و ١٩٣ و ١٩٤ و ٢٤٢ و ٢٨٩ و ج ٢ ــ ص ٢ و ٤٤ و ٤٧ و ٧٣ و ٧٤ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ٧ ، ص ٢١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ . ابن الاثير الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٠ . ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ ، ورقة ١٣٣ ــ أ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ز ، ورقة ٣٨ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ص ١٥٧ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٣٥٧
Bowen, the Life and Times of, Ali Ibn Isa the Good Vizier, (Campridge: 1927), P. 248.

(٢٤٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠٧ ، عريب ، الصلة ، ص‌ص ١٥٦ ــ ١٥٧ . العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ ورقة ٨٥ ب . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٦٩ و ١٧٩ ــ ١٨٠ . حمزة ، تاريخ سنى ص‌ص ١٥٧ ــ ١٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٤٦ و ١٥٣ و ٢٣١ ــ ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٠ و ٢٠٦ . ابو الفداء ، المختصر ج ٢ ص ٨٧ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢٠ و ١٦٢ و ١٦٤

(٢٥٠) ابن خلدون ، العبر ، المجد ٣ ، ج ٤ ، ص٨١٣ .

(٢٥١) حمزة ، تاريخ سنى ، ص ١٥٣ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٩ و ٢٠١ و ٢٠٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٩ و ١٩٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣٢ و ١٥٣ .

ومن المؤكد ان مثل هذه الأمور كانت تؤدي الى اضرار مادية بالغة في أسواق المدينة الا اننا لم نجد ما يؤكد أن السلطة أهتمت بالموضوع وتحرت أسبابه أو عاقبت من تسبب فيه • وربما مرت مثل هـــذه الحوادث المروعـة وأمثالها دون ان ينال مرتكبوها العقاب الرادع •

ثم وقع الاضطراب في بغداد سنة ٣١٢هـ ـ ٩٢٤م ، اذ غصت طرقاتهـــا وأسواقها في الجانبين بالناقمين على السلطة [٢٥٢] •

وفزعت مدينة السلام سنة ٣١٥هـ ـ ٩٢٧م عندما استولى القرامطـة على الكوفة ووصلت فلول جيش الخلافة الى بغداد ، فاضطرب أهلها اضطرابا شديدا وانتقل اكثر من في الجانب الغربي الى الجانب الشرقي [٢٥٣] ، وكادت بغداد وأسواقها تنهب من قبل العيارين لولا أن الوزير اوعز لصاحب الشرطة بالطواف في المدينة واسواقها • ومع ذلك لم يطمئن أهل السوق على أنفسهم وأموالهم « واغلق أهل باب المحول ونهر طابق والقلائين وغيرهم دكاكينهم وتحرز الناس فنقلوا أمتعتهم الى منازلهم » [٢٥٤] • وهكذا نرى أن أسواق بغداد قد تعطلت خلال هذه المحنة العصيبة التي تعرضت لها ، وأن السلطة وجدت نفسها عاجزة عن صد هذا الخطر الذي بات يهدد العاصمة ، والظاهر ان العناصر العابثة استغلت ضعف السلطة فتمادت بحيث أصبح سكان العاصمة

---

(٢٥٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٥٧ و ٦١ . عريب ، الصلة ، ص ١١٩ و ١٢١ . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ص ١٢١ ــ ١٢٢ و ١٢٦ . العيون والحدائق ، جـ ٤ قسم ١ ، ورقة ١١٠ ــ أ ــ ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٨٨ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ــ والعبر ، جـ ٢ ، ص ٥٢ .

(٢٥٣) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٤٦ و ١٧٥ و ١٧٧ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٥٤ . حمزة ، تاريخ سنى ، ص ١٣٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٩٦ و ٢٠٨ و ٢٠٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٨٣ و١٨٦ ــ ١٨٧ .

(٢٥٤) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٧٩ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٥٤ .

يعيشون حياة غير مستقرة من جراء الفتن والاضطرابات التي شلت الحياة الاقتصادية في مدينتهم .

ومن معوقات النشاط التجارى في أسواق بغداد ، ما كان ينتاب هذه المدينة بين الفينة والاخرى من اضطرابات حادة بين الفئات السياسية والعسكرية المتناحرة على السلطة . ففي عام ٣١٧هـ - ٩٢٩م وقعت اضطرابات خطيرة استهدفت الاطاحة بالخليفة وابداله بشخص آخر ، وأدت هذه الحركة الى نهب دار الخلافة والاسواق [٢٥٥] .

وكان للاعمال التخريبية التي أثارها الشطار [٢٥٦] وأهل الدعارة من العامة ببغداد منتصف صفر سنة ٣١٩هـ - ٩٣١م آثارها السيئة على الحركة التجارية في اسواق بغداد ،واستشرى عدوانهم ، وباتوا يهددون الخليفة في عقر داره وبان ضعف السلطة أمامهم ، ووضح عجزها وعدم قدرتها على ايقافهم عند حدهم ، فلما تفاقم الامر استدعت الدولة قوات اضافية ، فرجحت كفتها عليهم وصارت تطاردهم « من رحبة الحسين الى سوق الصاغة بباب الطاق فارتدع الناس وكفوا »[٢٥٧] . ولكن مثل هذه الاعمال التخريبية تجددت في مستهل جمادى الاولى من عام ٣٢٠هـ - ٩٣٢م عندما أتى الى العاصمة جماعة من أهل الثغور والجبل ، وأستنفروا الناس ببغداد فتعطلت الاسواق وصار من المتعذر على الناس اداء صلاة الجمعة في المساجد الجامعة [٢٥٨] .

---

(٢٥٥) عريب ، الصلة ، ص‌ص ١٤١ - ١٤٢ - حمزة ، تاريخ سنى - ص ١٣٤ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ص‌ص ٥٩ - ٦١ . الذهبي - دول الاسلام ، جـ ١ ص ١٤ .

(٢٥٦) الشطار : الشطار والعيارون : تكتل نتج عن شعور تكون لدى الطبقة العامة لزيادة نسبة التباين الطبقي وسوء الوضع المعاشي للطبقة العامة وانتشار الفوضى السياسية . (انظر : التنوخي ، الفرج بعد الشدة جـ ٢ ، ص ١٠٧) .

(٢٥٧) عريب ، الصلة ، ص ١٥٨ . انظر : حمزة الاصفهاني ، تاريخ سنى ، ص ١٣٦ - والذهبي ، دول الاسلام جـ ١ ص ١٤١ .

(٢٥٨) عريب ، الصلة ، ص‌ص ١٧٣ - ١٧٤ .

وفي سنة ٣٢١هـ ـ ٩٣٣م وقع النهب ببغداد على أثر القبض على مؤنس المظفر وبليق وغيرهما [٢٥٩] • وتكررت مثل هذه الحالة عام ٣٢٢هـ ـ ٩٣٤م عندما اقصي القاهر من الخلافة [٢٦٠] • وفي سنة ٣٢٣هـ ـ ٩٣٥م نهبت الدكاكين بسوق باب الشام من قبل الحنابلة الذين استفحل أمرهم وصاروا يتدخلون فيما يجري في الاسواق [٢٦١] • وامتد الشغب سنة ٣٢٤هـ ـ ٩٣٦م الى منطقة باب الطاق المكتظة بالاسواق التجارية ، ومما زاد الامر سوءا أن السلطة بدت عاجزة عن اداء مهماتها على الوجه الاكمل [٢٦٢] •

ويعتبر « برنارد لويس » [٢٦٣] ان نمو النشاط التجاري والصناعي في الدولة العباسية خلق تناقضات اجتماعية حادة تمثلت في حركات ثورية واسعة، أعاقت النشاط التجاري واستهدفت كيان الدولة العباسية وكادت ان تطيح بها •

وتعمد بعض المسؤولين تأخير أرزاق الجند والحاشية وبعض الموظفين اعتمادا على اعذار شتى [٢٦٤] ، منها أن بعض الخلفاء كان من شيمته الاقتصاد في النفقات ، فالخليفة المعتضد بالله أمر ان تعطل دواوين الدولة يومي الجمعة

---

(٢٥٩) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٦٥ ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ٢٥٠ .

(٢٦٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٨٩ . الهمداني ، تكملة ج ١ ، ص ٨١ ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٦٥ .

(٢٦١) الصولي ، الاوراق ، ص ٦٥ . ابو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٨٧ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤٥ . والعبر ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

(٢٦٢) الصولي ، الاوراق ، ص ٧١ .

(٢٦٣) برنارد لويس ، اصول الاسماعيلية ، مطبعة دار الكتاب العربي مصر : ١٩٤٧ ص ١٩١ ـ ١٩٢ .

(٢٦٤) الصابي : الوزراء ص ٣٠ و ٣١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ـ ص ١٤٧ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٩٥ .

Fischel, The Origin of Banking in Medival Islam: P. 576.

والثلاثاء من كل اسبوع . ولا يفرق فيها شيء ، ومن خلال هذا الاجراء استطاع ان يوفر أربعة الاف وسبعمائة دينار (٢٦٥) .

وشهدت اسواق بغداد ركودا اقتصاديا على أثر الاجراءات التي اتخذها الوزير علي بن عيسى عام ٣٠١هـ ـ ٩١٣م ، اذ رد كثيرا مما أمر به الوزير السابق من الزيادات (٢٦٦) .

وفي عام ٣١١هـ ـ ٩٢٣م ادعى علي بن عيسى أن هناك ازمة مالية تتعرض لها ميزانية الدولة ، فأصدر اجراءات كان يرمي من ورائها الى خلق نوع من التوازن بين واردات بيت المال ومصروفاته ليتلافى العجز المستديم الذي كانت تئن من شدة وطأته الدولة . وبدأ يؤخر أرزاق بعض موظفي دار الخلافة فصار يعطي بعض منتسبي الدولة جاري عشرة اشهر في السنة والبعض الاخر ثمانية أشهر فقط (٢٦٧) .

ويبدو أن علي بن عيسى كان مقتنعا كل الاقتناع بالاجراءات السليمة التي اتخذها عام ٣١١هـ ـ ٩٢٣م . عندما كان مشرفا على الدواوين مع الوزير حامد بن العباس ، لذلك نرى ان ابن عيسى يتخذ اجراءات مماثلة سنة ٣١٥هـ ـ ٩٢٧م ابان تقلده الوزارة للمرة الثانية (٢٦٨) . ويرى مسكويه ان هذه الاجراءات كانت صائبة لانها أدت الى استقامة الامور ، وحدث توازن بين الدخل والخرج ، لكنها بنفس الوقت كانت قد أضرت بحركة السوق التجارية (٢٦٩) .

---

(٢٦٥) Kremer, Abbasiden - Relches, P. 24.

(٢٦٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٢ .

(٢٦٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٨٥ و ١٠٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ـ ص ١٤٧ و ١٩٥ .

(٢٦٨) مسكويه ، تجارب الامم ـ ج ٦ ، ص ١٥٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ .

(٢٦٩) تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

وشاعت في أواخر هذه الفترة طريقة المصادرات التي تعرض لها التجار والاغنياء والموسرون [٢٧٠] ، ورجال الدولة [٢٧١] ، لم ينج الولاة [٢٧٢] ، ولا القضاة [٢٧٣] من هذا الاسلوب التعسفي ، حتى أن احد قهرمانات [٢٧٤] دار الخلافة فقدت ثروتها الكبيرة بالمصادرة [٢٧٥] . وقدرت المبالغ المصادرة في وزارة ابن الفرات الثالثة (٣١١-٣١٢هـ / ٩٢٣-٩٢٤م) فقط من « العين ثمانية آلاف ألف دينار ، وأربعين الف دينار » [٢٧٦] .

---

(٢٧٠) عريب ، الصلة ، ص ٤٨ — المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٣٨ . التنوخي ، نشوار المحاضرة (دار الصياد) — ج ١ — ص ٢٥ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٨ و ٣٥ . محمد بن احمد الخوارزمي البيروني ، الجاهر في معرفة الجواهر (حيدر اباد/١٣٥٥هـ) ص ١٥٣ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٥ . ابن دقماق ، نزهة الأنام ج ٢ ، ورقة ٤٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٨٢ و ١٢٧ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ورقة ٥ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٨٥ — ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٢٧١ . Bowen, Op. Cit. P. 147.

(٢٧١) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٩ و ٣٢ و ٣٥ و ٤٦ و ٦٥ و ١٥٢ و ٢٤٥ و ٢٤٨ ، و ٣٢٧ و ٣٢٨ . عريب ، الصلة ، ص ١٠٨ و ١١٢ — الهمداني تكملة ، ج ١ — ص ٣١ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ١٢٧ . ونشوار المحاضرة ، ج ١ ، صص ٢٣ — ٢٥ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٨ و ١٤ و ٣٢ و ٣٥ و ٨٤ و ٩٢ و ٩٩ و ١٠١ و١٠٢ و ١٠٤ و ١١٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ، ص ١٢٢ و ١٧٤ و ١٨٠ و ٢٠٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ١١٨ و ١٤٥ و ١٥٠ — الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ورقة ٢٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ قسم ٤ ، ص ٧٥٦ و ٧٨٤ و ٧٨٧ و ٨١٧. Bowen, Op. Cit. P. 242.

(٢٧٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٤ .

(٢٧٣) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ — ص ١٤ .

(٢٧٤) القهرمانة : اصلها الوكيل عن الشخص ، أو الامين على الدخل والخرج وفعله قهرمة ، وهو دخيل في العربية وليس منها . (انظر : ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٢٧١) . ويقول ابن الاثير : تعنى وكيل او امين الدخل والخرج . الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٢٧٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ — ص ١٦٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ — ص ١٤٥ .

(٢٧٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٨ .

ولقد نتج عن ذلك عدم اطمئنان اصحاب الثروات النقدية في استثمار رؤوس أموالهم في الامور التجارية ، وصار امتلاك الاراضي والضياع وسيلة مفضلة خاصة وأن الضرائب المفروضة على الاراضي الزراعية كانت ضئيلة نسبيا (٢٧٧) . وادى ذلك الى قلة السيولة النقدية في أسواق بغداد (٢٧٨) .

والتجأ الخلفاء العباسيون الى المصادرات منذ بداية قيام دولتهم الا أن هذه الظاهرة بلغت أقصاها في عهد الخليفة المقتدر بالله ، اذ بلغت قيمة المصادرات في عهده ثمانية وستين مليونا وثمانمائة وثلاثين الف دينار (٢٧٩) . وبلغ مقدار ما صادره الوزير على بن الفرات في وزارته الثالثة ثمانية ملايين وأربعين ألف دينار (٢٨٠) .

ومرت فترات كان التجار غير مطمئنين على أموالهم ، وبخاصة عندما تشتد شراهة المسؤولين ونهمهم في الاستحواذ على أموال الناس . ففي سنة ٣١٤هـ ـ ٩٢٦م أشتدت مطالبة الوزير أحمد الخصيبي لاموال الناس ، وصار يختلق الحجج الواهية « ولم يدع عند أحد ما لا أحس به الا أخذه باتعس مايكون من الاخذ والشدة » (٢٨١) .

ومهما يكن من أمر ، فقد اصبحت الحياة محفوفة بالمخاطر يعوزها الامن والاستقرار والطمأنينة ، وأحجم كثير من أصحاب الثروات عن استثمار

---

(٢٧٧) يورد لنا (ابن عبد ربه) شعرا أنشده فرج بن سلام يوضح ميل الناس الى شراء الاراضي وعزوفهم عن الاشتغال بالتجارة لعدم اطمئنانهم اليها فقال :

ولقد أقول لحاجب نصحا له   خل العروض وبع لنا أرضا
اني رأيت الارض يبقى نفعها   والمال يأكل بعضه بعضا

أنظر : العقد الفريد جـ ٢ ص ٣١١ .

(٢٧٨) Fischel, Op. Cit. P. 571.

(٢٧٩) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ .

(٢٨٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٨ .

(٢٨١) عريب ، الصلة ، صص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

ثرواتهم وصاروا يميلون الى تحويلها الى نقود من الفضة والذهب ثم يكتنزونها • وقد ترتب على هذا الاكتناز حبس رأس مال كبير عن عمليات الانتاج ، ووقوف ثروة المجتمع عن النمو •

وقد أدت المصادرات الى بروز ظاهرة جديدة حدت من النشاط التجاري في أسواق بغداد ، اذ لجأ اصحاب الثروات الى الحيلة ليخفوا ثرواتهم عن عيون الطامعين ، فنشأت عادة دفن النقود تحت الارض [٢٨٢] • أو ايداعها عند من يوثق بهم ، اذ اودعت (قبيحة) أم المعتز أموالا تقدر بأكثر من مليون ونصف مليون دينار عندما قتل ابنها [٢٨٣] • وفي سنة ٣٠٢هـ – ٩١٤م كان الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص قد صودر « فحفرت داره فوجدت له في بستانه أموال جليلة مدفونة في جرار خضر وقماقم مرصصة الرؤوس فحملت كهيئتها الى دار المقتدر » [٢٨٤] • واعترف الوزير المعزول حامد بن العباس انه قد دفن خمسمائة الف دينار في بلاليع احتفرها بنفسه [٢٨٥] • وكان المتمردون سنة ٣١٧هـ – ٩٢٩م قد أخرجوا من تربة السيدة أم المقتدر بالله بالرصافة ستمائة الف دينار حيث كانت مخبأة هناك [٢٨٦] • ودفن أمير الجيش بجكم أموالا كثيرة قدرت قيمة الذي وجد منها مخلوطا بالتراب بستة وثلاثين الف درهم هذا عدا ما دفنه أمير الجيش في العراء ولم يعثر عليه [٢٨٧] •

---

(٢٨٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ . ص‌ص ٣٤٣ – ٣٤٤ •
Fischel, Op. Cit P. 571.

(٢٨٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ٣٤٤ •

(٢٨٤) عريب ، الصلة ص‌ص ٤٧ – ٤٨ •

(٢٨٥) اعترف حامد بن العباس بانه دفن هذا المبلغ في بلاليع . (انظر : مسكويه تجارب الامم ، ج ١ – ص ١٠٢) •

(٢٨٦) العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ ورقة ١٢٣ – ب . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، قسم ١٩٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ – ص ٢٢٢ •

(٢٨٧) انظر : مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ١١ – ١٢ . الهمداني ، تكملة – ج ١ ، ص ١٢٢ – العيون والحدائق ، ج ٤/قسم ٢ رقم ٩٨ •

وكان لدفن النقود أثر اقتصادي سيء ، اذ فقدت بذلك كميات كبيرة من الفضة والذهب بوفاة أصحابها . ونتج عن ذلك تجميد كميات كبيرة من النقد من التداول ، وهذا بدوره أدى الى عرقلة النشاط التجاري واضعاف نمو المؤسسات المصرفية .

وفي أواخر الفترة التي نحن بصدد البحث فيها ، خرجت بعض الاقاليم من يد الدولة بتغلب من تغلب عليها (٢٨٨) ، ولم يبق في يد الخليفة غير السواد والعراق(٢٨٩) ويعزو (ابن الاثير)(٢٩٠) سوء أحوال الدولة وضعفها، وتغلب الاطراف وانفصالها ، الى تدخل قادة الجيش في الامور السياسية والاقتصادية التي لم تكن لهم الدراية الكافية بدقائقها وملابساتها (٢٩١) .

يضاف الى ذلك ، أن العاصمة بغداد واسواقها ، صارت خلال عام ٣٢٧هـ ـ ٩٣٨م في متناول أيدي العابثين خلال أيام قليلة ، فعندما اتجه الخليفة الراضي وقائد الجيش بجكم نحو الموصل محاولين ارجاع سيطرة العاصمة المباشرة على تلك الديار ، ظهر محمد بن رائق ـ أمير الجيش السابق الذي كان مستترا ـ وسيطر على بغداد بعد أن أنضم اليه بعض افراد الجيش المرافق للخليفة(٢٩٢) ثم لم تلبث العاصمة أن عادت اليها سيطرة الخليفة وبجكم بعد أن تركها ابن رائق(٢٩٣) .

---

(٢٨٨) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٢٨٩) نفس المصدر ، ص‌ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ . السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، مطبعة الوطن (مصر : ١٢٩٩هـ) ، ص ١٤ .

(٢٩٠) الكامل ، ج ٦ ، ص‌ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٢٩١) انظر : عريب ، الصلة ، ص ٢٩ و ٣٢ و ١٤٥ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٤١ و ١٧٦ . العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ ، ورقة ٦٤ ـ أ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٩ .
Bowen, Op. Cit. P. 113.

(٢٩٢) الصولي ، الاوراق ، ص‌ص ١١٨ ـ ١١٩ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١١٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٦٩ . ابو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٢٩٣) الصولي ، الاوراق ، ص ١٢١ .

وفي سنة ٣٣٠هـ - ٩٤١م تعرضت بغداد وأسواقها ودورها للحريق والنهب ليلا ونهارا ابان اشتداد الازمة بين أبي الحسين البريدي الذي كان يحاصر العاصمة وبين المدافعين عنها وعلى رأسهم الخليفة المتقي لله وأمير الامراء ابن رائق[٢٩٤] . ومما زاد الامر سوءا أن استظهر ابن رائق بالعيارين الذين تجاوزوا الحدود المرسومة لهم ، ففتحوا السجون ، ونهبت الاسواق وأموال التجار [٢٩٥] .

وعندما استطاع البريدي الاستيلاء على بغداد ، فرض ضرائب اضافية على الحنطة والشعير وسائر الحبوب ، مما ادى الى ارتفاع اسعارها [٢٩٦] . كما عاق النشاط التجاري بأسواق بغداد الاجراء الذي اتخذه أمير الموصل الحسن بن عبدالله الحمداني عندما « تقدم بالنداء الا يحمل احد من التجار مالا الى اسفل [٢٩٧] ، فغلا الثمن وبلغ ما لم يبلغ مثله قط » [٢٩٨] . وفي سنة ٣٣١هـ - ٩٤٢م كثر اللصوص ببغداد ، وكبست دور المياسر ، الامر الذي جعل الناس يفضلون النزوح منها ، الا انهم لم يأمنوا سلامة الطريق[٢٩٩] .

وكان التجار أحيانا ضحية النزاع القائم على السلطة ، فعندما خرج ناصر الدولة من بغداد سنة ٣٣١هـ - ٩٤٢م ودخلها أمير الجيش الجديد (توزون) قبض الاخير على جماعة من التجار ، وطولبوا بمال فدفعوه[٣٠٠] .

ومع أن الاسلوب العلمي الموضوعي يقتضي ان لايكون تحليل الاحداث خارج الظروف التي جرت فيها ، الا اننا يمكن ان نتخيل الصورة القلقة

---

(٢٩٤) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ص ١٢٢ - ١٢٣ و ١٢٧ . ابن الساعي مختصر ، ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٣١٦ . ابو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٢٩٥) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٢٣ .

(٢٩٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٣١٦ .

(٢٩٧) يقصد تصدير المواد الغذائية من الموصل الى بغداد .

(٢٩٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٢٨ .

(٢٩٩) نفس المصدر ، ص ٢٣٤ ، الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٣٥ .

(٣٠٠) الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

لاسواق بغداد ، والاخطار الاقتصادية التي انتابتها من جراء تلك الاحداث المروعة . ففي وسط الجو المضطرب الذي حل ببغداد عام ٣٣١هـ - ٩٤٢م ظهر في العاصمة لص محترف هو (ابن حمدي) (٣٠١) ، وصار ينهب أموال أهل بغداد واسواقهم وتجارتهم ، ويعترض السفن التجارية النازلة الى واسط او الصاعدة منها ، ويأخذ من التجار اتاوة معينة ، وحصل من جراء ذلك على مورد كبير (٣٠٢) . وكان قد أعيى الدولة أمره ، وبذا اصبحت السلطة تخطب وده ، فخلع عليه من قبل ابن شيرزاد . ووافق هذا اللص أن يدفع للدولة في كل شهر خمسة عشر الف دينار مقابل اطلاق يده في جباية القوافل التجارية الواردة على اسواق بغداد (٣٠٣) .

والحق أن اللصوص ومسببي الفتن والاضطرابات ، لم يتمكنوا من الافلات من طائلة العقاب في كل الاحوال فأحيانا كانت سلطات الامن تقبض على أولئك العابثين وقد يكون عملها هذا شيئا لا مفر منه ، ذلك أن هؤلاء اللصوص كانوا مكشوفين أمام الرأي العام ، وحينئذ يصبح في غير مقدور السلطات غض الطرف عنهم(٣٠٤) .

---

(٣٠١) ابن حمدي : كان حمالا في سوق الجديد عند باب الشوك ، ثم صار لصا ببغداد فولاه أبو جعفر بن شيرزاد طريق واسط وخلع عليه . وقد ازدادت مكانة ابن حمدي بحيث انه سفر في الصلح بين توزون وناصر الدولة عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م . ولما تمادى ابن حمدي في غيه ولم يرتدع قبض عليه توزون وقتله . (انظر : الصولي ، الاوراق ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٩) .

(٣٠٢) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٤٣ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .

(٣٠٣) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ، ص ٥١ - ٥٥ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ١٣٧ .

(٣٠٤) العيون والحدائق ، جـ ٤ قسم ١ ورقة ١٠٨ - أ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ٦ ، ص ١٧٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص١٧٠ :

وفي نهاية الفترة موضوع البحث التجأ الخليفة المتقى لله الى الموصل سنة ٣٣٢هـ ـ ٩٤٣م وترك بغداد واسواقها تحت رحمة جند توزون ، فكثرت الاعتداءات على الاغنياء ، ووقع على التجار ببغداد ظلم عظيم ، وهاجر كثير منهم الى الشام تخلصا من العسف الذي كانوا يلاقونه [٣٠٥] .

وزادت المحنة في بغداد على أثر وصول جيش أحمد بن بويه الى مشارف مدينة السلام [٣٠٦] ، ووصول القرامطة الى الكوفة [٣٠٧] ، وهكذا اضطربت الامور وسادت الفوضى حتى تمكن آل بويه من السيطرة عليها .

---

(٣٠٥) الصولي ، الاوراق ، ص‌ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٣٠٦) الصولي ، الاوراق ، ص‌ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٣٠٧) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٦٤ .

الفصل الثاني

تخصص الأسواق وتعددها

لم تكن مدينة السلام هي أول المدن التي برزت فيها ظاهرة تخصص الاسواق ففي البصرة كان اصحاب كل مهنة يجتمعون معا في محل واحد مكونين سوقا فرعية صغيرة داخل السوق الكبير ، وتختلف أهمية الاسواق الفرعية باختلاف عدد من يعمل فيها ، أو المهن التي يمتهنونها [1] . كما ان خالدا القسرى كان قد صف الاسواق في الكوفة حسب عروض التجار التي تعرض فيها « وجعل لكل باعة دارا وطاقا »[2] . ثم ان تخصص الاسواق وتعددها اخذت به المدن المصرية التي انشئت في العهد الاسلامي [3] .

ويرى مؤلف كتاب « آثار الاول » [4] ضرورة انفراد كل سوق على حدة حتى لا تتجاور البضائع الخسيسة مع البضائع النفيسة. وفي المدن الكبيرة كبغداد ، لابد من تفرقة بائعي الطعام على مواضع كثيرة من المدينة لان حاجة الناس اليه متكررة وان يكون موقع الصناعات القذرة في اطراف المدينة، مثل المسالخ والمذابح ، ومسابك الزجاج والحديد والاجر وعمل الصابون وما أشبه ذلك .

تخصص أسواق الكرخ :

وفي داخل المدينة المدورة لم ترد الا اشارة عابرة تشير الى وجود سوق

---

(١) صالح احمد العلي (الدكتور) ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، مطبعة المعارف ، (بغداد ١٩٥٣) ، ص‌ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٧١ .

(٣) ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٤ ، ص‌ص ٣٢ – ٣٤ و ٣٧ – ٤٠ .

(٤) الحسن بن عبدالله بن قلال العسكري ، اثار الاول في ترتيب الدول ، المطبعة الميمنية (القاهرة – ١٣٠٥هـ) ، ص ١٨٩ . انظر كذلك ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب ص ٩٧ .

خاصة يباع فيها نوع معين من السلع هي سوق دار البطيخ [٥] ، التي اختصت ببيع الفواكه والتي ابقاها المنصور داخل اسوار المدينة المدورة ولم يأمر بنقلها كما فعل مع بقية الاسواق [٦] ولعله شعر بحاجة الناس اليومية لمثل هذه السلع وضرورة وجودها بقربهم . اما الاسواق الموجودة في الطاقات فيذكر اليعقوبي [٧] : أنها كانت اسواقا جامعة تجمع انواع التجارات .

وعندما توسعت مدينة السلام ، وزادت مرافقها العامة ، وتطورت فيها الحياة الاقتصادية ، وتطلب الامر انتقال الاسواق الى الكرخ [٨] ، بات من الضروري بروز ظاهرة تخصص الاسواق وتعددها ، لكي تفي بمتطلبات الحياة الجديدة التي صارت تحياها حاضرة الخلافة العباسية .

وأول ما يشير الى تخصص الاسواق وتعددها ، ما أمر به الخليفة المنصور من نقل الاسواق من داخل المدينة المدورة الى الكرخ ، ذلك ان الخليفة دعا بثوب واسع فحد فيه الاسواق ، ورتب كل صنف منها في موضعه وقال : « اجعلوا أسواق القصابين في آخر الاسواق فانهم سفهاء وفي أيديهم الحديد القاطع » [٩] .

وبناء على رغبة الخليفة اصبحت اسواق الكرخ منفصلة عن بعضها البعض ، ومنظمة بشكل جعل لكل تاجر وتجارة شارعا معلوما ، لا يختلط قوم

---

(٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨١ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٤ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٤ . البستاني ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد ٧ ، ص ٥٤٢ .

(٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ج ١ ص ٨١ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ص ١٤ . ابن الاثير ، الكامل ج ٥ ، ص ٢١ . الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ .

(٧) البلدان ، ص ٢٤٢ .

(٨) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١١٠ . الطبري ، م. ق ، ج ٧ ص ٦٥٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ج ١ ص ٨١ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ .

(٩) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ٨٠ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ .

بقوم ، ولا تجارة بتجارة ، ولا يباع صنف مع غير صنفه ، ولا يختلط اصحاب المهن بغيرهم « وكل سوق مفردة ، وكل اهل منفردون بتجارتهم » (١٠) .

وعند ذلك ، اصبح من المحتم ان تبرز ظاهرة تخصص الاسواق بشكل واضح وجلي . فأقيم سوق للبزازين الذين كانوا يقومون ببيع الاقمشة على اختلاف أنواعها ، وكان سوقهم يبدأ من قنطرة انشئت على نهر البزازين (١١).

اما سوق الجزارين فاقتصر البيع فيه على اللحوم ، وقد اتخذوا موضعا الى الشرق من سوق البزازين (١٢) . ووجد الى الشرق منه سوق آخر اختص أهله ببيع الدجاج فسمي بسوق الدجاج ، كما سمي النهر الذي يقع بجانبه بنفس الاسم (١٣) . والى الشرق منه وجد باعة الصابون (١٤) ، وشرقهم سوق القلائين ، حيث تباع اللحوم المقلية . (١٥) اما سوق الطعام فقد خصص له موضع في نهاية نهر الدجاج قبل مصبه بدجلة (١٦) .

وأقيمت سوق خاصة لباعة السويق (١٧) ، والى شرقها دار القطن وسوق الحدادين (١٨) ،وأخرى خاصة ببيع التمر تقع قرب دار الحريم (١٩) ، ثم

---

(١٠) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٦ .

(١١) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٩ . والمنتظم ، جـ ٦ ص ٢٧٦ .

(١٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ١١٣ .

(١٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٠ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٩ ، والمنتظم ، جـ ٦ ص ١٥٣ .

(١٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ١١٣ .

(١٥) نفس المصدر والمكان .

(١٦) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٩ ، والمنتظم جـ ٦ ، ص ١٥٣ .

(١٧) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ١١٣ .

(١٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥٩ .

(١٩) القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ص ٣٣١ . ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٣ .

هناك سوق الصيارفة التي كان يباع فيها (بدور) [٢٠] معمولة من ألوان الحرير ، وفيها الاف الدراهم [٢١] .

وامتدت أسواق أخرى مع امتداد نهر عيسى الذي أقيمت عليه عشر قناطر ما بين المحول ومصبه في نهر دجلة . وكانت هذه القناطر ، كل منها تخدم سوقا معينا ، وكل سوق منها مختص ببيع نوع معين من السلع فعند أحد القناطر اجتمع باعة الزيت في سوق خاص بهم [٢٢] ، وعلى الاخرى اقيم سوق لبيع الاشنان[٢٣] ، ولباعة الشوك موضع خاص بهم اتخذوه على نهر عيسى ، وعند موضعهم هذا قنطرة تعرف بقنطرة الشوك[٢٤] . واختص باعة الرمان بموضع آخر مع امتداد نهر عيسى ، وعند موضعهم قنطرة تعرف بقنطرة الرمان [٢٥] .

وقبل ان يصب نهر عيسى بدجلة يمر بدار البطيخ حيث يباع الخضار والفواكه هناك[٢٦] . . وهكذا نجد ان القناطر المقامة على نهر عيسى اتخذت اسماءها من اسم البضاعة او السوق المقامة بقربها ، وان الاسواق اخذت اسماءها ايضا من اسم السلع المباعة فيها . وهنا نلمس ان الاسواق فرضت تسميتها على مواضع كثيرة من بغداد . ويذكر مسكويه[٢٧] ان للصرافين ببغداد محلة خاصة بهم في الكرخ تدعى درب عون .

---

(٢٠) بدور : جمع بدرة .
(٢١) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٢٨ .
(٢٢) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٨ .
(٢٣) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٨ .
(٢٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٨ .
(٢٥) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٨ .
(٢٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٤ ، الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٦ .
(٢٧) تجارب الامم ، ج ١ ص ٢٤٧ و ج ٢ ص ١٨٨ . انظر : التنوخي ، نشوار ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

ومع الجانب الغربي لنهر عيسى ، يمتد طريق عام يبدأ من باب المحوّل حتى باب الكوفة في المدينة المدورة . وعلى الجانب الايمن لهذا الطريق يوجد سوق الدباغين[٢٨] ، والى الشرق منه يقع سوق باعة الدواب ، الذي تباع فيه انواع الحيوانات[٢٩] ، وعند باب الشام أقيمت سوق خاصة النجارين[٣٠] ، وأخرى للنخاسين تقع في الكرخ بين درب عون وطاق اللعب[٣١] .

ومن مظاهر تخصص اسواق بغداد توسع محلة العتابية التي اختصت بصنع الثياب العتابية التي كانت تحاك من حرير وقطن في الوان مختلفة[٣٢] وتلي محلة العتابية محلة أخرى تسمى « دار القز » تقع في الطرف الغربي على مسافة فرسخ من مدينة المنصور ، وكان يصنع فيها الورق الذي اكتسب شهرة في جميع بلاد الشرق[٣٣] .

وهكذا تعددت الاسواق وتخصص كل واحد منها ببيع سلعة معينة ، فصرنا نشهد في جانب الكرخ سوقا للعطارين ، وآخر للصيادلة وأصحاب الدهون ، والخزازين ، والجوهريين ، وأصحاب الحناء ، وسوقا للسلاح وغيرها[٣٤] .

ويظهر ان اسماء الاسواق ، او نوع البضاعة المباعة فيها ، كان يطغى ،

---

(٢٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٤ .
(٢٩) نفس المصدر والمكان . الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ١١٤ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ص ١٤٠ .
(٣٠) ابن الجوزي . المنتظم ، جـ ٦ ص ١٣٠ .
(٣١) الازدي ، حكاية ابي القاسم البغدادي ص ٢٣ .
(٣٢) وقد دعيت هذه السوق بالعتابية نسبة الى (عتاب) أحد اصحاب النبي (ص) الذي كان عاملا على مكة في عهد ابي بكر (رض) . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ص ١٠٥ : لسترانج ، بغداد ص ١٢٢ .
(٣٣) جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٠٥ ، ياقوت ، البلدان جـ ٤ ، ص ١١ .
(٣٤) الصولي ، الاوراق ، ص ٦٨ .

في الاعم الاغلب على ما جاوره من مواضع • وفي بعض الاحيان تأخذ الانهار او محلة من محلات بغداد ، اسمها من اسم نوع البضاعة المباعة فيها ، وتمثلت هذه الظاهرة في الجانب الغربي من بغداد بشكل أوضح منها في الجانب الشرقي • فمثلا توجد في جانب بغداد الغربي محلة كبيرة كانت بقرب الخندق وبازاء قطيعة أم جعفر تدعى « محلة باب التبن »(٣٥) • ومن المؤكد ان (التبن) كان يباع في هذه المنطقة •

وكذلك الحال بالنسبة لمحلة القلائين(٣٦) ، ونهر البزازين(٣٧) ، ونهر الدجاج وغيرها(٣٨) •

ومن المؤكد ان الاشراف الحكومي على الاسواق ساعد على بروز ظاهرة التخصص ، اذ كان من واجبات المحتسب ان يجعل « لاهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم وتعرف صناعتهم فيه »(٣٩) كما ان مصلحة التجار وأصحاب الحرف انفسهم حملت أصحاب كل منهة ، او معظمهم ، على التجمع في محل واحد ، او سوق واحدة ، وهكذا نلحظ تكتل التجار الخراسانيين في السوق الممتدة على جانبي الشارع الموصل من محلة الشرقية ـ بالجانب الغربي ـ الى شارع باب الكرخ • وقد اقتصر هؤلاء على بيع السلع الواردة من خراسان ، سواء أكانت الثياب او الاقمشة التي لا يختلط بها شيء من الاصناف الاخرى(٤٠) وفي الرصافة سكن بعض التجار في محلات معينة ايضا(٤١) •

---

(٣٥) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ •
(٣٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ٧٩ ، ١١٣ ـ ١١٤ • ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ص ١٥٣ •
(٣٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٦ • الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ١١٣ • ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ • ياقوت ، البلدان ، جـ ٧ ص ٢٣٣ •
(٣٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٠ • الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ١١٣ • ابن الجوزي ، مناقب بغداد ص ١٩ ، والمنتظم جـ ٦ ص ١٥٣ •
(٣٩) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١١ •
(٤٠) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ •
(٤١) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٨ •

ولم يكن تكتل الخراسانيين مقتصرا على الاسواق التي يبيعون فيها بضائعهم فحسب ، بل اننا صرنا نلمس هذا التكتل حتى في محلات سكناهم وربما اقتصر بيع نوع من السلع المباعة في أسواق بغداد على جنس محدد من التجار[٤٢] • وهذا ما يدعونا الى الاعتقاد بوجود بعض التوافق بين بعض الاجناس والحرف التي كانوا يمتهنونها •

تخصص أسواق الرصافة :

وفي الجانب الشرقي من بغداد ، تعددت الاسواق وتخصصت ايضا[٤٣] وكانت تسمية الاسواق وتخصصها متوقفة على نوع المواد التي تعرض في هذه الاسواق • وكانت هناك سوق للدواب[٤٤] ، حيث تباع حيوانات النقل والركوب والحمل[٤٥] ، وسوق العلافين[٤٦] الذي اقتصر النشاط التجارى فيه على بيع ما يطعم للحيوانات عامة • وكانت حوانيتهم متاخمة للطريق المنشعب من الشارع الاعظم[٤٧] • والى الشرق من هذا السوق يقع سوق التبن[٤٨] ، الذي هو الاخر له علاقة ببيع علف الحيوانات – ثم سوق الغنم[٤٩] ، وسوق العطارين ، وسوق الصيارفة وسوق الصفارين والفرائين[٥٠] ، وسوق

---

(٤٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .
(٤٣) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٨ .
(٤٤) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ١١٤ .
(٤٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ج ١ ، ص ١١٤ .
Le Strange, Description of Mesopotamia, P. 21-22.
Ibn Serapion, Op. Cit, P. 21.
(٤٦) لسترانج ، بغداد ، ص ١٩٥ .
(٤٧) الشارع الاعظم في محلة المخرم ، يأتي من الجسر الاسفل وسوق الثلاثاء وينقسم الشارع الاعظم عند باب المخرم فينحرف احد القسمين الى الباب المقير الكبير حيث يقع هناك سوق العلافين .
(٤٨) لسترانج ، بغداد ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .
(٤٩) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ١١٤ .
(٥٠) ابن طيفور ، بغداد ، ص ٩٨ ، ابن الجوزي ، مناقب بغداد ص ٢٦ .

الاساكفة[٥١] ، وسوق الطيب حيث تباع العطور والزهور[٥٢] • وكان هذا السوق بالذات يجذب الزائرين له لكثرة السلع المعروضة فيه[٥٣] •

ووجدت في جانب الرصافة سوق للطعام فيها حوانيت الخبازين والقصابين[٥٤] ، كما وجدت سوق خاصة للصاغة في بناية فخمة[٥٥] ، وفي حواشيها الصيارف الظراف وأصحاب الطيالس وفاخر الثياب[٥٦] ، كما وجدت سوق للوراقين[٥٧] •

وكانت سوق خضير من أكثر أسواق بغداد عمارة وحركة ونشاطا • واختصت هذه السوق بعرض وبيع طرائف الصين التي كانت ترد من هناك خصّيصى لهذه السوق لتباع فيها • وكان الراغب في شراء هذا النوع من السلع عليه أن يقصد هذه السوق ليتزود بما يحتاج اليه من بضائع وطرائف الصين النفيسة[٥٨] •

ومن سوق خضير تتفرع سوق فرعية تسمى (سوق الجرار) ، وهي

---

(٥١) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ •

(٥٢) نفس المصدر والمكان •

(٥٣) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٠٨ Coke, Baghdad, P. 16.

(٥٤) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ •

(٥٥) عريب ، الصلة ، ص ١٥٨ • ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ • لسترانج ، بغداد ، ص ١٨٧ • الحسيني ، عمران بغداد ، ص‌ص ١٠٨ — ١٠٩ • جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١١٤ •

(٥٦) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ •

(٥٧) نفس المصدر والمكان •

(٥٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٣ • الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ٩٤ • ابن عبدالحق ، المراصد والاطلاع ، ج ١ ص ٣٠٨ • لسترانج ، بغداد ، ص ١٧٢ • حتى ، تاريخ بغداد ، ج ٢ ص ٢٧٩ •

(٥٩) ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٥٥ • الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٣ • لسترانج ، بغداد ، ص ١٧٢ • جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ص ١١٤ •

على ما يبدو مختصة ببيع الجرار[٥٩] . وعلى ضفة دجلة المقابلة لسوق خضير كانت تباع أحطاب الوقود[٦٠] .

ومن الاسواق التي حفلت بها بغداد السوق الخاصة ببيع السلاح وكانت الحوانيت في هذه السوق مزدحمة دائما ، ويحصل التجار فيها على أرباح طائلة ، وبخاصة في الاوقات التي تتطلب أن يقتنى الناس السلاح للدفاع عن أنفسهم واموالهم وأعراضهم[٦١] .

واشتهر ببغداد سوق الجوارى اللائي يجلبن الى سوق النخاسين من أطراف الدنيا ، وفيهن الحبشيات ، والروميات ، والجرجيات والشركسيات والعربيات ، ويتصرف النخاسون ببيعهن مثل تصرف التجار ببضائعهم[٦٢] وهذه السوق يرتادها عادة الاشراف[٦٣] . كما انفردت سوق خاصة ببيع الحمام[٦٤] .

وأقيمت سوق الرياحين[٦٥] تحت قصر الحسنى[٦٦] ، بالاضافة الى سوق

---

(٦٠) لسترانج ، بغداد ص ١٧٢ .

(٦١) ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٧ . الصولي ، الأوراق ، ص ٧٠ . ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ١٧٦ . والمشترك ، ص ٣٦٠ . ابن عبدالحق ، المراصد والاطلاع ، ج ٢ ، ص ٦٩ . الالوسي ، أخبار بغداد ، ورقة ١٤١ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٤٩ .

(٦٢) المدور ، حضارة الاسلام ، ص‌ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٦٣) ابن الجراح ، الورقة ، ص٧٢ . الاكمة ، تزيين الاسواق ، ص ٣٠ .

(٦٤) ياقوت ، البلدان ، ج ١ ص ٣٠٨ .

(٦٥) نفس المصدر ج ٤ ص ٨ . لسترانج ، بغداد ، ص ١٩٧ .

(٦٦) قصر الحسنى : هو قصر الحسن بن سهل ، يقع على شاطىء دجلة تحت نهر المعلى ، فلما توفى الحسن بن سهل صار القصر لابنته بوران فاستنزلها المعتضد بالله ، فاستنضرته اياما في تفريغها وتسليمها ، ثم رممتها وعمرتها وجصصتها ، وفرشتها باجل الفرش واحسنه ، وعلقت اصناف الستور على أبوابها ، وملأت خزائنها بكل ما يخدم

المسك التي كان عليها عامل خاص بها[٦٧] .

وينفرد الثعالبي[٦٨] بذكر سوق العروس الذي كان يضرب به المثل باعتباره مجمع الطرائف ببغداد ، والعرائس كن يجهزن من هذا السوق .

ووجد في بغداد سوق خاصة لبيع النبيذ ، ومنهم من يبيع فيها الدواء ، فكان الناس يؤمون هذه السوق لشرب النبيذ بحجة شراء الدواء . وهي حجة معروفة عند المحتسب ، فقد ذكر أن أبا سعيد الاصطخرى قد أزال هذه السوق لما قلد حسبة بغداد[٦٩] .

وكان لكل حرفة محل خاص في السوق ، ولاهلها ما يميزهم عن غيرهم ، سواء أكان ذلك في طراز حوانيتهم ، او في شكل لباسهم ، او طريقة عرضهم لنوع السلع التي يبيعونها . فمثلا للهراسين مواضع فوق دكاكينهم فيها الحصر والموائد والمرى ، وخدام وطشوت وأباريق واشنان ، فاذا انحدر الرجل دفع دانقا[٧٠] . ولا بد ان يكون لاصحاب الحرف الاخرى ما يميزهم وان لم ترد نصوص واضحة بذلك .

وكانت لبعض هذه الاسواق ابواب خاصة بها ، وكانت هذه الابواب تغلق وقت الغروب ، عندما يتوقف البيع والشراء في مثل هذه الاسواق ، مثل : باب سوق الدواب . وباب سوق الغنم ، وباب سوق الثلاثاء[٧١] ، وباب سوق التمر وغيرها[٧٢] .

→

الخلفاء ، ورتبت فيها الخدم والجواري ما تدعو الحاجة اليه ، فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال فانتقل المعتضد الى هذا القصر وأصبح حينئذ دار الخلافة . (انظر : الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ٩٩) .

(٦٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٥ .
(٦٨) ثمار القلوب ، ص‌ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .
(٦٩) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٣٦ .
(٧٠) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٩ .
(٧١) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ١١٤ .
(٧٢) ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٩٣ . ياقوت ، المشترك ، ص ١٢٩

وقد وجدت هذه الابواب لغرض المحافظة على ما في السوق من بضائع قد تكون ذات قيمة ، كما أن فكرة صنع أبواب خاصة لبعض اسواق مدينة بغداد جاءت من حرص السلطة على المحافظة على البضائع المعروضة في الأسواق ، وكانت تجد نفسها ، في بعض الاحيان ، عاجزة عن تقديم الحماية الكافية لاصحاب السوق ولبضائعهم التي كثيرا ما تعرضت للنهب والحرق ، والاتلاف من جراء الازمات المتعاقبة والنكبات المتتالية التي تعرضت لها مدينة بغداد بجانبيها الشرقي والغربي(٧٣) .

وكما كان لظاهرة تخصص الاسواق مزاياها الحسنة ، فقد كانت لها أيضا مضارها ، فمن مزايا تخصص الاسواق سهولة الاشراف الحكومي(٧٤) ، كما أن التاجر الجشع لا يستطيع ان يرفع سعر سلعته خوفا من جيرانه المنافسين له في نفس السلعة . وفي هذه الحالة يقل احتمال حدوث الاحتكار ، أو أى ارتفاع غير طبيعي في سعر البضائع . ثم ان المشترى يستطيع ان ينتقى أجود ما يحتاج اليه من هذا الصنف من السلع في وقت قصير لتقارب الحوانيت المعروض فيها البضائع المتشابهة .

أما عيوب تخصص الاسواق فأهمها ان الفرد اذا ما أراد أن يشترى عدة أصناف من السلع كان لابد له ان يتجول في العاصمة كلها حتى يستطيع أن يجمع كل ما يحتاج اليه من الاسواق المنتشرة في كافة انحاء بغداد .

ورغم تبلور ظاهرة التخصص التي توضح ان كثيرا من أهل السوق امتهن أو اختص ببيع نوع معين من البضائع ، لكن هذا لا يمنع أن يتحول الفرد من بيع سلعة ما الى أخرى عندما تستدعى الحاجة الى ذلك ، او عندما يرتئى أنه سيحصل على ربح اكثر بتحوله الى بيع بضاعة أخرى(٧٥) .

---

(٧٣) ابن طيفور ، بغداد ، ص ٩٨ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص‌ص ١١٤ — ١١٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ص ١٣٠ و ١٥٣ و ١٥٩ و ٢٠١ و ٢٠٧ و ٢٧٦ .
(٧٤) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١١ .
(٧٥) الراغب الاصفهاني ، محاضرات الأدباء ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ .

الأسواق الجامعة :

وأسواق بغداد لم تكن كلها متخصصة في بيع نوع محدد من السلع ، وانما وجدت أسواق أخرى جامعة ، وتباع فيها مختلف البضائع ، فمثلا اعتبرت منطقة (باب الطاق) سوقا عظمى تجتمع فيها أصناف التجارات والصناعات ، ممتدة من رأس الجسر باتجاه الشرق نحو باب خراسان[٧٦] .

ولم تذكر الروايات ان سوق العطش كانت معروفة ببيع نوع محدد من السلع[٧٧] ، وبذا أرجح أن تكون سوقا جامعة لاصناف متباينة من التجارات[٧٨] .

واعتبرت سوق يحيى ، سوقا جامعة لان فيها باعة دقاقين وخبازين وصانعي حلوى[٧٩] . وكذلك الحال في سوق الثلاثاء[٨٠] .

كما وجدت عند باب المحول سوق عظمى فيها أصناف التجارات[٨١] ،

---

(٧٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٣ . الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٩ .

(٧٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٢ . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ٩٣ . ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ص ١٧٦ . والمشترك ، ص ٢٦٠ .

(٧٨) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٢ .

(٧٩) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١٢٦ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٦ . الازدي ، حكاية أبي القاسم البغدادي ، ص ٢٣ .

(٨٠) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١١٠ . ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ١٧٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ٧ ، ص ٩٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ٧٠ . الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ١٤١ . ابو الفداء ، البلدان ، ص ٢٩٥ .

(٨١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٤ .

وفي سويقة أبى الورد سائر المبيعات[٨٢] ، وعند باب البصرة سوق كبيرة فيها سائر التجارات[٨٣] ، وكذلك الحال بالنسبة لسوق الهيثم[٨٤] ، وسوق باب الشام العظمى التي فيها أنواع التجارات والمبيعات ، ممتدة ذات اليمين وذات الشمال في شارع طويل[٨٥] . وفي داخل المدينة المدورة كان في كل ربض سوق جامعة[٨٦] .

---

(٨٢) نفس المصدر والمكان .

(٨٣) نفس المصدر ، ص ٢٤٥ .

(٨٤) نفس المصدر ، ص ٢٤٧ .

(٨٥) نفس المصدر ، ص ٢٤٨ .

(٨٦) نفس المصدر ص ٢٤٢ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٠ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ص ١٣ .

الفصل الثالث

السلع الواردة
على أسواق بغداد والصادرة عنها

منذ ان اختير موقع مدينة بغداد لان يكون مركزا لعاصمة الدولة العباسية الناشئة ، كان في تقدير ذوى الرأى ، أهمية هذا الموقع ، وضرورة وصول البضائع بسهولة ويسر الى أسواق المدينة المراد انشاؤها ، وأن تأتيها الميرة في السفن الفراتية . والقوافل من مصر والشام والبادية والغرب . وتأتيها سلع الصين والهند في البحر ، ومن الروم وارمينية والموصل في دجلة[1] .

وكان ابو جعفر المنصور قد وضع في تقديره ايضا ، أهمية الموقع للمدينة الجديدة التي ينوى انشاءها ، وتتجلى هذه الاهمية في سهولة وصول المواد التجارية والبضائع الى عاصمة الخلافة الجديدة ، لذلك رفض المنصور بعض المواقع المقترحة لكونها لا تتوفر فيها تلك الشروط . وكان الخليفة يقول للمقربين منه :

« انما اريد موضعا يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ، ولا تغلو عليهم الاسعار ، ولا تشتد فيه المؤونة . فاني ان أقمت في موضع لا يجلب اليه من البر والبحر شيء ، غلت الاسعار ، وقلت المادة ، واشتدت المؤونة ، وشق ذلك على الناس »[2] .

---

(١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٣٤ . الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص‌ص ٦١٦ — ٦١٧ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص‌ص ١١٩ — ١٢٠ الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٢٣ و ٣٩ و ٤٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٥ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١١٨ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص‌ص ٧٢ — ٧٣ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٢) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦١٥ .

وبذلك يكون المنصور قد انتبه لاهمية وقوع بغداد على ملتقى الطرق التجارية ، لان ذلك يكفل تموين اسواقها ، ويسهل الاتصال بينها وبين أنحاء الدولة ويشجع التجارة .

وهكذا اصبحت بغداد المركز التجارى العظيم للدولة العباسية ، وقد جعلها موقعها الجغرافي ، السوق الطبيعية للتجارة الداخلية ، فدجلة والفرات يصلان بينها وبين الطرق البحرية في الجنوب ، وبينها وبين الموصل وارمينية والشام في الشمال والغرب ، في حين أن طريق بغداد ـ خراسان الكبير جعلها مركزا لتجارة ايران وأواسط آسيا[٣] .

ولا شك ان الموقع الجغرافي لمدينة بغداد ، وسهولة الملاحة بالانهار الموصلة اليها ، ووجود عدة جسور عبر نهر دجلة ، جعل بغداد مركزا نموذجيا للتجارة الدولية التي كانت احدى الملامح العظيمة والهامة لذلك العصر[٤] .

ولم يلاق تجار بغداد صعوبة كبيرة في استيراد البضائع من الخارج ، لكونها مركز الخلافة حينذاك ، ولوقوع كثير من البلاد والطرق ، التي ترد منها السلع ، في قبضة الدولة العباسية ، كما تيسر لتجار بغداد تزويد أسواقهم بالسلع التي كانت ترد اليهم عن طريق نهرى دجلة والفرات اللذين كثرت عليهما حركة النقل . هذا بالاضافة الى ما كانت ترد الى بغداد من بضائع بالطرق البرية تسير بها القوافل قادمة من بلاد الشام والموصل ، او جزيرة العرب ، او بلاد فارس[٥] .

ومن هنا تتضح الاهمية التجارية لموقع بغداد ، وان هذه الاهمية لم تكن مرتبطة بانشاء المدينة المدورة واتخاذها عاصمة لخلافة بنى العباس ،

---

(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ . ارتولد ، الدعوة الى الاسلام ، (القاهرة : ١٩٤٧) ص‌ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٤) Coke, Baghdad, PP. 45 - 46.

(٥) سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٤٠ .

وانما ترجع الى ما قبل ظهور الاسلام بسنين عديدة[٦] • فالروايات التاريخية تثبت ـ بما لايقبل الشك ـ الاهمية التجارية لموقع مدينة بغداد ، وأن هذه الاهمية لم تكن خافية على سكان ارض السواد الذين كانوا يمارسون نشاطهم التجاري فيها[٧] •

ومن هذا الموقع المهم لمدينة بغداد نستطيع أن ندرك مدى حجم التبادل التجاري بين عاصمة الخلافة وأقاليم الدولة الاخرى ، الامر الذي جعل أسواقها نشطة غاصة بالسلع التي تأتيها من أطراف الدولة العباسية ومن الدول الاخرى •

الطرق المؤدية الى بغداد :

وكانت هناك شبكة من الطرق تربط العاصمة بغداد ببقية انحاء الدولة العباسية • وكان التجار يسلكونها في أثناء جلبهم للسلع التجارية[٨] • وكانت الطرق المائية انشط من البرية • والسفن النهرية لم يقتصر عملها على نقل البضائع فحسب ، بل ان السكان كانوا يفضلون السفر في وسائل النقل المائية ، حتى ان الخليفة هرون الرشيد كان قد إمتطى سفينة نهرية قدم بها من الرقة الى بغداد[٩] وأصبح من السهولة بمكان ورود السلع التجارية على أسواق بغداد عن طريق نهري دجلة والفرات ونهر عيسى ، وكان بالامكان

---

(٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ياقوت ، البلدان ، جـ ٢ ص ٢٣١ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ ـ ٧ ، الدينوري، الاخبار الطوال ، ص ١٢١ .

(٧) انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة لجنة البيان العربي) جـ ٢ ، ص٣٠١ . الطبري ، ق م جـ ٧ ص ٦١٨ ـ الدينوري ، الاخبار الطوال ، صص ١٢١ ـ ١٢٢ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ص ٢٦ ـ ٢٧ ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٦ ـ ٧ .

(٨) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٤١ و ١٥٣ .

(٩) الطبري ، م. ق ، جـ ٨ ص ٣٣٨ .

تحويل السفن ـ بقرب بغداد ـ من دجلة الى الفرات وبالعكس[10] . وهكذا امتد رصيفها المحاذي لشاطىء دجلة اميالا حتى صار الناظر يرى في مينائها الواسع مئات السفن ، من تجارية وحربية ومراكب اللهو[11] .

ونظرا لاستواء سطح البلاد ، بشكل عام ، أصبحت المواصلات البرية سهلة حيث التقت عند بغداد خمس طرق رئيسة تؤدي الى مختلف انحاء البلاد هي :

أ ـ طريق شرقي بغداد الى حلوان ومنها الى ايران وأواسط آسيا .

ب ـ طريق شمالي يتجه الى الموصل والجزيرة .

ج ـ طريق جنوبي يتجه الى واسط والبصرة .

د ـ طريق جنوبي غربي يتجه الى الكوفة ومنها الى الجزيرة العربية حتى اليمن .

هـ ـ طريق غربي يتجه الى الرقة ومنها الى سوريا ومصر وشمال افريقيا .

واهتمت الدولة بانشاء هذه الطرق وصيانتها وحمايتها . وفي الفترات التي كانت الحكومة حازمة ، كانت الطرق آمنة ، والبضائع تصل الى أسواق العاصمة سالمة[12] ، وكانت الجمال أهم وسائل النقل في مثل هذه الطرق وكان التجار يستعينون بالادلاء[13] .

ومع أن التجارة بالطرق البرية كانت انشط ، الا أنها كانت متأرجحة

---

(10) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ١ . اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٠ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ١٧٥ ـ ١٧٦ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(11) حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ص ٣٧٨ .

(12) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٤١ . السيد محمد يوسف (الدكتور) « علاقات العرب التجارية بالهند منذ اقدم العصور الى القرن الرابع الهجري » ، مستلة من مجلة كلية الاداب ، المجلد ١٥ ، ج ١ ، لسنة ١٩٥٣ ص ٤ (القاهرة) .

(13) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٤٦ .

لعدم استقرار الاحوال السياسية ، ويعتقد (الدكتور السيد محمد يوسف)[١٤] ان التحول الى الطريق البحري - عبر الخليج العربي - كان ايذانا بزيادة ملحوظة في التبادل التجاري بواسطة الطرق البحرية .

ونستطيع ان ندرك جانبا من كمية السلع الواردة على أسواق بغداد من كثرة السفن التجارية المصعدة والمنحدرة ما بين مدينة السلام والبصرة[١٥] ، او الصاعدة الى الموصل . وقد تطلب الامر قيام مرفأ خاص في محلة باب الشعير - فوق مدينة المنصور - ترسو فيه السفن المحملة بالبضائع الواردة من الموصل او البصرة ، وان نشاط هذا المرفأ تطلب قيام سوق بجواره ، هي الاخرى نشطة[١٦] ونشاطها هذا يدعونا لان نؤكد من خلاله ضخامة التبادل التجاري بين أسواق بغداد وتلك المناطق .

كما أن بعض السلع الواردة على اسواق بغداد كانت تأتى بالسفن الماخرة في نهر عيسى ، وكانت مياه هذا النهر غزيرة بحيث يسهل على السفن التجارية السير فيها[١٧] . وكانت سعة بعض هذه السفن تتراوح ما بين ستة عشر ذراعا الى عشرين ذراعا وأن عرض الباب الكبير من أبواب قنطرة دِمّما - بالذراع الاسود - اثنان وعشرون ذراعا ، وهو كاف لمرور السفن المحملة بالبضائع والمتجهة نحو بغداد[١٨] .

ويذكر (لسترانج)[١٩] انه كانت تصل بغداد ، في نهر عيسى ، محصولات الغرب والمؤن المجلوبة من اراضي الفرات الاعلى مثل الحبوب التي تأتى بها

---

(١٤) « علاقات العرب التجارية بالهند منذ اقدم العصور الى القرن الرابع الهجري » مجلة الاداب المجلد ١٥ ، ج ١ ، لسنة ١٩٥٣ ، ص ٤ .
(١٥) الصولى ، الاوراق ، ص ٢٠٦ .
(١٦) ياقوت ، البلدان ، ج ١ ص ٣٠٨ .
(١٧) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٠ و ٢٥٣ . الاصطخري ، المسالك والممالك ص ٥٩ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ص ٢٩٠ .
(١٨) الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ١٥٦ - ١٥٧ . الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٧٩ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .
(١٩) بغداد ، ص‌ص ٧٠ - ٧١ .

القوافل من مصر ، والسلع من دمشق ، فتسير في الفرات ومنه الى نهر عيسى ثم تفرغ حمولتها على ارصفة عند الفرضة السفلى في الكرخ .

وتوجد محطات على الطرق النهرية الهامة ، يحرسها حراس ، ويجبى فيها الضرائب ، ولكن سلطة هؤلاء كانت ترتبط بمدى قوة السلطة المركزية ببغداد وضعفها(٢٠) .

السلع الواردة على أسواق بغداد :

في كثير من الاحيان نجد أسواق بغداد تصاب بما يسمى في علم الاقتصاد الحديث بـ « قانون الغلة المتناقص »(٢١) وهذا ما يدعونا الى الاعتقاد بأن أسواق هذه المدينة تعتمد إعتمادا كبيرا على غلال المناطق المجاورة لها ، وبخاصة في وقت الازمات التي كانت تتعرض لها مدينة السلام بين الحين والاخر . ففي سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م ، وخلال اشتداد الصراع بين الخليفة المستعين بالله وجند الاتراك ، بعث أبو احمد بن المتوكل الى بغداد « خمس سفائن مملوءة طعاما ودقيقا »(٢٢) .

ويذكر ابن الجوزي (٢٣) رواية مفادها ان الخليفة المعتضد بالله كان قد رأى ابنه جعفرا ـ وله آنذاك خمس سنين أو نحوها ـ وهو جالس وحواليه عشر وصائف من اقرانه في السن ، وبين يديه طبق فيه عنقود عنب في وقت لا يوجد العنب فيه عادة في الاسواق . فمن المرجح أن يكون هذا العنقود وغيره قد جلب من منطقة أخرى ليباع في أسواق بغداد مركز الخلافة .

ويظهر اعتماد أسواق بغداد على ما يرد اليها من أقاليم الدولة من أموال

---

(٢٠) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٤٠ .

(٢١) لان منتوجاتها (على اختلاف انواعها) اقل تنوعا ، ولا يمكن أن تسد حاجات السكان .

(٢٢) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣٢٧ .

(٢٣) المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٧١ .

وبضائع عندما « قطع ابن رائق حمل واسط والبصرة ، وقطع البريدي حمل الاهواز وأعمالها »[٢٤] . اضطربت الامور الاقتصادية ببغداد ، وعجز الوزير أبو جعفر الكرخي عن ادارة دفة الامور مما دفعه الى الاستقالة من منصبه سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م .

كما ان خروج أبي عبدالله البريدي في أعمال واسط سنة ٣٢٨هـ - ٩٣٩م وأخذه ما بها من الغلال والارز وغير ذلك ، أثار حفيظة الخليفة الراضي وأمير الجيش بجكم ، لان ذلك كان قد أثر على كمية هذه الغلال في اسواق بغداد[٢٥] .

ومعلوم ان سلعا كثيرة كانت ترد على أسواق بغداد من مناطق شتى ، وان قسما منها استورد من دول بعيدة ، فاخترقت حدود الدولة العباسية . وفي الاعم الاغلب ، كانت هذه البضائع تستقر في اسواق مدينة السلام لتعرض فيها ، وفي حالات قليلة يعاد تصديرها الى اسواق خارجية من قبل تجار بغداد .

ومهما يكن فقد ورد الى اسواق بغداد من واسط البسط الكبيرة[٢٦] ، والشعير والارز والسمسم[٢٧] . ومن ميسان الانماط والوسائد[٢٨] . وان منطقة كسكر كانت مشهورة بانتاج القمح[٢٩] ، وكانت تزود العاصمة بهذه المادة الغذائية الاساسية بالنسبة لسكان بغداد .

ومن الكوفة كانت ترد الى اسواق بغداد كميات كبيرة من الطعام لتجار

---

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٥٤ .
(٢٥) العيون والحدائق ، جـ ٤ ، قسم ٢ ص ٨٢ .
(٢٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ص ١٠٢ .
(٢٧) الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٨٤ .
(٢٨) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٦ . أحمد تيمور (باشا) ، التصوير عند العرب ، (القاهرة : ١٩٤٢) ص ١٨ .
(٢٩) العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ص ٢٠٩ .

بغداد [٣٠] ، ففي سنة ٣٣٠هـ - ٩٤١م ورد نحو خمسمائة كر من الحبوب[٣١]، الا ان أبا الحسين البريدي ، المستولي على بغداد آنذاك ، أخذها عنوة[٣٢] .

اما البصرة فكانت تصدر الى اسواق بغداد التمور ، وكان تجار البصرة لهم وكلاء في بغداد يبيعون لهم تجارتهم [٣٣] ، وعن طريق مرسى البصرة والابلة ترد مراكب الهند والصين المحملة بأنواع التجارات[٣٤] . وكانت ما تحمله هذه المراكب من سلع يرد جلّه على أسواق بغداد ليزودها ببضائع الشرق . ونستطيع ان ندرك كثرة السلع الواردة على اسواق بغداد عن هذا الطريق ، من كثرة ازدحام السفن في مرساها عند باب البصرة حيث كانت ترى مشتبكة في هذا المكان بين صاعد ومنحدر [٣٥] .

وكانت التجارة بين أسواق بغداد والجزيرة العربية نشطة ، وبخاصة في موسم الحج ، اذ كان حجاج بيت الله الحرام يجلبون كثيرا من السلع بعد رجوعهم من الاراضي الحجازية . ونستطيع ان نقدر قيمة السلع الواردة عن هذا الطريق اذا ما علمنا ان ابا طاهر القرمطي كان قد أخذ امتعة وطيبا وغيرها من السلع ما قيمتها نحو مليون دينار من حجاج عام ٣١١هـ - ٩٢٣م عند رجوعهم من تلك الديار [٣٦] .

وان تجارة الذهب كانت متروكة للافراد من التجار الذين أخذوا يستوردونه الى العراق حيث كان عليه طلب شديد . ويرجح (الدكتور العلي)، أن الحجازيين كانوا قد جلبوا الذهب الى العراق ، غير انه لم يجزم بذلك ،

---

(٣٠) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
(٣١) مسكويه ، تجارب الامم ج ١ ، ص ٢٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ص ٢٨٤ .
(٣٢) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ص ١٢٧ .
(٣٣) الصولي ، الاوراق ، ص ٢١٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٥٠ - ٥١ .
(٣٤) المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٠ .
(٣٥) نفس المصدر ، ص ٢٤ .
(٣٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨٨ .

وان استيراده الى مركز الخلافة العباسية قد أدى الى انخفاض تدريجي في سعره ، كما أدى في نفس الوقت الى نشاط التجارة الخارجية ، خاصة مع الهند التي كانت تستعمل الذهب كوسيلة للمبادلة التجارية (٣٧) .

ويجلب من شبه الجزيرة العربية أيضا ، الخيل العراب والنعام ونجائب الابل والقانة (٣٨) والادم (٣٩) (٤٠) ، ومن اليمن العطر والبخور (٤١) ، والبرود(٤٢) والادم والعصائب(٤٣) والعنبر (٤٤) الثمين والديباج (٤٥) ، والزعفران(٤٦) والدروع والسيوف والبغال والحمير (٤٧) ، والملاء (٤٨) ،

---

(٣٧) العلى ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٢١٧ .
(٣٨) شجر جبلى .
(٣٩) الادم : جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ .
(٤٠) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢١ .
(٤١) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤١ .
(٤٢) البرود : مفردها بردة ، وهي قطعة من القماش الصوفي السميك الذي يستعمله الناس لاكساء أجسامهم به (انظر : رينهارت دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة الدكتور اكرم فاضل ، مطبعة دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ص‌ص ٥٥ ــ ٥٧ .
(٤٣) العصائب : جمع عصبة : وهي طرحة من الحرير مربعة الشكل سوداء اللون وهي تبطن بصورة منحرفة ، ثم يلف بها الرأس (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧ .
(٤٤) العنبر : خير أوصافه الخفة والبياض والدهنية ، أو ان يميل الى الخضرة ، والصفرة ميلا يسيرا (انظر : الدمشقي ، الاشارة الى محاسن التجارة ص ١٩) .
(٤٥) الديباج : وافضله ما حسن صبغه وانتظمت نقوشه ودق حريره واشرق لونه وثقل وزنه (انظر : الدمشقي ، الاشارة ص ٢٥) .
(٤٦) الزعفران : من أنواع الطيب ، وأجود أنواعه الحديث العهد الحسن اللون ، السالم من البياض والاستحالة والرمل والدق والنداوة المفرطة (انظر : الدمشقي الاشارة ص ٢١) .
(٤٧) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٣٧ .
(٤٨) رداء يلبسه الرجال عادة ، ويطرح على الكتفين ، أو يلفون به الجسم . وهو قماش قطني مخطط بخطوط زرقاء وبيضاء (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ص‌ص ٣٣٠ ــ ٣٣٢) .

والعمائم[٤٩] والثياب الشعبية[٥٠] ، والحلل الموشية اليمانية[٥١] ، والزرافات والجواميس والكندر [٥٢] والعقيق [٥٣] . ومن عمان وسواحل الخليج العربي اللؤلؤ [٥٤] .

ويبدو أن أسواق بغداد كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على ما كان يردها من بضائع من منطقة الموصل ، وبخاصة المواد الغذائية . فخلال الازمة التي نشبت بين الخليفة المقتدر بالله وبين قائد جيشه مؤنس المظفر سنة ٣٢٠هـ - ٩٣٢م ، صعد الاخير الى الموصل ومنع تصدير المواد الغذائية الى بغداد ، فشحت المواد الغذائية في اسواق العاصمة ، وضعف موقف السلطة المركزية ببغداد ، فهاج الجند فيها ، ونهبوا دار الوزير ، وتبعهم في ذلك الهاشميون الذين سخموا وجوههم وصاحوا الجوع تعبيرا عن سخطهم على السلطة التي لم تستطع ان تدفع عنهم غائلة الجوع وشبح ارتفاع الاسعار [٥٥] .

وتطيّر الخليفة الراضي عندما سمع ان علي بن عيسى كان قد كاتب الحسن بن عبدالله الحمداني سنة ٣٢٣هـ - ٩٣٤م يحثه على منع حمل الميرة الى بغداد . وبذا أمر الخليفة بالقبض على علي بن عيسى ومصادرة خمسين الف دينار من امواله ، على الرغم من المكانة العالية ، والسمعة الحسنة التي

---

(٤٩) العمائم : مفردها عمامة - وهي قطعة من القماش الملفوف حول الرأس عدة لفات حول الطاقية (انظر : دوزي : المعجم المفصل ، ص ص ٢٥٠ - ٢٥٤) .

(٥٠) نسبة الى جبل (شعب) في اليمن .

(٥١) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١١٩ . انظر كذلك : الجهشياري ، الوزراء ص ٢٨٧ .

(٥٢) الكندر : نوع من الطيب ، ويستخرج منه العلك .

(٥٣) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ص ٢٢ .

(٥٤) نفس المصدر ص ٢٦ (ولمعرفة أوصافه انظر : الدمشقي ، الاشارة ص ١٣ - ١٤) ، والحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤٠ . بدر الدين جي الصيني ، العلاقات بين العرب والصين (القاهرة : ١٩٥٠م) ص ٨٨ .

(٥٥) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

كان يتمتع بها علي بن عيسى لدى الخاص والعام [٥٦] . وهذا الاجراء يوضح جانبا آخر من جوانب اعتماد اسواق بغداد على ما كان يردها من الموصل وديار ربيعة ومضر ، وان قطع هذه الموارد سيخلق أزمة اقتصادية بعاصمة البلاد . لذا اضطر الخليفة الى ارسال وزيره محمد بن مقلة على رأس جيش كبير الى الموصل ، وهناك أخذ يستلف مالا من تجار الموصل [٥٧] .

وفي سنة ٣٢٤هـ - ٩٣٥م ارسل الحسن بن عبدالله الحمداني مائة كر دقيقا ليفرق بسامراء وبغداد ، كما وصلت من الموصل سفن فيها سلع للتجار أيضا . وقد تكررت ارساليات الحسن بن عبدالله مرات اخرى [٥٨] ، ففي المحرم من عام ٣٢٧هـ - ٩٣٨م انفذ ناصر الدولة من الموصل الى بغداد زوارق فيها دقيق وشعير [٥٩] .

واستمرت سلع الموصل ترد الى اسواق بغداد ، ففي سنة ٣٢٩هـ - ٩٤٠م كان ابو عبدالله البريدي قد تقلد وزارة المتقي لله فقبض على ناصية الامور وتعسف ، فهرب الاتراك من واسط وبغداد الى الموصل . وفي أثناء صعودهم اغرقوا زوارق الدقيق التي كانت منحدرة نحو بغداد[٦٠] . وفي سنة ٣٣٠هـ - ٩٤١م ارسل الامير الحمداني دقيقا الى بغداد ، بناء على طلب الخليفة المتقي لله الذي شعر بقلة المواد الغذائية بالعاصمة[٦١] ، الا انه في سنة ٣٣٢هـ - ٩٤٣م احتجز بتكريت مائة وخمسين زورقا فيها دقيق وحنطة وشعير وشحم وعسل وثياب وغير ذلك ، فمنع انحدارها الى بغداد حتى لا يستفيد منها غريمه (توزون) المتغلب على العاصمة [٦٢] .

---

(٥٦) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .
(٥٧) نفس المصدر ص ٣٢٦ .
(٥٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٧٦ .
(٥٩) مسكويه ، تجارب الامم ج ١ ، ص ٤٠٥ .
(٦٠) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٠١ .
(٦١) نفس المصدر ، ص ٢٢٦ .
(٦٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٢ .

وابان اشتداد الخلاف بين أمير الموصل ناصر الدولة وبين (توزون) أمير الجيش ، منع الاول ارسال الاطعمة الى العاصمة فارتفعت الاسعار بها [٦٣] ومن هنا نجد ان اسواق بغداد كانت تعتمد ،لدرجة كبيرة على ما يرد اليها من الموصل من اصناف الطعام . وان اي منع لهذه السلع كان يؤثر بصورة مباشرة على الاسعار في اسواق المدينة .

وفي بداية عام ٣٣٤هـ - ٩٤٥م كان ابن شيرزاد قد طالب ناصر الدولة بحمل المال والمؤن والاطعمة ، مقابل رد الامارة اليه ، فأرسل أمير الموصل : « دقيقا وسفاتج بخمسمائة الف درهم »[٦٤] ، ويذكر الثعالبي [٦٥] ان اسواق بغداد كان يردها من الموصل عشرون الف رطل من العسل . هذا وكان يجلب من الموصل ايضا الستور والمسوح [٦٦] والدراج والسماني [٦٧] . كذلك ترد من الموصل الحبوب والعسل والفحم والشحوم والجبن والمن والسماق [٦٨] ، وحب الرمان والقير والحديد والسكاكين والنشاب والسلاسل[٦٩] .

ويشير المقدسي ، الى أن أكثر ميرة العراق كانت ترد من اقليم

---

(٦٣) نفس المصدر ، ص ٢٦٤ .
(٦٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣٣ .
(٦٥) ثمار القلوب ، ص ٤٢٧ . انظر كذلك : الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٥ .
(٦٦) المسوح : جمع مسح : كساء مخطط من الشعر ، وهو لباس الصوفية أو الرهبنة أو العباد والزاهدين (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨) .
(٦٧) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ص ٢٧ .
(٦٨) السماق : نوع من النبات لونه أحمر ، تجفف أوراقه وتوضع على الطعام وخاصة اللحوم المشوية .
(٦٩) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ١٤٥ .

« اقـور »[٧٠] والموصل هو مصر هـذا الاقليم • ومن قصباته سـنجار التي يرد منها الى اسواق بغداد اللوز وحب الرمان ، والقصب والسماق ، ومـن نصـيبين (شـاه بلوط)[٧١] والفواكه المقددة والموازين والدوايـات[٧٢] والكواذين [٧٣] والرصاص [٧٤] • ومن الرقة الصابون والزيت والاقلام • ومن حران عسل النحل والقطن والموازين • ومن الجزيرة الجوز واللـوز والسمن والخيل الجياد • ومن الحسنية [٧٥] الجبن والفواكه المقددة والزبيب• ومن مَعْلثايا [٧٦] الالبان والفحم والاعناب والفواكه الرطبة والقنب • ومن الرحبة [٧٧] السفرجل • ومن آمد [٧٨] ثياب الصوف والكتان [٧٩] • ومن جزيرة ابن عمر الملح[٨٠] ومن الموصـل وما اليهـا كان يرد عشرون الف رطل من العسل الابيض ، ومن الجزيرة واعمال الفرات الف رأس من الرقيق[٨١]•

وكانت التجارة بين بغداد وبلاد الشام نشطة ومنظمة لدرجـــة ان الخضراوات كانت تجلب احيانا من الشام الى العراق دون ان يلحق بها أي

---

(٧٠) اقليم أقور : اقليم نفيس به مشاهد الانبياء ومنزل الاولياء . وبـه استقرت سفينة نوح على الجودي ، وبه سكن اهلها ، وبه تاب الله على قوم يونس ، ومنه اكثر ميرة العراق ، رخيص الاسعار ، جيد الثمار ، ومعدن الاخبار . (انظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٣٦) .

(٧١) شاه بلوط : هو ثمرة أكبر من البندق وأطيب وليس بمدور . (انظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم ص ١٤٥) .

(٧٢) الدوايات : جمع دواة . وهي المحبرة ، أو الاناء الذي يوضع فيـه الحبر .

(٧٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٥ .

(٧٤) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٦ .

(٧٥) الحسنية : بلدة في شرق الموصل ، على يومين بينها وبين جزيرة ابن عمر . (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ ، وابن عبدالحق ، مراصد ، ج ١ ، ص ٣٠٣) .

تلف[٨٢] . ويذكر الشابشتي[٨٣] ان التفاح الشامي كان يضرب به المثل في الحسن والطيب والجودة . وان مقدار ما كان يجلب منه سنويا حوالي ثلاثين الف تفاحة ، توضع في اكياس خاصة من الجلد [٨٤] ، ويرد من بلاد الشام أيضا الزيت والزيتون [٨٥] والزبيب ، وكان يحمل على الابل [٨٦] .

ويخبرنا اليعقوبي[٨٧] ان السفن التجارية كانت تأتي باستمرار ، محملة بالبضائع السورية، ومنها الدقيق، في نهر الفرات، ثم تسلك نهر عيسى حتى تصل بغداد . اضافة الى المنسوجات الحريرية ، والقطن، والمنسوجات القطنية، والميازر[٨٨] ،

---

(٧٦) معلثايا : بليد له ذكر في الاخبار المتأخرة ، قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الموصل (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٨ ، ص ٩٩) .

(٧٧) الرحبة : مدينة على الفرات ، تبعد عن بغداد مائة فرسخ . (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٤ ، ص‌ص ٢٣٦ — ٢٣٧) .

(٧٨) آمد : من مدن ديار بكر (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ١ ، ص ١٨٠) ،

(٧٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٥ .

(٨٠) قدامة ، الخراج ، ص ٢٤٥ .

(٨١) المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٩١ .

(٨٢) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٨٣) الديارات ، ص ٩٨ ، انظر كذلك المدور ، حاضرة الاسلام ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٨٤) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٢ ، ولطائف المعارف ، ص ١٥٦ . أحمد أمين ، ظهر الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٨٥) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٥٧ . أنظر : الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٧ .

(٨٦) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٢ .

(٨٧) البلدان ، ص ٢٥٠ .

(٨٨) الميازر : جمع مئزر . وهو قطعة القماش التي تستر العورة ، والتي تلبس من السرة الى اسفل (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص‌ص ٤٠ — ٤١) .

وزيت الزيتـــون والســـكر والزجاج[٨٩] وحتى ان (الهليـــون)[٩٠] كان يحمل من دمشق في أوان خاصة حتى لا يتلف [٩١] .

وكانت مصر قد اشتهرت بنسيج الكتان الذى تركز في الفيوم ونواحي بحيرة تنيس ومدن دمياط وشطا ودبيق التي تنسب اليها الثياب الدبيقية[٩٢]. وان هذه المصنوعات وغيرها كان يرد منها على أسواق بغداد باستمرار[٩٣] ، وبخاصة الثياب الدبيقية التي يلبسها بعض الناس في العاصمة [٩٤] . ومنهم خدم دار الوزيـر علـي بـن الفـرات[٩٥] . وكـان ساقي العامة ببغداد يـرى مؤتزرا بمنديل مصري ، ومعتما بمنديل دبيقي [٩٦] فاذا كان هذا شأن ساقي العامة فما بال ساقي السلطان وبقية الناس ؟

وان غلاما لابي الهيجاء عبدالله بن حمدان كان يرتدي جبة صوف مصرية ابان الاضطرابات التي رافقت خلع المقتدر بالله عام ٣١٧هـ - ٩٢٩م ، وان ابن حمدان كان قد نزع ملابسه الخاصة وارتدى الجبة المصرية ليموه بها على مناوئيه ، علّه يفلت من قبضتهم . لكن مناورته هذه لم تنقذه من موت

---

(٨٩) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٣٦ ، الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ص ٨٧ .

(٩٠) الهليون : نبات لا تخلو وليمة فاخرة منه .

(٩١) الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ١٨ .

(٩٢) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ (انظر أوصاف النسيج الدبيقي في كتاب الاشارة الى محاسن التجـارة للدمشقي ص ٢٦) .

(٩٣) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص‌ص ٦٠ - ٦١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٥٥ .

(٩٤) الصـابي ، الوزراء ، ص ٤٨ . ابن الجـوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٨٧ .

(٩٥) نفس المصدر ، ص ١٩٥ .

(٩٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٥٠ . انظر : الجهشياري ، الوزراء ص ٢٥٠ . ابن الجوزي ، اخبار الظراف والمتماجنين ، مطبعة التوفيق ، دمشق ١٣٤٧هـ) ص ٣١ .

محقق[٩٧] كما وردت على أسواق بغداد البسط الدبيقية المطرزة[٩٨] .

وتصدر تنيس ودمياط من منسوجاتهما الى اسواق بغداد ما قيمته عشرون الف دينار الى ثلاثين الف دينار سنويا . وظلت هذه البضاعة ترد الى أسواق بغداد الى ما بعد سنة ستين وثلاثمائة [٩٩] ويصف الجاحظ [١٠٠] الثياب المستوردة من مصر بأنها رقاق ، وهذا دليل على جودتها . وبلغ قيمة نوع من الثياب المستوردة من مصر ألف دينار ، وهو عادة يلبسه الخلفاء[١٠١] وترجع (الدكتورة سيدة كاشف) [١٠٢] سبب رواج هذه الصناعة الى ان الخلفاء كانوا يستعملون هذه المنسوجات لملابسهم الخاصة ، أو للخلع التي كانوا يخلعونها على كبار رجال الدولة .

وحتى أواخر القرن الثالث الهجري (العاشر الميلادي) ظل خلفاء بغداد يستمدون من مصر اكثر ما يلزمهم من المنسوجات النفيسة المحلاة بكتابات كوفية ، فيها العبارات والادعية المعروفة [١٠٣] . كما استورد من مصر الارز ، والحنطة والكتان [١٠٤] ، والنحاس والذهب وزمرد [١٠٥] النوبة [١٠٦] ،

---

(٩٧) عريب ، الصلة ص ١٤٤ ، مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٩٧ . الهمداني ، تكملة ج ١ ، ص‌ص ٦٠ — ٦١ ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ص ٢٠٢ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ قسم ٤ ، ص ٧٩٨ .

(٩٨) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٩٩) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج ١ ، مطبعة النيل (مصر : ١٣٢٤هـ) ص ١٧٧ .

(١٠٠) التبصر بالتجارة ، ص ٢٢ .

(١٠١) سيدة اسماعيل كاشف (الدكتورة) ، مصر في فجر الاسلام (القاهرة ١٩٥٧) ص ٢٨٣ .

(١٠٢) نفس المصدر ص‌ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

(١٠٣) زكي محمد حسن (الدكتور) ، الفنون الاسلامية ص ٣٤٩ .

(١٠٤) حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

(١٠٥) زمرد النوبة : احسن انواعه ما يكون من الخضر (انظر : الدمشقي ، الاشارة ، ص ١٥) .

(١٠٦) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٨٧ .

والمناديل المصرية [١٠٧] ، والهياليج الحمر [١٠٨] ، ودهن البلسان ، ومعدن الزبرجد الفائق [١٠٩]، والستور والبسط والحصر [١١٠] والمناطق والمناديل [١١١] .

وكانت ترد الى اسواق بغداد من مصر القراطيس [١١٢] . وقد وقف أبو جعفر المنصور على كثرتها في خزائنه ، وهمّ ببيعها ، اذ أوعز لصاحب المصلى ببيع القراطيس المكدسة حتى لو بيع الطومار بدانق[١١٣] . في الوقت الذي كان الطومار يباع بدرهم . الا ان المنصور عدل عن رأيه هذا وقال لصاحب المصلى : « فكرت في كتبنا وأنها قد جرت في القراطيس ، وليس يؤمن حادث بمصر فتنقطع القراطيس بسببه فنحتاج الى ان نكتب فيما لم نعوّده عمالنا ، فدع القراطيس استظهارا على حالها » [١١٤] .

ولم يفصح الجهشياري عن ماهية الحادث الذي يخشى المنصور وقوعه ، وهل هي الظواهر الطبيعية التي قد تعوق وصول القراطيس من مصر الى عاصمة الخلافة العباسية ، أم ان ابا جعفر كان يتوقع ان يمتد نفوذ الامويين من الاندلس الى شمال افريقية فتخرج مصر من قبضة الخلافة العباسية لتنضوي تحت راية بني أمية التي بقت خفاقة في الاندلس رغم سقوط دولتهم في الشام ؟

---

(١٠٧) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٥٠ .
(١٠٨) نوع من الحمير .
(١٠٩) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ص ٢٢ .
(١١٠) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤٠ .
(١١١) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٥٠ .
(١١٢) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٢ .
(١١٣) الدانق : سدس الدرهم . انظر : ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٥ ـ أ . والمقريزي ، شذور العقود ص ١٣ ــ وابن خلدون ، المقدمة ج ٢ ، ص ٨١٠ ، وهنتس ، المكاييل والاوزان ، ص ٢٩) .
(١١٤) الجهشياري ، الوزراء ص ١٣٨ .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظلت اسواق بغداد تستورد قراطيس مصر الى ان صارت تزاحمها كواغد سمرقند في هذه الاسواق[١١٥] .

وكان لتجار بغداد علاقات تجارية مربحة مع سكان شمال افريقية . وأهم ما كانوا يطلبونه منهم الذهب [١١٦] . وكذلك استورد التجار من نواحي المغرب العربي التمور والقراظ [١١٧] واللبود [١١٨] والبزاة السود [١١٩] ومن الحبشة العقيق والعاج [١٢٠] . وجلب العاج ايضا والابنوس والتبر والرقيق من شرق افريقية [١٢١] .

وكانت اسواق بغداد تتزود بكثير من بضائعها من بلاد فارس والشرق الاقصى . فيذكر الثعالبي [١٢٢] انه كان يحمل من فارس ماء الورد الجوري مامقداره ثلاثون الف قارورة، ومن الثياب التوزية[١٢٣] خمسة الاف ثوب ، ومن الاكسية مائتين ، ومن الزبيب الاسود عشرين الف رطل ، ومن الانبجات[١٢٤]

---

(١١٥) الثعالبي ، ثمار القلوب ص ٣١ ، انظر : الجاحظ ، التبصر بالتجارة ص ٢٢ .

(١١٦) البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص‌ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .

(١١٧) القراظ : ورق السلم الذي تدبغ به الجلود .

(١١٨) اللبود : افضلها ما دق ثوبه ، واستوى نسجه ، وحسن صبغه ، ونعم صوفه . (انظر الدمشقي ، الاشارة ، ص ٢٧ . ودوزي ، المعجم المفصل ص ٣١٩) .

(١١٩) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢١ .

(١٢٠) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤١ . الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٨٧ .

(١٢١) حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص‌ص ٣٧٩ و ٤٢٢ .

(١٢٢) لطائف المعارف ص ١٧٨ ، والمدور ،حضارة الاسلام ،ص ١٩٠ . وحتى تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٤٣١ (وفي ثمار القلوب يذكر الثعالبي انه كان يحمل من فارس سبعة وعشرون الف الف قارورة ص ٤٢٧) .

(١٢٣) نسبة الى توز أو توج ، وهي مدينة بفارس تعمل فيها ثياب الكتان نسبة اليها ، وهي ثياب رقيقة مهلهلة النسيج كأنها المنخل ، الا أن ألوانها حسنة . (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٢٦) .

(١٢٤) الانبجات : المربيات .

خمسة عشر الف رطل [١٢٥] ، ومن الرمان والسفرجل مائة وخمسين الفا عددا [١٢٦] . هذا بالاضافة الى الاصواف التي كانت ترد الى عاصمة الخلافة العباسية [١٢٧] .

ومن ارّجان [١٢٨] بفارس ترد على اسواق بغداد بضائع منها : الدبس والصابون والتين والزيت والفوط [١٢٩] والثياب ، ومن مهريان [١٣٠] الاسماك والتمور والقرب الجياد ، ومن شيز [١٣١] ثياب تشاكل القصب ، ومن سيراف [١٣٢] الفوط واللؤلؤ وأزر الكتان والموازين . ومن درا بجرد [١٣٣] كل نفيس من الثياب المرتفعة والبسط الجيدة . ومن قرج [١٣٤] . الثياب والبسط والستور . ومن تارَم [١٣٥] : القرب والدلاء الحسان والمراوح الكبيرة ومن جهرم [١٣٦] : البسط والستور . ومن فسا [١٣٧] : ثياب القز والبسط

(١٢٥) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٧٩ .
(١٢٦) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٧ .
(١٢٧) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٨٨ .
(١٢٨) أرجان : من مدن فارس ، كثيرة الخيرات ، بها نخيل وزيتون وفواكه . (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ١ ، ص ١٨٠) .
(١٢٩) الفوط ، جمع فوطة ، وهي شقة من البز تشد في وسط الجسم وتتدلى حتى الركبتين . كما أنها تستعمل لغطاء الرأس . ويبدو أن هذا الكساء كثير الاستعمال في بلاد العرب الاصلية ، (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ص ٢٧٥ — ٢٧٧) .
(١٣٠) مهريان : من قرى مرو (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٨ ، ص ٢٠٩) .
(١٣١) شيز : ناحية باذربيجان (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٢٥) .
(١٣٢) سيراف : مدينة جليلة على ساحل الخليج العربي ، كانت قديما فرضة الهند . (انظر ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ١٩٣) .
(١٣٣) درابجرد : كورة بفارس (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٦) .
(١٣٤) قرج . كورة بالري : (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٧ ، ص ٤٨) .
(١٣٥) تارم : كورة واسعة بين قزوين وجيلان فيها قرى كثيرة . (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٥٣) .
(١٣٦) جهرم : مدينة بفارس يصنع فيها بسط فاخرة (ياقوت ، البلدان ، ج ٣ ، ص ١٨٣) .
(١٣٧) فسا : مدينة بفارس (ياقوت ، البلدان ، ج ٦ ، ص‌ص ٣٧٥ — ٣٧٦) .

والقوط [١٣٨]، والفستق واصناف الفواكه والتمر والزجاج [١٣٩] « كما يجلب من فارس ايضا ماء الورد والزبيب الاسود والرمان » [١٤٠] ونسيج الكتان وطراز الوشي، والثياب المنسوجة من الشعر التي يصنع منها ثياب يلبسها الخليفة وكبار رجال الدولة، والكلل والمصليات [١٤١] ويجلب من فارس ثياب الكتان، وماء الورد ودهن الياسمين والاشربة [١٤٢]، والحرائر والعطور، والبغال [١٤٣] .

وكان بطيخ مرو يرسل الى الخلفاء العباسيين ببغداد، وكانت تقوم الواحدة منه ـ ان وصلت الى المدينة ـ بسبعمائة درهم، وقد حمل هذا النوع من البطيخ الى الخليفة المأمون والى الواثق في قوالب من الرصاص معبأة بالثلج [١٤٤] . وكان يرد الى اسواق بغداد من مرو أيضا الزبرجد [١٤٥]، وثياب القطن الفاخر والطنافس [١٤٦]، ومقانع القز والابريسم والقطن والبقر والجبن والشيرج والنحاس [١٤٧] .

ويذكر الثعالبي [١٤٨]، انه كان يحمل من اصفهان الى اسواق بغداد الف رطل من العسل، ومن الشمع عشرون الف رطل سنويا . ويصف

---

(١٣٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٤٤٢ .
(١٣٩) حتى، تاريخ العرب، ج ٢، ص ٣٧٩ .
(١٤٠) الجهشياري، الوزراء، ص ٢٨٢ .
(١٤١) الحسيني، عمران بغداد، ص ١٤٠ .
(١٤٢) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٢٦ .
(١٤٣) نفس المصدر والمكان .
(١٤٤) متز، الحضارة الاسلامية، ج ٢، ص ٢٢٦ . حتى، تاريخ العرب ج ٢، ص ٤٣٠ . سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية، ص ١٢٨ .
(١٤٥) الصيني، العلاقات بين العرب والصين ص ٨٨ .
(١٤٦) الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص ٢٣ .
(١٤٧) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص‌ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .
(١٤٨) ثمار القلوب، ص ٤٢٧، ولطائف المعارف، ص ١٨٢ (انظر الجهشياري اذ يقول ٢٠ الف رطل من العسل و ٢٠ الف رطل من الشمع . الوزراء ص ٢٨٥) .

الجاحظ [149] عسل اصفهان بـ (الشهد) دلالة على نقائه وجودته • كما يجلب من اصفهان ايضا عشرون الف رطل من الزبيب الاسود [150]، والسفرجل والكمثرى الصيني والتفاح والملح والزعفران والاشنان والكحل والسرر والاثواب والجياد والشراب اللذيذ الذي يعمل من عصير الفواكه [151] • هذا اضافة الى الوشي وسائر انواع الحرير [152] والاقمشة [153] •

ومن قومس [154] : الفؤوس والطيالسة التي تصنع من الصوف [155] ، والمناديل البيضاء [156] والاكسية والرمان [157] • ومن كرمان [158] : النيلج والكمون [159] والثياب [160] • ومن حلوان [161] : الرمان والتين والمكامخ [162] ومن بخارى : الثياب الصوفية [163] التي يصفها المقدسي بانها رخوة ، والمصليات والبسط وثياب القرشي ، وصفر المنابر ، وحزم الخيل التي كان بعضها يعمل في المحابس [164] ، ومن قزوين : الاكسية والجوارب •

---

(١٤٩) التبصر بالتجارة ص ٢٥ •
(١٥٠) المدور ، حضارة الاسلام ،ص ١٩٠ •
(١٥١) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ص ٢٥ •
(١٥٢) الحسيني ، عمران بغداد ص ١٤١ •
(١٥٣) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ص ٨٨ •
(١٥٤) قومس : كورة كبيرة تشتمل على مدن وقرى (ياقوت ، البلدان ، ج ٧ ص ١٨٥) •
(١٥٥) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٥ •
(١٥٦) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤١ •
(١٥٧) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٤ •
(١٥٨) كرمان : ولاية مشهورة ذات قرى ومدن واسعة (ياقوت البلدان ، ج ٧ ، ص‌ص ٢٤١ — ٢٤٢) •
(١٥٩) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٥ •
(١٦٠) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٢ •
(١٦١) حلوان : بلدة تقع في آخر حدود خراسان مما يلي اصبهان • (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٢٧) •
(١٦٢) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٧ •
(١٦٣) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤١ •
(١٦٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص‌ص ٣٢٣ — ٣٢٤ •

ومن همدان : الخفاف [١٦٥] ، والسمور [١٦٦] ، والبز والزعفران والثعالب الجياد [١٦٧] والعسل [١٦٨] .

ومن سُرّ الطيالسة الرفيعة والاكسية الحسنة [١٦٩] . ومن مكران [١٧٠] خمسمائة ثوب من المتاع اليماني ، وعشرون الف رطل من التمر ، ومئة رطل من الكمون [١٧١] ، والف رطل من الرمان ، واثنا عشر الف رطل من التين [١٧٢] .

وحمل من الري : من الرمان مائة ألف رمانة ، ومن الخوخ المقدد ألف رطل [١٧٣] ، هذا اضافة الى الزئبق والثياب الرقاق والامشاط والقلانس [١٧٤] الملكية ، ونوع من الثياب الكتانية [١٧٥] ، والبرود والقطن [١٧٦] . ومن (قم) [١٧٧] الكراسي واللجم والركب وبز وزعفران كثير [١٧٨] ، ويجلب من

---

(١٦٥) الخفاف : جمع خف . وهو النعال ، أو ما يلبس بالرجلين (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص‌ص ١٢٧ ــ ١٢٩) .

(١٦٦) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤١ .

(١٦٧) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٩٦ .

(١٦٨) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٥ .

(١٦٩) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٣٩٦ .

(١٧٠) مكران : هي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٨ ، ص ١٣١ ــ ١٣٢) .

(١٧١) المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٩٠ .

(١٧٢) نفس المصدر ، ص ١٩١ .

(١٧٣) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٤ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٨ ــ ولطائف المعارف ، ص ١٨٥ .

(١٧٤) القلانس : جمع قلنسوة ، وهي طاقية توضع تحت العمامة . (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص ٢٩٦) .

(١٧٥) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٢٥ .

(١٧٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٩٦ .

(١٧٧) مدينة تذكر مع قاشان . وهي مدينة مستحدثة اسلامية (ياقوت ، البلدان ، ج ٧ ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠) .

(١٧٨) المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٣٩٦ .

خوارزم : الرقيق والاغنام والاوبار ، ولا سيما الثعالب الحمر والسود والاسماك المملحة (١٧٩) والبطيخ الجيد الذي كان يباع باسواق بغداد بأسعار مرتفعة . وهذا يوضح لنا ارتفاع مستوى المعيشة لدى الخاصة خلال هذه الفترة ، بحيث كان باستطاعة البعض منهم شراء البطيخة الواحدة بسبعمائة درهم (١٨٠) ، وكذلك يجلب من ارض خوارزم المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب (١٨١) .

اما بلخ ونواحيها ، فكان يجلب منها الى اسواق بغداد العنب الطيب (١٨٢) والصابون والسمسم والارز والجوز واللوز والزبيب والسمن وعسل الشمس من العنب والتين ولب الرمان والزاج والكبريت والرصاص والجلود . ومن جرجان : العنب وحب الرمان والابريسم (١٨٣) الجيد (١٨٤) . ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والستر الرقاق والطيالسة من الصوف (١٨٥) . اما الياقوت والمنسوجات والارقاء ، فحملت الى اسواق بغداد من اراضي الترك في أواسط آسيا ، ومن الخزر العبيد الارقاء والدروع (١٨٦) .

وكانت كواغد سمرقند (١٨٧) مشهورة في اسواق بغداد ، وقد زاحمت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون عليها ، لان كواغد سمرقند

---

(١٧٩) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٢٦ .
(١٨٠) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٢٦ .
(١٨١) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٢ .
(١٨٢) نفس المصدر ، ص ٢٣ .
(١٨٣) الابريسم : اجوده النقي الحسن اللون السالم من الاوساخ ، وان تكون خيوطه شكلا واحدا ليس فيها ما بعضه غليظ وبعضه رقيق ، وتعرف جودته من ثقل وزنه . (انظر : الدمشقي ، الاشارة الى محاسن التجارة ، ص ٢٥) .
(١٨٤) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ص ٢٤ — الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٤ .
(١٨٥) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٤ .
(١٨٦) نفس المصدر ، ص ٢٢ .
(١٨٧) انظر أوصافها في كتاب (الاشارة للدمشقي ص ٢٤) .

انعم واحسن وادق [188] . ونظرا لشهرتها هذه صارت متجرا مربحا لاهل سمرقند فعم خبرها في الافاق [189] . كما جلب من سمرقند أيضا الاطلسي والفضة والاقمشة الناعمة [190] .

وكانت ترد على اسواق بغداد فرش من أرمينية وطبرستان [191] ، اضافة الى اطباق الخشب[192] والاكسية والثياب والمناديل[193] ، ويرى الجاحظ [194] ان التجار كانوا يجلبون الى اسواق بغداد من أرمينية وأذربيجان، اللبود والبراذع والفرش والبسط والتكك [195] الصوفية ، وكان من اهم ما ذكر في جملة ما احتوت عليه دار الحسين بن عبدالله بن الجصاص الفرش الارمينية [196] .

ولعل الثعالبي يوضح علاقة اسواق بغداد التجارية بأرمينية حين يذكر انه كان يرد الى بغداد من بسط أرمينية المحفورة ثلاثون بساطا ، ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ، ومن البزاة ثلاثون بازا [197] هذا بالاضافة الى الوسائد والمقاعد[198] ، والفرش والستائر الصوفية والثياب الصوفية

---

(١٨٨) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٤٣١ .
(١٨٩) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٣٢ .
(١٩٠) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٨٨ .
(١٩١) عريب ، الصلة ، ص ٤٨ .
(١٩٢) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤١ .
(١٩٣) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٤ .
(١٩٤) التبصر بالتجارة ص ١٨ – تيمور ، التصوير عند العرب ، ص ١٨ .
(١٩٥) التكك : جمع تكة . وهي رباط السراويل . أو هي رباط أو مشد مطرز النهايتين بالحرير الملون (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص‌ص ٨٢ – ٨٥) .
(١٩٦) متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .
(١٩٧) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٨ ، ولطائف المعارف ص ١١٩ .
الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٦ . Hittl, The Arabs, P. 82.
المدور ، حضارة الاسلام ص ١٩١ .
(١٩٨) الحسيني ، عمران بغداد ص ١٤١ .

والبراذع [١٩٩] .

ويذكر المقدسي[٢٠٠] ، أن في اقليم الديلم قزا وصوفا وفواكه وبزا ، وكانت هذه السلع تحمل من هذا الاقليم الى العراق ، وحتى ان قسما منها كان يصدر الى مصر .

وكان تجار خراسان يأتون الى بغداد ، ولابد انهم كانوا يجلبون ما عندهم من سلع ليعرضوها في أسواق العاصمة ، ومن ثم يبتاعون من هذه الاسواق ما يحتاجون اليه من بضائع [٢٠١] .

ولعب حجاج خراسان دورا بارزا في جلب السلع الى اسواق بغداد ففي أثناء قدومهم كانوا يجلبون معهم منتجات بلادهم فيبيعونها لتجار بغداد وهؤلاء التجار كانوا يعرضونها باسواق بغداد لتشتريها عامة الناس . وكان هؤلاء التجار ينالون ارباحا كثيرة من هذه العملية [٢٠٢] .

ومن السلع الواردة على اسواق بغداد ، الملاء والعمائم والثياب الخراسانية والبطائن التي كانت تحمل من كرمان في انابيب قصب فارس[٢٠٣] .

وقد وردت على أسواق بغداد قافلة من المؤمل فيها سلع من خراسان سنة ٣٢٧هـ ـ ٩٣٨م ، الا ان الاكراد اعترضوا سبيلها واخذوا منها مالا عظيما [٢٠٤] غير ان القافلة التي وردت سنة ٣٢٩هـ ـ ٩٤٠م الى بغداد من خراسان ، وصلت سالمة ، علما أنها كانت محملة بالسلع المختلفة [٢٠٥] .

---

(١٩٩) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٣٧ .
(٢٠٠) أحسن التقاسيم ، ص ٣٥٣ .
(٢٠١) الجاحظ البخلاء ص ٢٢ .
(٢٠٢) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١١ .
(٢٠٣) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١١٩ .
(٢٠٤) الصولي ، الاوراق ، ص ١٣٦ .
(٢٠٥) نفس المصدر ، ص ٢٠٤ .

ومن اقليم الرِّحاب[٢٠٦] ترد تجارات كثيرة على اسواق بغداد . فمن برذعة[٢٠٧] يحمل الابريسم ، ومن الابواب[٢٠٨] : ثياب الكتان والرقيق والزعفران والبغال والجياد ، ومن دبيل [٢٠٩] : ثياب الصوف والبسط والوسائد والستور [٢١٠] .

وكانت الاهواز ونواحيها تمون اسواق بغداد بالسكر والديباج والخز [٢١١] ،، والستور الكبار [٢١٢] . فمن مدينة تستر يرد الديباج والانماط وثياب مروية حسنة وفواكه كثيرة[٢١٣] ، وحديد ورصاص واسلحة وخمر ومصنوعات أخرى[٢١٤] . ومن السوس[٢١٥] : السكر الكثير ، وبز والخزوز والاتروج ودهن البنفسج والبراذع [٢١٦] ومن كسكر [٢١٧] : مقانع

---

(٢٠٦) الرحاب : ناحية باذربيجان (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٣١) .

(٢٠٧) برذعة : هي من مدن اقليم الرحاب (انظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٣٨٠) .

(٢٠٨) باب الابواب : من مدن اقليم الرحاب ، تقع على بحر الخزر ، وهي مدينة محصنة لها ثلاثة ابواب كبيرة وباب صغير ، (انظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٧٦) .

(٢٠٩) دبيل : من مدن اقليم الرحاب (المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٧٧) .

(٢١٠) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٨٠ .

(٢١١) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٦ . الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٢ .

(٢١٢) تيمور ، التصوير عند العرب ، ص ١٨ .

(٢١٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤١٦ .

(٢١٤) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤١ .

(٢١٥) السوس : هي بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال النبي (انظر : ياقوت البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ ، والاصطخري ، الاقاليم ، ص ٥٣ ويعمل في السوس الخز ويحمل منها الى الافاق ، وبها اترنج (الاصطخري ص ٥٤) .

(٢١٦) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٧ . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤١٦ .

(٢١٧) كسكر : كورة واسعة وقصبتها واسط . وفيها الفروج الرخيص الثمن . وحدُّ كسكر الشرقي في اخر سقي النهروان الى أن تصب دجلة في البحر . (ياقوت ، البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٦١) .

القز تحمل الى بغداد ، وبزجيد وثيـاب القنب والمنـاديل وغير ذلك[٢١٨] . ويحمل من عسكر مكرم [٢١٩] الى بغداد مع خراج الاهواز ثلاثون الف رطل من السكر[٢٢٠] . ومن عبادان : الحصر [٢٢١] .

اما نيسابور فكان يرتفع منها الى بغداد ثياب البيض الخفية[٢٢٢] والعمائم والملاحم والقز والعتابي والسعيدي والطرائفي والحلل وثياب الشعر والغزل والحديد وغير ذلك [٢٢٣] . ومن رساتيق نيسابور ثياب كثيرة غليظة . ومن نســا[٢٢٤] القز وثيـــابه ، والسمسم ودهنـــه ، وفرو الثعلب[٢٢٥] . ومن طوس [٢٢٦] : الحصر والحبوب [٢٢٧] . ومن هراة [٢٢٨] : البز الكثير ، وديباج غير جيد ، وزبيب [٢٢٩] ومن سرخس [٢٣٠] : الحبوب والجمال [٢٣١] . ومن سجستان[٢٣٢] التمور والزنابيل والحصر والحبال التي تصنع مـن ليف

---

(٢١٨) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤١٦ .
(٢١٩) عسكر مكرم : بلدة مشهورة بنواحي خوزستان (ياقوت ، البلدان ، ج ٦ ، ص ١٧٦) .
(٢٢٠) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٦ (وفي لطائف المعارف ص ١٧٤ ترد (٥٠) الف رطل) .
(٢٢١) الحسيني ، عمران بغداد ص ١٤١ .
(٢٢٢) الخفية : رداء مصنوع من قماش مخطط بخطوط عريضة للغايـة . وهذا اللباس يبدو فيه الاعراب قرب منازلهم في العراق العربي (دوزي . المعجم المفصل ، ص ١٣٨) .
(٢٢٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ .
(٢٢٤) نسا مدينة بخراسان : (انظر : ياقوت ، البلدان ج ٨ ، ص ٢٨٢) .
(٢٢٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ .
(٢٢٦) طوس : مدينة بخراسان (انظر : ياقوت البلدان ، ج ٦ ص ٧٠) .
(٢٢٧) المقدسي ، احسن التقاسيم ، صص ٣٢٣ — ٣٢٤ .
(٢٢٨) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان (انظر : ياقوت ، البلـدان ، ج ٨ ، ص ٤٥١) .
(٢٢٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، صص ٣٢٣ — ٣٢٤ .
(٢٣٠) سرخس : مدينة قديمة بخراسان : (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ص ٦٥) .
(٢٣١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، صص ٣٢٣ — ٣٢٤ .
(٢٣٢) سجستان : من مدن خراسان الواسعة (ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ،

النخيل[٢٣٣] ، ونحو عشرين الف رطل من السكر [٢٣٤] . كذلك يرتفع من رساتيق نيسابور الذهب واللبود والبسط الحسان والحقائب وبعض المصنوعات الجلدية ، والخيل والبغال[٢٣٥] ، ومن ترمذ[٢٣٦] : الصابون والحلتيك [٢٣٧] . ومن كرمينية [٢٣٨] المناديل [٢٣٩] .

ويذكر المقدسي [٢٤٠] ، ان اقليم السند فيه تجارات كثيرة ، وبضائع وخيرات وافرة ، واسعار رخيصة ، ومتاجر وصناعات . ومن المرجح ان رخص الاسعار في هذا الاقليم ، وكثرة البضائع والصناعات ، كانت سببا في تصدير منتجات السند الى بغداد ، وبذا صار يحمل من سندان [٢٤١] : الثياب والارز بكميات كبيرة .

وتحمل من هذا الاقليم ايضا الفيلة والعاج والعقاقير النافعة[٢٤٢] ، والماس والقرنفل[٢٤٣] والخيزران والكافور والفلفل[٢٤٤] والزنجبيل[٢٤٥]

---

(٢٣٣) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص‌ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .
(٢٣٤) المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٩٠ .
(٢٣٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٤ .
(٢٣٦) ترمذ : من مدن خراسان تقع على نهر جيحون (ياقوت البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ — ٣٨٣) .
(٢٣٧) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٤ .
(٢٣٨) كرمينية : بلدة بنواحي الصغد ، (ياقوت ، البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٤٥) .
(٢٣٩) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٤ .
(٢٤٠) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤٧٤ .
(٢٤١) **سندان : هي قصبة ببلاد الهند (انظر : ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص ١٥١) .**
(٢٤٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٨١ .
(٢٤٣) القرنفل : اجوده القوى الرائحة السالم من العفونة والنداوة (الدمشقي ، الاشارة ، ص ٢٠) .
(٢٤٤) الفلفل : انظر أوصاف الجيد منه في (ص ٢٢ من كتاب الاشارة للدمشقي) .
(٢٤٥) الزنجبيل : اجوده ما كان طريا سالما من السوس والعفونة (الدمشقي ، الاشارة ص ٢٣) .

وتباب القطن والقطيفة[٢٤٦] ، والجوزبوا[٢٤٧] والمدور[٢٤٨]، وما يقارب من مائة وخمسين رطلا من بخور العود الهندي[٢٤٩] .

وترجع العلاقات التجارية بين العراق والهند والشرق الاقصى ، الى اقدم الازمنة ، وهي تعتمد بالدرجة الاولى على المواد الكمالية الغالية الثمن ، كالبهارات والعاج والاخشاب الصلبة وبعض المنسوجات الحريرية ، وان قيام الدولة العباسية ادى الى تحويل طرق التجارة تدريجيا عن البحر الاحمر، وصارت تسلك طريق الخليج العربي فالبصرة وبغداد [٢٥٠] . وكان هذا التغيير في صالح تجار بغداد الذين استطاعوا ان يوسعوا نشاطهم التجاري في مجالات كثيرة .

وهكذا اصبحت التجارة البحرية مع الهند نشطة لقربها من العراق نسبيا ، ولأن بعض الامراء الهنود كانوا يشجعون التجار العرب [٢٥١] .

اما الطريق البري مع الهند فكان طويلا وشاقا ، وفي القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) كان التجار اليهود (الردانية) يذهبون من البصرة الى الاهواز ، ثم كرمان ، ومنها الى السند ثم الهند [٢٥٢] . وهناك طريق آخر كثيرا ما سلكه التجار : يمتد من خراسان الى الهند [٢٥٣] . ولكن الظروف السياسية كانت لا تسمح بوجود تجارة تستحق الذكر مع الهند عبر هذا الطريق .

اما السلع التي كانت تجلب من الهند على اسواق بغداد ، فأهمها النمور

---

(٢٤٦) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤٠ .
(٢٤٧) الجوزبوا : من ثمار نخيل تزرع في الهند .
(٢٤٨) المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٤٨ .
(٢٤٩) نفس المصدر ، ص ١٩٠ .
(٢٥٠) العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ص ٢٣٠ .
(٢٥١) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٤٤ .
(٢٥٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٤ .
(٢٥٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ، ٣٤٩ .
ص ٣٧ – ٣٨) .

والفيلة ، وجلود النمور ، والياقوت الاحمر ، وخشب الصندل الابيض والابنوس وجوز الهند [٢٥٤] ، والطيب والمعادن والاصباغ [٢٥٥] ، والادوية والابنوس والاحجار الثمينة والمجوهرات والعاج [٢٥٦] والماس وانواع الطيب والبهار والعقاقير [٢٥٧] . وحتى شتلات اشجار النارنج والاترج قد جلبت من الهند وبيعت في أسواق بغداد ، كما استورد خشب الصاج من الهند ، وكان هذا النوع من الخشب يعد من احسن ما يستعمل في بناء البيوت ببغداد [٢٥٨] . وترد الى اسواق العاصمة العباسية من جزيرة سيلان الاحجار الكريمة والتوابل [٢٥٩] .

وكانت لبغداد صلة تجارية قوية بالصين ، اذ استوردت منها السلع بكميات كبيرة [٢٦٠] . وذلك لان الطرق كانت مأمونة نسبيا . وعند وصول التجار المسلمين الى الصين كان في وسعهم النزول في فنادق خاصة ، أو النزول عند التجار المسلمين المقيمين هناك ، الذين كانوا يقدمون شتى المساعدات للتجار الوافدين الى تلك الديار [٢٦١] .

ومن السلع الواردة على أسواق بغداد المداد والورق الصيني [٢٦٢] ، حيث وجدت منه دفاتر كثيرة في منزل محمد بن علي القنائي أحد اتباع

---

(٢٥٤) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢٠ .
(٢٥٥) حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص‌ص ٣٧٨ – ٣٧٩ يوسف ، علاقات العرب التجارية بالهند ص ٣٠ .
(٢٥٦) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٦٦ . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٣٦ .
(٢٥٧) متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص‌ص ٢٢٤ – ٢٢٥ .
(٢٥٨) سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٣٦ .
(٢٥٩) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٤٦ .
(٢٦٠) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤٠ .
Hitti, The Arabs, P. 82 - 83.
(٢٦١) ابن بطوطة ، رحلته ، ج ٢ ، ص‌ص ١٥٦ – ١٥٧ .
(٢٦٢) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢١ .

الحلاج [٢٦٣] ، كما يجلب الحرير والفضائر [٢٦٤] والطواويس والبراذين والغرة والسروج واللبود (والدار صيني)[٢٦٥] ، ويجلب من اواني الفضة والذهب والعقاقير والديباج والاقفال المحكمة [٢٦٦] والخزف والمسك [٢٦٧]، والثياب الحريرية والجواري والخصيان [٢٦٨] ، ويذكر اليعقوبي [٢٦٩] ، ان طرائف من سلع الصين كانت ترد على أسواق بغداد ، وكانت تلاقي رواجا واقبالا كبيرين • ومن التبت جلب اجود انواع المسك والعود[٢٧٠] •

ويعترف(BEU JU) [٢٧١] بوجود منتجات الصين في اسواق بغداد ، لكنه يذكر انها غالية الثمن • ويرجع السبب في ذلك الى طول المسافة وأخطار الطريق التي قد تؤدي الى تحطيم السفن المحملة بالمواد التجارية او تعرضها لاعمال القرصنة في بعض الاحوال • ومع ذلك فان التجارة بين بلاد العرب والصين أصبحت منظمة منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، ثم ازدهرت خلال وبعد القرن الثالث [٢٧٢] •

---

(٢٦٣) عريب ، الصلة ، ص ٩٠ •

(٢٦٤) صحن كبير من خزف •

(٢٦٥) الدار صيني : هو القرفا واجوده ما كان قطعا كبارا وطعمه ورائحته زكية وقسم منه يستعمل في الادوية اكثر مما يستعمل في الاغذية (الدمشقي ، الاشارة ، ص ٢٣) •

(٢٦٦) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٢١ • الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤٠ •

(٢٦٧) حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ •

(٢٦٨) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٣٦ • الصيني العلاقات بين العرب والصين ، ص ٨٨ •

(٢٦٩) البلدان ، ص ٢٥٣ •

(٢٧٠) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤٠ • الدوري ، تاريخ العراق ، ص ١٣٦ • الصيني ، العلاقات ، ص ٨٨ •

(٢٧١) Kua Beu Ju, on the Chinese and Arab Trade in the Twelfth and thirteenth centuries P. 16.

(٢٧٢) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ١٠٨ • ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص ٢٥١ •

ونستطيع أن تتلمس قوة النشاط التجاري بين حاضرة الخلافة العباسية والصين ، في ان السلطات هناك عينت أحد المسلمين ليرعى شؤون مواطنيه في الصين ، وكانت تقام صلاة العيد فيها ويدعى للخليفة على المنابر(٢٧٣) .

والعلاقات التجارية بين بغداد والصين ، عبر الطريق البري ، كانت ضئيلة ، ان لم تكن معدومة ، اذ ان الرحلة كانت طويلة وكثيرا ما اغلقت الحكومة الصينية الطرق المؤدية الى الصين كوسيلة للحد من التغلغل الاجنبي (٢٧٤) . أما الطريق البحري فكان اسهل لدرجة ان بعض التجار كانوا يأتون من سمرقند الى البصرة ومن هناك يسلكون الطريق البحري الى الصين (٢٧٥) .

وتمكن تجار بغداد من السفر الى البلاد القاصية ليجلبوا منها ما ليس في حاضرتهم ، فحملوا من اليابان انواع الثياب الحريرية والانية والمصنوعات الدقيقة المثبتة على الخشب الفاخر ، ومن كوريا العقار الطبي والابريسم (٢٧٦) .

ويعزو (الدكتور السيد محمد يوسف) (٢٧٧) وجود الرخاء الاقتصادي في بلاد الهند والشرق الاقصى الى كثرة السلع التي تصدرها تلك البلاد الى أسواق العرب عامة واسواق بغداد خاصة . ويعتبر هذا الكاتب ان انتشار الاسلام في شرق الخليج العربي ، من العوامل الرئيسة التي خلقت تعاونا وثيقا بين العرب وغيرهم من المسلمين في المجال التجارى في تلك البلاد .

وكانت هناك جملة بضائع واردة على اسواق بغداد من آسيا الصغرى وبلاد الروم . وان الخليفة المأمون ، وكذلك امبراطور بيزنطة كانا يشعران بوجود الصلة التجارية بين بلديهما ، وبذلك ادرك تيوفيل الامبراطور البيزنطي

---

(٢٧٣) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ١٣٧ . أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص‌ص ٢٥١ — ٢٥٢ .
(٢٧٤) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص‌ص ١٥٣ — ١٥٤ .
(٢٧٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص‌ص ٣٤٧ — ٣٤٩ .
(٢٧٦) الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤٠ .
(٢٧٧) علاقات العرب التجارية بالهند ، ص ٢٥ .

أهمية التبادل التجاري وضرورة استمراره . لذا كتب الى الخليفة يلتمس الصلح معه قائلا : « .... وقد كنت كتبت اليك داعيا الى المسالمة ، راغبا في فضيلة المهادنة لنضع أوزار الحرب عنا ، ونكون كل واحد لكل واحد وليا وحزبا ، مع ايصال المرافق والفسح في المتاجر وفك المستأسر »[٢٧٨] . وكان المأمون قد اجاب على كتاب صاحب الروم . وفي كتابه هذا تبرز أهمية رواج المتاجرة بين المسلمين والروم ، وهذا ما يستدعي من الطرفين الاقدام على توطيد أركان السلام بينهما[٢٧٩] .

وبذا كانت ترد اسواق بغداد من بلاد الروم سلع كثيرة منها الديباج الرومي المشهور ، والثياب الكتانية والارز والزيتون والبسط[٢٨٠] ، والنباتات ذات العطر الطيب والصمغ[٢٨١] . ولعب التجار اليهود دورا كبيرا في هذا المجال ، اذ كانوا يجلبون من الغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج والجلود والفراء والسمور والسيوف[٢٨٢] . وقسم من هذه السلع يعرجون بها على أسواق بغداد .

وتشهد النقود المسكوكة ، التي وجدت طائفة منها في روسيا وفلندا ، باتساع التجارة التي تعاطاها العرب المسلمون في تلك الاسقاع[٢٨٣] ، وكذلك العملات التي اكتشفت على طول مجرى (نهر الفولجا) كل ذلك يدل على قوة التبادل التجاري بين هذه المناطق ومركز الخلافة العباسية[٢٨٤] واقدم

---

(٢٧٨) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ص ٦٢٩ .
(٢٧٩) نفس المصدر والمكان .
(٢٨٠) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٣٧ .
(٢٨١) الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٨٧ .
(٢٨٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص‌ص ١٥٣ — ١٥٤ .
(٢٨٣) حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .
الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٥٣ .
Lewis, The Arabs in History, P. 88.

(٢٨٤) حتى ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .
Lewis, The Arabs in History, P. 88.

هذه النقود يعود الى القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، لكن أكثرها يعود للفترة التي بين نهاية القرن الثالث الهجري واواسط القرن الرابع . ومما يؤكد صلة تجار بغداد بتلك المناطق ان قسما من هذه النقود كانت بغدادية[٢٨٥] . وبذا فان التجارة العراقية كانت تكون جزءاً هاما منها .

وجلب تجار الروس[٢٨٦] على أسواق بغداد ، جلود الخز ، وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية[٢٨٧] . أما العسل والشمع والفرو والعبيد البيض والسيوف ، فمن أسوج ونروج وروسية[٢٨٨] .

ومما كان يزيد في السلع الواردة على اسواق بغداد ، أن أرتفاع بعض الاقاليم كان يأتي عينا . أي ان الغلال المنتجة في تلك الاقاليم من الحنطة او الشعير وغيرها من سائر الغلال[٢٨٩] . وان ورود الغلال الى الحضرة كان ينشط اسواقها فقد ضمن حامد بن العباس اعمال واسط ونواحيها ، وتعهد ان يرسل الى بغداد (٢٤٠٠) الفين واربعمائة كر شعير بالاضافة الىمائتين وأربعين الف دينار سنويا[٢٩٠] . وفي سنة ٣٢٢هـ - ٩٣٤م تعهد الحسن بن هارون ، المتقلد اعمال واسط ، أن يرسل الى الحضرة مائة الف كر شعير وعشرة آلاف كر ارز وأربعمائة كر سمسم ، هذا بالاضافة الى الف الف واربعمائة الف درهم[٢٩١] .

---

(٢٨٥) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٥٣ .

(٢٨٦) وهم جنس من الصقالبة (انظر : ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ص ١٥٤) .

(٢٨٧) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٤ . الحسيني ، عمران بغداد ، ص ١٤١ . السيد محمد يوسف ، علاقات العرب التجارية بالهند ، ص ٢٦ .

(٢٨٨) حتى ، تاريخ العرب ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩ . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، صص ١٥٢ - ١٥٣ . سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٤٣ .

(٢٨٩) الصابي ، الوزراء ، ص ١٦٨ .

(٢٩٠) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

(٢٩١) الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٨٤ .

واعتاد ناصر الدولة الحمداني ، أمير الموصل ، ان يرسل الى العاصمة زوارق فيها طعام لاهل بغداد • وفي سنة ٣٢٧هـ - ٩٣٨م كانت زوارق ناصر الدولة منحدرة الى بغداد فاستولى عليها أمير الجيش بجكم (٢٩٢) •

ومن البضائع التي كانت ترد على اسواق بغداد الهدايا التي كان يرسلها الولاة من الاقاليم • ففي سنة ١٨٩هـ - ٨٠٤م كان والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان قد ارسل الى الخليفة هرون الرشيد هدايا ثمينة ، منها الخيل والرقيق والثياب والمسك والاموال • ومع ان هذه الحاجيات كانت قد عظمت في نظر الخليفة واستبشر بها ، الا ان وزيره يحيى بن خالد البرمكي قال : «لو امرني أمير المؤمنين لاتيته بضعفها الساعة من بعض تجار الكرخ» (٢٩٣) •

وهذا يدل على ان اسواق بغداد كانت عامرة وتغص بشتى الحاجيات الثمينة التي ترد اليها من مناطق مختلفة •

المعوقات التي كانت تعرقل وصول السلع على أسواق بغداد :

لقد وقعت بعض الحوادث ، في بعض اقاليم الدولة العباسية ، فأثرت أيما تأثير على وصول السلع الى اسواق بغداد ، ففي سنة ١٤٨هـ - ٧٦٥م كان الخوارج قد ثاروا بنواحي الموصل بزعامة حسان بن مجالد الاجدع الهمداني (٢٩٤) وفي سنة ١٧٧هـ - ٧٩٣م خالف العطاف بن سفيان الازدي على الرشيد ، واجتمع اليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج بنواحي الموصل سنتين (٢٩٥) ، وبلا ريب ، ان مثل هذه الحوادث كان لها تأثيرها الواضح على كمية البضائع الواردة في أسواق بغداد أو المطروحة فيها •

ولعل المساجلات التي حدثت بين الخليفة الامين ، واخيه المأمون قد أثرت تأثيرا بينا على مقدار البضائع الواردة على اسواق العاصمة ، فمن الطبيعي

---

(٢٩٢) نفس المصدر ، ص ١١١ •
(٢٩٣) الطبري ، م• ق ، ج ٨ ، ص ٣١٤ •
(٢٩٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٥ •
(٢٩٥) نفس المصدر ، ص ٩٦ و ١٠٣ •

ان وجود المأمون في خراسان ، منع ارسال بضائع خراسان الى بغداد ، كما ان اقدام والي مكة على خلع الامين من الخلافة ومبايعة المأمون عام ١٩٦هـ ـ ٨١١م ، هو الاخر قد حبس البضائع المصدرة من الحجاز على اسواق بغداد(٢٩٦) وكذلك فعل والي الكوفة والبصرة (٢٩٧) .

وفي أثناء الحصار الذي فرضه جيش المأمون على مدينة السلام ، منع طاهر بن الحسين الملاحين والتجار وغيرهم من ادخال السلع الى بغداد(٢٩٨) ولما رأى قائد جيش المأمون ان سكان بغداد ـ بما فيهم أهل السوق ـ لا يحفلون بالقتل والهدم والحرق « أمر عند ذلك بمنع التجار أن يجوزوا بشيء من الدقيق وغيره من المنافع من ناحيته الى مدينة ابي جعفر والشرقية والكرخ » (٢٩٩) .

ولم تكد مدينة السلام تجتاز المحنة التي تعرضت لها من جراء الصراع بين الامين والمأمون ، حتى شهدت حوادث أخرى عكرت صفو الامن وأثرت على نشاط الاسواق وورود البضائع اليها ، ذلك ان جند المأمون الذين احتلوا بغداد وثبوا على قائدهم طاهر بن الحسين ونهبوا بعض متاعه واضطروه ان يهرب الى عقرقوف حيث اخذ يستعد لقتالهم ، وكادت الحرب تنشب بين الطرفين لولا ان طاهرا استرضاهم فأمر بدفع رزق اربعة اشهر لهم (٣٠٠) .

وان ظهور صاحب الزنج (٣٠١) في القسم الجنوبي من العراق (٢٥٥ ـ

---

(٢٩٦) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .
(٢٩٧) ابن الاثير/الكامل ، ج ٥ ، ص‌ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .
(٢٩٨) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٥٨ .
(٢٩٩) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ . ابن الاثير ، الكامل ج ٥ ، ص‌ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٣٠٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٧١ .
(٣٠١) يدعى ان اسمه : علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (انظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٤٦) .

٢٧٠هـ / ٨٦٨ ـ ٨٨٣م) أثر تأثيرا بينا على البضائع الواردة من منطقة الخليج العربي ، ومنطقة البصرة ، على أسواق بغداد ، خاصة اذا ما علمنا ان صاحب الزنج قد استولى على البحرين وجبى خراجها • وكان يتخذ من منطقة البطيحة نقطة انطلاق الى كل ما يصل الى بغداد من سلع وبذلك يكون قد حبس عن اسواق بغداد بعض مواردها [(٣٠٢)] •

وخلال اصطدام صاحب الزنج بالسلطة ، استطاع هو واصحابه سنة ٢٥٥هـ ـ ٨٦٨م ان يهاجموا « مائتي سفينة فيها دقيق فأخذوه ، ومتاعا فنهبوه » [(٣٠٣)] •

وكان صاحب الزنج قد بث اصحابه يمينا وشمالا للغارة والنهب [(٣٠٤)] ، وان جيش الخلافة قد عجز عن أن ينال شيئا من الزنج ، فاستطاعوا ان يأخذوا اربعة وعشرين مركبا من مراكب البحر واخذوا منها أموالا كثيرة وقتلوا من فيها[(٣٠٥)] وكان من المؤمل ان تصل البضائع التي وردت في هذه المراكب ، كلها أو جلها ، الى أسواق بغداد •

وفي سنة ٢٥٩هـ ـ ٨٧٣م اشتد القتال بين جيش الخلافة والزنج في منطقة البصرة[(٣٠٦)] • وتكررت مثل هذه الحوادث سنة ٢٦٠هـ ـ ٨٧٣م[(٣٠٧)] وسنة ٢٦٢هـ ـ ٨٧٥م[(٣٠٨)] وسنة ٢٦٤هـ ـ ٨٧٧م[(٣٠٩)] و ٢٦٥هـ ـ

---

(٣٠٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ •

(٣٠٣) نفس المصدر ، ص ٣٤٩ •

(٣٠٤) نفس المصدر ، ص ٣٥٠ •

(٣٠٥) نفس المصدر ، ص‌ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩ •

(٣٠٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ٨ ، ١٩ •

(٣٠٧) نفس المصدر ، ص ٢١ •

(٣٠٨) ابن الوردي تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، ابو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٥٤ •

(٣٠٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ٤٥ •

٨٧٨م [٣١٠] ، وهكذا بقي صاحب الزنج يضيق الخناق على بغداد حتى عام ٢٦٧هـ ـ ٨٨٠م[٣١١] ، اذ دارت معارك عنيفة بينه وبين جيش الخلافة[٣١٢] ، وان هذا الوضع المتأزم لابد ان اثر تأثيرا كبيرا على كمية البضائع الواردة على أسواق بغداد .

وفي أثناء هذه الفترة أيضا كان والي الشام عيسى بن الشيخ قد قطع الميرة عن بغداد ، ولم يكتف بذلك بل انه اخذ يستولي على ما كان يحمل من مصر الى حاضرة الخلافة [٣١٣] ، كما ظهر رجل قرمطي في بلاد الشام في أواخر سنة ٢٨٩هـ ـ ٩٠١م وتحرك قرامطة العراق في نفس هذه السنة بسواد الكوفة [٣١٤] وبهذا تكون اسواق بغداد قد تضررت من جراء هذه الاعمال ـ وكان لاستيلاء يعقوب الصفار على الاهواز أثره السيء على ورود البضائع الى بغداد [٣١٥] .

---

(٣١٠) نفس المصدر ، ص‌ص ٤٩ ـ ٥٠ ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ٢٣٨ . أبو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٣١١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ٥٨ ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٣١٢) ابو الفداء ـ المختصر ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٣١٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٥٩ .

(٣١٤) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص‌ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣١٥) نفس المصدر ، ص‌ص ١٤ ـ ١٦ .

المواد الصادرة عن أسواق بغداد

بنفس الطرق البرية والبحرية التي ترد عن طريقها السلع التجارية على اسواق بغداد خرجت منها القوافل محملة بالبضائع المختلفة الى نواح كثيرة من الدولة العباسية ، بل وخارج حدودها . وكانت هذه القوافل تتجه نحو الغرب قاصدة دمشق وبلاد الشام وربما اجتازت الى مصر وشمال أفريقية ، وقوافل اخرى اتجهت الى الجنوب نحو البصرة والهند والشرق الاقصى . وثالثة الى الشمال نحو الموصل وطربزون على البحر الاسود وربما توغلت في أوربا . ورابعة الى الشرق نحو خراسان ثم سمرقند وبحر الخزر (٣١٦) .

كل هذه القوافل كانت تحمل الصناعات التي راجت في بغداد فقد اهتم الخلفاء العباسيون ، بالعمل على تقدم الصناعة على اعتبار انها تشكل موردا هاما من موارد الثروة ، فاقيم ببغداد وسامراء عدد كبير من المصانع لصنع الزجاج والخزف (٣١٧) وثياب القز وغيرها (٣١٨) .

فقد كان ببغداد عدد كبير من دور الصناعة ، قد تصل الى اربعة الاف مصنع لصنع الزجاج ، وثلاثين الف مصنع لصنع الخزف (٣١٩) .

فلا جرم ان اصبحت بغداد مشهورة بصناعاتها ، خاصة في بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، كصناعة ادوات الترف التي استعملها الاغنياء .

---

(٣١٦) محمد كرد علي ، تاريخ الحضارة ، ص‌ص ٤٥ ـ ٤٦ .
(٣١٧) سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٣٠ . أحمد امين ، هرون الرشيد ، ص ٤١ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٣١٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٨ .
(٣١٩) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

والصناعات التي تنتج لاستهلاك العامة مثل حياكة القطن او الصوف ، وعمل الاحذية ، وصنع الاواني النحاسية . وتشير المصادر [٣٢٠] الى ان الحياكة في مدينة السلام ازدهرت منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) فكانت بغداد تصنع المنسوجات الحريرية الفاخرة ، والثياب الحريرية بالوان مختلفة ، والاقمشة القطنية ، والعمائم الرقيقة ، والمناديل بانواعها[٣٢١] ، والثياب العتابية المشهورة ، التي كانت تصنع في محلة العتابية[٣٢٢] ببغداد وتنسب اليها ، وهي ثياب مخططة تحاك من خيوط القطن والحرير [٣٢٣] . وكانت هذه البضاعة تصدر من بغداد الى انحاء اخرى من العالم الاسلامي [٣٢٤] وتصنع في بغداد ايضا الازر[٣٢٥] . وكان لصناعة الصابون محلة خاصة ببغداد في جانب الكرخ [٣٢٦] .

وقد انتقلت صناعة الورق من سمرقند الى العراق ، فانشيء مصنع للورق في بغداد في عهد الخليفة الرشيد ، فقد اشار الفضل بن يحيى البرمكي بضرورة اقامة صناعة الكاغد[٣٢٧] ، وأمر اخاه جعفراً باحلال الورق المصنع داخل اسواق بغداد محل الرق في دواوين الدولة[٣٢٨] .

---

(٣٢٠) انظر : الدمشقي ، الاشارة الى محاسن التجارة ، ص‌ص ٢٤ — ٢٦ .

(٣٢١) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص‌ص ٨٩ — ٩٠ .

(٣٢٢) انظر : صفحة ١٧٠ من الباب الاول .

(٣٢٣) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ . ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٢١٢ . حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٢٣ .

(٣٢٤) جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٠٥ .

(٣٢٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٨ (والازر قطعة من النسيج تلتف بها النساء العربيات عادة عندما يبرزن للجمهور (انظر : دوزي ، المعجم المفصل ، ص‌ص ٣١ — ٣٤) .

(٣٢٦) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ و ١١٣ — ١١٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٣ .

Ibn Serapion, Op. Cit. P. 26.

(٣٢٧) ابن خلدون ، العبر ، المجلد ١ ، قسم ١ ، ص ٣٥٢ .

(٣٢٨) سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٣١ .

واشتهرت محلة (دار القز) بصنع الورق الذي اكتسب شهرة في كافة ارجاء المشرق[٣٢٩] • ويعتقد (متز)[٣٣٠] ان القرنين الثالث والرابع الهجريين قد احدثا انقلابا عظيما في صناعة الورق ، فحررا مادة الكتـــابة من احتكار مصر لهـــا ، واستئثارها به ، وصيراه رخيصا جدا ، ومن المرجح ان ما كـــان ينتج في أسواق بغداد من هذه المادة كان يصدر قسم منه الى الخارج •

وفي جانب الكرخ نشأت محلة التستريين بين دجلة وباب البصرة ، « يسكنها اهل تستر وتعمل بها الثياب التسترية » [٣٣١] • ولابد ان ما تنتجه هذه المحلة من الثياب التسترية كان يفيض عن حاجة السوق الداخلية ، مما يستدعي تصدير هذه البضاعة من بغداد واسواقها الى اسواق مـدن اسلامية أخرى •

وفي امكاننا ان نعتبر المائة والخمسين الف ثوب التي اشتراها الخليفة المهدي من اسواق بغداد ، واخذها معه الى الحجاز ليفرقها هناك في موســم الحج ، من ضمن السلع الصادرة عن اسواق المدينة [٣٣٢] •

وكان القاشاني[٣٣٣] العراقي مشهورا لدرجة ان كمية منه ارسلت من بغداد الى القيروان سنة ٢٢٨هـ - ٨٦٢م لتزين مسجدها • كما ان الزجـاج العراقي كان معروفا خارج العراق ، حتى ان شهرته وصلت الاندلس • وقد شاهد ابن جبير في الكعبة قناديل من الزجاج العراقي تزينهـا نقوش جميلة • وقد برعت بغداد في صنع الاواني والاقداح الزجاجية [٣٣٤] •

---

(٣٢٩) ياقوت ، البلدان ، جـ ٤ ، ص ١١ . دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٧ ، ص ٥٤٢ .

(٣٣٠) الحضارة الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٣٣١) ياقوت ، البلدان ، جـ ٢ ، ص ٣١ و ٣٨٧ و ٣٨٩ .

(٣٣٢) الدياربكري ، تاريخ الخميس ، جـ ٢ ، ص ٣٣٠ . المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٠٧ .

(٣٣٣) القاشاني : نوع من الاجر المفخور الذي تزين به قبب المساجد .

(٣٣٤) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٠٠ .

ولم تقتصر صادرات أسواق بغداد على منتجاتها فحسب ، بل انها صارت تصدر - في بعض الاحيان - منتوجات مدن أخرى . فمنتجات مدينة كسكر كانت تصدر عبر أسواق بغداد[٣٣٥] . في حين كان التجار العرب يجلبون المنسوجات والجواهر والمرايا والخرز والطيوب الى بغداد ، وبعد ذلك يتولى تجار بغداد تصدير ما فاض من هذه السلع الى أنحاء الشرق الاقصى وافريقية وأوربا[٣٣٦] .

ويشبه (محمد كرد علي)[٣٣٧] بغداد بحي تجاري ، يعرض فيه التجار أمتعتهم وسلعهم ، ويتفقون على الاسعار . واذا أخذنا بهذا الرأي تكون بغداد ، والحالة هذه ، قد أصبحت مركزا تجاريا عالميا تتحدد فيه أسعار السلع ، ومن هذه المدينة كانت تصدر البضائع الفائضة عن حاجة السوق الداخلية .

ومهما يكن من أمر ، فأن أسواق بغداد كانت تصدر الاقمشة القطنية والمنسوجات الحريرية وخاصة المناديل والازر والعمائم ، والخزف والادوات الزجاجية والدهون والمعاجين والادوية[٣٣٨] ، والحنطة والشعير والاقمشة الصوفية والكتانية ، والزيت والعطور ، وماء الزعفران ، وماء السوس ، وشراب العنب وزيت البنفسج[٣٣٩] .

وكان تجار بغداد يخرجون تجاراتهم من العاصمة الى واسط او البصرة بغرض عرضها في أسواق تلك المدن ، الا أن بضائعهم هذه كانت تتعرض ، في بعض الاحيان ، للنهب من قبل اللصوص وقطاع الطرق الذين يزعمون ان الخليفة هو الذي الجأهم الى هذا العمل ، لانهم كانوا من جنده ، لكنه أسقط ارزاقهم فاحترفوا هذه الحرفة[٣٤٠] .

---

(٣٣٥) العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٢٢٥ .
(٣٣٦) حتي ، تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .
(٣٣٧) تاريخ الحضارة ، ص ٤٦ .
(٣٣٨) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٨ .
(٣٣٩) سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٦٦ .
(٣٤٠) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

وفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م « كثرت الارطاب ببغداد حتى عملوا منها التمور وحملت الى واسط والبصرة »[٣٤١] • ويبدو ان تصدير التمور والارطاب من بغداد الى البصرة كان أمرا غير مألوف ، لذا نجد « صاحب تجارب الامم[٣٤٢] » يستغرب لهذا الامر لكون البصرة مركز النخيل •

والظاهر ان هناك سلعا تجارية كثيرة كانت تصدر عن أسواق بغداد ، وما جاورها الى خراسان • غير ان الخليفة الامين كان قد أمر بمنع التجار من حمل شيء الى خراسان سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م على أثر اشتداد الخلاف بينه وبين أخيه المأمون[٣٤٣] ، ذلك أن العلاقة بين الاخويين كانت قد اجتازت مرحلة الشكوك المتبادلة ودخلت مرحلة النزاع السافر •

ونظن ان كميات كبيرة من السلع كانت تصدر عن أسواق بغداد الى خراسان • ففي مستهل خلافة المتقى بالله قطع أكراد (الشاذنجان) على القافلة الخارجة من مدينة السلام الى خراسان في جمادى الاولى سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م « وكانت فيها من العين والورق ما مبلغه ثلاثة آلاف دينار ، ومن الامتعة ما قيمتها نحو ذلك »[٣٤٤] •

ويمكننا أن ندرك قيمة البضائع المصدرة عن أسواق بغداد ، والمرسلة ضمن هذه القافلة من قول الصولى : « وحدثني من أثق به من التجار ، أن تاجرا من قطيعة الربيع حمل أمتعة في هذه القافلة ، لزمه لكرى احماله نحو الفي دينار ، فما ظنك بمتاع هذا كراؤه ! وكم تظن قيمته تبلغ ؟ »[٣٤٥] •

وفي خلال سنة واحدة صدر تجار بغداد الى خراسان حوالي مائة الف

---

(٣٤١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٢ •
(٣٤٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٤٦ •
(٣٤٣) الطبري ، م• ق ، ج ٨ ، ص ٤٠٥ •
(٣٤٤) الصولي ، الاوراق ، ص ١٩٢ • انظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص ٣١٨ •
(٣٤٥) الصولي ، الاوراق ، ص ١٩٣ •

حمل من التمر ، كمـــا انهـم صدروا من هذه المـــادة الى شمال افريقية ايضا[٣٤٦] .

ومن السلع الصادرة عن أسواق بغداد ، الزيت الذي كـان قـد ربح فيه احد تجار بغداد في صفقة واحدة عشرة آلاف دينار من جراء بيعه لتجار الرقة . ذلك ان التاجر البغدادي احمد بن أبى عوف كان قد استضاف ركابى قادم من الرقة ، فاطلع على كيس فيه كتب تجار من الرقة الى اصدقائهم ومعارفهم ببغداد يأمرونهم بشراء كل ما وجد في أسواق بغداد من الزيت لانه معدوم في الرقة . فبادر احمد بن أبى عوف ، وأمر وكلاءه ابتياع ما يقدرون عليه من الزيت ، فابتيع له الى آخر النهار ما قيمته عشرة الاف دينار . فلما كان اليوم التالى اضطر القادم من الرقة ان يشترى زيت التاجر احمد بن أبى عوف بربح عشرة الاف دينار[٣٤٧] .

كما قام تجار بغداد بنشاط تجارى كبير في البحر ، فقاموا برحـلات بحرية تبدأ من بغداد وتسير في الخليـج العربي الى الشـرق الاقصى . وفي أوائل العصر العباسي صارت التجارة الى سيلان كلها في ايديهم . وبعد أن كان الصينيون يجوبون بكثرة سواحل الهند والخليج العربي ، أصبح من النادر وجودهم في هذا الخليج . لان التجار العرب عامة ، وتجار بغداد خاصة حلوا مكانهم وتمكنوا من الوصول الى بلاد الهند الصينية ، والصين ، ولقيت تجارتهم مع الصين عن طريق سيلان ، رواجا عظيما ، وقد اسـتقر قسـم من هؤلاء التجار في مدينة كانتون[٣٤٨] .

وكانت السفن العربية التي تبحر من البصرة قاصدة الصين ، تمر في طريقها بمسقط ، ثم تسير حول الهند الى خليج البنغال ، وتتجه بعد ذلك الى

---

(٣٤٦) متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .
(٣٤٧) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٩ .
(٣٤٨) سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٤٧ .

جزيرة سومطرة ، ثم تسير في بحر الصين الى أن تصل موانىء الصين[٣٤٩] .

ونستطيع أن نقدر حجم التبادل التجارى بين أسواق بغداد والشرق من المؤثرات الهندية التي تلمسها « فون كريمر »[٣٥٠] التي كانت تعمل عملها عن طريق التبادل التجارى . وان أحد ملوك الهند كانت « تحمل اليه الخمر من العراق ويشربها »[٣٥١] .

وتتيجة للتطور الاقتصادي الذي شهدته أسواق بغداد ، تأسست عدة شركات وطنية تعمل في تجارة المحصولات العراقية[٣٥٢] . وهذه الشركات كانت تأخذ على عاتقها تصدير المواد الفائضة عن حاجة أسواق العاصمة . وربما تولت هذه الشركات تصدير مقادير كبيرة من التمور العراقية الى أسواق الهند والصين[٣٥٣] .

وان كثيرا مما في بغداد وأسواقها من طرائف ، كان ينقل الى بلاد الاناضول في بعض الاحيان . ففي الوقت الذي كان المأمون غازيا لبلاد الروم ، كان الرطب يأتيه من بغداد تباعاً[٣٥٤] . وفي الوقت الذي كان الخليفة المعتصم هناك يحارب الروم قرب عمورية ، كان التمر يصدر من بغداد الى تلك الاصقاع[٣٥٥] ويعتبر (الدكتور الدورى)[٣٥٦] . ان النصف الاول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كان زمن عز التجارة مع شرق أوربا ، وان المواد المصدرة من الدولة العباسية الى تلك البلاد كانت كثيرة ، وان التجارة العراقية كانت جزءا هاما منها .

---

(٣٤٩) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٤٦ . سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٤٨ .

(٣٥٠) الحضارة الاسلامية ، ص ٩٩ .

(٣٥١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص‌ص ٦٦ — ٦٧ .

(٣٥٢) الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٦ و ٣١٩ — ٣٢٠ .
جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ١٣٢ .
Fischel, Op. Cit., PP. 349 - 350.

(٣٥٣) سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٢٨ .

(٣٥٤) ابن طيفور ، بغداد ، ص ١٨٦ .

(٣٥٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٦٥ .

(٣٥٦) تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٥٣ .



الباب الثالث

المعاملات المالية والتجارية

الفصل الاول : اسلوب التعامل في اسواق بغداد

١) النظام النقدي

١) استعمال الصك

٣) استخدام السفتجة

٤) دور الصراف في أسواق بغداد

الفصل الثاني :الاسعار والاحتكار

١) الزيادة المطردة في الاسعار

٢) الاحتـكار

٣) موقف السلطة من زيادة الاسعار

الفصل الثالث : الرقابة على الاسواق

١) تطور وظيفة المحتسب

٢) تعيين عرفاء على الاسواق

الفصل الاول

اسلوب التعامل في أسواق بغداد

النظام النقدي :

لدراسة النظام النقدي ، لابد من دراسة العملة بأنواعها لمعرفة الاسعار وضبط الايرادات والنفقات ، ومعرفة المستوى الاقتصادى .

والدرهم والدينار ، هما النقدان الاساسيان اللذان بهما تم التبادل والتعامل والتقدير في جميع انحاء الدولة العباسية ، وعلى أساسهما حددت الواجبات الشرعية[1] . وتعامل العرب المسلمون بالدراهم الفارسية والدنانير الرومية[2] . وكان النبي (ص) قد أقر الدراهم والدنانير على ما كانت عليه[3] ، وكذلك فعل ابو بكر[4] . أما عمر بن الخطاب فقد حدد

---

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صحيح مسلم ، ج ٣ ، ص ٦٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ص‌ص ٦٥٢ — ٦٥٤ . الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٤٩ — أ . والاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٥ — أ . المقريزي ، اغاثة الامة ، ص‌ص ٤٨ — ٤٩ . وشذور العقود ، ص ٣ . يوسف غنيمة ، « النقود العباسية » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد ٩ لسنة ١٩٥٣ ، ص ٩٨ . جواد علي ، تاريخ العرب ، ج ٨ ، ص ٢٠٠ و ٢٠٦ . علي حسني الخربوطلي ، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، ص ٤٢٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة بيروت) ، ص‌ص ٦٥٢ — ٦٥٣ . المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥١ — وشذور العقود ، ص ٦ . غنيمة ، (النقود العباسية) مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد ٩ لسنة ١٩٥٣ ، ص ٩٨ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ١١ . الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٤٢٢ .

(٤) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥١ . وشذور العقود ، ص ٧ .

M. Henri - Lavoix, Catalogue des Monaies Musulmanes, Imprimerie Natoale (Paris: 1887), P. 12.

الدرهـم الشرعي[٥] . كما ضرب عثمان بن عفان الدراهم[٦] . ونقل عن معاوية انه سك النقود[٧] ، وكذلك عبدالله بن الزبير وأخوه مصعب[٨] . ثم تم الاصلاح النقدي على يد الخليفة عبدالملك بن مروان[٩] ، ووالى العراق

---

(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ، صص ٦٥١ — ٦٥٤ . البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، مطبعة بريل (ليدن : ١٨٦٤) ، ص ٣١ . البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ج ٢ ، ص ١٢٨ . الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧٣ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٧ . والرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٤٨ — أ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٤ — أ و ٤٥ — ب . ابن الاخوة ، معالم ص ٨٢ . المقريزي ، اغاثة الامة ، صص ٤٩ — ٥٠ و ٥٦ . وشذور العقود ، ص ٤٨ . ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨١١ . المقرى ، المصباح المنير ، ج ١ ، ص ٨٨ . الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٤٢٢ . Lavolx, Op. Cit. P: 12.

(٦) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٢ . وشذور العقود ، ص ٨ . الخضري ، تاريخ الامم الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٤٥ — الخربوطلي ، تاريخ العراق ص ٤٢٣ .

(٧) البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ، صص ٦٥٣ — ٦٥٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤١٨ . المقريزي ، اغاثة الامة ص ٥٢ . الخربوطلي ، ص ٤٢٣ . Lavoix, Op. Cit. P: 14.

(٨) البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة بيروت) ، صص ٦٥٣ — ٦٥٤ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ . والرتبة في طلب الحسبة ورقة ٤٩ — أ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٨٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤١٨ . ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨٠٩ . والخضري ، تاريخ الامم الاسلامية ، ج ١ ، ص ٦٤٥ . عبدالرحمن فهمي ، صنج السكة في فجر الاسلام ، (القاهرة : ١٩٥٧) ، صص ٣٨ — ٣٩ .

(٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ، ص ٦٥٤ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٢٦ . ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص ٢٤١ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ والرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٤٩ — أ . ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص ١٩٢ . البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ج ٢ ، ص ١٢٦ . الدميري ، حياة الحيوان ، ج ١ ، ص ٧٢ . الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١٨ .

الحجاج بن يوسف الثقفي [١٠] • واستهل العباسيون حكمهم بان نقلوا دار ضرب الدراهم الى الانبار[١١] ، كما انقصوا الدرهم المتداول في السوق، ذلك ان الخليفة الاول « قطع منها ونقصها حبة ، ثم نقصها حبتين »[١٢] •

ويبدو أنه كان وراء هذه الخطوة اسباب منها ان هناك اعتبارات اقتصادية أملتها ظروف الدولة الجديدة على الخليفة الاول ، فوقع تحت تأثيرها ، فأمر بانقاص وزن الدرهم حبة واحدة ، ولما اشتدت عليه الظروف اضطر الى انقاص وزن الدرهم مرة اخرى حبتين خلال عهده القصير (١٣٢ - ١٣٦هـ) •

كما ان السفاح استهدف من اجراءاته تلك التخفيف عن كاهل الشعب ، وأن يستن سنة صالحة • بدليل ان الخليفة الثاني ، ابا جعفر المنصور ، هو الآخر اقدم على انقاص وزن الدرهم ثلاث حبات[١٣] •

ولم يطرأ تعديل جوهري على الدينار الاسلامي ، خاصة في عهد

---

(١٠) الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٤٩ - أ • ابن الرفعة ، الرتبة في طلب الحسبة ورقة ٤٥ - أ • ابن الاخوة معالم القرية، ص٨٣ • ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨٠٩ • ابن قتيبة الدينوري ، شذور العقود ، ص ١٠ • الخربوطلي ، تاريخ العراق ص ص ٤٢٤ - ٤٢٦ •
Lavoix, Op. Cit. P: 20.

(١١) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٩ ، وشذور العقود ، ص ١٧ • النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٣٢ • (ضربوا الدراهم في البصرة والكوفة والري وارمينية وجندي سابور • انظر : غنيمة ، « النقود العباسية » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد ٩ لسنة ١٩٥٣ ، ص ص ١٢٧ - ١٢٨ •
Lane - poole, catalogue of Arabic coins, P. 38.

(١٢) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٩ • وشذور العقود ، ص ١٧ • المازندراني ، العقد المنير ، ص ٤٢ •

(١٣) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٩ • وشذور العقود ، ص ١٧ • المازندراني ، العقد المنير ، ص ٤٢ •

السفاح[١٤] • الا ان الحكام الجدد نقشوا آيات اخرى على الدينار اشارة لحق العباسين في الخلافة وقرابتهم من الرسول (ص) • وكان الهدف من وراء ذلك اظهار حقوق العباسيين التي كانوا يطالبون بها ، اذ وضعوا الآية : « وقل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »[١٥] •

وظلت العملة المتداولة في السوق على هذه الحالة حتى تقلد المهدي الخلافة فضرب سكة مدورة فيها نقطة[١٦] • والخليفة المهدي هو أول خليفة عباسي ظهر اسمه على الدراهم[١٧] • في حين كان الامين أول خليفة عباسي ذكر اسمه على العملة الذهبية[١٨] •

ويذكر (**(Lavoix)**)[١٩] ان هناك دراهم فضية سكت بمصر في عهد الخليفة الرشيد ضمن مجموعة المكتبة الاهلية بباريس ، وهي تحمل

---

(١٤) النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٣٧
وداد القزاز ، « الدرهم العباسي » ، مجلة سومر ، ج١ ، المجلد ١١٨ لسنة ١٩٦٢ ص ١٢٩ . غنيمة ، « النقود العباسية » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد ٩ لسنة ١٩٥٣ ص ١٠٦ .
Lane - poole, op. cit. P. 31.

(١٥) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٥ .
Lavoix, Op. Cit. P. 47.
Lane - Poole, Op. Cit., P: 42.

(١٦) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٩ . وشذور العقود ، ص ١٨ . وداد القزاز ، « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين المهدي والهادي » ، مجلة سومر ، ج ١ ، ج ٢ ، المجلد العاشر ، لسنة ١٩٦٤ ، ص ١٥٩ . المازندراني ، العقد المنير ، ص ٤٢ .

(١٧) Lavoix, Op. Cit. P. 47. Lane - Poole, Op. Cit. P: 44.
وداد القزاز ، « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين المهدي والهادي » ج ١ و ٢ ، المجلد العاشر لسنة ١٩٦٤ ، ص ١٥٩ .

(١٨) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٠ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ص ٣٦ — ٣٧ و ٤١
Lane - Poole, Op. Cit. P. 62.

(١٩) Catalogue des Monnaies Musulmanes P. 199.

اسم الامين وجعفر بن يحيى البرمكى ، ويستنتج (عبدالرحمن فهمي)[20] من ذلك ، في أن الحق الذي منحه الرشيد لجعفر بن يحيى البرمكي في الاشراف على السكة حق عام بالنسبة لنوعيها من المعادن النفيسة ، وبالنسبة لمركزها الاقتصادي من حيث السكة الرئيسة والمساعدة • لكن تعين جعفر بن يحيى لولاية المغرب (١٧٦-١٨٦هـ / ٧٩٢-٨٠٢م) كان له أثره الاساسي في ظهور هذه الدراهم التي أشار اليها (لافوا) • ولو كان الامر كما ذهب اليه (الدكتور فهمي) لظهر اسم جعفر بن يحيى على دراهم سكت بمناطق اخرى من الدولة العباسية •

كما أن وضع اسم جعفر على الدراهم المسكوكة في المغرب ، لم يكن بادرة جديدة من نوعها ، ذلك أن مثل هذا الحق كان قد تمتع به ولاة أقوياء في الدولة الاموية ، كالحجاج ، وعمر بن هبيرة ، وخالد القسرى ، ويوسف ابن عمر وغيرهم[21] ، فان الدراهم التي ضربت باقاليمهم كانت تحمل اسماءهم، وبذا يمكننا القول : ان العباسيين لم يكونوا مبدعين في منح بعض الولاة حق ضرب السكة الفضية[22] • بل كانوا ـ في هذا المجال ـ مقلدين لما كان متبعا في العهد الاموى •

---

(٢٠) مجموعة النقود العربية ، ص ١٠١ •

(٢١) البلاذري ، فتوح البلدان ص٦٥٦ ـ ٦٥٧ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ • ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤١٧ • ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨٠٩ • الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ٦٠ • المقريزي ، اغاثة الامة ، ص‌ص ٥٨ ـ ٥٩ شذور العقود ، ص ١٦ •

(٢٢) انظر : النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص‌ص ٤٢ ـ ٤٤ و ٤٨ • غنيمة « النقود العباسية » مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد ٩ لسنة ١٩٥٣ ، ص ١٠٧ • مهاب البكري ، « الدعوة العباسية على النقود المضروبة في ايران » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ المجلد ١٤ ، لسنة ١٩٦٨ ، ص ١٢٢ • وداد القزاز ، « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون » مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد ١٣ لسنة ١٩٧٤ ،

ونستطيع ان تتلمس اهتمام السلطة بنظم العملة المتداولة في السوق ، من ان الخلفاء أنفسهم كانوا يشرفون بصورة مباشرة على دور الضرب لكي يتحققوا من ضبط وزن النقود ، وليبعدوا عنها احتمالات الغش والتزييف . لكن الخليفة هرون الرشيد صيّر هذه المهمة الخطيرة الى « جعفر بن يحيى البرمكي ، وكتب اسمه بمدينة السلام وبالمحمدية من الرى على الدنانير والدراهم وصير نقصان الدرهم قيراطا الا حبة »[٢٣] .

وهكذا يعتبر هرون الرشيد أول خليفة امتنع عن مباشرة العيار بنفسه ، وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدراهم والدنانير بأنفسهم[٢٤] . ولم تفصح المصادر عن دوافع هذا التطور الجذرى في ضرب النقود . الا أنني أرجح ان مشاغل الخليفة الرشيد الكثيرة ، وطبيعة الظروف التي كانت تحتم عليه قضاء فترة طويلة من السنة خارج العاصمة ، ووجود من كان يثق به الخليفة ثقة مطلقة ، حالت دون اشرافه بنفسه على السكة ، فنهج نهجا لا مركزيا في الحكم ، وأعطى الولاة مزيدا من السلطة .

وكان للنظام الذي استنه الرشيد صداه الواسع في الامصار الاسلامية ، اذ أصبح ضرب السكة حقا للولاة والعمال في تلك الامصار[٢٥] .

ص ١٠ . عيسى سلمان « دراهم فريدة » ، مجلة المسكوكات ، عدد ٥ ، لسنة ١٩٧٤ ، ص ١٠ .

(٢٣) المقريزي ، شذور العقود ، ص ١٨ . خولة الدجيلي ، بيت المال ، ص‌ص ١٦٢ — ١٦٣ .

(٢٤) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص‌ص ٥٩ — ٦٠ . وشذور العقود ، ص ١٩ . الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ١٦٢ . وداد القزاز ، « الدرهم العباسي في زمن الخليفة هرون الرشيد » مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، لسنة ١٩٦٥ ص ١٦٧ .

(٢٥) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٠ و ٢٥٥
فهمي ، مجموعة النقود العربية ، ص ٨٨ .
Lane - Poole, Op. Cit. P. 50, 52, 61.

وضربت في عهد الرشيد دنانير زنة كل دينار منها مائة مثقال ، كان يفرقها على الناس في النيروز[٢٦] والمهرجان[٢٧] ، وتسمى « دنانير الصلة » وكتب عليها :

وأصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجهه جعفرا
يزيد على مائة واحدا اذا ناله معسر أيسرا[٢٨]

وقد ظهرت نقود جديدة ذات وزن كبير • ويبدو أن الغرض من ضربها كان لدوافع سياسية محضة ، اذ كان يرمى ضاربها من وراء ذلك تحقيق أمجاد شخصية ، بوضعه اسمه عليها ، وتحقيق مصالح قومية تبرز واضحة في توقيت عملية توزيع هذه الدنانير في مناسبات قومية فارسية هي النيروز والمهرجان كما يمكن اعتبارها مظهرا من مظاهر الاستقرار الاقتصادي •

وكان لبني العباس (دنانير الخريطة)[٢٩] ، وهي مائة دينار فيها مائتان ، مكتوب على كل دينار من : (ضرب الحسنى لخريطة أمير المؤمنين)[٣٠] ويعتقد المقريزي[٣١] ان هذه الدنانير هي التي ينعم منها الخليفة على المغنين ونحوهم • وقد عثرت على ما يوحي بان الدنانير الكبيرة التي ضربها جعفر

---

(٢٦) النيروز : اذن بدخول فصل الدفء . (انظر : الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٦) .

(٢٧) المهرجان : يعنى دخول فصل البرد . (انظر : الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٦) .

(٢٨) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص‌ص ٥٩ — ٦٠ . زكي محمد حسن ، التصوير في الاسلام ، ص ٣١ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٣٥ .

(٢٩) المقصود بالخريطة هنا خزانة الخليفة . ودنانير الخريطة ، توضع في كيس من ادم او نسيج يشرح على ما فيه . (انظر : مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٤٢ . والشابشتي ، الديارات ، ص ١٠٧) .

(٣٠) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٦٠ .

(٣١) اغاثة الامة ، ص ٦٠ . انظر : الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠٧ .

البرمكي كانت اقدم من دنانير الخريطة[٣٢] • وبهذا يكون الخلفاء العباسيون قد قلدوا آل برمك في هذا النوع من ضرب النقود •

واستمرت الدراهم العباسية كما كانت عليه حتى عام ١٨٤هـ/٨٠٠م ، حيث صار النقص « أربعة قراريط ونصف حبة »[٣٣] • فلما قتل الرشيد جعفرا ، صيّر السك الى السندى بن شاهك (صاحب الشرطة) ، فاهتم كثيرا بتخليص الذهب والفضة من الشوائب العالقة بهما • وكان السندى قد أنقص الدنانير الهاشمية نصف حبة ، لكنه ردها الى وزنها السابق في أواخر عهد الرشيد[٣٤] • وفي زمن الخليفة الامين صير دور الضرب الى العباس بن الفضل ابن الربيع [٣٥] •

وكان الخليفة الامين قد ضرب النقود باسمه في بغداد[٣٦] ، ولكن في الاقاليم الشرقية ظلت النقود تحمل اسم المأمون[٣٧] ، لانه كان يدير دفة الامور ببلاد المشرق • وفي سنة ١٩٦هـ/٨١١م ضرب المأمون الدنانير الذهبية دون أن يشير الى وجود الامين كخليفة[٣٨] • ولما تصاعد الخلاف بين الاخوين

---

(٣٢) انظر : الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠٧ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٣٥ .

(٣٣) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٦٠ . وشذور العقود ، ص ١٩ .

(٣٤) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٦١ . وشذور العقود ، ص ١٩ .

(٣٥) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٦١ ، وشذور العقود ، ص‌ص ١٩ — ٢٠ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص‌ص ٤١ — ٤٢ . وداد القزاز « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون » مجلة سومر ، ج ١ و ٢ . المجلد الثالث والقرون لسنة ١٩٦٧ ، ص ٢٠١ .

(٣٦) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٠
Lane - Poole, Op. Cit. P: 31, 62.

(٣٧) المقريزي ، شذور العقود ، ص ١٨ — ١٩
Lane - Poole, Op. Cit. P: 63 - 64.

(٣٨) المقريزي ، شذور العقود ، ص ١٨ — ١٩ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٤١ — ٤٢ . وداد القزاز ، « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد ٢٣ لسنة ١٩٦٧ ، ص ٢٠١ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ١١٧ .
Lane - Poole, op. cit. P: 65 - 66

تجرأ المأمون وصار يذكر اسمه على النقود ، ويلقب نفسه بلقب خليفة مع وجود الخليفة الشرعي في بغداد[٣٩] ، كما ذكرت على بعض نقود المأمون لفظة (امام)[٤٠] واستبعد أن تكون هذه النقود قد وصلت الى بغداد وجرى التعامل بها في أسواق العاصمة قبل عام ١٩٨هـ/٨١٣م •

وحدث تطور جديد أيضا في عهد المأمون ، اذ نقش على نقوده « لله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله »[٤١] ولعل هذا النقش قصد من وضعه الاعتزاز والتفاخر بالنصر الذي أحرزته جيوش المأمون على أخيه الامين • وهنا نجد كيف ان الاحداث السياسية والعسكرية كانت تعكس آثارا واضحة على كل ما من شأنه ان يضفي الشرعية على المتغلب ، حتى لو تمكن من ازالة الخصم نهائيا من الوجود •

وظهر على نقود المأمون نقش ذو الرياستين[٤٢] وزيره ،

---

(٣٩) النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٤١ ــ ٤٢ •
وداد القزاز ، الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، مجلد ٢٣ ، ص ٢٠١ •
Lane - Poole, op. cit. P: 65.

(٤٠) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٧٢ •
Lane - Poole, op. cit. P: 65.
النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص‌ص ٤١ ــ ٤٢ و ٤٤ • وداد القزاز « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، مجلد ٢٣ ، ص ٢٠٢ •

(٤١) سورة الروم ، آية ٤ ، ٥ •
Lane - Poole, op. cit. P: 67.
Lavoix, op. cit. P. 41.
المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٥٥ •
النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٤٥ • وداد القزاز ، « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ المجلد ٢٣ ، لسنة ١٩٦٧ ، ص ٢٠٢ •

(٤٢) فهمي ، مجموعة النقود العربية ، ص ٩٢ ــ النقشبندي ، الدينار الاسلامي ص ٤٣ •

وطاهر[٤٣] قائده ،والفضل[٤٤] ،والمقصود بهالفضل بن سهل،كما نجد والي مصر احمد بن طولون يقرن اسم الخليفة باسمه ويضربهما على النقود التي سكت في مصر[٤٥] وحتى ان اسم القائد (لؤلؤ) وضع على الدينار الطولوني الصادر عام ٢٦٨هـ/٨٨١م تحت اسم احمد بن طولون[٤٦] كما اننا صرنا نشهد اسماء الصناع تنقش على النقود التي يقومون بصنعها[٤٧] .

وكانت (قبيحة) ام المعتز (٢٥١ـ٢٥٥هـ/٨٦٥ـ٨٦٨م) قد تقدمت بضرب دراهم مكتوب عليها : « بركة من الله لاعذار أبى عبدالله المعتز بالله »، فضرب منها مليون درهم لتنثر بمناسبة ختان ابنها[٤٨] . وفي سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م ضربت دراهم ذات فئة خاصة لاجل أن تهديها قطر الندى الى زوجها المعتضدبالله ، وكل درهم من هذه الدراهم يساوي ثلاثة دراهم عادية[٤٩] .

وفي عهد الخليفة المكتفيبالله نقش اسم وزيره[٥٠] (ولى الدولة) على

وداد القزاز ،«الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون» ،مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد ٢٣ ، ص ٢٠٢ .

Lane - Poole, Op. Cit. P. 68.

(٤٣) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٥٥ .

Lavoix, Op. Cit. P. L64.

Lavoix, Op. Cit. P. 69.

(٤٤) النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٤٣ .

(٤٥) Lane - Poole, Op. Cit. P. 71.

Lane - Poole, Op. Cit. History of Egypt, Vol. VI P: 68.

انظر : النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص‌ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٤٦) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٣ و ٢٥ .

Lane - Poole op. cit., P. 136.

(٤٧) فهمي ، صنج السكة ، ص ١٠٨ . وداد القزاز « الدرهم العباسي في زمن الخليفة المهدي والهادي » مجلة سومر ، المجلد ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٤٨) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١٦ . الشابشتي ، الديارات ، ص ٩٨ .

(٤٩) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص‌ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٥٠) اسم الوزير (القاسم بن عبيد الله) . (انظر : المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٦٢) .

النقود[٥١] وفي زمن المقتدر بالله وضع اسم ابن الخليفة على النقود دون ان يكون قد عين وليا للعهد بعد[٥٢] . لكن قد يكون ذلك راجعا الى ان ابن الخليفة قلد بلاد الشام ومصر[٥٣] ، وبناء على ذلك نقش اسمه على النقود ، كما أن الوزير (عميد الدولة) الحسين بن القاسم ، قد وضع اسمه على النقود[٥٤] .

ولما أصبح الحسن بن عبدالله الحمداني أمير الأمراء ولقب ناصر الدولة عام ٣٣٠هـ/٩٤١م صار معنيا بامور النقود ،وجرت بينه وبين الصيارفة بمدينة السلام خطوب كثيرة ، في عيار الدنانير ، حتى عمل عيارا كعيار السندى ابن شاهك ، « وزاد في سكة الدينار ـ عند ذكره محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم »[٥٥] .

وقد توهم كثير من المؤرخين ان كلمة « الزيادة » التي وردت في هذا النص انما تعنى زيادة في وزن الدينار . والحقيقة ان الزيادة هي عبارة « صلى

---

(٥١) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٦٢ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٤٩ .

(٥٢) عريب ، الصلة ، ص ٣١ . المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٦٢ .

(٥٣) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٢ .

(٥٤) عريب الصلة ، ص ١٦٧ . ابن عبد ربه . العقد الفريد ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٢٣ . ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ ، ورقة ١٣٣ ـ أ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، صص ٦٤ ـ ٦٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩ . ابن الفوطي ، مجمع الآداب ، ج ٤ ، قسم ٢ ، ص ٩٠٩ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤١ . والعبر ، ج ٢ . ص ١٧٤ . ابن خلدون ، العبر ، ج ٣ قسم ٤ ، ص ٨١٧ .
Lane - Poole, Op. Cit, P. 94.
النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٤٩ .
Sourdel, Op. Cit. P: 465.

(٥٥) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٢٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ .

الله عليه وسلم » ، ثم ان الزيادة جاءت في السكة وليس في الوزن[٥٦] . ومع ذلك فانه يفهم من النص أيضا ان الصيارفة بمدينة السلام كانوا يتلاعبون في وزن الدينار ، وقد عمل الحسن بن عبدالله على تثبيت الوزن ليس الا ، وهو والحالة هذه ، لم يأت بوزن للدينار العباسي الذي كان متداولا في زمانه ، وانما صنع عيارا كالسندى او مقاربا له .

وفي سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م « ضرب ناصر الدولة بعيار اختاره ولم يضرب قط مثله الا السندى »[٥٧] وأوضح مسكويه : أنه لما استقرت الامور لناصر الدولة ببغداد « نظر في النقد فأمر بتصفية العين والورق ، وضرب دنانير سماها الابريزية »[٥٨] . وزاد صاحب التكملة « وبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان عشرة »[٥٩] .

وبذا يتضح ان الدينار الجديد الذي ضربه ناصر الدولة ، والذي فيه زيادة الوزن ، كان قد ضرب سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م وليس قبل هذا التاريخ . وكانت هذه الزيادة عند الصولي أجل منقبة لآل حمدان تفرد بها ناصر الدولة[٦٠] . وضرب سيف الدولة الحمداني دنانير خاصة للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل وعليها اسمه وصورته[٦١] .

وبعد دخول احمد بن بويه بغداد عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م خلع عليه الخليفة المستكفى بالله ، وكنى ولقب معز الدولة ، ولقب أخوه علي بن بويه (عماد الدولة) ولقب أخوه الحسن بن بويه (ركن الدولة) . وامر الخليفة ان تضرب

---

(٥٦) حسن الباشا (الدكتور) الفنون الاسلامية ، ج ١ (القاهرة : ١٩٦٥) ص ١٨٩ .
(٥٧) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٣١ .
(٥٨) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٨٥ .
(٥٩) الهمداني ، تكملة ، ج ١ . ص ١٣٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٨٥ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
(٦٠) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٣١ .
(٦١) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص‌ص ١٥ و ١٧ .

القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم[٦٢] . وهنا نرى أن آل بويه ، على الرغم مما بلغوه من مكانة وقوة ، في مركز الخلافة وفي الجزء الشرقي منها ، كانوا يشعرون بالاهمية الكبرى التي تأتيهم من جراء وجود ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم ، لان ذلك أسبغ على مركزهم صبغة شرعية كانوا في أمس الحاجة اليها .

ومعلوم أن الدولة العباسية كانت تتعامل بنظام نقدي مزدوج ، فهي تتعامل بالدينار والدرهم معا وتعترف بهما[٦٣] . الا أن الملاحظ أن بعض أقاليم الدولة كان خراجها يجبى بالدينار[٦٤] وبعضها الآخر بالدرهم[٦٥] .

وفي الحقيقة ان التعامل في فارس والعراق ، وبخاصة في أسواق بغداد ،

---

(٦٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٨٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٣١٤ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢١١ . الذهبي ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٣٥ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٤٦ .

(٦٣) مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٣ ، ص ٦٧ . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص‌ص ٧٣ – ٧٤ . الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٨ . الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٥ ، ص ١٦٣ و ١٧٢ . ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص‌ص ٢١٨ – ٢١٩ و ٢٢٠ – ٢٢١ و ٢٣٥ و ٢٣٨ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص‌ص ٢٨ – ٢٩ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٥٥ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٦٣ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ . الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ١١٨ .

(٦٤) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص‌ص ٧٥ – ٧٩ و ٨٣ – ٨٤ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٢ – ١٢٣ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٤٢٢ . والسيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٣ .

(٦٥) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٩٤ و ١٢٤ – ١٢٥ . قدامة ، الخراج ، ص‌ص ٢٣٦ – ٢٣٧ و ٢٣٩ – ٢٤٠ و ٢٤٢ – ٢٤٤ . ابو يوسف ، الخراج ، ص‌ص ٢ – ٢١ . الجهشياري ، الوزراء ، ص‌ص ٢٨١ – ٢٨٢ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٦٤ و ١٣٣ و ٣٤٠ و ٤٧٣ . الصابي ، الوزراء ، ص ٩٢ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص‌ص ٤٢٧ – ٤٢٨ .

Kremer, Abbasiden - Reiches, P.P. 27 - 32.

يكثر في الدرهم . وهذا لا يعني ان لا يجرى التعامل في أسواق العاصمة بالدينار الذي يعتبر التعامل به أساسا في بلاد الشام ومصر(٦٦) . وبهذا ندرك ان التعامل باحد النقدين كان مقبولا ، ويمكن ان يحول الى النوع الآخر بحسب سعر الصرف السائد في السوق الذي تحدده الاحوال التجارية ، دون تدخل الحكومة(٦٧) ولم نجد ما يثبت ان السلطة تدخلت لتحديد سعر رسمي للتبادل بين النقدين . وتدل قوائم الخراج الرسمية على أنها كانت تقبل مبالغ الخراج باى من النقدين(٦٨) . وكان باستطاعة الناس ان يبيعوا دراهم للصرافين بدنانير جديدة حسان(٦٩) .

غير ان ذلك لا يعني ان سعر الصرف كان ثابتا ، وانما كان يتعرض لتقلبات السوق ، وهذا شيء طبيعي . فالدينار بعد ان كان مساويا لعشرة دراهم في صدر الاسلام ، صار في النصف الثاني من العهد الاموي يساوي اثنى عشر درهما ، وفي العصر العباسي وصل الى ثلاثة عشر درهما (٧٠)، ثم الى اربعة عشر درهما أو أكثر(٧١) وقد اعترف الشرع بجباية الزكاة بالنقدين(٧٢).

---

(٦٦) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص‌ص ٧٤ — ٧٩ و ٨٣ — ٨٤ . الصابي ، الوزراء ، ص ١٧ و ٢٠ و ٨٣ و ٢٦٢ و ٣٠٩ . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٧٢ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٨ ، ١١ . ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .

(٦٧) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣١ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٣٠ . ابو السعود ، وقف الدراهم والدنانير ص ١٧ .

(٦٨) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨١ — ٢٨٢ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٦٣ . ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص‌ص ٢١٨ — ٢٢١ و ٢٣٥ — ٢٣٦ و ٢٨٨ .

(٦٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٨٤ .

(٧٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣١ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٧١) متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ . الريس ، الخراج ، ص ٣٧٣ . فيصل السامر (الدكتور) « ملاحظات في الاوزان والمكاييل الاسلامية » مجلة كلية الاداب ، العدد ١٤ لسنة ١٩٧١ ، ص‌ص ٧١٢ — ٧١٣ .

(٧٢) مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٣ ، ص ٦٧ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٧ .

غير انه من الملاحظ ان الاقبال على التعامل بالدينار الذهبي بأسواق بغداد كان انشط من التعامل بالدرهم الفضي . ذلك ان افراد الطبقة الحاكمة كانوا يفضلون ان ترد اليهم الاموال بالدينار ، في حين كانوا يرغبون ان يكون ما يخرج من عندهم من اعطيات بالدراهم الفضية [٧٣] . وان هذه الظاهرة لابد ان ينعكس أثرها على التعامل في اسواق بغداد ، وأن تكون رغبة التجار منصبة على قبول العملة الذهبية . لكن بطبيعة الحال سوف تكون كمية النقود المطروحة في أسواق العاصمة من هذه العملة قليلة نسبيا ، وذلك لاقبال الناس على خزن الدينار الذهبي ، لان طبيعة هذا المعدن الثمين تتحمل الخزن أكثر من نظيره الفضة . وبذا أصبحت ظاهرة خزن واخفاء النقود الذهبية سمة من السمات المميزة للنصف الاول من القرن الرابع الهجري [٧٤] .

وحسب القوائم التي أوردها الجهشياري ، نجد ان واردات المشرق الاسلامي كانت تأتي بالدراهم [٧٥] ، في حين نجد واردات بلاد الشام ومصر والحجاز مقدرة بالدنانير [٧٦] . وخلال القرنين الثاني والثالث الهجريين ، نلمس ان اكثر عطايا الخلفاء كانت تحسب بالدراهم [٧٧] . وفي أوائل القرن

---

(٧٣) الجاحظ ، التاج ، ص ٤٢ و ١٤١ .
ابو السعود ، رسالة معنى الانام ، ص ١٧ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, P. 10.

(٧٤) عريب ، الصلة ، ص‌ص ٤٧ — ٤٨ . العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ ورقة ١٢٣ — ب الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣٦ و ١٢٢ . التنوخي نشوار ، (مطابع الصياد) ج ١ ، ص ٢٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٢ .

(٧٥) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨١ — ٢٨٣ .

(٧٦) نفس المصدر ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٧٧) الجاحظ ، التاج ، ص ٤٢ و ١٤١ . ابن الجراح ، الورقة ، ص ٢٥ و ٢٧ و ٣٠ . ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٣٧ و ١٠١ و ١١٢ . الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٥ ، ص ١٦٣ . الانباري ، نزهة الالباء ، ص ٧٣ و ٧٥ و ٨٣ و ٩٦ . الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ٢٥٨ و ٢٥٨ و ٢٦٥ . ياقوت ، ارشاد الاريب ، ج ٤ ، ص ١٢٨ . الثعالبي ، ثمار ، ص ١٥٤ . ولطائف المعارف ، ص ٢٢ .

الرابع الهجري شاعت العملة الذهبية في المشرق الاسلامي ، وصارت اغلب حسابات الحكومة تجري بالدنانير الذهبية (٧٨) .

وكانت الممتلكات الفردية تحصى بالدراهم والدنانير ، فمثلا ان ابن يحيى ثعلب النحوي المتوفى سنة ٢٩١هـ - ٩٠٤م ، ترك واحدا وعشرين الف درهم والفي دينار ودكاكين بباب الشام قيمتها ثلاثة الاف دينار (٧٩) . وهناك أثرياء آخرون احصيت ثرواتهم بكلا النقدين (٨٠) .

ومن المؤكد ان التعامل كان يجري في اسواق بغداد بجميع انواع النقود التي ضربت في كل أقاليم الدولة العباسية ، ذلك أن وحدات هذه النقود كان يرد منها الى اسواق العاصمة سنويا كميات كبيرة عن طريق الضرائب المختلفة ، كالخراج والجزية والاعشار والمكوس والضمانات وما الى ذلك (٨١) ، فعن هذه الطرق وغيرها كانت تصب النقود في اسواق بغداد ويجرى التعامل بها بفئاتها المختلفة .

---

(٧٨) قدامة ، الخراج ، ص ٢٤٠ و ٢٤٢ - ٢٤٤ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٥ - ٢٦٠ ، والوزراء ، ص ١١٩ - ١٢١ و ٣١٤ . عريب ، الصلة ، ص ٢٤ و ١٤٨ . الصولي ، الاوراق ، ص ٢٢٦ و ٢٤١ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٨ و ١٨٤ و ١٩٩ - ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٣٨ و ٢٤٠ - ٢٤١ و ١٦ و ٢٥ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص‌ص١٥ - ١٦ و ٦٣ و ٧٥ - ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٤٦ . ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ٢ ص ٣٧٦ .
سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٥٧ . خولة الدجيلي ، بيت المال ، ص ١٤٤ . حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, P. P. 24 - 27.

(٧٩) متز ، الحضارة ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٨٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٤ و ٣٥ و ٢٤٨ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٠٠ و ٢١١ - ٢١٤ . البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ١٥٣ . ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ص ٢٧١ .

(٨١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٢٠ و ٦٠ . وقدامة ، الخراج ، ص‌ص ٢٤٢ - ٢٤٤ . ابن حرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٧٥ و ١٢٥ . الجهشياري ، الوزراء ، ص‌ص ٢٨١ - ٢٨٢ . الصابي ، الوزراء ،

ولدينا كثير من النصوص التي تشير الى أن نقودا ضربت في عواصم الاقاليم التي تتكون منها الدولة العباسية ، جرى التعامل بها في بغداد [٨٢] .

ومن المعلوم ان السكة التي ضربت في اقاليم الدولة العباسية ، استهدف منها ان يتم التعامل داخل ذلك الاقليم ، ولكن ذلك لم يمنع ان ينقلها التجار والمسافرون من اقليم لآخر ، وبخاصة الى بغداد[٨٣] . فلا غرابة ـ والحالة هذه ـ أن نجد في اسواق بغداد نقودا ضربت في اقاليم شرقية أو غربية من انحاء الدولة العباسية ، كما جرى التعامل بالفلوس[٨٤] .

ويورد المقريزي [٨٥] رواية طريفة مفادها : أن الناس ببغداد كانوا يتعاملون برغفان الخبز في الاسواق ، يقيمونه مقام الدرهم في الانفاق وينتقدونه نقدا قد اصطلحوا عليه ، فيردون المثلوم والمكرج ، كما يرد الدرهم

ص ٩٢ . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٦٤ و ١٢٠ و ١٣٣ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٥١ . جوستاف ، حضارة الاسلام ، ص ٢٠٧ .

(٨٢) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٤٠٤ .
متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ١٨٧ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٤١ ـ ٤٤ ، ٤٩ ـ ٥٠ . غنيمة ، « النقود العباسية » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد التاسع لسنة ١٩٥٣ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, P. 27.
Lane - Poole, Op. Cit. P. 32, 35, 36, 38, 44, 46, 53, 54, 69, 71, 73, 74.

(٨٣) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٧٥ و ١٢٥ . قدامة ، الخراج ، ص‌ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤ . الجهشياري ، الوزراء ، ص‌ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ . الصابي ، الوزراء ، ص ٩٢ . المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٦٤ و ١٢٠ و ١٣٣ .

(٨٤) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٣٨ . ابو السعود ، رسالة معنى الأنام ، ص ١٧ .
Lane - Poole, Op. Cit, PP. 119 - 121.
مهاب البكري « الدعوة العباسية على النقود المضروبة في ايران » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد ١٤ لسنة ١٩٦٧ ، ص ١٢٢ .

(٨٥) اغاثة الأمة ، ص ٦٧ .

الزائف[٨٦] ، والدينار المبهرج[٨٧] ، « ويشترون به أكثر المأكولات ، ويدخلون به الحمامات ولا يرده البزاز ولا العطار » [٨٨] .

وعمد بعض المسؤولين الى ضرب نقود ذات قيم متعددة ، وأوزان متباينة فغمرت أسواق بغداد بقطع نقدية ذات اصول وقيم مختلفة ، كان على الصرافين والتجار الموازنة بينها تحت اشراف المحتسب[٨٩] .

كما ظهرت في أسواق بغداد ، دراهم ودنانير تقدر باكثر من قيمة نظائرها من النقود العادية المتداولة في الاسواق . وربما لم يكن الغرض الاساسي من ضربها استعمالها في البيع والشراء ، وانما ضربت لمناسبات خاصة فسميت نقود الصلات [٩٠] . ولعل الدراهم التي أهدتها قطر الندى الى زوجها سنة ٢٨٢هـ – ٨٩٥م من هذا النوع ، اذ يقول ابن الزبير « كان قد أعتدّ لذلك دراهم بقية ثلاثة عشر الف دينار ، كل درهم ثلاثة دراهم » [٩١] . كما ضربت دنانير ذهبية تزن أكثر مما كان يزنه الدينار العباسي بشكله الطبيعي [٩٢] .

---

(٨٦) الدرهم الزائف : تكون فضته مخلوطة ، وكانت تقبل بقيمتها في المعاملات التجارية . (انظر : المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٦٢) .

(٨٧) المبهرج : هي الدنانير التي لم تضرب بدار الضرب الحكومية . وكانت غير مقبولة في التعامل التجاري . (انظر : المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٦٢) . وعادة تكثر فيها نسبة المعدن الرخيص . (انظر : الماوردي، الاحكام ص ٢٤٠) .

(٨٨) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص‌ص ٦٧ – ٦٨ . انظر : الثعالبي ، اليتيمة، ج ١ ، ص ١٥ .

(٨٩) الدمشقي ، الاشارة الى محاسن التجارة ، ص ٧ . تيمور ، التصوير عند العرب ، ص ٣١ . ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ص ٢٥٨ .

(٩٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٤٢ . ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ١١٦ . و ٣٨ – ٣٩ . الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج ١ ، ص ١٥ ، ١٧ . المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٩ – ٦٠ . الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠٧ و ٩٨ .

(٩١) ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص‌ص ٣٨ – ٣٩ .

(٩٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٣١ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٣٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ . ابن الاثير ،

وهذه الدراهم والدنانير ، كان يجري التعامل بها في اسواق بغداد ، وفي هذه الحال كان البائع والمشتري يلجآن الى الصرافين لتبديلها بنقود عادية أو استعمال الوزن في حال التعامل بها .

وتداولت في أسواق بغداد ، دراهم بهرجة [٩٣] وخراسانية ، وهي من الانواع الرديئة التي تلق اقبالا كبيرا في تعامل الناس بها . ولكن بعض الموظفين المختصين كانوا يدفعون من هذه النقود الرديئة رواتب الجند . ففي سنة ٣١٥هـ ـ ٩٢٧م دفع محمد بن خلف النيرماني « اثنين وأربعين الف درهم درية » [٩٤] .

والجاحظ في البخلاء يورد لنا نصا طريفا عن تعامل هؤلاء الصنف من الناس فيقول : « ان كانت الغلة صحاحا دفع أكثرها مقطعة ، وان كانت انصافا وارباعا دفعها قراضة مفتتة ، ثم لا يدع مزيفا ولا مكحلا ولا زائفا ولا دينارا بهرجا الا دسه فيه ودلسه عليه ، واحتال بكل حيلة ، وتأتى له بكل سبب . فان ردوا عليه بعد ذلك حلف بالغموس انه ليس من دراهمه ولا هي

←

الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٨٥ . المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٩ ـ ٦٠ . الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠٧ (واذا أردنا أن نصنف الدراهم والدنانير ونسبها الى الخلفاء ، أو أمراء الاقاليم الذين ضربت بأمرهم ، فأرانا نقف حيارى من أمر الدراهم التي كان يخرجها الحسين بن منصور الحلاج والتي سماها دراهم القدرة .

وعلى الرغم من ان رواية هذه الدراهم كانت تتوافر في اغلب المراجع المعتمدة ، الا انه لم توضح لنا نصوص هذه المصادر العبارات أو النقوش على تلك النقود . واستبعد ان يكون اسم (الحلاج) قد وضع على دراهم القدرة ، والا لما سكتت المصادر عن ذلك ابدا . انظر : عريب ، الصلة ، ص ٩٤ و ١٠٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد، ج ٨ ، ص ١٢٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٨ القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٦٥ . الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ .

(٩٣) البهرجة : (انظر ، ص ٢٤٤) .

(٩٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٧١ .

من ماله » (٩٥) • وهذا يعطينا صورة معينة من أسلوب التعامل في الاسواق • وكانت مثل هذه المخالفات ترتكب على الرغم من ان الفقهاء كانوا يجمعون على تحريمها (٩٦) •

ومن القراءات المتأنية للنصوص ، نستطيع ان ندرك ان العملات التي كانت متداولة في اسواق بغداد ، لم تكن كلها قد ضربت بعاصمة الخلافة العباسية ، وانما سكت في عواصم اقاليم الدولة ، ومع ذلك فقد كانت متبولة لدى تجار بغداد ما دامت محتفظة بالوزن الشرعي • غير ان الاختلافات السياسية هي التي كانت احيانا توقف التعامل بها • فلم يجر التعامل بالدنانير والدراهم التي ضربها المأمون في مدينة مرو ، لانه اسقط منها اسم الخليفة الامين (٩٧) • ومن هذا نستدل على أن نظم تداول العملة في السوق ، كان يحتم على الجهة التي تولت الضرب ان تحصل على اذن مسبق بذلك من السلطة القائمة ، والا اصبحت هذه النقود غير ذات شأن •

وهناك نوع آخر من النقود التي تداولت في الاسواق سكها ولاة أو قادة ثائرون لم يمنحهم الخليفة حق ضرب السكة باسمائهم ، وكانوا قد استغلوا فترات الاضطرابات في بغداد فسكوا تلك النقود (٩٨) •

---

(٩٥) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٨٥ .

(٩٦) السنامي ، نصاب الاحتساب ، ورقة ٦٢ ــ ب و ٦٣ ــ أ . ابو السعود ، رسالة معنى الأنام ، ورقة ١٦ .

(٩٧) المقريزي ــ شذور العقود ، ص‌ص ١٨ ١٩ .

(٩٨) المقريزي ، شذور العقود ، ص ٢٠ .

Lane - Poole, Op. Cit. P. P. 135 - 136.

وداد القزاز ، « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين المهدي والهادي » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد العشرون ، لسنة ١٩٦٤ ، ص ١٥٩. عيسى سلمان ، « دراهم فريدة » مجلة المسكوكات ، العدد ٥ لسنة ١٩٧٤ ، ص ٦ ــ ٧ و ١٠ .

والحق ان السكة [٩٩] الذهبية التي ضربت من قبل الخليفة ، أو سكها قواد او امراء طامعون باحد الاقاليم ، لم تختلف في طرازها العام عن السكة العباسية التي ضربت بعد عام ١٣٢هـ ـ ٧٤٩م ، كما ان الخليفة العباسي كان يعمد ـ في بعض الاحيان ـ الى ابطال التعامل بالنقود التي ضربت بدون موافقته[١٠٠] .

وعلى العموم فان النقود العباسية سرعان ما سادت في الاسواق وجرى التعامل بها ، لان الدولة اخذت تدفع ديونها ومتطلباتها ورواتب موظفيها ، وعطاء الجند من عملتها الجديدة .

ولتسهيل التعامل التجاري بالنقود من جهة ، وللوفاء بالالتزامات الضرائبية من جهة أخرى ، ضربت قطع نقدية تمثل اجزاء الدينار والدرهم منذ العهد الاموي ، واستمرت على هذه الحال خلال العصر العباسي [١٠١] .

ولم توضح المصادر انواع البيوع التي كانت تجرى في اسواق بغداد ، الا انني ارجح ان البيع المطلق ، وهو بيع العين بالثمن[١٠٢] ، هو الذي كان سائدا في التعامل باسواق العاصمة . وهذا لا يعني ان بيع المقايضة [١٠٣] ، والمستدين[١٠٤] ، والسلم [١٠٥] ، والصرف [١٠٦] ، والمرابحة [١٠٧] ،

---

(٩٩) السكة : هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صورة او كلمات مقلوبة ، ويضرب بها على الدنانير والدراهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة . (انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨٠٨ . وغنيمة ، « النقود العباسية » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد التاسع ، لسنة ١٩٥٣ ، ص ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧) .

(١٠٠) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

(١٠١) فهمي ، صنج السكة ، ص ص ٣٠ ـ ٣١ و ٣٤ و ٩٩ و ١٠٢ ـ ١٠٣ و ١٠٥ و ١١٠ ـ ١١١ و ١١٤ ـ ١١٧ و ١٢١ ـ ١٢٢ و ١٥٢ ـ ١٥٧ .
Lane - Poole, op. cit., P. 6.

(١٠٢) العيني ، شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٣٩٠ .

(١٠٣) وهو بيع بضاعة باخرى بدون استعمال النقود .

(١٠٤) البيع المستدين : اي بيع قطعة من القماش من المستدين ويستلم

والوضيعة [١٠٨] ، والصحيح ، والفاسد ، والمكروه [١٠٩] ، كانت غير موجودة في اسواق العاصمة . لابد انه جرى التعامل بهذه الانواع من البيوع ، أو ببعضها . لكننا لا نستطيع ان نحدد الى أي مدى استخدم كل نوع منها .

غير ان صاحب (المنتظم) يشير الى توفر الثقة بين أهل السوق وبين زبائنهم ، وان التعامل بينهم كان يتم دون اخذ مستندات مالية مكتوبة ، الامر الذي سهل عملية التبادل التجاري بينهم [١١٠] . وفي بعض الاحيان كان البائع يكتفي بأخذ رهن يفي بمقدار الدين او يزيد ، ويحفظه عنده لحين استرداد المبلغ المسلف [١١١] .

وفي الوقت الذي كان فيه تجار بغداد يبيعون بضائعهم (بالدين) لم يكونوا يتوانون عن مطالبة دائنيهم امام الملأ ، فقد كان لبعض التجار من أهل باب الطاق على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه ، فمر به يوما ، فقال صاحب الدكان لغلام ممن يخدمه : أدرك ابا العتاهية فلا تفارقه حتى تأخذ منه ما لنا عنده ، فأدركه على رأس الجسر ، فأخذ بعنان حماره وأوقفه وصار يلح في مطالبته [١١٢] .

السعر نقدا ، لكنه سابقا قد اشتراها من الدائن بسعر أعلى لكن لاجل . (انظر : ديموميين ، النظم الاسلامية ، ص ٢٥٨) .

(١٠٥) وهو بيع الدين بالعين .
(١٠٦) وهو بيع الثمن بالثمن .
(١٠٧) وهو البيع بالثمن مع زيادة يتفق عليها كل من البائع والمشتري .
(١٠٨) هو البيع بالنقصان عن القيمة الاصلية .
(١٠٩) انظر : العيني شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٣٩٠ . الدوري ، تاريخ العراق ، ص ١٢٣ .
(١١٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٢٥٥ — ٢٥٦ . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٢٣ .
(١١١) التنوخي ، المستجاد من فعلات العباد ، مطبعة المدني (وقف : ١٩٤٦) ص ١٣٦ .
(١١٢) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٤ ، ص‌ص ٢٠ — ٢١ .

وفي مجال التعامل باسواق بغداد نلاحظ ظاهرة اخرى هي ، انه اذا كانت نقود التعامل غير كاملة الوزن ، سواء أكانت دنانير او دراهم ، ولا تتمشى مع حساب الوزن الشرعي ، فانها لا تقبل الا وزنا ، صرنا نعثر أحيانا على معاملات تجارية كانت تجري على اساس مقدار وزن النقود (١١٣) .

ويبدو أن عملية وزن النقود كان مأخوذا بها في التعامل التجاري باسواق بغداد ، حتى في حالة كون تلك النقود دنانير ذهبا ، ذلك ان التنوخي(١١٤) ذكر ان أمرأة كانت قد استدعت الميزان ودفعت مقدارا من الدنانير بقيمة ما كان بذمتها لاحد تجار بغداد . وان استدعاء هذه المرأة للميزان معناه أنها لم تكتف بعد الدنانير ، وانما وزنتها وزنا ، وان عملها هذا لم يكن شاذا او فريدا في بابه ، وانما ارجح انه كان معمولا به ويجرى على نطاق واسع في اسواق بغداد خاصة وان هذه المرأة كانت من حاشية الخليفة المقتدر بالله . ومما يعزز هذا الاستنتاج ان مسكويه ذكر انه لما تقررت مصادرة الوزير المعزول الفضل بن جعفر بن الفرات بـ عشرين الف دينار سنة ٣٢٠هـ ـ ٩٣٢م من قبل الخليفة القاهر ، قال القائد مؤنس المظفر : « أنا ازن هذا المال عنه فانه ثقة عفيف » (١١٥) .

ويرى « ابو السعود » (١١٦) ان التعامل بالدراهم قد يكون بالوزن ، أي يوزن تلك الدراهم المراد شراء البضاعة بها ، أو بالعد احيانا . وهي مع ذلك تعتمد على رضا الجمهور .

---

(١١٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص‌ص ١٠١ ــ ١٠٢ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٥٣ ــ ٥٤ و ٢٥٦ . ياقوت ، ارشاد الاريب ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ . أبو السعود ، رسالة معنى الأنام ، ص ١٦ . ابن خلدون ــ المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨٠٨ .

(١١٤) الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص‌ص ١٦٨ ــ ١٧٢ . انظر كذلك : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص‌ص ١٠١ ــ ١٠٢ .

(١١٥) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(١١٦) رسالة أبي السعود بجواز وقف النقود ، ورقة ١١ ــ أ . ورسالة معنى الانام ، ورقة ١٦ .

ومما يؤكد ان النقود ، قد يكون التعامل بها وزنا ، قول التاجر البغدادي الحسين بن عبدالله بن الجصاص : « قفيز دنانير (١١٧) من مالي صدقة انني صادق وانت مبطل » (١١٨) . وقال هذه العبارة في معرض كلامه مع احد تجار بغداد .

ويلاحظ ان الدولة الاسلامية عامة ، كانت شديدة الحرص على الاحتفاظ بسلامة العملة وجودتها . فالدينار كان يضرب بكل دقة وفقا لمعيار المثقال (١١٩) اما الدراهم فان المسؤولين كانوا حريصين اشد الحرص على تخليص الفضة من كل شائبة (١٢٠) . وكان الخراج لا يؤخذ الا بالنقود الموثوق بوزنها (١٢١) .

وهكذا حافظت الدولة الاسلامية على سلامة نقدها ، فمنعت الغش والزيف فيه . وتشير الروايات الى ان الرسول (ص) والخلفاء الراشدين والامويين كانوا يعاقبون بشدة من يقوم بقطع النقود او تزييفها (١٢٢) . غير اننا لم نشهد مثل تلك الاجراءات في العصر العباسي وليس من المعقول انه لم تحدث مثل تلك المحاولات في غش النقود ، لكن لابد ان تكون الحالة قد تأثرت بأحد امرين أولهما : أن العباسيين كانوا قد اخذوا برأي ابي حنيفة

---

(١١٧) القفيز : مكيال ، وهو ثمانية مكاكيك ، كل مكوك ٣ كيلجات ، وكل كيلجة تساوي ٦٠٠ درهم ، أي حوالي ٤٥ كجم قمح . (انظر : الماوردي) . الاحكام السلطانية ، ص ١٤٩ — ١٥٠) . وهنتس ، المكاييل ، ص ٦٦) .

(١١٨) الهمداني ، تكملة ، ص ١٣ و ١٥ . انظر : الموسوعة العربية الميسرة .

(١١٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ص ٦٥١ و ٦٥٣ — ٦٥٤ .

(١٢٠) نفس المصدر ، ص ٦٥٦ — ٦٥٧ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ١٤٨ .

(١٢١) البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة بيروت) ص‌ص ٦٥٦ — ٦٥٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٤١٧ . ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨٠٩ . الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ٦٠ . المقريزي ، اغاثة الامة ، ص‌ص ٥٨ — ٥٩ ، وشذور العقود ، ص ١٦ .

(١٢٢) البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة بيروت) ، ص ٦٥٧ — ٦٥٨ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٩ . تقي الدين ابي العباسي احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحسبة في الاسلام ، مطبعة المؤيد . (دمشق : ١٣١٨ هـ) ، ص ٤٦ .

الذي قال لا بأس بالقطع اذا لم يضر ذلك بالاسلام واهله[١٢٣] . وثانيهما : ان السلطة خفت قبضتها على المؤسسات النقدية .

وأرى أن لكل من العاملين أثره الاكيد ، ذلك أن رأي ابي حنيفة كان مسموعا لدى الاوساط الحكومية فلا يستبعد ان يكون لرأيه دخل في ذلك .

كما ان التراخي في السلطة العباسية كان ملحوظا ولابد ان يكون هذا التراخي قد امتد فشمل المؤسسات النقدية ايضا [١٢٤] . هذا اذا استثنينا فترة (السندي بن شاهك) العامل على السكة في عهد الخليفة هرون الرشيد [١٢٥] .

وعلى الرغم من ان الشرع نهى عن ترويج النقود المزيفة [١٢٦] ، الا ان العملة تعرضت للتزييف بوسائل شتى [١٢٧] ، وذلك عندما تتهاون الحكومة في محاسبة اولئك المزيفين ، وبخاصة عندما تتعرض لازمة سياسية فيصعب عليها تطبيق ما تراه ضروريا . ففي سنة ٣٢٤هـ ـ ٩٣٥م كان الوزير قد أقر تعامل الناس بالغليظ من الدراهم والممسوح ، وذلك على اثر شغب العامة وتشكيهم من غلاء السعر[١٢٨] . وفي سنة ٣٢٧هـ ـ ٩٣٨م ضرب أمير الجيش بجكم دنانير (رديئة) « فكثر التخليط في أمر النقد ودار الضرب » [١٢٩] .

كما ان سوء التعامل في الاسواق أفسح المجال لان يحدث تزييف النقود، قال ابو حيان التوحيدي : لو قامت السوق على ساقها ، وتنافس المتعاملون

---

(١٢٣) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٩ .
(١٢٤) الصولي ، الاوراق ، ص ٧١ .
(١٢٥) المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٦١ . وشذور العقود ، ص ١٩ .
(١٢٦) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٦٥ .
(١٢٧) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٥٤٠ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .
(١٢٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٧١ .
(١٢٩) نفس المصدر ، ص ١٣٦ . النقشبندي ، الدينار الاسلامي ، ص ٣٥ .

بهـا ، ولم يقع اكراه في أخذ ولا عطاء ، عرف المبهرج الذي ضرب خارج دار الضرب ، والجيد الذي ضرب داخل الدار [١٣٠] .

ومعلوم ان ضرب الدراهم كان يتم من قبل الدولة او بترخيص منها ، الا انه في سنة ٣٢٩هـ ـ ٩٤٠م علم صاحب الشرطة الترجمان محمد بن ينال ان (ابن خشيش) المحتسب استعار « بيتا وجعل فيه الات لضرب الدراهم المعمولة ، ثم كبسه فضربه واطافه على جمل من الجانبين » [١٣١] .

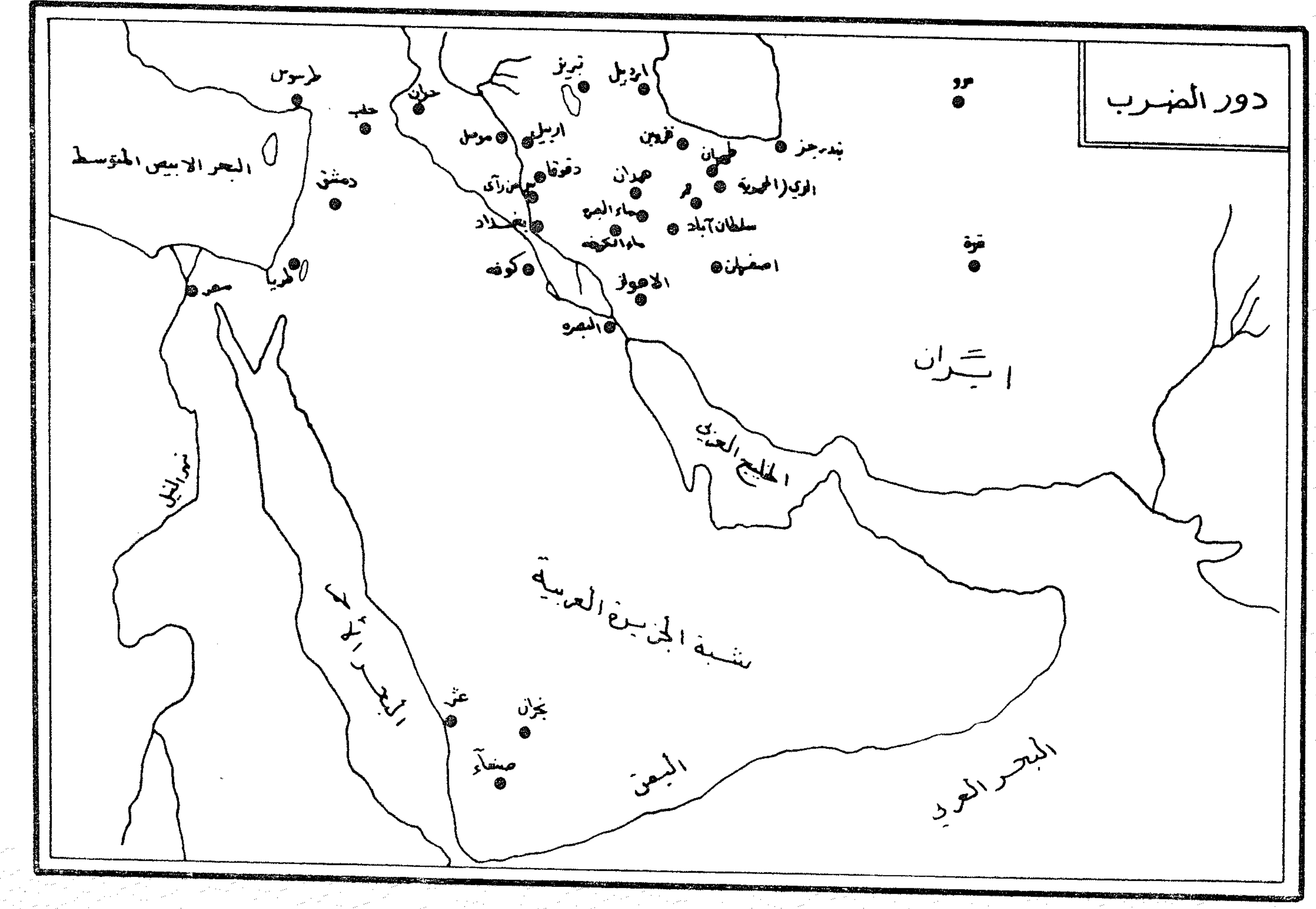
وقد اهتمت الدولة الاسلامية باقامة دور الضرب في المدن الكبـرى والامصار واصبحت دور الضرب هذه تؤدي خدمات جليلة لا تقـل شأنا عما تؤديه مصارف الاصدار اليوم . فهي التي كانت تضرب الكميات اللازمة من النقود الجارية في التعامل حينذاك ، واللازمة لتنشيط التجارة . وهي التي تزيد في انتاجها أو تقلل منه حسب حاجة السوق المحلية ، بل كانت تتدخل اذا دعت الضرورة ، لتثبيت اسعار العملة خوفا من تفاقم الازمات المالية [١٣٢].

ونظرا لاهمية دور الضرب هذه ، اصبحت ادارتها من الوظائف الدينية الشرعية التي تتدرج تحت لواء الخلافة ، وجعلت الدولة ديوانا خاصا للنقد والعيار ودور الضرب [١٣٣] ، وخصص لهذه الدور عامل مهمته النظر في أمر النقود التي يتعامل بها الناس وحفظها مما يداخلها من الغش والتزييف [١٣٤].

وكانت دور الضرب تشكل موردا هاما من موارد بيت المال ، لانها تقوم بسك ما يقدمه الأفراد اليها من سبائك طبقا للوزن المقرر نظير تقاضي رسوم

---

(١٣٠) ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ١ ، ص‌ص ٦٣ ـ ٦٤ .
(١٣١) الصولي ، الاوراق ، ص ١٤٨ .
(١٣٢) ابن بعرة ، كشف الاسرار العلمية ، ص‌ص ٣٥ ـ ٣٧ و ٤٥ .
(١٣٣) أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ١ ، ص ٩٨ .
(١٣٤) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٧٤٧ .



دور الضرب
طرسوس
حلب
حران
تبريز
اردبيل
موصل
اربيل
قزوين
بندرجز
مرو
البحر الابيض المتوسط
دمشق
دقوقا
سر من رآى
همدان
طهران
الري (المحمدية)
قم
ماه البصرة
بغداد
سلطان آباد
ماه الكوفة
كوفه
اصفهان
الاهواز
البصرة
طبريا
مصر
ايران
نهر النيل
الخليج العربي
شبه الجزيرة العربية
البحر الاحمر
عثر
نجران
صنعاء
اليمن
البحر العربي



معينة[١٣٥] . وبلغت واردات الدولة من دور الضرب بمدينة السلام وسر من رأى وواسط والبصرة والكوفة فقط (٦٠٣٧٠ دينارا) ، كما جاء في ميزانية علي بن عيسى لسنة ٣٠٦هـ ـ ٩١٨م [١٣٦] . ويقول ابن خرداذبة : « وغلات الاسواق والارحاء ودور الضرب بها [١٣٧] ، الف الف وخمسمائة الف درهم »[١٣٨] . ومعروف ان الدراهم الجياد هي التي كانت تضرب في دور الدولة الرسمية [١٣٩] .

وعلى الرغم من انتقال مركز الخلافة الى سامراء ، الا ان ضرب النقود استمر بمدينة السلام على ما كان عليه سابقا [١٤٠] .

ويبدو ان العمل بدور الضرب لا يجري على طول ايام السنة ، وبخاصة في المشرق الاسلامي ، وانما في مواسم معينة . يقول الجاحظ : « الا ان في النيروز احوالا ليست في المهرجان ، فمنها استقبال السنة ، وافتتاح الخراج ، وتولية العمال والاستبدال ، وضرب الدراهم والدنانير ، وتذكية بيوت النيران ، وصب الماء ، وتقريب القربان ، واشادة البنيان وما اشبه ذلك » [١٤١] .

وكانت اعمال الادارة في دار الضرب موكلة الى شخص يسمى «متولي دار الضرب »[١٤٢] . وكان الاشراف الرسمي للقاضي . ولعل السبب في

---

(١٣٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، (طبعة بيروت) ، ص ٦٥٦ . المقريزي ، اغاثة الامة ، ص ٥٤ ــ ٥٥ . وشذور العقود ، ص ١٢ . ابن بعرة ، كشف الاسرار العلمية ، ص ٥٩ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, P. 27.

(١٣٦) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٣٣ . وزيدان ، التمدن ، جـ ٢ ، ص ١١١ . الدجيلي ، بيت المال ، ص ١٦٥ .

(١٣٧) يقصد بغداد .

(١٣٨) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٥ .

(١٣٩) السنامي ، نصاب الاحتساب ، ورقة ٦١ ــ أ .

(١٤٠) Lane - Poole, Op. Cit. PP. 76-77, 79.
عيسى سلمان « دراهم فريدة » ، مجلة المسكوكات ، العدد ٥ لسنة ١٩٧٤ ، ص ٣ .

(١٤١) الجاحظ ، التاج ، ص ١٤٦ .

(١٤٢) حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، جـ ٣ ، ص ١٣١٩ .

ذلك هو ضمان شرعية النقود التي تصدر عن دار السكة ، سواء من حيث جواز العيار او الوزن . اما متولي دار الضرب فكانت له السلطة المباشرة على العمال في الدار ، وهو والحالة هذه ، لم يكن وجوده يتعارض مع اشراف القاضي من الوجهة الادارية (١٤٣) .

وهنالك أيضا (المشارف) الموكل اليه حفظ جميع المحتويات من فضة وذهب وسكك وآلات ، ومنها الات صنج (١٤٤) العيار وختم الاقداح ، ونحرير وزن عياري الذهب والفضة (١٤٥) . وكذلك (الشاهد) الذي يشهد على جميع ما حوت الدار (١٤٦) . اما المقدم فهو اهم شخصية فنية بدار الضرب ، موكول اليه حفظ عيار الذهب وسبائكه التي ترد الى دار الضرب(١٤٧) . ويوجد (نقاش) مهمته نقش السكة ، اي حفر الكتابات المزمع ابرازها على السبيكة ، ويحضر السباك وزن المعدن قبل طرحه في البوتقة في حالة السبك (١٤٨) . ويتولى الضراب الضرب على السبيكة والختم على السكة (١٤٩) .

واستكمالا لدراسة التعامل في اسواق بغداد ، لابد من القاء نظرة سريعة على وحدات الوزن والكيل المستعملة في تلك الاسواق . وقد تنوعت وحدات

---

(١٤٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٧٤٧ . ابن مماتي ، قوانين الدواوين ص ٣٣٢ .

(١٤٤) صنج : أو الصنجة تعنى الحجر والوزن . ويراد بها العيار . وتحمل جميع الصنج الزجاجية الخاصة بالسكة الاسلامية ما يعبر عن هذا العيار ، أو الوزن بلفظ (مثقال) أو (ميزان) . والمقصود بلفظ ميزان هنا ثقل الصنجة التي تعير عليها العملة . وفي عهد عبدالملك بن مروان صنعت الصنجة من الزجاج لتقرير اوزان السكة . وقد رأيت كثيرا منها في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة : (انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٨١٠) .

(١٤٥) ابن بعرة ، كشف الاسرار العلمية ، ص ٩٠ .

(١٤٦) نفس المصدر والمكان .

(١٤٧) نفس المصدر ، ص ٣٥ و ٩١ .

(١٤٨) نفس المصدر ، ص ٣٦ و ٩٠ ــ ٩١ و ٩٣ . فهمي ، فجر السكة ، ص ٢٣٩ .

(١٤٩) ابن بعرة ، كشف الاسرار العلمية ، ص ٣٧ و ٩٣ .

الكيل في اسواق العاصمة ، ولعل ابرزها الصاع[150] ، والجريب[151] ، والكيلجة[152] ، والكر[153] ، والقفيز[154] ، والمكوك[155] ، والمد[156] ، والرطل[157] ، والقنطار[158] ،

---

(١٥٠) الصاع : هو الوحدة الاساسية للكيل . والصاع الشرعي يتألف من أربعة أمداد عند اهل المدينة . أو يساوي ٨ أرطال بغدادية . (انظر : البخاري الجامع الصحيح ، ج ٢ ، ص ٢٣ . والخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ١١) في حين يذكر ابو يوسف ان الصاع يساوي خمسة ارطال وثلثا . (العراج ، ص ٣١) .

(١٥١) الجريب : تكرر ذكره في عهد عمر كوحدة كيل . ويساوي ٧ أقفزة . ويمكن تحديد عيار (مكيال) الجريب ب ٥ر٢٩ لتر أو ٧١٥ر٢٢ كجم قمح (هنتس ، المكاييل ص ٦١) .

(١٥٢) الكيلجة : ورد ذكر (الكيلجة) كوحدة كيل في العهد الاموي . وهذا المكيال يساوي في العراق في القرن الرابع الهجري ⅓ مكوك أو ٥ أرطال (٢٥ر٢٠٣١ جم) (هنتس ، المكاييل ، ص ٧١) . او ستمائة درهم – (الخوارزمي ، مفاتيح ، ص ١٢) .

(١٥٣) الكر : سبق ان عرف في ص ٨٦ .

(١٥٤) القفيز : سبق ان عرف ص(٢٥٠).

(١٥٥) المكوك : والمكوك معروف لاهل العراق ، وهو صاع ونصف . وهو ثلاث كيلجات أو هو يساوي ٣ كيلجات كل كيلجة ٦٠ درهم . اي انه كان يعادل وزنا من الحنطة قدره (٦٢٥ره كجم) . وان متوسط سعة المكوك هي ٥ر٧ لتر . (انظر : هنتس : المكاييل ، ص ٧٨ و ٧٩) .

(١٥٦) المد : وهو مكيال ، ومقداره رطلان ، او رطل وثلث ، أو ملء كفي الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يده بهما . وبه سمى مدا . (انظر : البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، ص ٢٣ . الخوارزمي ، مفاتيح ، ص ١١ . هنتس ، المكاييل ، ص ٧٧) .

وكان المد في قول ابي حنيفة يتسع لرطلين بغداديين . وفي قولي ابي يوسف رطل ونصف (هنتس ، المكاييل ، ص ٧٧ . أنظر كذلك : الخشاب والباز العربني « ضبط وتحقيق الالفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ». مستخرج من المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، لسنة ١٩٥٨ ، ص ٢٣٩) .

(١٥٧) الرطل : سبق ان عرف في ص ٦٤ .

(١٥٨) القنطار : يساوي من حيث الاساس ١٠٠ رطل (هنتس ، المكاييل ،

والقيراط[١٥٩] ، والمن[١٦٠] ، والكارة[١٦١] ، والاوقية[١٦٢] ، والحبة[١٦٣] ، وغيرها .

ويبدو أن « الذراع » كان اهم وحدات قياس الاطوال المستعملة في اسواق بغداد . وترد في الروايات سبعة انواع من الاذرع ، اقصرها القاضية [١٦٤] ثم اليوسفية [١٦٥] ثم السوداء [١٦٦] ثم الهاشمية الصغرى [١٦٧]

ص٤٠) وفي بعض الاحيان يساوي ١٠٠ من (هنتس ، المكاييل ، ص ٤٣) . أنظر : ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٨٠) .

(١٥٩) القيراط : من وجهة شرعية يساوي القيراط الواحد ١/ ٢٠ من المثقال وهو يتألف شرعا من خمس حبات (هنتس ، المكاييل ، ص ٤٤) . وقيل ثلاث حبات واربعة اسباع الحبة . (ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٨١) .

(١٦٠) المن : يساوي شرعا ، رطلين . (هنتس ، المكاييل ، صص ٤٥ ـ ٤٦).

(١٦١) الكارة : هي مكيال يتعامل به اهل العراق خصوصا ، ويساوي قفيزين أو ١٦ مكوكا . (هنتس ، المكاييل ، ص ٦٩) .

(١٦٢) الاوقية : جمعها أواق . زنة عشر دراهم وخمسة اسباع درهم . (الخوارزمي مفاتيح ص ١٢) (وتساوي في الاصل ١/ ١٢ من الرطل . هنتس ، المكاييل ، ص ١٩) .

(١٦٣) الحبة : وهي وزن حبة من الشعير العربية . وبمقتضى السنة الشرعية تساوي الحبة الواحدة ١/ ١٠٠ من المثقال اي : ٤٤٦ جرام . (هنتس ، المكاييل ، ص ٢٥) . ويقول الخوارزمي سدس المثقال . (مفاتيح العلوم ص ٤٠) .

(١٦٤) القاضية : اقل من السوداء باصبع وثلثي الاصبع . واول من وضعها ابن ابي ليلى القاضي . (الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٦) .

(١٦٥) اليوسفية : اول من وضعها القاضي ابو يوسف ، وهي اقل من السوداء بثلثي اصبع فيكون طولها ٥٥ر٥٢ سم (الماوردي الاحكام ص ١٤٦ . وهنتس ، المكاييل ، ص ٩٢) .

(١٦٦) السوداء : اول من وضعها الرشيد ، قدرها بذراع خادم اسود كان على رأسه وهي يتعامل بها الناس في ذرع البزو والتجارة . (الماوردي الاحكام ص ١٤٦ . وابن الرفعة ، الرنية في الحسبة ، ورقة ٤٧ ـ ب . هنتس ، المكاييل ، ص ٨٨) .

(١٦٧) الهاشمية الصغرى : وهي البلالية . وسميت بهذا الاسم نسبة الى بلال بن ابي بردة قاضي البصرة ، وكانت تزيد على الذراع السوداء

وهي البلالية ، ثم الهاشمية الكبرى[168] ، وهي الزيادية[169] ، ثم العمرية[170] ، والميزانية[171] . واكثرها شيوعا واستعمالا الذراع السوداء ، لان الناس يتعاملون بها في ذرع البز والتجارة[172] .

استعمال الصك :

واستخدم الصك [173] ، كوسيلة لدفع الاموال ، وهو أمر خطي يدفع بواسطته مقدار من النقود الى الشخص المسمى فيه [174] .

وخلال العصر العباسي [175] ، كثرت الاشارة الى استعمال الصكوك

باصبعين وثلثي اصبع . (انظر : الماوردي ، الاحكام ص ١٤٦ . وهنتس ، المكاييل ، ص ٨٧) .

(١٦٨) الهاشمية الكبرى : وهي ذراع الملك ، اول من نقلها الى الهاشمية المنصور وهي اطول من السوداء بخمس اصابع وثلثي اصبع . (انظر : الماوردي ، الاحكام ، ص ١٤٦ . وهنتس ، المكاييل ، ص ٩١) .

(١٦٩) الزيادية : سميت كذلك لان زياد ابن ابيه مسح بها أرض السواد . (انظر : هنتس ، المكاييل ، ص ٨٨) .

(١٧٠) العمرية : هي ذراع عمر بن الخطاب (رض) التي مسح بها ارض السواد وتساوي ٧٢ر٨١٥ سم . (هنتس ، المكاييل ، ص ٨٩) .

(١٧١) الميزانية : هي التي استخدمها الخليفة المأمون ، وتساوي بالذراع الأسود ذراعين وثلثي اصبع . (انظر : الماوردي ، الاحكام ، ص ١٤٧). وهنتس ، المكاييل ، ص ٩٠) .

(١٧٢) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٧ — ب .

(١٧٣) الصك : تجمع فيه اسماء المستخدمين وعدتهم ومبلغ مالهم ويوقع السلطان في آخره باطلاق الرزق لهم . (انظر : الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٣٨ . وكذلك انظر : الخشاب والباز العريني « ضبط وتحقيق الالفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي » المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، لسنة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٤ . وابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ .

(١٧٤) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٩٩ و ج ٢ ، ص ٤٥٩ (مادة صك) .

(١٧٥) وقد وردت روايات تؤكد على ان الصك استخدم في التعامل منذ صدر الاسلام . وكان من الضروري ان يوضع التاريخ على تلك الصكوك حتى

كوسائل لدفع المال . وتعدى استعمالها مؤسسات الدولة ، اذ اخذ يتعامل بها افراد الشعب أيضا . الا ان الصكوك الحكومية كانت عادة تختم بخاتم الخلافة الخاص [١٧٦] .

كما ان المنح المالية التي كان يهبها المسؤولون الى المقربين منهم كانت في بعض الاحيان تتم بالصكوك ، فلما قرر الخليفة هرون الرشيد ان يمنح محمد ابن ابراهيم الامام مليون درهم ، سأله الفضل بن يحيى البرمكي ان « يصك بها صكا بخطه » [١٧٧] ففعل . ويبدو ان الصكوك عندما تعطى الى شخص ما ، كانت تثبت في سجل خاص في الدواوين باعتبارها من النفقات التي صرفت من بيت المال [١٧٨] .

وكان الموظفون الماليون غالبا ما يماطلون في صرف الصكوك المحالة اليهم ، اما لعدم توفر المال اللازم لديهم ، أو حسدا للشخص المعطى له . فأحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة قال : « صك لي بعض الملوك صكا فترددت في قبضه ، فلما طالب علي مدافعته كتبت اليه :

تكون مستوفية الشروط اللازمة . انظر : البيروني ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ص‌ص ٢٩ — ٣٠ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٤٦ . الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ٢٤٤ . كما استعمل الصك خلال العهد الأموي ، فكان سعيد بن خالد « رجلا جوادا » فاذا لم يجد شيئا كتب لمن يسأله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاؤه) . انظر : التنوخي ، المستجاد من فعلات العباد ، ص‌ص ١٧٥ — ١٧٦) .

(١٧٦) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص‌ص ٨١٢ — ٨١٣ .

(١٧٧) التنوخي ، المستجاد من فعلات العباد ، ص ١٣٧ . ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٥١ .

(١٧٨) الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٢ .

اذا كانت صلاتكم رقاعـــا   تخطط بالانامل والاكـــف
ولم تجد الرقاع علي نفعا   فها خطى خذوه بالف الف » (١٧٩)

ويحكى عن هذا الشاعر جحظة ، ان الحسن بن مخلد وهب لـه خمسمائة دينار واعطاه صكا بها على صيرفي ، فتوجه اليه ، فافهمه الصيرفي ان الرسم ينقص في كل دينار درهما (١٨٠) . كما ان المسؤولين كانوا يكتبون للناس بارزاقهم واعطياتهم صكوكاً ، فيبيعون ما فيها قبل ان يقبضوهـا معجـلا ، ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبض فنهوا عن ذلك ما لم يقبض (١٨١) .

وعندما تولى الحسن بن مخلد دواوين الازمة في عهد المعتمد على الله كتب للعاملين صكوكاً بألف وستمائة دينار ووجههم الى خادمه ليعطيهم هـذا المبلغ ، لكن الخادم لم تكن عنده الاموال الكافية التي تغطي صرف تلـك الصكاك وعندئذ استطاع ابن مخلد ان يسد هذا العجز من بيت المال (١٨٢) . وبهذا نرى ان الصكوك كانت تستعمل في نطاق المعاملات الرسمية وغير الرسمية .

وفي بعض الاحيان ، كانت تصرف رواتب من هم في خدمة دار الخلافة بالصكوك اذ كان يكتب لكل طائفة من طوائف الحشم والمستخدمين في شراب العامة ، وخزانة الكسوة والصناع ، من الصاغة والخياطين ، والقصابين ، والاسـاكفة والحـدادين ، والفرائين ، والمطرزين والنجارين ، والوراقين والعطارين ، والمشهرين والخراطين وغيرهم ، صك مفرد من الديوان . وبعد ان يصرف هذا الصك في السوق توزع الارزاق الشهرية عليهم (١٨٣) .

---

(١٧٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٢٨٣ — ٢٨٤ . ياقوت ، ارشاد الاريب . ج ٢ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .
(١٨٠) ياقوت ، ارشاد الاريب ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ — ٢٧٣ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
(١٨١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٩٩ .
(١٨٢) الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ٧٧ — ٧٨ .
(١٨٣) نفس المصدر ، ص ١٧ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, P. 68.
(١٨٤) خولة الدجيلي ، بيت المال ، ص ١٤٣ .

وكان العرف يقضي الا يطلق اي كاتب من كتاب الدواوين مالا أو رزقا الا بصكوك اصولية معتمدة منه وموجهة الى كاتب ديوان بيت المال(١٨٤)، ولما خالف كاتب ديوان الجيش محمد بن داود بن الجراح ، هذه الطريقة الاصولية اعترض عليه علي بن الفرات المسؤول عن ديوان الخراج والضياع ، امام الوزير العباس بن الحسن، لان ابن الجراح، « وهو يتولى عطاء الجيش فيما يطلق بغير صك ولا حجة ، وأخرج عليه فيما اطلقه من بيت المال بصكين مثبتين مكررين مائة وعشرين الف دينار » (١٨٥) ولما وجد كاتب الجيش ان الاعتراض كان وجيها ومنطقيا شعر بالحرج واعتذر بالسهو . وازاء هذا الموقف اوعز الوزير لصاحب بيت المال بان لا يطلق شيئا في عطاء وانفاق الا اذا عرف علي ابن الفرات « واذن فيه وثبتت علامته على الصكوك »(١٨٦) .

كما ان الدولة كانت تسترد ديونها من المدينين عن طريق صكوك خاصة(١٨٧) أو توفى ديونها باستعمال الصكوك . فقد كتب الوزير علي بن الفرات لابن ابي البغل صكا بثلاثة الاف درهم يأخذها من عامل الاهواز (١٨٨).

وجرى التعامل بالصكوك حتى في حالات المصادرات (١٨٩) . كما ان الصكوك لم تكن مستعملة في حاضرة الخلافة العباسية واسواقها فحسب ، وانما كان يجري التعامل بها في الاقاليم ايضا(١٩٠) .

ومن هذا يتبين ان الصكوك كان يجري التعامل بها في أسواق بغداد على نطاق واسع . غير انه يبدو ان بعض تجار بغداد كانوا يتهيبون التعامل بها

---

(١٨٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣٥ .
(١٨٦) نفس المصدر ، ص ٢٣٦ .
(١٨٧) البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ج ٢ ، ص ص ١٥٩ – ١٦٠ .
(١٨٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٧٣ .
(١٨٩) الصولي ، الاوراق ، ص ١٤٨ .
(١٩٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٥٨ . خسرو ، سفرنامة ، ص ١٩٦ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ . العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٢٥٤ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٣٩ .

أول الامر ، الا أنهم صاروا يفضلونها على غيرها من المعاملات المالية ، لذلك لامهم (سلامة الحاجب) اخونجح الطولوني وقال : « ما رأيت اعجب من أمركم من فيكم يطمئن ان يشتري من ابنه ، أو من اخيه ، ضيعة بعشرة الاف دينار ولا يشهد عليه العدول ؟ فقالوا .. ما فينا احد بهذه الصورة . قال : أفتستظهرون لأنفسكم واعقابكم ، في هذا القدر الكثير من المال ، وما أكثر منه الا بالشهادة ، وتعتاضون بخطوطهم في جلد يساوي دانق فضة من ذلك المال العظيم ، حتى تأخذوا الصك بدلا من المال فتجعلونه تحت رؤوسكم لشدة حفظه ، قالوا نعم »[191] .

استخدام السفتجة :

وتطورت وسائل التعامل التجاري والمالي باسواق بغداد ، تبعا للتطور الذي شهدته الحركة التجارية في اسواق العاصمة . فالى جانب التعامل بالعملة النقدية ، من الدنانير والدراهم ، واستخدام الصكوك ، صرنا نشهد استعمال الحوالات او السفاتج[192] ، والتي كانت ترد الى بغداد من اقاليم

---

(١٩١) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

(١٩٢) سفاتج : هي جمع سفتجة ، فارسي معرب . فسره بعضهم بانه كتاب يبعثه صاحب المال لوكيله بان يدفع مالا قرضا يأمن به من خطر الطريق . (انظر : الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٥٤٥) . وقال البستاني : السفتجة هي : أن تعطى مالا لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر اليه فتأخذ منه خطا لمن عنده المال في ذلك البلد ، أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته اليه قبل سفرك . وهو معرب ، ومعناه بالفارسية الشيء المحكم . (انظر : محيط المحيط ، المجلد الاول ، ص ٩٦١) .

وقال الشيخ عبدالله البستاني : السفتجة هي ان تعطي مالا لرجل له مال في بلد أزمعت ان تسافر اليه فتأخذ منه خطاً لمن عنده المال في ذلك البلد رجاء ان يعطيك مثل مالك الذي دفعته اليه قبل سفرك . (معجم لغوي ، المجلد الاول ، ص ١٠٩٩) .

انظر كذلك : الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢ ، ص ١٥٩) . وهي خطاب الحوالة في التعبير المالي الحديث . انظر : الخشاب والباز العريني ، « ضبط وتحقيق الالفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي » المجلة التاريخية المصرية ، المجلد السابع ، لسنة ١٩٥٨ ص ٢٣٢ .

الدولة العباسية المختلفة [١٩٣] .

والحق ان السفاتج ، او الحوالات ، قد ظهر استعمالها مبكرا منذ قيام الدولة الاسلامية ، وذلك « ان ابن الزبير كان يأخذ بمكة الورق من التجار فيكتب لهم الى البصرة والى الكوفة فيأخذون اجود من ورقهم » [١٩٤] . وعن ابن عباس انه كان يأخذ الورق بمكة على ان يكتب لهم الى الكوفة بهـــا [١٩٥] .

وقام الصرافون والوكلاء مقام البنوك في تحويل هذه السفاتج الى نقود مقابل خصم من المبلغ المحول . أو أخذ فائدة . الامر الذي سهل اجراء التعامل التجاري في اسواق بغداد [١٩٦] . وفي بعض الاحيان كان التجـــار يتولون تصريف هذه السفاتج [١٩٧] وفي احيان اخرى كان بيت المال يقوم بهذه المهمة [١٩٨] .

ويرى الصابي ان عمال الاقاليم كانوا يرسلون الاموال من اقاليمهم الى العاصمة اما « مع رسل او سفاتج تجار الى تجار » [١٩٩] .

وخلال القرن الثالث الهجري (بداية القرن العاشر الميلادي) اصبح التعامل في الاسواق او دفع الديون ليس بالنقود فقط ، وانما بالسفتجة أيضا وان الهدف من استعمال السفتجة في المعاملات المالية ، كان لغرض نقـــل

---

(١٩٣) الثعالبي ، الاعجاز والايجاز ، (القاهرة : ١٨٩٧) ص ١٣٥ .
(١٩٤) محمد بن أحمد السرخسي ، كتاب المبسوط ، جـ ١٤ ، (القاهرة : ١٣٢٤هـ) ص ٣٧ .
(١٩٥) السرخسي ، المبسوط ، جـ ١٤ ، ص ٣٧ .
(١٩٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٨١ .
(١٩٧) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ١١٠ .
(١٩٨) خولة الدجيلي ، بيت المال ، ص ١٤٣ .
(١٩٩) الوزراء ، ص ٩٣ .

النقود من مكان الى آخر بدون تعرضها لمخاطر الطريق . فهي والحالة هـذه كانت وسيلة للحيلولة دون اجراء الدفع بالعملات المعدنية في الاماكـن البعيدة [٢٠٠] اذ في حالة التعامل بالسفاتج يكون وصول الاموال اضمن ، وبعيدا عن عاديات الطريق ومخاطره[٢٠١] .

وأوضح بعض الباحثين معنيين للسفتجة ، أولهما : تعني عقدا ينقل دينا ما من تعهد شخص الى آخر . والثاني: انها تخليص دين ما من الالتزام الخاص بواسطة دين مماثل[٢٠٢] . او بمعنى آخر ، أن يعطى مالا لاخر ، وللاخر مال في بلد المعطى فيوفيه اياه ، ثم يستفيد أمن الطريق . فهي والحالة هذه ، كتـاب صاحب المال لوكيله يخوله أن يدفع مالا قراضا يأمن به خطر الطريق[٢٠٣] .

وبالسفتجة يمكن تحويل الدين من شخص الى آخر وتصفية الحسـاب بينهما كما أصبح من الممكن تصفية الحساب بين مدن واقطار مختلفة دون الحاجة الى نقل النقود او البضائع[٢٠٤] ، وكان بمقدور التاجر ان يقترض سفاتج من بيت المال ليشترى بها بضائع من تلك المقاطعة ، ثم يدفع ما اقترضه الى بيت مال مقاطعة اخرى[٢٠٥] .

---

(٢٠٠) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٥٤٥ . Fischel, Op. Cit. 574.
Grasshoff, das Wechselprecht der Araber, (Berlin: 1899) P. 34.

(٢٠١) الثعالبي ، الاعجاز والايجاز ، ص ١٣٥ . الزبيدي ، تاج العروس ، جـ ٢ ، ص ٥٩ . بطرس البستاني ، محيط المحيط ، المجلد الاول ، ص ٩٦١ . عبدالله البستاني ، معجم لغوي ، المجلـد الاول ، ص ١٠٩٩ .

(٢٠٢) Grasshoff, Op. Cit, p. 38.

(٢٠٣) الزبيدي ، تاج العروس ، جـ ٢ ، ص ٥٩ . ابن منظور ، لسـان العرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨ . Grasshoff, Op. Cit, p. 80.

(٢٠٤) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٤٣ ، العيون والحدائق ، جـ ٤ ، قسم ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٢٠٥) العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٢٥٥ .

وكان التجار يأخذون فائدة على السفاتج التي يصرفونها بنسبة محدودة[٢٠٦] الا اننا لا نجد اشارة واضحة الى المدة اللازمة لتسديد السفاتج ، وان كان تأخيرها يلحق اضرارا مادية بالمرسلة اليه[٢٠٧] .

ولاشك ، في أن هذا الاسلوب السهل الامين في الدفع قد سهل علاقات التعامل المعقدة بين تجار أسواق بغداد وبين أقاليم الدولة العباسية . وعندئذ أصبح استعمال السفاتج من الضرورة بمكان ..

وفي أول الامر أثار نظام السفتجة تساؤلات شرعية لدى الفقهاء المسلمين وبخاصة اذا ما ترتب على صرف السفاتج في الاسواق عمولات مصرفية كما هي الحال في صرف الصكوك[٢٠٨] . وقد اباح الفقهاء استعمال « السفاتج التي تتعامل بها الناس على انها اقراض بغير شرط ، وكتب له سفتجة بذلك ، فلا بأس به ، وان شرط الفرس ذلك فهو مكروه لانه يسقط بذلك خطر الطريق عن نفسه »[٢٠٩] .

ومع ذلك فان النصوص لا تسعفنا كثيرا في توضيح أساليب الصرف وكيف أن دوائر الحسابات الحكومية تعاملت مع السفتجة في حساباتها ، غير اننا نستطيع ان نجزم بان الصرافين بالاسواق ، كانوا هم الجهة التي كانت تتولى تحويل السفتجات الى نقد ولابد أنهم لعبوا دورا هاما في هذا المجال ، وان عملية التحويل هذه كانت تشكل مصدرا كبيرا للدخل لاصحاب البنوك الخاصة .

---

(٢٠٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٨١ . Fischell. Op Cit. p. 582.

(٢٠٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٢ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٢٠٨) ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٩٩ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٢٠٩) السرخسي ، المبسوط ، ج ١٤ ، ص ٣٧ . الزبيدي ، تاج العروس ، ج ٢ ، ص ٥٩ .

والسفاتج التي كانت ترد الى بيت المال من الاقاليم ، كان ينبغي أن تحول الى نقد وتبدل ، وأن هذا التحويل كان يتم في الاسواق • واذا ما صادف أن السفتجات اهملت او تركت في بيت مال العامة ، أو في خزانة الوزير ، دون أن تصرف ، تسبب ذلك في ألحاق اضرار مادية بخزينة الدولة • لذا انتقد مسكويه اهمال الوزير محمد بن عبيدالله الخاقاني ، واعتبره ضعيفا في اداراته المالية لانه كان يهمل كتبا فيها سفاتج بمال قادمة من الامصار(٢١٠) •

ويتهم ((Fischel))(٢١١) الوزير الخاقاني بأنه كان متعمدا في اهمال السفتجات حتى يضمن للصرافين فائدة أكبر • وربما يكون الوزير متفقا معهم في هذا المجال • ونستطيع ان نقدر مقدار الخسارة التي لحقت ببيت المال اذا ما علمنا أن علي بن عيسى كان يستلف من التجار على سفاتج وردت من الاقاليم لم تُحلّ عشرة آلاف دينار بربح دانق ونصف في كل دينار ، وكان يلزمه في كل شهر الفان وخمسمائة دينار ارباحا(٢١٢) •

وتعزز مركز الوزير علي بن الفرات سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م بحصوله على « أموال سفاتج وردت من فارس واصبهان ونواحي المشرق »(٢١٣) •

واتسع نطاق استخدام السفتجة ، فقد كان الولاة يرسلون الاموال الى العاصمة بالسفاتج • ففي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م أرسل والى مصر علي بن عيسى

---

(٢١٠) تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٢٣ . انظر كذلك : الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٢ . محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٢١١) The Origin of Banking in Medlaval Islam, p. 577.

(٢١٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٨١ ، التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ ٨ ، ص ٢٥ — ٢٦ . الدوري — دراسات ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .
Fischel, op. cit, pp. 581-582.
Kremer, Abbasiden - Relches, p. 63.

(٢١٣) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٤٣ . العيون والحدائق ، جـ ٤، قسم ٢ ، ص ٢٦٦ .
Fishel, op. cit. p. 515.

الى بغداد « سفاتج بمائة الف وسبعة وأربعين ألف دينار »[٢١٤] مع حاجبه سلامة . وفي سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م وردت « كتب سليمان بن الحسن وفي درجها سفاتج بثمانين ألف دينار »[٢١٥] . وفي نفس السنة وردت من جهة أبي علي ابن رستم من مال الضمان سفاتج باربعمائة الف درهم[٢١٦] . وكان القاسم ابن دينار وأحمد بن محمد بن رستم قد استفادا أيضا من نظام السفتجة واختارا هذا الاسلوب فحملا الى علي بن عيسى سفاتج بستمائة ألف درهم ، فوصلت بعد صرفه من الوزارة فقبضها خلفه محمد بن مقلة[٢١٧] .

واستطاع الوزير محمد بن مقلة عام ٣١٦هـ/٩٢٨م أنْ يُسيِّر أمور الدولة عندما وردت اليه سفاتج بثلاثمائة ألف دينار عن عامل الاهواز أحمد ابن محمد البريدى[٢١٨] .

وقد عاب « صاحب تجارب الامم » على الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي عندما تعرض لازمة اقتصادية أقعدته عن النهوض باعباء منصبه ، وأدت الى العصف به وأقصائه عن الوزارة « ووجد في خزانته سفاتج لم تفض »[٢١٩] وكان باستطاعته ان يتصرف بها وفق ما تمليه عليه ظروفه تلك .

ولم يقتصر استعمال السفتجة على اجراء المعاملات المالية بين العاصمة والاقاليم ، وانما أصبحت الهدايا النقدية ترسل الى المسؤولين على هيئة سفاتج فمن منطقة الاهواز وصل الى أم الخليفة مبلغ قدره ثلاث مائة الف درهم . وحتى الرشاوى كانت تدفع بهذا الاسلوب[٢٢٠] ، واحيانا كان المسؤولون

---

(٢١٤) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .
(٢١٥) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .
(٢١٦) نفس المصدر والمكان .
(٢١٧) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ١٨٧ .
(٢١٨) نفس المصدر والمكان . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٥٧ .
(٢١٩) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٣٥٠ .
(٢٢٠) FISCHEL, op.. cit., p. 515

يقدمون هبات على شكل سفاتج ، وعندئذ يتولى الشخص الذي اعطيت له تحويلها الى نقود[٢٢١] •

واحيانا كانت المعاملات المالية تجرى بين الحكومة وبين التجار بالسفاتج ففي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م طالب « الوزير مياسير التجار بأموال يعجلونها ويكتب لهم بها سفاتج فاستتروا »[٢٢٢] • وعند التمعن في هذا النص نستطيع أن نحدد ثلاثة أمور هي :

١ ـ أن هناك عددا من التجار الموسرين الذين كان باستطاعتهم اقراض الدولة من اموالهم واسعافها عند الازمات الاقتصادية التي تتعرض لها •

٢ ـ ان وضع الدولة المالي والسياسي لم يطمئن التجار • وبذا رفضوا اقراضها وفضلوا الاستتار وعدم مزاولة مهنة التجارة ، لانهم لم يثقوا بالسفاتج المقدمة من قبل الوزير •

٣ ـ ان زيادة رأس المال ونموه يقتضيان ضرورة استثماره وتداوله بين الناس فاذا كان لابد للدولة من الاقتراض من التجار فلا مناص من تقديم الضمانات الكفيلة لهم لكي يطمئنوا الى أن اموالهم في أمان •

ولم تكن السفتجة بمفهومها الاقتصادى معروفة لدى التجار فحسب وانما كانت متداولة على السنة الظراف والمتماجنين ، اذ قال أحدهم لصاحبه أن « والدتي بالبصرة وأنا شديد الشفقة عليها وأخاف ان حملتها الى بغداد في الماء تغرق ، وأن حملتها على الظهر أن تتعب ، فما تشير في أمرها ؟ فقلت له أشير عليه أن تأخذ بها سفتجة »[٢٢٣] • وعلى الرغم من أن هذه الحكاية كان طابعها الهزل والتندر ، الا انها تدل على أن نظام السفتجة كان معمولا به في المجال التجارى على نطاق واسع في أسواق بغداد •

---

(٢٢١) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ •

(٢٢٢) الصولي ، الاوراق ، ص ٧٦ •

(٢٢٣) ابن الجوزي ، أخبار الظراف والمتماجنين ، ص ٦٠ •

وعلى كل حال ، فان هذا الاسلوب من التعامل التجارى والمالي ، كان شائعا ومألوفا في مؤسسات الدولة الرسمية ، وفي أسواق العاصمة ، بحيث ان مؤلف كتاب (مفاتيح العلوم) في شرحه اصطلاحات الادارة العباسية لم يكن لديه شيء يقوله بالنسبة لكلمة « سفتجة » لذا اكتفى بقوله : « معروف » على أساس انها معروفة[٢٢٤] .

دور الصراف في أسواق بغداد :

يتولى الصرافون[٢٢٥] عملية تبديل النقود من فئة الى أخرى ، فكانوا يحولون الدنانير الى دراهم وبالعكس ، وحلوا مشاكل الفروق بين نوعيات وأوزان العملة في اسواق بغداد . والصرف هو عقد بيع السلع ، او بيع الثمن بالثمن ، بشروط خاصة تحددها حالة السوق[٢٢٦] . وهكذا اصبح الصراف من الظواهر الضرورية في الاسواق الاسلامية عامة وأسواق بغداد خاصة ، وأن عمله أشبه بعمل البنوك[٢٢٧] في العصر الحديث[٢٢٨] .

ولا ريب في أن المعاملات المالية التي تتم في أسواق بغداد ، كان الصيارفة محور نشاطها ، لا بل عمودها الفقري . وبحكم تعامل هؤلاء بالنقود وبديلاتها مثل : « الصك ، والسفتجة ، والقروض ، والتسليف » . أصبحت لهم خبرة كافية في تقدير قوة السوق او ضعفه ، مما جعل (أحمد بن أبى دواد) مندوب الخليفة المعتصم بالله يستعين بهم في تقدير الاضرار التي الحقت بتجار الكرخ

---

(٢٢٤) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ص ٤١ .

(٢٢٥) الصراف : هو صراف الدراهم ونقادها . (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٩٠) .

(٢٢٦) العيني ، شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٣٩٠ .

(٢٢٧) ان اصل كلمة بنك ايطالية ، مأخوذ من (B E N K O) ، وهي المنضدة التي توضع أمام الصيرفي عند ممارسته مهنته . وكانت تكسر عندما يعجز عن الوفاء بالتزاماته تجاه زبائنه . (انظر : عبدالمجيد محمود ، المصارف في العراق) ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، لسنة ١٩٤٢ ، ص ١٣٢ .

(٢٢٨) حسن الباشا ، النقود الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٧٠٤ .

من جراء الحريق الذي أصابهم في سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م .[٢٢٩] .

ولقد حرمت الشريعة الاسلامية منذ البداية التعامل بالربا[٢٣٠] . ونزلت آيات قرآنية تؤكد هذا التحريم[٢٣١] . وبذل الفقهاء جزءا كبيرا من جهودهم لسدأصغر الابواب التيقد يلجأ اليها الناس فراراً منهذا التحريم[٢٣٢] . لكن اليهود والنصارى كانوا يدخلون في هذه الفجوة اذا ظهرت ، وبذلك كانوا ينالون أرباحا طائلة من عملهم هذا[٢٣٣] . ولما أبلغ ناصر الدولة أن الصرافين يرابون ربا فاحشا ، أحضرهم وحذرهم فتحسن قبيح أمرهم قليلا[٢٣٤] .

ويبدو ان الصيرفة لم تنشط كثيرا حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، مما يدل على ضعف أهميتها . لكن في بداية القرن الرابع الهجرى اتخذت المصارف شكل بيوت مالية أوجدتها ضرورات النشاط التجارى في أسواق بغداد من جهة ولتعامل المسؤولين مع تلك المؤسسات التي التجأوا اليها عند الحاجة من جهة أخرى ، وأن ذلك لم يناهض فكرة علي بن عيسى القاضية بتأسيس مصرف حكومي[٢٣٥] .

---

(٢٢٩) وكيع ، أخبار القضاة ، جـ ٣ ، ص‌ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

(٢٣٠) ابن حنبل ، المسند ، جـ ٦ ، ص ٧١ ، و ١٤٠ و ١٥٧ و ١٨٨ و ١٩٧ . و جـ ٨ ، ص ١٨٢ — ١٨٤ . مسلم ، صحيح مسلم ، جـ ٥ ، ص ٤٢ و ٥٠ . العيني ، شرح صحيح البخاري ، جـ ٥ ، ص ٢٩١ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ، ص ٥٩ ، الاصبهاني ، محاضرات جـ ٢ ، ص ٤٦٨ .

(٢٣١) سورة الروم ، آية ٣٩ . سورة النساء آية ١٥٩ و ١٦٠ . سورة آل عمران آية ١٣٠ ، سورة البقرة ، آيات ٢٧٥ — ٢٨٠ .

(٢٣٢) الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٥٩ . الاصبهاني ، محاضرات، جـ ٢ ، ص ٤٦٨ .

(٢٣٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٨١ . المدورة ، حضارة الاسلام ، ص ١٥١ . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ص ١٢٣ .
Fischel, op. cit. pp. 581/82.

(٢٣٤) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٣١ .

(٢٣٥) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ ٨ ، ص ٢٦ . الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص‌ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

وقد استعان الوزير علي بن الفرات بصرافين يهوديين ابان تقلده منصب الوزارة سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م[٢٣٦] وتعمد هذان الصرافان ان تكون حساباتهما غير منسقة ولا منظمة ، حتى يكون في مقدروهما التلاعب بالأرقام وطمس معالمها وأخذ اكبر مقدار ممكن من المال لقاء قيامهما بهذه المهمة الحسابية. وبهذا اتهمهما الوزير بانهما اخذا مليونا واربعمائة وسبعين ألفا وخمسمائة وستة وأربعين درهما . الا انهما اعترفا بانهما حصلا من فضل الصرف على مائة ألف درهم[٢٣٧] .

كما أن الوزير الجديد علي بن عيسى شعر بحاجته الماسة الى هذين الصرافين لتصريف امور الدولة المالية ، فاتفق معهما على أن يقرضاه في مستهل كل شهر مائة وخمسين ألف درهم ، ويرتجعاها من وارد مال الاهواز ، وكان هذان الصرافان يأخذان ربح دانق ونصف فضة في كل دينار[٢٣٨] .

وهكذا كلما حدثت أزمة مالية التجأ المسؤولون الى الاقتراض ممن تتوفر لديهم الاموال لقاء فائدة مقررة . فقد حدث ان اقترض الوزير عبيدالله بن محمد الكلوذاني عام ٣١٨هـ/٩٣٠م من أبى بكر بن قرابة مائتى الف دينار بربح درهم في كل الدينار[٢٣٩] . واقرض أبو بكر بن قرابة اموالا أخرى بربح درهم في الدينار للحسين بن القاسم عندما تولى الاخير منصب الوزارة[٢٤٠] .

---

(٢٣٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٧٩ . Fischel, op. cit. pp. 579-580.

(٢٣٧) الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ٧٩ — ٨٠ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص‌ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢٣٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٨٠ — ٨١ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص‌ص ٢٥ — ٢٦ . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص‌ص ١٢٤ — ١٢٥ . ودراسات ، ص ٢٢٣
Fischel, op. cit. p. 581.
خولة الدجيلي ، بيت المال ، ص ١٤٨ .

(٢٣٩) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢١٣ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٦٣ . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٢٥ .

(٢٤٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٢٠ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٦٥ .

وهناك ظاهرة أخرى شاعت في ميدان التعامل المالي ، ذلك أن الوزير عندما كان يتعرض لضائقة مالية تقعده عن الوفاء بمصروفات الدولة كان يضطر ان يستلف من مال السنة القادمة . فقد استلف الوزير الحسين بن القاسم في سنة ٣١٩هـ/٩٤١م شطرا من مال سنة ٣٢٠هـ قبل افتتاحها بشهور ، ذلك انه لم يبق له وجه حيلة لاتمام نفقات سنة ٣١٩هـ الخراجية(٢٤١) . ولم تذكر النصوص فيما اذا كان استلاف الوزير هذا قد تم بفائدة ما أو بدونها .

كما كان تجار أسواق بغداد مضطرين الى التعامل مع الصرافين ، نظرا الى أن العالم الاسلامي في الشرق كان يتعامل بالدراهم في الاغلب ، في حين كان العالم الاسلامي في الغرب يتعامل بالدنانير الذهبية(٢٤٢) . وفي هذه الحال أصبح لابد من وجود الصرافين لتغيير العملة التي كانت قيمتها عرضة للصعود والهبوط تبعا لتقلبات قيمة المعدن المكونة منه .

وقد اصبحت للصرافين منزلة عظيمة في المجتمع فكانوا يخاطبون بالقاب ترفع من شأنهم(٢٤٣) . والصرافون يزاولون عملهم في دكاكين خاصة بهم(٢٤٤) وباستطاعة الناس مراجعتهم واستبدال الدراهم الفضية بدنانير ذهبية(٢٤٥) .

وهكذا بلغت حركة الصيرفة في أسواق بغداد غاية ازدهارها في الربع الاول من القرن الرابع الهجري ، بازدهار التجارة ، وقدرتهم على تسليف النقود ،وتبديل العملات ، وصرف الصكوك والسفاتج ، وظهرت فئة من الصيارفة اتخذوا بغداد مركزا لنشاطهم .

---

(٢٤١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .
(٢٤٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص‌ص ٧٣ ، ٧٤ . الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٨٨ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٨ — ٢٩ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ١ ، ص ٥٥ . الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٥ ، ص ١٦٣ — ١٩٧٢ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٥٧ . ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ص ٢٥٨ .
(٢٤٣) الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ١٥٨ — ١٥٩ .
(٢٤٤) حسن الباشا ، الفنون الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٧٠٥ .
(٢٤٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٨٤ .

الفصل الثاني

الأسعار والاحتكار

الزيادة المطردة في اسعار السلع :

المؤثرات السياسية :

لكي ندرك الاهمية الاجتماعية للنظام الاقتصادي ، ينبغي علينا أن نعطي فكرة عن الاسعار السائدة في أسواق بغداد .

ان المصادر تعطينا معلومات متفرقة ومبعثرة عن اسعار بعض السلع فهي والحالة هذه ، لا تساعدنا على عمل قائمة بالاسعار ، الا أنها تفيد في تحديد بعض الملامح ، فهي تشير الى أن اسعار السلع المعروضة في أسواق بغداد كانت تجنح للصعود منذ بناء المدينة المدورة وحتى بداية التغلب البويهي .

وشهدت اسواق بغداد حالات متعددة ارتفعت فيها اسعار السلع ، وكان للمؤثرات السياسية أثر كبير في ذلك . فكثيرا ما كانت العاصمة تتعرض لموجات من الفتن والاضطرابات والثورات[1] ، مما يؤدي الى وقوع السلب والنهب ، فتتعطل الاسواق ، وتزداد احوال العامة سوءا حتى تصل الى حد المجاعة ، وأكل لحوم الحيوانات المحرمة والجيف[2] .

---

(١) العيون والحدائق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ص ٢٣٥ .

(٢) الطبري ، م. ق ، ج ١ ، ص ٣٤٩ . الصولي ، الاوراق ، ص ٦١ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٨ ، العيون والحدائق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ص ٩٦ و ١٢٤ — ١٢٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣١٨ ، ٣٣١ ، ٣٤٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٣٢١ . حمزة ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٢٥ ، ابن العماد ، شذرات ، ج ٢ ، ص‌ص ١٢٤ — ١٢٥ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١١٠ و ١٤٩ و ١٥١ والعبر ، ج ٢ ، ص ٢ . ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

كما تأثرت الاسعار بوفرة الانتاج وقلته ونظام الرى ، ومقدار الخراج ، وبالافات الزراعية التي كانت تحل بالبلاد ، والفيضانات ، والاوبئة والكوارث الطبيعية واحتكار التجار لبعض المواد الغذائية التي كثيرا ما كانت تؤدى الى ارتفاع الاسعار بصورة مباشرة[٣] .

وتظهر اولى الاشارات الى ارتفاع الاسعار في زمن الرشيد اذ « حصل للناس غلاء سعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما »[٤] وازاء هذه الضائقة المستعصية لم يتخذ الخليفة اجراءا جذريا حاسما ، وانما اكتفى بان طلب من الناس الدعاء والبكاء . لعل الله يزيح هذه الغمة عنهم[٥] وكان بعض الخلفاء يعالجون ظاهرة ارتفاع الاسعار بان يتصدقوا من اموالهم تفاديا لمثل تلك الازمات[٦] .

ولما تسلط الاتراك في القرن الثالث الهجرى ، ارتبكت الحياة الاقتصادية وأضر هذا باهل الاسواق بصورة مباشرة ، ورافق ذلك ارتفاع الاسعار دون وجود ما يشعر بارتفاع مقابل في الاجور[٧] . وظهرت تيارات اجتماعية تدعو - باسم الدين - للاصلاح[٨] .

كما استفحل أمر العيارين والشطار ، ونما جمعهم ، وتكاثر عددهم حتى اصبحوا وبالا كبيرا ، وعبئا ثقيلا على الناس . وكان هؤلاء يستفيدون

---

(٣) الصولي ، الاوراق ، ص ص ١٠٥ - ١٠٦ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٦٤ .

(٤) شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهي ، المستطرف من كل فن مستظرف ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٥) نفس المصدر والمكان .

(٦) نفس المصدر ص ١٤٤ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ .

(٨) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٤٨ ، ٥٤ - ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٦ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، والعبر ، ج ٢ ، ص ٣٤ و ٥٩ و ١٦٠ - ١٦١ . ابن العماد ، شذرات ، ج ٢ ، ص ١٤٧ ، ١٥٢ .

من قيام الفتن والاضطرابات ، فيقومون بنهب المنازل والاسواق[٩] . وقد لعب هؤلاء دورا خطيرا إبّان الحرب بين الامين والمأمون[١٠] ، وفي زمن الخليفة المستعين[١١] . وكانوا يزدادون قوة كلما ازدادت الدولة ضعفاً ، واشتد عدوانهم على أسواق بغداد كلما تكاثرت الفتن في العاصمة[١٢] .

ومما زاد في ارتفاع الاسعار أيضاً ، تدهور الوضع المالي للدولة العباسية وفساد طرق الجباية ، واستعمال سبل التعسف فيها ، وبخاصة بعد أن استشرى نظام الضمان في جمع الضرائب[١٣] الذي أفسح المجال للعسف والظلم ، ولاسيما في أوقات الحروب والفتن ، حين ضعفت الرقابة على العمال

---

(٩) عريب ، الصلة ، ص ٥٨ ، ٨٤ مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٧٤ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص‌ص ٢١ ــ ٢٢ و ١٣٨ . العيون والحدائق ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ١١٢ و ٢٢٩ و ٢٣٥ و ٣٠٩ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٣ و ١٦٦ ــ ١٦٧ و ٢٩٩ . ابن الساعي ، مختصر تاريخ الخلفاء ، ص ٨١ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٢ و ١٤٩ والعبر ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ و ١٥١ ــ ١٥٢ .

(١٠) الطبري ، م. ق ، جـ ٨ ، ص ٤٦١ . المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ١٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ . ابو الفداء ، المختصر ، جـ ٢ ، ص‌ص ٢١ ــ ٢٢ . ابن الساعي ، مختصر تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦ .

(١١) الطبري ، م. ق ، جـ ٩ ، ص ٣٤٣ و ٣٤٩ ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ . الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١١٠ ، والعبر ، جـ ٢ ، ص ٢ . ابن العماد ، شذرات ، جـ ٢ ، ص‌ص ١٢٤ ــ ١٢٥ .

(١٢) العيون والحدائق ، جـ ٤ ، رقم ١ ، ص ١١٢ و ٣٠٩ .

(١٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٥ و ٣٧٢ . حمزة ، تاريخ سني ملوك ، ص ١٣٠ . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٢٣ و ٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٣٩ و ١٦٣ و ١٦٦ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٣١ .

والموظفين[١٤] كما أن توالى الاضطرابات ، وعسف الضامنين ، ثبطا عـزم الفلاحين ،وأديا الى ترك كثير من الاراضي بورا ، او ربما اضطر عـدد كبير من الفلاحين الى الهجرة من أراضيهم وترك حرفة الزراعة ، مما أدى الى قلة انتاج الغلال الزراعية[١٥] .

وكان من الطبيعي ان ترتفع اسعار الحاجيات المتداولة في اسواق بغداد من جراء الحصار الذي فرضه جيش المأمون على مدينة السلام سنة ١٩٧هـ ـ ٨١٢م وفي مثل تلك الحال ، لابد ان يتم احتكار بعض السلع المباعة في اسواق المدينة المحاصرة ـ هذا اضافة الى ان قائد جيش المأمون (طاهر بن الحسين) كان يضع العراقيل امام السفن المحملة بالبضائع والقادمة من البصرة وواسط ، ولم يكتف بذلك « أخذ من كل سفينة ، فيها حمولة ، ما بين الالف درهم الى الالفين والثلاثة » [١٦] .

ويذكر (ابن الاثير) أنه في سنة ٢٠٧هـ ـ ٨٢٢م « غلا السعر بالعراق حتى بلغ القفيز من الحنطة بالهاروني اربعين درهما الى خمسين »[١٧] ولعل ذلك كان بسبب كثرة الفتن والاضطرابـات التي شـملت العـراق من جراء قتل الخليفة الامين [١٨] .

---

(١٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٢١٣ ، مسكويه ، تجـارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٠ . حمـزة ، تاريخ سنى ملـوك ، ص ١٣٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .
El-Sammrraie, Agriculture in Iraq During the 3rd Century, A. H., pp. 255-256.

(١٥) الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(١٦) الطبري م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٦١ ، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٦٠ . الصدفي ، تاريخ دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٩ .

(١٧) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ . انظر : ابن طيفور ، بغداد ، ص ٧٥ .

(١٨) الطبري م. ق ، ج ٨ ، ص ٦٤ ، الصابي ، رسوم دار الخلافـة ، ص ١٨ .

وتعرض سكان بغداد وتجارها لازمة اقتصادية شديدة الوطأة اثناء احتدام الصراع بين الخليفة المستعين المقيم ببغداد ، وبين منافسه المعتز بالله الذي حاصر جنده بغداد ، فشحت البضائع الواردة على اسواقها وارتفعت اسعار الموجود منها ، حتى اصبح قفيز الحنطة بمائة درهم (١٩) . وعندئذ تعذر على عامة الشعب شراء ما يحتاجونه من مواد ضرورية بسبب ضيق ذات اليد ، مما دفعهم الى ان يستغيثوا من شدة الجوع ، وان يرفعوا شكاواهم عدة مرات الى المسؤولين دون جدوى (٢٠) .

وتكررت أزمة الغلاء سنة ٢٦٠هـ - ٨٧٣م « وارتفع السعر ببغداد فبلغ كر الشعير عشرين ومائة دينار . والحنطة خمسين ومائة ، ودام ذلك شهورا » (٢١) ، وشحت المواد الغذائية وارتفعت اسعارها في العراق والموصل والحجاز والجزيرة والشام سنة ٢٦٦هـ - ٨٧٩م . ويعزو (ابن الاثير)(٢٢) تلك الحالة الى تغليب القواد وأمراء الاجناد على الامر ، وانشغال الموفق بقتال صاحب الزنج .

وقد تكون زيادة الاسعار باسواق بغداد متأثرة بظروف سياسية وعوامل شخصية . فيذكر الصابي انه لما خلع على علي بن الفرات خلع الوزارة زاد في ذلك اليوم ثمن الشمع قيراطا في كل منّ ، وزاد سعر القراطيس لكثرة

---

(١٩) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ .

(٢٠) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٣٤٣ ، ٣٤٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ و ٣٣١ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٤٤ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١١٠ . ابن العماد ، شذرات ، ج ٢ ، ص‌ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢١) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٥١٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ . ابن العماد ، شذرات ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٤٦ .

(٢٢) الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٦ .

استعمالها [٢٣] وعلى أثر الشغب الذي اثاره الجند سنة ٣٠٤هـ - ٩١٦م ارتفعت الاسعار مرة أخرى باسواق بغداد [٢٤] .

وتحرج موقف الحكومة كثيرا سنة ٣٠٧هـ - ٩١٩م لان اسعار السلع باسواق بغداد ارتفعت الى حد كبير [٢٥] ، بحيث بيعت ثمانية ارطال من الخبز بدرهم [٢٦] ، ونهبت العامة دكاكين الدقاقين [٢٧] .

واعتبر السكان ارتفاع الاسعار نتيجة لجشع الوزير وضماناته التي اضرت بمصلحة الدولة والطبقة الفقيرة . وكان ارتفاع الأسعار يجد صدى مدوياً في نفوس العامة ، فقد كان له فعل النار في الهشيم ، حتى انهم لم يجدوا متنفسا غير طريق الشغب ومهاجمة دار الوزير [٢٨] ، في محاولة لاظهار السخط وان كان ذلك لا يجدي في خفط الاسعار وانتشالهم مما نزل بهم من عسر شديد [٢٩] .

---

(٢٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٦٣ . عريب ، الصلة ، ص‌ص ٦١ - ٦٢ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٢٠ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص‌ص ١٦٨ - ١٦٩ . ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٩٦ .

(٢٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٣ .

(٢٥) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٧٣ - ٧٤ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٣٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١١ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٥٣ . ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(٢٦) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٧٢ - ٧٣ .

(٢٧) نفس المصدر والمكان . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ص ١٦٣ .

(٢٨) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٣٠ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ . العيون والحدائق ، ج ٤ ، رقم ١ ، ص ٣٠٩ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٩٨ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ٥٣ .

(٢٩) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٥ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٣٠ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٩٨ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٩ .

واتسعت دائرة شغب العامة حتى انهم منعوا الامام من تأدية شعائر صلاة الجمعة ، وهدموا المنابر ، واحرقوا الجسور ، ونهبوا الغلال[٣٠] وقد أثمر تحرك العامة هذا ، اذ اضطرت السلطة الى اتخاذ اجراءات كان لها تأثير موقت [٣١] .

ويبدو ان الاجراءات التي اتخذتها الحكومة في سنة ٣٠٧هـ – ٩١٩م ، لم تضع حدا لارتفاع اسعار المواد الغذائية التي تعتبر المواد الاساسية في القوت اليومي للطبقة الفقيرة ، الامر الذي أدى الى تجدد شغب الناس ببغداد سنة ٣٠٨هـ و ٣٠٩هـ ضد الوزير حامد بن العباس بسبب غلاء السعر [٣٣] .

وشهدت بغداد واسواقها حالة من القلق وعدم الاستقرار مرة اخرى في سنة ٣١٢هـ – ٩٢٤م عندما تعرض القرمطي لقوافل الحجاج في تلك السنة ووصل الى الكوفة ، فاضطرب الناس ببغداد وعبر اهل الجانب الغربي منها الى الجانب الشرقي لانهم توقعوا ان الجنابي سيداهمهم في عقر دارهم [٣٤] .

وهكذا صار ارتفاع اسعار السلع باسواق بغداد مصدر فزع شديد

---

(٣٠) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص‌ص ٧٣ – ٧٤ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، جـ ٧ ، ورقة ١١ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٩ .

(٣١) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٧٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣ ، قسم ٤ ، ص ٧٧٩ .

(٣٣) عريب ، الصلة ، ص‌ص ٥٨ – ٥٩ و ٨٤ – ٨٥ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٢٢ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٣٠ . العيون والحدائق ، جـ ٤ ، قسم ١ ، ص ٣٠٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٦ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ . السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٥٣ .

(٣٤) الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٤٨ .

لدى عامة الناس . يقول عريب : « ومما اوهن أمر الوزير [٣٥] وكرهه الى الناس غلاء الاسعار في زمانه » [٣٦] .

وروعت بغداد مرة اخرى سنة ٣١٥هـ ـ ٩٢٧م على أثر وصول فلول جيش الخلافة المنهزم امام القرامطة ، وعدل الناس الى الانحدار الى واسط[٣٧] ومما زاد الطين بلة عبث العيارين الذين استغلوا انشغال السلطة بدرء خطر القرمطي الذي اقترب من بغداد ، ففتكوا بها لولا ان الوزير اوعز لصاحب الشرطة (نازوك) بالطواف بشوارع العاصمة واسواقها ليلا ونهارا[٣٨] .

ويبدو ان المواد الغذائية قلت في اسواق بغداد سنة ٣١٥هـ ـ ٩٢٧م ذلك ان الوزير علي بن عيسى كان قد أوعز لعمال الكوفة بتهيئة الميرة اللازمة ليوسف بن ابي الساج المتصدي لحرب القرمطي هناك [٣٩] ولكن من سوء طالع ابن أبي الساج ، ان ما اعد له ولجيشه من مؤونة ، كان قد وقع في يد عدوه أبي طاهر الجنابي . وكان مقدار ذلك : مائة كر دقيقا والف كر شعيرا [٤٠] .

وتعرض سكان العاصمة في سنة ٣٢٠هـ ـ ٩٣٢م لأزمة جديدة خانقة

---

(٣٥) الوزير هو عبدالله بن محمد الخاقاني الذي تولى الوزارة سنة ٣١٢ ـ ٣١٣هـ . (انظر : عريب ، الصلة ، ص ١٢٠ و ١٢٥ ، ومسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٢٧) . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٤ .
Sourdel. op. cit. p. 436.

(٣٦) عريب ، الصلة ، ص ١٢٥ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٤٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٨ .

(٣٧) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٥٣ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٧٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٧ .

(٣٨) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٥٤ .

(٣٩) نفس المصدر ، ص ٥٢ .

(٤٠) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٥٢ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٧٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٦ .

اضطرتهم ان يسخموا وجوههم ويصيحوا : « الجوع الجوع ! للغلاء ، لان القرمطي ومؤنسا [٤١] منعوا الجلب » [٤٢] .

ان استيلاء قائد الجيش (مؤنس المظفر) على مدينة الموصل قد اثـر تأثيرا كبيرا على كمية بعض السلع المعروضة في اسواق بغداد ، وبخاصة المواد الغذائية التي كانت ترد من منطقة الموصل الى حاضرة الخلافة . ومن المؤكد أن شح هذه المواد ادى الى ارتفاع اسعارها في اسواق بغداد ، وان التجار الذين بلغهم انتصار مؤنس واستيلاؤه على الموصل ونصيبين وما والاها ، قد استغلوا هذا الحدث الطاريء ، فاحتكروا ما كان عندهم من سلع آملين من وراء ذلك ان يبيعوها باسعار مرتفعة ، ترهق المشتري ، خاصة اذا كان من الطبقة الفقيرة . هذا بالاضافة الى ان الجيوش الموالية لمؤنس صارت تتعرض للقوافل المحملة بالسلع والمتجهة نحو بغداد ، وتستولى عليها [٤٣] .

وفي سنة ٣٢٣هـ ـ ٩٣٤م « غلا السعر ببغداد ، حتى بلغ الكر من الحنطة مائة وعشرين دينارا ، والشعير تسعين دينار » [٤٤] ، وأقام الناس اياما لا يجدون القمح ، فاكلوا خبز الذرة والدخن والعدس[٤٥] ، وعندئذ « ضج الناس من غلاء السعر ، وكان الخبز قد صار الى اربعة ارطال بدرهم ، وأظهر قوم من بني هاشم المصاحف وشكوا الجوع » [٤٦] .

---

(٤١) هو مؤنس المظفر قائد الجيش الذي زعل على الخليفة المقتدر وصعد بجنده الى الموصل . (انظر : عريب ، الصلة ، ص ١٧١ ـ ١٧٢) . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ص ٢٢٣) .

(٤٢) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٢ . والعبر ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٣ .

(٤٣) عريب ، الصلة ، ص ١٧٢ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٢٣ .

(٤٤) الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٩٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٧٧ : ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٥١ .

(٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٥١ .

(٤٦) الصولي ، الاوراق ، ص ٦١ .

ويبدو ان بني هاشم كانوا اقدر من غيرهم في التعبير عن آرائهم بحكم رابطة القربى التي يتمتعون بها ، فاذا تظلموا وشكوا سوء حالتهم ، قد لا تمتد اليهم يد السلطة وتنالهم بعقابها المبرح . وكان غضب بني هاشم قد تكرر مرة أخرى بحيث انهم منعوا الامام يوم الجمعة بالجانب الغربي من الصلاة [٤٧] .

وخلال سنة ٣٢٤هـ - ٩٣٥م تجدد « شغب العامة لغلاء السعر » ووقعت بينهم وبين الجند مناوشات بباب الطاق ، كما ارتفع السعر سنة ٣٢٦م - ٩٣٧م [٤٨] .

وبلغ سعر الكر من الدقيق مائة وستين دينارا سنة ٣٢٩هـ - ٩٤٠م[٤٩] . كما ان تجاوزات الجند واعتداءاتهم كانت من جملة الاسباب التي أدت الى غلاء السعر ، بحيث مات الناس جوعا [٥٠] . واستمرت الحال على هذه الدرجة من الخطورة ، حتى انفرجت الازمة بعض الشيء ، اذ كثر الجراد فانتفع الفقراء بصيده وأكله ، فسدوا به رمقهم [٥١] .

ولما هرب الخليفة المتقي لله الى الموصل مع محمد بن رائق ، من جراء الضغط الذي تعرضت له العاصمة من قبل جيش البريدي سنة ٣٣٠هـ - ٩٤١م،

---

(٤٧) نفس المصدر ، ص ٦٦ و ٧٠ - ٧١ .

(٤٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٧١ و ١٠٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٨٢ . وابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٥٧ .

(٤٩) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٨١ . « ويقول مسكويه ، ج ٢ ، ص ٨ : بلغ الكر الدقيق مائة وثلاثين دينار » . (وكذلك الحال في ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣١٨) . (أما في كتاب العيون والحدائق فيقول : « وكر الحنطة مائتي دينار ، ج ٤ ، قسم ٢ ، ص ٩٦) .

(٥٠) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٣٦ ، و ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٥١) نفس المصدر ، ص ٢٣٧ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٢٧ و ١٣٤ .

ارتفعت الاسعار « وبلغ كر الدقيق ثلاث مائة دينار » [٥٢] . وكأن سوء الظروف الطبيعة قد تآزرت مع اضطراب الحالة السياسية ، واشتداد الازمة الاقتصادية كلها ، فتعرضت عاصمة الخلافة للغرق من جراء ارتفاع مناسيب الماء في نهر دجلة [٥٣] .

وبعد أن تمت للبريدي السيطرة على بغداد « جعل على كل كر من الحنطة والشعير واصناف الحبوب خمسة دنانير ، وغلت الاسعار فبيع كر الحنطة بثلاثمائة وستة عشر دينارا ، والخبز الخشكار [٥٤] رطلان بقيراط صحيح أميري » [٥٥] ونكاية بآل البريدي منع أمير الموصل تصدير الحبوب الى بغداد فأرتفعت الاسعار حينذاك [٥٦] .

وفي سنة ٣٣١هـ - ٩٤٢م « غلت الاسعار حتى اكل الناس الكلاب ووقع البلاء فيهم ، ووافى الجراد بصورة كثيرة جدا ، حتى بيع منه كل خمسين رطلا بدرهم فارتفق الناس به من الغلاء » [٥٧] . وتكرر حدوث الغلاء في سنة ٣٣٢هـ - ٩٤٣م[٥٨] « حتى بيع القفيز الواحد من الدقيق الخشكار

---

(٥٢) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٩ . « ويقول الصولي : وبلغ سعر رطل الخبز بدرهم . الاوراق ، ص ٢٢٣ » . وعندما سيطر البريدي على بغداد بلغ سعر المكوك من الدقيق ستة دراهم . انظر : الاوراق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ » . (ويقول السيوطي : بلغ كر الحنطة ٣٢٦ دينار فاشتد القحط وأكل الناس الميتات . أنظر الخلفاء ، ص ١٥٨) .

(٥٣) الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٩ .

(٥٤) الخشكار : الدقيق الذي لم تنزع نخالته .

(٥٥) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٨٤ . انظر : ابن الساعي ، مختصر تاريخ الخلفاء ، ص ٨١ . (ويقول الذهبي ، بلغ الكر مائتي دينار وعشرة دنانير . انظر : دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٤٩ . والعبر ، جـ ٢ ، ص ٢١٩) .

(٥٦) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٢٨ ، الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٩٢ .

(٥٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ٢٩٤ . انظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٣٣١ .

(٥٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٥١ - الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ١٣٨ .

بنيف وستين درهما ، والخبز الخشكار ثلاثة أرطال بدرهم »(٥٩) . والتمر رطلان بدرهم (٦٠) ، ونقصت قيمة العقار حتى صار ما كان يساوي دينارا يباع بأقل من درهم (٦١) ، الامر الذي أدى الى اغلاق الكثير من الحمامات والمساجد والاسواق لقلة الناس (٦٢) .

واشتد الغلاء سنة ٣٣٣هـ ـ ٩٤٤م (٦٣) . « فكانت النساء يخرجن نحو العشرين ممسكات بعضهن ببعض يصحن الجوع الجوع ، ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتات »(٦٤) . وقد شغب الناس في الجانب الغربي ، ومنعوا الامام من اداء صلاة الجمعة (٦٥) .

وتكاد هذه الحقبة لا تعرف الاستقرار في حياة الناس . ففي سنة ٣٣٤هـ ـ ٩٤٥م (٦٦) ، اشتد الغلاء ببغداد ، وبيع المكوك من الحنطة بخمسة وعشرين درهما ، ثم بيع كر الحنطة بعشرة الاف درهم (٦٧) ، فأكل الناس الميتة والجيف ولحوم البشر واثمار الاشواك ، وصار الناس يتزاحمون في التقاط حب الشعير من روث الحيوانات اذا راثت (٦٨) ،فلحق الناس امراض واورام ، وكثر الموت فيهم حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم(٦٩) .

---

(٥٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٩٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ـ ص ٣٣٥ ـ ابو الفداء ، المختصر ، ج ٢ ، ص ٩٦ .
(٦٠) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣٥ .
(٦١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٩٩ .
(٦٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٩٩ .
(٦٣) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٧٨ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٢٩ ،
(٦٤) الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٥١ .
(٦٥) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٧٨ .
(٦٦) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٨٣ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٤٧ .
(٦٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .
(٦٨) نفس المصدر والمكان .
(٦٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٣٢١ . انظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٤٤ .

ومن كثرة ما لاقى الناس من زيادة السعر ، صار يقول الصديق لصديقه حين يريد ان يعبر له عن ظرافته « أحلى من رخص السعر ، وأمن الطريق ، وبلوغ الامل ، وقضاء الوطر على الخطر » (٧٠) .

الظروف الطبيعية :

وارتفاع الاسعار عن معدلاتها الطبيعية قد تكون مقرونة بسوء الظروف الطبيعية حيث ينتاب البلاد جفاف شديد ، يعقبه قلة انتاج في الغلال المعروضة منها في الاسواق في الوقت الذي يزداد الطلب عليها . الامر الذي يؤدي الى ارتفاع اسعارها .

وبهذا نرى ان للظواهر الطبيعية تأثيرها الكبير على ارتفاع الاسعار بأسواق بغداد . ونستطيع ان ندرك شدة وطأتها ، وما كان الناس يلاقونه من ضنك العيش ، حتى انهم ربطوا زيادة الاسعار بتحرك النجوم والكواكب وراقبوها لهذا الغرض(٧١) . لكن تلك التنبؤات ، على غرابتها وبساطتها ، كان التجار يستفيدون منها ، ليزداد ربحهم ، كما انها تدفع التجار الى احتكار السلع التي يتوقعون ارتفاع اسعارها (٧٢) .

واشارت المراجع الى أنه في سنة ٢٠٦هـ - ٨٢١م « كان المد الذي غرق منه السواد وكسكر وقطيعة ام جعفر وقطيعة العباس وذهب بأكثرها »(٧٣).

وفي سنة ٢٢٥هـ - ٨٣٩م احترقت اسواق الكرخ ، واصيب التجار بأضرار بليغة ، الا ان الخليفة المعتصم بالله عوضهم بأن قدم لهم معونة قدرها

---

(٧٠) الثعالبي ، خاص الخاص ، ص ٢٩ .

(٧١) يوسف بن طوغان القطبجي الشهير بالمقياتي ، نزهة الافكار في معرفة احوال الاسعار ، ورقة ١ - ٣ و ٥ .

(٧٢) المقياتي ، نزهة الافكار ، ورقة ٧ - أ .

(٧٣) الطبري ، م. ق ، جـ ٨ ، ص ٥٨١ . ابن العماد ، شذرات ، جـ ٢ ، ص ١٤ .

عشرة ملايين درهم(٤٧) • وفي عهـــد المتوكل على الله هبت عاصفة شـــديدة على بغداد وشملت منطقة السواد فالحقت اضرارا بالغة في الزرع والماشية ، الامر الذي ادى الى قلة المواد الغذائية الواردة على اســـواق العاصمة ، فأرتفعت اسعارها (٧٥) • وفي سنة ٢٧٠هـ – ٨٨٣م انبثق ببغداد نهر عيسى فغمر الماء جانب الكرخ فهدم سبعة الاف دار ، ولابد ان امتدت اضرار هذا البثق الى اسواق الكرخ واتلفت السلع التجارية المعروضة فيها(٧٦) •

ومرة أخرى اسهمت العوامل الطبيعية في ارتفاع الاسعار باسواق بغداد سنة ٢٨٤هـ – ٨٩٧م ، اذ قلت الامطار وتأخر هطولها بالعراق (٧٧) • وقد تكررت هذه الظاهرة سنة ٢٩٧هـ – ٩٠٩م ، فشحت الغلال الزراعية مما ادى الى ارتفاع الاسعار ، فتعذر على الطبقة الفقيرة ان تجد ما يسد رمقهـــا بسهولة (٧٨) •

وقد تعرضت منطقة بغداد والسواد في سنتي ٢٩٩ و ٣٠٥هـ لموجتين من البرد الشديد ، رافقهما سقوط ثلج كثير ، فقتل عددا كثيرا من الحيوانات البرية (٧٩) • وفي سنة ٣٠٣هـ – ٩١٥م « وقع حريق في سوق النجارين بباب الشام واحترق »(٨٠) • ومن جراء الفيضان الذي حدث بنهر دجلة سنة ٣١٠هـ – ٩٢٢م حصل سبعة عشر بثقا قرب واسط ، أغرقت مساحات واسعة من

---

(٧٤) وكيع ، اخبـــار القضاة ، ص ٢٩٧–١٩٨ • (ويقول ابن العماد : ان مقدار المبلغ الـــذي قدمـــه المعتصم للتجـــار خمسة ملايين درهم • انظر : شذرات ، ج ٢ ، ص ٥٦) ح •

(٧٥) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٥ •

(٧٦) السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٤٧ •

(٧٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٧٢ •

(٧٨) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٨٩ • ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٠٨ •

(٧٩) الحموي ، التاريخ المنصوري ، ورقة ١٢٣ – أ •

(٨٠) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٦ • ابن كثير ، البداية والنهايـــة ، ج ١١ ، ص ١٢٣ •

الاراضي الزراعية والقرى[81] . بينما في سنة ٣١٢هـ - ٩٢٤م شحت الامطار حتى سميت تلك السنة سنة الحبس [82] .

كما تعرضت العاصمة لحادثتي حريق ذهب ضحيتها كثير من الانفس والبضائع والممتلكات [83] . وفي شوال من سنة ٣١٤هـ - ٩٢٦م تعرضت بغداد لموجة شديدة من البرد ، اعقبها سقوط ثلج بمكيات كبيرة ، الامر الذي أدى الى تلف أكثر نخيل بغداد وسوادها ، كما اصاب الاشجار المثمرة باضرار بالغة [84] ، وان سقوط الثلج بتلك الكميات الهائلة أدى بدوره الى ارتفاع مناسيب نهر دجلة فحدثت فيضانات مدمرة [85] نتيجة لاهمال صيانة السدود من جراء تتابع الفتن والاضطرابات ، وفساد الادارة [86] .

وتتوالى فيضانات الرافدين ، وتجر وراءها على المزارع والغلال ، الكثير من الكوارث والدمار ، ذلك ان مياه نهري دجلة والفرات ازدادت بغتة زيادة مفرطة في سنة ٣١٦هـ - ٩٢٨م . فأغرقت المزارع والقرى ، وقطعت الجسور ببغداد ، وأدت الى غرق كثير من الناس ، اضافة الى الاضرار المادية الاخرى[87] . وبلغت زيادة نهر الفرات اثنى عشر ذراعا وثلثين [88] .

---

(٨١) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣١ .
(٨٢) ابن دقماق ، نزهة الانام ، ورقة ٤١ . ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ١ ، ص ٣٥٧ .
(٨٣) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠١ .
(٨٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٠٢ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٢٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥٤ .
(٨٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ .
(٨٦) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢١٦ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٩٩ .
(٨٧) الصولي ، الاوراق ، ص‌ص ١٠٥ - ١٠٦ ، و ٢١٦ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٩ و ٨٣ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣١ و ١٢١ و ١٢٦ و ١٣٤ .
(٨٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٢١٦ . احمد سوسة ، فيضانات بغداد ، القسم الاول ، ص ٢٩١ .

ومما يلفت النظر ، ان نجد الظواهر الطبيعية المتناقضة تتوالى في سنة ٣١٧هـ - ٩٢٩م . ففي الوقت الذي يزداد سقوط الثلج شتاء ويؤدي الى اضرار كثيرة ، نجد مياه دجلة تنخفض في الصيف ، مما ادى الى قلة الغلال الصيفية وارتفاع اسعارها (٨٩) .

وزادت الاسعار في اسواق بغداد في اعقاب تعرضها لحرائق مدمرة بين الفينة والاخرى مما جعل النيران تلتهم كميات كبيرة من السلع ، فيقل المعروض منها ، وعندئذ يزداد الطلب عليها . ومما زاد الامر سوء أن الحرائق كانت تتكرر باستمرار ، ففي سنة ٣١٩هـ - ٩٣١م شب حريق في أسواق العاصمة واحدث اضرارا بليغة (٩٠) . وفي سنة ٣٢٣هـ - ٩٣٤م وقع بالكرخ حريق عظيم ، احرق دكاكين العطارين والصيادلة واصحاب الدهون والخزازين والجوهريين (٩١) . وذكر الهمداني ان السنة النيران احرقت ثمانية واربعين صفا من اسواق العاصمة (٩٢) .

كما ان التطاحن العنيف على السلطة بين رجال الحاشية ، كان في الاعم الاغلب ، يؤدي الى اتلاف الغلات الزراعية وتخريب اقتصاد الدولة ، ومن ثم ارتفاع الاسعار . ففي سنة ٣٢٦هـ - ٩٣٧م ارتفعت الاسعار من جراء التنافس بين محمد بن رائق وبين بجكم (٩٣) ، وتعمد الجند في احداث حريق بسوق الثلاثاء الى ناحية المخرم (٩٤) . كما تعرضت بغداد للغرق سنة ٣٢٨هـ - ٩٣٩م ، فشحت السلع وارتفعت اسعارها (٩٥) .

---

(٨٩) القرماني ، اخبار الدول ، ص ٩٠ .
(٩٠) حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٥٢ .
(٩١) الصولي ، الاوراق ، ص ٦٨ .
(٩٢) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٩٢ .
(٩٣) الصولي ، الاوراق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
(٩٤) نفس المصدر ، ص ١٠٥ .
(٩٥) السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٥٧ .

وكانت قلة الامطار في سنة ٣٢٩هـ ـ ٩٤٠م • قد أدت الى تلف الزرع ، اضافة الى اثر الجراد ، فتسبب قلة الحاصل والغلاء[٩٦] •

ويورد (ابن كثير) [٩٧] رواية تعطي دلالة واضحة واكيدة على الزيادة المطردة في اسعار بعض السلع المبيعة في اسواق بغداد ، ذلك ان جارية لعبيدالله ابن عبدالله بن طاهر الخزاعي[٩٨] • اشتهت ثلجا في وقت شح فيه الثلج ، وكانت حظية عنده فأشترى لها رطلا بعشرة الاف درهم ، كما ابتاع رطلا آخر بعشرة الاف ، ثم آخر بعشرة الاف ، ثم اشترى رطلا آخر بثلاثين الف درهم •

ونتيجة لقسوة الظروف الطبيعية ، وتعرض العاصمة لموجات الفتن والاضطرابات والارتفاع المطرد في الاسعار ، برزت حدة التباين الاجتماعي ، وسوء احوال الطبقة العامة الناتج من تكدس الثروة بأيدي طبقة اجتماعية محدودة العدد • في الوقت الذي نجد ان دخل العامل اليومي الذى يشتغل بخرط الزجاج لا يتجاوز درهما ونصفا[٩٩] •

على كل حال ، كان ارتفاع الاسعار في اسواق بغداد ، بالشكل الذي لمسناه ، يشير الى وجود تناقض واسع بين فئات المجتمع البغدادي ، ذلك

---

(٩٦) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص‌ص ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣١٩ .

(٩٧) البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١١٩ .

(٩٨) عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابو احمد الخزاعي ولى امرة بغداد وحدث عن الزبير بن بكار ، وكان اديبا فاضلا ، توفي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م . (انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١١٩) .

(٩٩) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٧٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٤٨ . (ويقول اليافعي : ان اجرة هذا العامل اربعة دراهم . مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ٢٢٤) .

ان الذى ينظر الى تصرفات الطبقة المترفة (١٠٠) ، ويتلمس جوانب حياة الطبقة المعدمـــة(١٠١) ، يعجب من كيفية وجود وفاق وتعايش بينهما . فالتنـافس والصدام في هذه الحالات شيء محتم ، لهذا صرنا نسـمع بين حين وآخر ، أنات عميقة تعبر عن شدة الضيق ، لان هؤلاء كان يؤلمهم ما وصلت اليـه الاختلافات والتناقضات والبون الشاسع ، ولكن صرخاتهم ، في الاعم الاغلب ، لا تتعدى اسماع اصحابها . وحينئذ يكون تأثيرها محدودا ، ودائرة عملها ضيقة ، لا تلبث ان تخمد دون ان تكون قد حققت ما كانت تصبو اليه (١٠٢).

الاحتكار :

لقد حرمت الشريعة الاسلامية منذ البداية الاحتكار ، والمضاربة في مواد

---

(١٠٠) ابن طيفور ، بغداد ، ص ٣٦ . الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٦٠٨ — ٦٠٩ ، وجـزء ١٠ ، ص ٣٠ . المسـعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ . الصـــابي ، الـوزراء ، ص ٢٩ و ١٤٠ و ١٩٥ و ٢١٦ و ٢٦٢ . الخطيب البغدادي ، بغـــداد ، ج ١ ، ص ١١٧ — ١١٨ و ٢١٥ — و ج ٢ ، ص ١٢٠ و ٢١٧ . عريب ، الصلـــة ، ص ٢٣ و ٣٧ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٥ و ٣٧ . مسكويه ، تجارب ج ١ ، ص ١٣ . ابن الزبير ، الذخائـــر والتحف ، ص ٩١ — ٩٢ و ١٠٣ — ١٠٥ و ٣٢ — ٣٣ و ٩٨ — ٩٩ . التنوخي ، نشوار ، ج ١ ، ص ٢٤ و ٢٩٢ . ابن الجـوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٣٨ و ١٨٠ و ١٨٤ و ١٩٠ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٤٢٣ . الشابشتي ، الديارات ، ص ١٠٠ — ١٠١ .

(١٠١) الصولي ، الاوراق ، ص ٦١ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٣ و ٧٥ . الصـــابي ، الوزراء ، ص ٢٨٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ — ص ٣٤٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٩٤ و ٣٢١ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤٢ و ١٥١ . والعبر ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(١٠٢) الصولي ، الاوراق ، ص ٦٦ و ٧٠ — ٧١ و ٢٧٨ . عريب ، الصلة ، ص ٥٨ و ٨٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ . الهمداني ، تكملـــة ، ج ١ ، ص‌ص ٢١ — ٢٢ و ١٣٨ . ابن الاثـير ، الكامل ، ج ٦ — ص ١٦٣ — و (١٦٦ و ١٦٧ و ٢٩٩ و ٢٥٧) .

الطعام [١٠٣] . واتبعت الدولة العباسية مبدأ حرية التجارة ، ولم تقيد نقل السلع بين مختلف أقاليم الدولة . ولم تحتكر تجارة اية بضاعة او تمنع مبادلتها، ما دام تداولها لا يتعارض مع مبادىء الدين .

وعلى الرغم من ان احتكار المواد الغذائية ، وتأخير بيعها ، حتى يرتفع السعر ، كان محظورا شرعا [١٠٤] . لكن التجار اهملوا هذا القيد في الغالب ، وصار للاحتكار دور هام في الاحوال التجارية [١٠٥] . وبذا لم يأل التجار جهدا في حصر ما عندهم من امتعة [١٠٦] .

وكان التجار بأسواق بغداد يتعرضون لشراء الغلال والسلع بما يفرضون لها من الثمن البخس ، ثم يبيعونها باسعار مرتفعة [١٠٧] . وقد وجد صنف من التجار يسمى الواحد منهم « الخازن » . ويكون هذا الصنف من التجار مطلعين على احوال البضائع في اماكنها ، من حيث كثرتها أو قلتها ورخصها او ارتفاع ثمنها ، وسلامة الطريق الذى تسلكه عند مجيئها ، وذلك باستطلاع الاخبار ، وكان هذا النوع من التجار يشترون البضائع وقت توفرها ، وقلة

---

(١٠٣) احمد بن حنبل ، المسند ، ج ٧ ، ص‌ص ٥٩ — ٦٠ . مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٥ ، ص ٥٦ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٥٩ و ٦٤ . ابن رجب ، الاستخراج لاحكام الخراج ، ورقة ٩٧ — ب . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ — ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٨ . الاصبهاني ، محاضرات ، ج ٢ ، ص‌ص ٤٦٧ — ٤٦٨ .

(١٠٤) البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، ص‌ص ٢٣ — ٢٤ . ابن حنبل ، المسند ، ج ٧ ، ص ٥٩ — ٦٠ . احمد بن حنبل ، المسند ، ج ٧ ، ص ٦٠ . محمد بن الحسن الشيباني ، الجامع الصغير ، ص ١١١ . العيني ، شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٤٨٦ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ — ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٩ . ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل ، ص ١٠٩ . ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ١٤ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٦٤ . الاصبهاني ، محاضرات ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ .

(١٠٥) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(١٠٦) الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٦٢ .

(١٠٧) المدور ، حضارة الاسلام ، ص ١٥١ .

الطلب عليها ، ثم يحفظونها وينتظرون الى أن يشح هذا النوع من السلع في الاسواق [108] .

وتمتع قسم من تجار بغداد بحذق كبير في ادارة اعمالهم ، فكانوا يتحينون الفرص ويقدمون على شراء كل ما هو في اسواق العاصمة من بضاعة ما ، ثم يحتكرونها ، وبعدئذ يتحكمون في السعر الذي يروق لهم. وكانوا يحققون من وراء ذلك ارباحا طائلة [109] .

وفي الازمات السياسية كان الاحتكار يكشف عن وجهه الذميم ، فتتسع ساحة الجشع والاستغلال ، وتمتد الى السلع الاستهلاكية ، وعندئذ يرهق المستهلك محدود الدخل حتى يبلغ من أمره عسرا ، فالاوضاع السيئة التي شهدتها بغداد على أثر مقتل الخليفة الامين ، أعطت الفرصة المناسبة للعناصر الجشعة لان تحتكر السلع الاستهلاكية لتحقق من وراء ذلك مكاسب مادية كبيرة [110] .

وفي سنة ٣٠٧هـ ـ ٩١٩م احتكر تجار بغداد المواد الغذائية التي كانت تباع باسواق العاصمة ، مما ادى الى ندرتها في تلك الاسواق ، ومن ثم زيادة اسعارها زيادة كبيرة ، بحيث تعذر على افراد الطبقة الفقيرة الحصول على قوت يومهم فضجوا في الاسواق ، واحدثوا شغبا متصلا ، وتطاولوا على الوزير ورجموه وكادوا أن يفتكوا به لولا ان الخليفة أوعز لصاحب الشرطة وقائد الجيش بضرورة المحافظة على الامن والطمأنينة وضمان سلامة الوزير . وفي نفس الوقت اجبر التجار على فتح دكاكينهم حتى يتسنى للناس شراء ما يحتاجون منها [111] .

واحتكرت الدولة العباسية ـ خلال الفترة التي نبحث فيها ـ الطرز[112]

---

(١٠٨) الدمشقي ، الاشارة الى محاسن التجارة ، ص‌ص ٥١ ـ ٥٢ .
(١٠٩) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٩ .
(١١٠) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٥٦٤ .
(١١١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .
(١١٢) زيدان ، التمدن الاسلامي ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

كما كانت الطواحين ببغداد احتكارا للسلطان [١١٣] . وكذلك اجرة الدور التي يعمل فيها ماء الورد[١١٤] ، وضرب النقود[١١٥] ، اما عدا ذلك من سلع فقد ترك للناس حرية المتاجرة فيه .

وقد حذر « ابن خلدون » [١١٦] من اشتغال رجال الدولة بالتجارة ، واعتبر اقدامهم على مثل ذلك اضرارا بالمصلحة العامة . وتشير النصوص الى أن الخليفة المنصور كان قد عزل وزيره (أبا ايوب سليمان بن مخلد الموریاني) لانه كان يشتغل بالتجارة فكان يشتري الطعام على أمل الربح [١١٧] .

غير ان الخلفاء ، بعد المنصور صاروا يتهافتون في محاسبة كتاب الدواوين ، مما جعلهم يمارسون التجارة والاحتكار في اسواق العاصمة ، بلا خوف ولا وجل . وذلك ان علي بن عيسى كانت له غلال معروضة بسوق الطعام [١١٨] .

أما علي بن الفرات ، كاتب ديوان الخراج والضياع [١١٩] . فقد كانت لديه بسوق الطعام وعند الباعة اضعاف ما كان قد أخبر به الوزير العباس ابن الحسن[١٢٠] الذي لم يتخذ اجراءات من شأنها ايقاف تدخل كتاب الدواوين في الاسواق ومضارباتها ، رغم علمه بأن اعمالهم تلك مضرة بالمصلحة العامة. فقد يعمد هؤلاء — بما يملكون من نفوذ وجاه وسطوة وغلال كثيرة — الى

---

(١١٣) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٥ .
(١١٤) متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ١٧٦ .
(١١٥) السنامي ، نصاب الاحتساب ، ورقة ٦١ — أ . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٥ .
(١١٦) المقدمة ، ج ٢ ، صص ٨٤٢ — ٨٤٣ .
(١١٧) الريس ، الخراج ، ص ٤٠٧ . انظر : زامباور ، ج ١ ، ص ٥ .
(١١٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢٠ . Bowen, op. cit. p. 159.
(١١٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢٠ .
(١٢٠) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢١ . عريب ، الصلة ، ص ٣٧ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٩٠ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٩٩ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢ ، قسم ٢ ، ورقة ١٣٣ أو ب .

احتكارها فترة من الزمن ، الامر الذي يؤدي الى ارتفاع ثمنها كثيرا لتدر عليهم الارباح الطائلة وفي نفس الوقت ، تجعل عامة الشعب تتضور جوعا ، لينعموا وتتضاعف ثرواتهم بحيث تصل الى ملايين الدنانير (١٢١) .

ومارس احتكار مواد الطعام الوزير حامد بن العباس سنة ٣٠٧هـ - ٩١٩م(١٢٢) ومما زاد الامر سوءاً ان الاحتكار لم يقتصر على الوزير فحسب ، انما مارس هذا الامر بعض افراد الحاشية ، ومنهم ام الخليفة واولاده وبعض الامراء (١٢٣) ، مما ادى الى ندرة مواد الطعام في اسواق العاصمة ، ومن ثم ارتفاع اسعارها ، فاصبحت قلوب عامة الناس تضطرم حقدا ، على الحكـــام المحتكرين ، فشنوا عليهم غارات متلاحقة ونهبوهم (١٢٤) .

وفي سنة ٣٠٨هـ - ٩٢٠م ضمن الوزير حامد بن العباس خراج العراق وعربستان واصفهان ، فأرتفعت الاسعار ببغداد ، لان الوزير جمـــع الحبوب في تلك البلاد ومنع حملها الى العاصمة ، فثار العامة على الوزير وشـــتموه

---

(١٢١) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢٣ و ٣٧٤ . عريب ، الصلة ، ص ٣٧ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٥٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٩٠ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣ ، ص ٩٩ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢ / قسم ٢ ، ورقة ١٣٣ - أ و ب . ياقوت ، ارشاد الأريب ، ج ٥ ، ص‌ص ٢٧٧ - ٢٧٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥١ .

(١٢٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢٠ . مسكويه ، تجــارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ . ابن الاثـــير ، الكامل ، ج ٦ ، ص‌ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(١٢٣) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ . ابن الاثير ، الكامـــل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(١٢٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٧٣ - ٧٤ . العيون والحدائق ، ج ٤/قسم ١ ، ص ٣٠٩ . الهمداني ، تكملـــة ، ج ١ ، ص ٢١ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٣٠ . الذهبي ، تاريخ الاســـلام ، ج ٧ ، ورقة ١١ .

وفتحوا السجون ومنعوا صلاة الجمعة ، واحرقوا الجسور (١٢٥) . وهكذا نلمس ان احتكار المسئوولين ، كان يؤدي الى زيادة الاسعار في اسواق بغداد .

غير ان مثل تلك الاحتكارات ، كانت غالبا ، مؤقتة وفردية ، وقد لا تدعمها امتيازات حكومية منصوص عليها ، وانما هي من باب استغلال موقع وظيفي لا غير ، لذلك لم يكن لها تأثير طويل الامد على الاسعار ، ولم يتسن لها أن تشمل أقاليم مختلفة من الدولة العباسية .

ولكن قسوة الاحتكار ، تتمثل في من هم في قمة السلطة . فمثلا اشتغال الوزير بالتجارة والاحتكار ، يصرف جزء من وقته لهذه المهمة ، وبذا لا يستطيع ان يقوم بمهام عمله الاساسي الذي يتقاضى من اجله راتبا معينا من بيت المال . هذا بالاضافة الى ان الوزير ، كان بحكم موقعه الوظيفي ، يستطيع ان يتحكم في سعر البضاعة المراد شراؤها ، كما يكون في مقدوره رفع سعر البيع بالشكل الذي يناسبه .

والحق ان الفقهاء والناس عامة ، كانوا ينظرون الى الاحتكار والمحتكرين، بشيء من النفور والاستخفاف ، خاصة ما يتعلق منها بالمواد الغذائية (١٢٦) ، يتمثلون بالاحاديث النبوية في ذم الاحتكار والمحتكرين ، التي يمكن اعتبارها صدى لموقف الاسلام تجاه الاحتكار (١٢٧) .

---

(١٢٥) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٦
Sourdel, op. cit. Tome II, pp. 420-421.

(١٢٦) ابن حنبل ، المسند ، ج ٧ ، ص‌ص ٥٩ — ٦٠ . الغزالي ، أحياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٥٩ و ٦٤ . مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٥ ، ص ٥٦ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ . الاصبهاني ، محاضرات، ج ٢ ، ص ٤٦٨ . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ١٨ — ١٩ .

(١٢٧) البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، ص‌ص ٢٣ — ٢٤ . العيني ، شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٤٨٦ . الشيباني ، الجامع

وقد اباح « ابن تيمية »[128] لولي الامر ان يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس اليه . وأضاف (ابن عبدالرزاق) « ولا يترك أهل الحوانيت وسائر أهل الادخار ان يقتنوا شيئا مجلوبا الى الاسواق مما بالناس حاجة اليه ، ولا يحتكرونه ، لنهى النبي (ص) عن ذلك »[129] . واباح « ابن الرفعة »[130] للمحتسب ان يمنع بائعي الطعام احتكار الغلة . وأجاز مالك تأديب المحتكرين واخراج السلعة المحتكرة من بين ايديهم وتفريقها بين الناس وذوى الحاجة فيشترونها بالثمن الذي تباع به، فأن لم يعلم ثمنه ، فتسعيره يوم احتكاره[131] .

من هذا المنطلق منع الخليفة المقتدر بالله الاحتكار . واجبر المحتكرين على فتح دكاكينهم وبيع ما فيها من سلع[132] . كما ان الحكومة قد صادرت عشرين كرا دقيقا من المحتكرين سنة ٣٣١هـ ـ ٩٤٢م[133] .

الصغير ، ص ١١١ . مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٥ ، ص ٥٦ . ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ١٤ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢، ص ٦٤ . ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل ، ص ١٠٩ ، ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٣٥ ـ أ . الاصبهاني ، محاضرات ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٩ .

(١٢٨) رسالة الحسبة ، ص ١٤ . انظر : ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٣٥ ـ أ . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٨ .

(١٢٩) ثلاث رسائل في الحسبة ، ص ١٠٩ . انظر : ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٩ .

(١٣٠) الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٨ ـ ب . انظر : ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٨ .

(١٣١) ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل ، ص ١٠٩ .

(١٣٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ و ١٦٦ .

(١٣٣) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٤٣ .

موقف السلطة من زيادة الاسعار :

ان النظام الاقتصادي في الدولة العباسية قائم على اساس انه يترك لكل انسان حرية تدبير امور معاشه ، وأن يقدر حاجاته ويسعى لاشباعها بوسائله الخاصة التي يجب ان لاتتعارض مع الشرع والعرف ، وقد تتدخل الحكومة ، ويتدرج تدخلها ، شدة او ضعفا ، حسبما تمليه عليها حاجات المجتمع أو مقتضيات النظام الاقتصادي .

ويبدو ان الدولة العباسية لم تضع على السلع تسعيرة رسمية مباشرة ولعلها متأثرة فيما يروى عن الرسول (ص) من احاديث تشير الى انه رفض تسعيرة اجبارية للمواد الغذائية الضرورية في فترة هدد الغلاء المدينة المنورة [١٣٤] . وأورد (ابو يوسف) عن ابي حمزة اليماني ، عن سالم بن ابي الجعد قال : « قال الناس لرسول الله (ص) ان السعر غلا فسعر لنا سعراء فقال : ان السعر غلاؤه ورخصه بيد الله ، واني اريد ان القى الله وليس لاحد عندي مظلمة يطلبني بها » [١٣٥] . واضاف (ابن تيمية) أن الناس قالوا : « يا رسول الله لو سعرت . فقال : ان هو القابض الباسط الرازق المسعر ، وأني لارجو ان ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها اياه في دم ولا مال » [١٣٦] .

غير ان بعض الخلفاء العباسيين لم يلتزم بتلك الاحاديث فسعروا على الناس مقتدين بالخليفة عمر بن الخطاب الذي سعر على بائع زبيب في سوق

---

(١٣٤) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٢٨ . ابن الرفعة الرتبة في الحسبة ، ورقة ٣٤ ــ ب . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ . ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ١٥ .

(١٣٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٢٨ .

(١٣٦) ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ١٥ و ٢٩ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٣٤ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

المدينة وبناء على ذلك أجاز مالك التسعير[137] • وأباح اصحاب (ابي حنيفة) للسلطان ان يسعر على الناس دفعا للضرر الذي قد يلحق بالعامة [138] •

وأرخص في التسعير ابن المسيب ، وقال يحيى بن سعيد : « لا بأس بتسعير السوق اذا كان الامام عدلا ، وكان ذلك نظرا وصلاحا للمسلمين»[139] فيكون التسعير بقيمة المثل عند الضرورة اليه • ومن هنا يتبين ان السعر فيه ما هو ظلم لا يجوز ، ومنه ما هو عدل جائز ، ولهذا فان اكراه التجار على بيع ما عندهم من مواد الطعام بسعر المثل جائز ، بل واجب [140] • وان قضية امتناع الرسول (ص) عن التسعير ليست لفظا عاما ، وليس فيها ان أحدا امتنع عن بيع يجب عليه ، وطلب أكثر من عوض المثل [141] •

وروي أن لصاحب السوق ، أن يسعرّ على الجزارين اللحم ، والا أخرجوا من السوق ، لان في ذلك مصلحة الناس بالمنع من غلاء السعر عليهم • وقال بعض الفقهاء لا يجبر الناس على البيع وانما يمنعون من البيع بغير السعر الذي يحدده ولي الامر على حسب ما يرى من المصلحة فيه للبائع والمشتري [142] •

ويعتبر « ابن تيمية » [143] ان المسؤول اذا سعر على أهل السوق من غير رضاهم ، أدى ذلك الى فساد الاسعار واخفاء الاقوات واتلاف أموال الناس •

---

(١٣٧) ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، صص ٢٥ — ٢٦ • ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل ، ص ١٠٩ • ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٣٤ — ب •

(١٣٨) ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ٣٤ •

(١٣٩) ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل ، ص ٨٨ •

(١٤٠) ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ١٤ و ٢٥ •

(١٤١) نفس المصدر ، ص ٢٩ و ٣٤ — ٣٥ •

(١٤٢) نفس المصدر ، ص ٢٨ •

(١٤٣) رسالة الحسبة ، ص ٢٩ •

وعالج بعض الخلفاء ظاهرة ارتفاع الاسعار بان تصدقوا من اموالهم تفاديا لحدوث مثل تلك الازمات[١٤٤] . الا ان عملهم ذلك لا يتفق والعرف الاقتصادي الحديث ، ذلك ان عملهم هذا ما هو الا اصلاح سطحي لا يمس جذور المشكلة من اساسها ، لذا تبقى مستعصية ، وربما عصفت بأعلى من هم في قمة السلطة .

وكان باستطاعة الحكومة ان تضع حدا لتلاعب التجار وغيرهم باسعار السلع في أسواق بغداد ، فمثلا أخذها بنظام المقاسمة في جباية الخراج [١٤٥]، جعلها تمتلك كميات كبيرة مما تنتجه الارض من غلال زراعية . وفي هذه الحالة تعمل على طرح هذه الكميات في اسواق العاصمة باسعار معتدلة تجعل ذوي الدخل المحدود قادرين على شراء ما يحتاجون اليه من تلك المواد الضرورية لمعيشتهم .

غير ان انخفاض الاسعار في غير صالح من هم في قمة المسؤولية ، لان قسما منهم يمتلك ضياعا ومستغلات تدر عليهم موارد كبيرة في حالة ارتفاع الاسعار [١٤٦] . وقسم آخر ضامن للانتاج الزراعي السنوي [١٤٧] . وفي

---

(١٤٤) الابشيهي ، المستطرف ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(١٤٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٦٠ . ابن رجب ، الاستخراج ، لاحكام الخراج ، ورقة ١٠ ـ ب .

(١٤٦) التنوخي ، نشوار ، ج ٨ ، ص ٦٣ . الصابي ، الوزراء ، ص ٥٣ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١١٧ و ١٥٩ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٤٢ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ٢/قسم ٢ . ورقة ١٣٣ ـ أ . ياقوت ، ارشاد الاريب ، ج ٥ ص‌ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ . Sourdel, op. cit, P. 396.

(١٤٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٨٤ . عريب ، الصلة ، ص‌ص ٥٨ ـ ٥٩ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج١ ، ص‌ص ٤٤ـ٤٥ و٤٦ و٥٧ و٧٥ و٨٣ و ٨٦ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٨ و ٢٩ . التنوخي ، نشوار ، ج ٨ ، ص‌ص ٦٢ ـ ٦٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٣٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٥٥ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٨٥ و ٢٠١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣١ . العيون والحدائق ، ج ٤ ، قسم ١ ، ورقة ٦٤ ب و ١٢٣ ـ أ .

هذه الحال يكون همهم الاساس جني اكبر قدر ممكن من الارباح ، وهذا لا يتم الا اذا ازدادت اسعار الغلال الزراعية التي ضمنوها بسبلغ معين .

لقد اتخذت الدولة العباسية اجراءات من شأنها الحد من ارتفاع اسعار السلع ، متوخية كسب ثقة الناس وشعورهم بعدل الحكومة . فأزاء ارتفاع الاسعار سنة ٣٠٧هـ - ٩١٩م . واشتداد شغب العامة ، اجبرت السلطة على التدخل ، فأمر الخليفة « بفتح الدكاكين والبيوتات التي لحامد [١٤٨] وللسيدة [١٤٩] والامراء وأولاد الخليفة والوجوه من أهل الدولة . وبيعت الحنطة بنقصان خمسة دنانير في الكر ، وبيع الشعير بحسب ذلك ، وبمطالبة التجار والباعة ان يبيعوا بمثل هذا السعر » [١٥٠] . وأوعز الخليفة لقائد الجيش ومعه ابراهيم بن بطحا المحتسب بان يتابعا تنفيذ الأوامر التي سعرت « الكر المعدل بخمسين دينارا ، وتقدم على الدقاقين بذلك » [١٥١] .

وبهذا تكون الطبقة العامة قد نجحت في مسعاها ، وتمكنت من ان تفرض رأيها وتكسر احتكار المحتكرين [١٥٢] . كما اضطر الخليفة الى اصدار أمر يقضي بمنع اعطاء الضمان لرجال السياسة وضباط الجيش ، لانهم اقدر من غيرهم على اتباع سياسة القوة والتعسف والظلم [١٥٣] .

---

(١٤٨) هو الوزير حامد بن العباس .

(١٤٩) هي أم الخليفة المقتدر .

(١٥٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٧٤ - ٧٥ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٢١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/ قسم ٤ ، ص ٧٧٩ .

(١٥١) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ .

(١٥٢) عريب ، الصلة ، ص ٨٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٥ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٢١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ و ١٦٦ .

(١٥٣) عريب ، الصلة ، ص ١٧٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ .

ويبدو ان التدابير التي اتخذتها الدولة عام ٣٠٧هـ ـ ٩١٩م ، لم تؤثر كثيرا في تحديد الاسعار ، ذلك لان مفعولها كان قصيرا ، لوجود عدد كبير من رجال الحاشية ممن كان لا يطمئن لمثل ذلك الاجراء لانه مضر بمصالحهم الشخصية هذا اضافة الى ان ازمات الغلاء تلك لم تكن تمس هؤلاء الناس ولا تؤثر على قوتهم مباشرة ، ولذا لا يشعرون بثقلها ، وعندئذ تبقى الطبقة الفقيرة من الناس ، وحدها المتضررة من ازمات الغلاء (١٥٤) .

ان وجهة نظر الحاجب نصر القشوري كانت تدعو الحكومة الى اتباع ما يسمى في علم الاقتصاد ، باسلوب التلقائية الاقتصادية ، او الاقتصاد الحر الذي يعمل ـ على حد زعم الحاجب ـ على استقرار الاسعار بالشكل الذي يتفق ومصلحة الدولة ، وهو والحالة هذه ، تناسى مصلحة الفئة الفقيرة التي كان يؤثر عليها أي ارتفاع يطرأ على اسعار المواد الغذائية .

ومن المؤكد ، ان اسلوب التلقائية الاقتصادية لا يصلح ان يكون العلاج الامثل والمناسب في كل الحالات ، وبخاصة في وقت يعاني فيه اقتصاد الدولة من عجز شديد ، كما يعاني السوق نفسه من شحة بعض المواد الاساسية لحاجة وحياة السكان . وكان على الحاجب ان يرشد الحكومة الى اتخاذ الاجراءات الضرورية الجذرية التي تحد من هذه الازمة . وان تطبق خطة للاصلاح الاداري ، وان تنشط اجهزة الدولة المعنية لمتابعة وتطبيق التسعيرة الرسمية ، فأنها تحقق للطبقة الفقيرة الحصول على احتياجاتها من السلع الاساسية التي تسد بها رمقها .

غير ان المكانة العالية التي كان يحتلها نصر القشوري ، هي التي أقنعت الخليفة بأن يصدر أوامره بالغاء الاجراءات التي سبق ان اتخذها ولاقت قبولا

---

(١٥٤) عريب ، الصلة ، ص ٥٨ و ٨٢ . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٦٦ ـ ١٦٧ .

وترحيبا قويا من عامة الناس [155] • وهذا معناه ان الاجراءات التي تتخذها الحكومة كانت مرهونة بوجهة نظر ومصلحة فئة صغيرة منتفعة [156] •

وأزاء ارتفاع الاسعار ، وحصول الشغب بأسواق بغداد مرة أخرى ، اضطر الوزير سنة ٣٢٤هـ ــ ٩٣٥م ان يسعر المكوك من الدقيق بثلاثة دراهم [157] وفي سنة ٣٢٨هـ ــ ٩٣٩م ، اشتد الوزير ابو جعفر بن شيرزاد في معاملة التجار وطالبهم بالتسعير [158] •

وليس لدينا ما يشير الى تدخل الدولة في الصناعات والحرف ، أو فرض اسعار معينة لهم ، او تحديد لانتاجهم • ويظهر ان افراد الصنعة الواحدة كانوا يتفاهمون على الاسعار حماية لانفسهم من المنافسة • ولم تتدخل الحكومة في الاسعار ، الا فيما يخص اسعار المواد الغذائية ، من حنطة ودقيق وشعير ، وبخاصة عند وقوع غلاء أو مجاعة [159] •

والحق ان ارتفاع الاسعار ، وحصول الاحتكار باسواق بغداد ، لم تكن السمة الوحيدة التي ميزت الحقبة التي نحن بصدد دراستها بل من الانصاف ان نذكر ان فترات عديدة من الرخاء الاقتصادي تخللت تلك الحقبة ولمس السكان منافعها •

فلقد نذر الخلفاء العباسيون الأوائل انفسهم للقضاء على المساوىء الاقتصادية التي تجمعت منذ أواخر العصر الاموي [160] ، وبهذا رخصت الاسعار منذ ان اتخذ العباسيون بغداد عاصمة لهم • بحيث بيع الكبش في

---

(١٥٥) عريب ، الصلة ، ص ٨٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ •

(١٥٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٧ •

(١٥٧) الصولي ، الاوراق ، ص ٧١ •

(١٥٨) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٤١٠ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٣٨ •

(١٥٩) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص ٩٢ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٧٤ ــ ٧٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ •

(١٦٠) حسن احمد محمود ، العالم الاسلامي ، ص‌ص ١٨٦ ــ ١٨٧ •

عهد المنصور بدرهم ، والحمل باربعة دوانق . والتمر ستون رطلا بدرهم . والزبيب سنة عشر رطلا بدرهم ، والسمن ثمانية ارطال بدرهم ، وكان البناء يتقاضى اجرة يومية تتراوح بين قيراط وخمس حبات(١٦١) . وكان ينادى على اللحم تسعين رطلا بدرهم ، ولحم الغنم ستين رطلا بدرهم (١٦٢) .

وليس من شك ، في أن الطمأنينة والاستقرار اللذين شهدهما الناس في غالبية عصر الرشيد ، قد أديا الى زيادة الانتاج ، وكثرة الخراج ، ورخص الاسعار (١٦٣) وكذلك الحال في عهد المعتضد بالله حيث كثرت الاموال وسكنت الفتن ، وصلحت البلدان ، ورخصت الاسعار (١٦٤) ، حتى كان يكفي عيشة العائلة عشرة دنانير في الشهر (١٦٥) .

وتكررت فترات الرخاء الاقتصادي في سنة ٢٩٩هـ - ٩١١م حيث كثرت الامطار ببغداد وزاد الانتاج ، ورخصت الاسعار (١٦٦) ، وفي سنة ٣١٣هـ - ٩٢٣م رخصت الاسعار اذ بيع كل ثمانية أرطال من التمر بحبة(١٦٧) ، وهكذا تلمس أن فترات من الرخاء الاقتصادي مرت باسواق بغداد .

---

(١٦١) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٠ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ . الالوسي ، اخبار بغداد ، ورقة ٤٣ .

(١٦٢) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٠ . ياقوت ، البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(١٦٣) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٣٨ . ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢١٣ .

(١٦٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٦٧ . الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ١٨٨ - ١٨٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٢٤ و ١٢٨ .

(١٦٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٥٠ .

(١٦٦) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٤٨ ، العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ ورقة ٧٥ - ب .

(١٦٧) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٤٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ . ص ١٩٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ٢٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ص ١٥٢ .

الفصل الثالث

الرقابة على الأسواق

تأتي أهمية رقابة الدولة على أسواق بغداد من عـدة جوانب ، فهي تعكس جملة قضايا اقتصادية ، واجتماعية ، ومالية ، ودينية ، ذات صلة بحياة المجتمع في عاصمة الخلافة العباسية خلال الحقبة التي ندرسها .

وكان القرآن الكريم ، قد أكد على ضرورة ضبط الموازين والمكاييل ، وعلى الامانة في الكيل والوزن ، حفظا لمصالح المشترين من عامة النـاس . قـال تعالى : « ويل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظن اولئك أنهم مبعوثون »[1] . وقال في سورة آل عمران : « ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم »[2] . وقال : « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ، ومنهم من ان تأمنـه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما »[3] . وقال « والسماء رفعها ووضع الميزان ، الا تطغوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان »[4] وقال : « وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين »[5] .

ومادامت الآيات القرآنية أكدت ذلك ، فقد انبـرى العلماء والفقهاء لوضع أدق الشروط التي تفى بتلك المتطلبات[6] .

---

(١) سورة المطففين ، آية : ١ — ٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٢١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٧٥ .

(٤) سورة الرحمن ، آية : ٧ — ١٠ .

(٥) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ١٠ ـ أ . سورة الشعراء ، آية : ١٨١ .

(٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص‌ص ١٤٦ — ١٤٧ — ٢٢٧ — ٢٢٩ و ٢٣٩ — ٢٤٣ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص‌ص ٢١٥ — ٢١٦ و ٢٨٥ — ٢٨٦ و ٢٨٨ — ٢٩٠ و ٢٩٧ و ٣٠١ — ٣٠٢ و ٣٠٩ — ٣١٠ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ١٢ — ١٣ و ١٥ — ١٦ و ٢٣ — ٢٥ و ٢٧ — ٢٩ . و ٣٣ — ٤٠ .

وكان أئمة الصدر الاول يباشرون بانفسهم مراقبة الاسواق ، لعموم صلاحها ، وجزيل ثوابها[٧] . فقد روي ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) مارس بنفسه الرقابة على الاسواق[٨] ، وشوهد وهو يضرب جمالا ويقول له : « حملت جملك ما لا يطيق »[٩] . وبعمله هذا قد وضع القواعد الاساسية لما ينبغي ان تكون عليه رقابة الدولة على الاسواق . كما ان علي بن ابي طالب (رض) قد راقب الاسواق وحث التجار على الا يظلموا الناس[١٠] .

ووردت نصوص تشير الى أن مهدي بن عبدالرحمن كان محتسبا في واسط ، وخلفه في هذه الوظيفة اياس بن معاوية .[١١] ثم صار يتردد ذكر الحسبة كثيرا فيما بعد واكتسبت اهمية كبيرة في العصر العباسي .

وعلى الرغم من أن قواعد الشرع واضحة ومعروفة لدى غالبية أهل السوق ، لكن حب المال ، ونشاط الحركة التجارية باسواق بغداد ، لعبا دورا سيئا في سلوك أهل السوق[١٢] . فكان لزاما ان تنظم تلك الاسواق بانظمة وقوانين ضابطة ، ولم يترك التعامل بها وفق هوى النفس ومصالح التجار ، وأهل السوق . بل كانت تنظم تحت رقابة الدولة ، وأشرف عليها موظف مختص هو المحتسب ، يختار وفق مواصفات معينة .

ويبدو أن الدولة العباسية كانت تشدد رقابتها على أسواق بغداد منذ البداية ، وتتابع سير التعامل التجارى فيها . فقد كان للخليفة المنصور موظفون يزودونه بكل ما يجرى في أسواق العاصمة .[١٣] وكان الخليفة

---

(٧) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٥ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٥٥ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤ – أ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٧ .

(٨) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

(٩) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

(١٠) وكيع ، اخبار القضاة ، ج ٢ ، ص ١٩٦ .

(١١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٥٣ .

(١٢) الجاحظ ، البخلاء ، ص‌ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(١٣) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٩٦ .

يختار لهذه المهمة من اتصف بالورع والتقوى والعلم والمعرفة(١٤) . وعلى ان يكون رجلا مسلما بالغا قادرا(١٥) ، حرا عدلا ذا رأى وصرامة ، وعلم بالمنكرات الظاهرة(١٦) ، عفيفاً ورعا ، عالما ، نبيلا عارفا بالامور ، محنكا فطنا ، لا يميل ولا يرتشي (١٧) وأن لا يكون قوله مخالفا لفعله ، ومواظبا على سنة رسول الله (ص) ، ومن شيمته الرفق ولين القول .(١٨)

ويجب على المحتسب معرفة وحدات الوزن والكيل ، والاذرع المستعملة في الاسواق ، ويتحقق من صحتها (١٩) . واذا استراب بموازين السوقة ومكاييلهم يجوز له ان يختبرها ويعايرها(٢٠) . وله أن يأمر أصحاب الموازين بمسحها وتنظيفها من الادهان والاوساخ في كل ساعة(٢١) .

وهنا نجد ، أن الاهمية القصوى للاوزان والمكاييل والذرع ، جعلت الدولة تدع أمرها الى مسؤول ذي تقوى وورع ، ومعرفة باحوال السوق

---

(١٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٧٤ . و جـ ٦ ، ص ٢٨٣ . ابن خلدون ، المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٧٤٦ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٧ .

(١٥) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤ ـ أ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، ص ٧ .

(١٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢٨ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٦ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٧ .

(١٧) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤ ـ أ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص٢٨٨ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص٧ .

(١٨) الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٨ ـ أ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، صص ٧ ـ ٨ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٧ ـ أ . ابن الاخوة ، معالم القرية ، صص ١٢ ـ ١٣ .

(١٩) الماوردي الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٤٧ ـ أ و ٤٩ ـ أ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٣ ـ ب . ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ١٠ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٥ . المقريزي ، شذور العقود ، صص ١١٧ ـ ١١٨ .

(٢٠) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٠ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٥ ـ ب .

(٢١) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٨ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٥ـب . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٨٠و٨٣ ـ ٨٤ .

والبيع والشراء فضلا عن تضلعه في الاحكام الشرعية ، وهو المحتسب[٢٢] .

الا أن هذه القاعدة استثنيت حين « أعرض عن الحسبة السلطان ، وندب اليها من هان ، وصارت عرضة للتكسب وقبول الرشاوى ، وعندئذ لآن أمرها ، وهان على الناس نظرها ، واذا وقع الاخلال بقاعدة سقط حكمها »[٢٣] فيروى الصابى أن أحد معارف الوزير علي بن الفرات التمسه ليجد له عملا لينتفع بعائده ، فاجابه الوزير بقوله : « والحسبة فلا تصلح لك »[٢٤] لانه صار البعض يتولاها عن طريق الدجل والشعوذة[٢٥] وبذا اقترح الوزير أن تعقد عليه الغلال في عدة طساسيج يختارها من السواد ، ولعل علي بن الفرات أراد باقتراحه هذا أن يجلب لصاحبه فائدة مادية أكبر[٢٦] .

وكانت وظيفة المحتسب قد تبلورت بشكل واضح منذ زمن الخليفة المهدى ، حينما انتظمت أحوال المدن الاسلامية ، وما ترتب على ذلك من توسع الاسواق وتخصصها ، وازدهار التجارة ، وظهور النقود الزائفة . عندئذ برز صاحب الحسبة وصار يتقاضى راتبا معينا من بيت المال[٢٧] . وصرنا نعثر على نصوص فيما بعد ، تبين مقدار عناية المحتسب ومعاونيه بمراقبة أهل السوق مراقبة دقيقة ، ومد يد العون لكل من يطلبها من عامة الناس[٢٨] .

---

(٢٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢٨ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٦ و ١٨ .

(٢٣) الجرسيفي ، ثلاث رسائل ، ص ١١٩ .

(٢٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٥٩ .

(٢٥) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢١٧ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص‌ص ٦٤ — ٦٥ . ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٢٠٣ .

(٢٦) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٥٩ .

(٢٧) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٦ ـ أ . ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل ، ص ٢٠ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .

(٢٨) الصابي ، الوزراء ، ص ١٥٨ و ٢٤٥ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٧٤ ـ ٧٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٣ .

وكانت رقابة الدولة على الاسواق تأخذ أشكالا متعددة • فكان الخليفة هرون الرشيد لا يكتفى بما يعهد به الى المحتسب والموظفين التابعين له ، بل يراقب اسواق بغداد بنفسه ليطمئن على ان الامور تسير وفق المصلحة العامة • وفي مثل تلك الحالات كان الخليفة الرشيد يتزايا بزى التجار ليتفقد أحوال أسواق العاصمة[٢٩] كما أكد على محتسب بغداد بضرورة مراقبة الاسواق والاشراف على الموازين والمكاييل ، ومراعاة أثمان الحاجيات ، منعا للغش ، أو ابتزاز أموال الناس[٣٠] • وكانت الحكومة تضع على الاسواق حراسا في الليل منعا للسرقات[٣١] •

وكان الخليفة المعتضد بالله قد أطلق يد محتسب بغداد وقال له : « اذهب فقد أطلقت يدك ، غير ما أحببت ان تغيره من المنكر »[٣٢] ، الا أن الخليفة لمس ان المحتسب وأعوانه لا يؤدون واجباتهم بصورة مرضية ، فأنبهم لتقاعسهم هذا[٣٣] • وكان المعتضد بالله يهتم كثيرا بمراقبة الاسواق ويستمع للشكايات التي تصله عنها ، ويبت فيها بنفسه[٣٤] • وقد لامه القاضي أبو علي الحسن بن اسماعيل لانه استمع الى شكاية أحد بائعي القطن الذي ابتاع قطنا من رجل كان ميزانه ووزنه طفيفين فقال في السوق : « ليس للمسلمين من ينظر في أمورهم »[٣٥] ، وكان يعنى تقاعس المحتسب •

---

(٢٩) الاتليدي ، اعلام الناس ، ص ٦٧ . سيد أمير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص٣٦١ . الصدفي ، تاريخ دول الاسلام ، ج ١ ، ص٩٢ . شفوات ، تاريخ الخلفاء ، ص ٥٧ .

(٣٠) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ص‌ص ٢٧٧ . و ج ٣ ، ص ٣١٧ . والنظم الاسلامية ، ص‌ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ . المدورة ، حضارة الاسلام ، ص ١٥١ .

(٣١) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ .

(٣٢) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ١١ ـ أ .

(٣٣) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٥٨ . (طبعة مصر) .

(٣٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص‌ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٣٥) نفس المصدر ، ص ١٢٩ .

ويبدو أن المعتضد بالله كان مدركا العواقب الوخيمة التي تجرها عليه مثل تلك الانتقادات التي سرعان ما تتداولها الالسن بالتقريع والتجريح ، ولذلك قال الخليفة : « لم يؤمن أن يولد لهم في نفوسهم امتعاضا للدين او السياسة ، ويخرجون منه الى اثارة الفتن وافساد النظام »(٣٦) .

ويبدو أن أهل السوق كانوا يستغلون ضعف الحكومة وعدم هيمنتها على الامور ، وانشغالها باحداث تتهدد وجودها . فيسيطرون على السوق . وكان السكان ينصاعون لتلك التجاوزات مضطرين بحكم حاجتهم الماسة الى السلع المباعة . الا أن الحكومة بمجرد ان تستعيد هيمنتها وسيطرتها على الامور ، كانت تشدد قبضتها على الاسواق ، وتكبح جماح أهل السوق وتحد من جشعهم(٣٧) .

ولاجل أن تشدد الدولة قبضتها على الاسواق ،اصطحب القائد هرون ابن غريب معه محتسب بغداد ابراهيم بن محمد بن بطحا ليشرفا معا على التسعيرة التي وضعتها الدولة على المواد الغذائية في أسواق بغداد(٣٨) .

ويبدو أن منصب الحسبة كان مهما لدرجة ان صاحب الشرطة ببغداد محمد بن ياقوت ، سعى للحصول على هذا المنصب . وفعلا قلده اياه الخليفة المقتدر بالله في بداية عام ٣١٩هـ/٩٣١م . غير أن غريمه قائد الجيش مؤنس المظفر القابض الحقيقي على ناصية الامور ، اعترض على اسناد منصب الحسبة الى محمد بن ياقوت ، وسأل المقتدر صرفه عنها وتقليدها الى ابراهيم بن محمد بن بطحا(٣٩) على أساس « ان الحسبة لا يتولاها الا القضاة والعدول »(٤٠) .

---

(٣٦) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٣٠ .

(٣٧) ابن طيفور ، بغداد ، ص ١٩ .

(٣٨) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٣٩) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢١١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٣ .

(٤٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٦ .

وكانت الدولة تعير اهتماما كبيرا لمؤسسة الحسبة ، باعتبارها تمثل واجهة من واجهات الحكومة التي هي على اتصال مباشر بالناس . وموظفوها مسؤولون عن قرار الحق، ومكافحة الجشع والتطفيف والتدليس . لذا أعدت الحكومة لهذه المؤسسة جهازا ضخما بلغت نفقاته اربعمائة وثلاثين الفا وأربعمائة وتسعة وثلاثين دينار[٤١] . وان متولى الحسبة صار يتقاضى مائتي دينار شهريا[٤٢] .

وتتضح شدة رقابة الدولة على الاسواق من ان الوزير علي بن عيسى كان يحث المحتسب على أن يكون ملازما للاسواق ، ويكشف الدكاكين ، ويتفقد الموازين والارطال والمكاييل[٤٣] .

ولم تكتف الحكومة بمراقبة الاسواق وملاحظة المكاييل والموازين ، انما كانت تتجاوز ذلك بحيث تحظر على أهل السوق التعامل ببعض المواد التي قد لايروق للسلطة تداولها بين الناس . وهي تبرر عملها هذا بانه يستند ، اما الى محذورات دينية ، كما حدث عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م ، اذ منع الخليفة المعتضد بالله الوراقين ان يبيعوا كتب الفلاسفة والجدول[٤٤] . كما حدث ان منعت الحكومة سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م الوراقين في أسواق بغداد من بيع وشراء كتب الحلاج[٤٥] . وأما لضرورات سياسية ، كما حدث عام ٣١٩هـ/٩٣١م عندما

---

(٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٧٠ . « في حين كانت الدولة تجرى على القضاة في الاقاليم ٥٦٥٦٩ دينارا وعلى اصحاب البريد ٧٩٤٠٠ دينارا – علما ان مهمة اصحاب البريد خطيرة وتتعلق بأمن الدولة واستقرارها » . انظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٧٠ .

(٤٢) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢١٧ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص‌ص ٦٤ – ٦٥ . ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ٢٠٣ .

(٤٣) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ١١٥ – ب . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٢١٩ .

(٤٤) السيوطي ، الخلفاء ، ص‌ص ١٤٨ – ١٤٩ .

(٤٥) عريب ، الصلة ، ص ٩٦ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ . ص ٨٢ .

منع أهل سوق السلاح من أن يبيعوا السلاح لانصار قائد الجيش مؤنس المظفر ابان اشتداد الازمة بين الخليفة المقتدر بالله وبين قائد جيشه[٤٦] . كما كانت الدولة تمنع البيع والشراء في الاسواق يوم الجمعة بعد النداء[٤٧] .

ولم تقتصر رقابة الدولة على المقاييس والاوزان ، بل امتدت الى مراقبة المعاملات المالية المتداولة في الاسواق ، ذلك ان أمير الجيش كان قد أحضر الصيارفة وحذرهم من مغبة التمادي في أخذ الربا الفاحش ، ولم يتركهم ينصرفون من مقامه ، الا بعد أن تأكد أنهم خففوا من غلوائهم في هذا الاتجاه[٤٨] .

تطور وظيفة المحتسب :

وبمرور الزمن تبلورت وظيفة المشرف على الاسواق تدريجيا ، حتى صار يدعى المحتسب ، ووظيفته سميت « الحسبة »[٤٩] ، وهي لم تكن منصبا قضائيا بالمعنى الدقيق لنظر المظالم أو القضاء العادى ، وانما منصب ديني خلقي أساسه « الأمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله »[٥٠] حيث ورد في القرآن الكريم : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[٥١] . وقال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله . ولو آمن أهل

---

(٤٦) عريب ، الصلة ، ص ١٥٩ .
(٤٧) ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل ، ص ٧٦ .
(٤٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٣١ .
(٤٩) الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٣٠٤ . ابن خلدون ، المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٧٤٦ .
(٥٠) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢٧ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤ ـ أ . السنامي ، نصاب الاحتساب ، ورقة ٢ ـ أ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٧ . ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ٦ و ٩ .
(٥١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٤ . انظر : الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢٧ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ .

الكتاب لكان خيرا لهم ، منهم المؤمنون ، واكثرهم الفاسقون »[٥٢] . وورد كذلك قوله تعالى : « يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات وأولئك هم الصالحون »[٥٣] .

ويعتبر « ابن تيمية »[٥٤] أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم قادر . وهو فرض على الكفاية ، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره . والقدرة هي السلطة ، لان عليها من الوجوب ما ليس على غيرها .

ولأجل أن تضمن السلطة تطبيق هذا الغرض ، كانت تعهد بوظيفة الحسبة الى اناس أقوياء في من سراة القوم . ففي سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م « ولى هرون بن ابراهيم الهاشمي الحسبة ، فأمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس ، فتعاملوا بها على كره »[٥٥] .

ويحث مؤلف كتاب « آثار الأول »[٥٦] الحاكم ان يولي الحسبة لمن يثق بدينه وأمانته ، فينظر في أمر الموازين والمكاييل ، ويضبط أمور الرعية من الباعة وأصناف السوقة ، ولا يمكنهم من ظلم أحد ، ويعاقب من أطلع له على غش ، وينظر في تنظيف الطرق والاسواق من الاوساخ ، واصلاح القناطر ، وفتح المسالك ، وحفظ ظواهرها ، وضواحيها ، وأمن سالكها من انقطاع والسراق .

وصار منصب المحتسب في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) من المناصب الهامة في الدولة العباسية . وكان محتسب بغداد في جملة أصحاب

---

(٥٢) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .
(٥٣) سورة آل عمران ، آية ١١٤ .
(٥٤) رسالة الحسبة ، ص ٦٠ . أنظر : الغزالي . احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ و ٢٩٥ — ٢٩٦ .
(٥٥) السيوطي ، الخلفاء ، ص ١٤٧ .
(٥٦) ابن قلال العسكري ، آثار الأول ، ص‌ص ١٨٩ — ١٩٠ .

المخاطبات المعروفة للكتاب[٥٧] وتعدت اختصاصاته حتى أصبحت تشمل الاشراف على سوق الرقيق ودار الضرب ، واثبات اسم الخليفة على ما يضرب ذهبا وفضة[٥٨] . وفي سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م استفتى الخليفة القاهر بالله محتسب بغداد أبا سعيد الاصطخرى في أمر الصائبة[٥٩] .

ورأى المحتسب أن من واجبه مراقبة موظفي الدولة المتقاعسين عن أداء عملهم ، اذ كان والى الحسبة ببغداد (ابراهيم بن محمد بن علي بن بطحا) قد مر بدار قاضي القضاة ، فرأى الخصوم جلوسا على بابه ينتظرون جلوسه للنظر بينهم ، وقد تعالى النهار ، فاستدعى حاجبه وأمره ان يخبر قاضي القضاة بان الخصوم ينتظرونه وعليه ان يخرج لينظر في أمرهم[٦٠] .

ومنذ أن استقرت وظيفة المحتسب ، تضمنت بعض الكتب فصولا تتعلق بالحسبة ووظيفتها ، ثم جرى تصنيف كتب اخرى مستقلة الغرض منها مساعدة المحتسب في تأدية واجباته ومراقبة الاسواق[٦١] .

وتعدت الحسبة المعنى الدينى والخلقى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الى واجبات عملية مادية تتفق مع مصالح عامة المسلمين[٦٢] وبذا اعتبرت أشبه بخدمة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن ، وتركزت مهماتها في

---

(٥٧) الصابي ، الوزراء ، ص ١٥٨ .

(٥٨) الدوري ، « نشوء الاصناف والحرف في الاسلام » ، مجلة كلية الآداب ، العدد الاول ، لسنة ١٩٥٩ ، ص ١٤٨ .

(٥٩) متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٦٠) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٦١) منها : الاحكام السلطانية للماوردي . والرتبة في طلب الحسبة أيضا واحياء علوم الدين للغزالي . ونهاية الرتبة للشيزري . والرتبة في الحسبة ، لابن الرفعة . والحسبة في الاسلام ، لابن تيمية . ومعالم القربة ، لابن الأخوة . ونهاية الرتبة لابن بسام . وآداب الحسبة للسقطي . وثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة وغيرها .

(٦٢) ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ١٠ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، جـ ٤ ، ص ٣٧ .

الاسواق خاصة[٦٣] • وصار ولاة الحسبة يقومون بتفقد أحوال أهل السوق وحرفهم ومتاجرهم ، ومجتمع أسواقهم ومعاملاتهم • فيعيرون موازينهم ومكاييلهم ليتأكدوا من صحتها[٦٤] • ومن هنا تبين ان رقابة الدولة على الأسواق استهدفت ، منع الغش في الصناعة والانتاج ، ومنع الحيلة والتدليس والبخس في الكيل والمعاملات والتأكد من صحة الموازين والمكاييل •

ومعنى ذلك كله أن الدولة نظرت الى أهل الاسواق نظرة فيها شك وريبة في أماناتهم • وبذلك احتفظ المحتسب بنموذج من عيار الوزن عنده حتى يمكنه أن يقارن به بقية العيارات فيما اذا كان فيها تطفيف[٦٥] •

وصار المحتسب مسؤولا عن تنظيم جلوس الباعة في أسواقهم ودكاكينهم بحيث جعل لاهل كل صنعة منهم سوقا يختص بهم[٦٦] ، وأبعد أصحاب الحرف الذين تتطلب صناعتهم الوقود والنار ، كالخبازين ، والحدادين ، والطباخين ، وما شاكلهم[٦٧] وأصبح من حقه أن يرى في العرف الجارى بين هل السوق أساسا يستطيع الرجوع اليه[٦٨] •

وبلغ من دقة القوانين التي سار عليها المحتسب انه كان يعمل على أن تكون الموازين على أصح اوضاعها ، مستوية الجوانب معتدلة الكفوف[٦٩] •

وليس لدينا ، ما يشير الى وجود اضطهاد مباشر لارباب الحرف ، او التدخل في أسعار منتجاتهم ، او تحديد لانتاجهم •

---

(٦٣) ابن خلدون ، المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٧٤٦ . عبدالمنعم ماجد (الدكتور) ، تاريخ الحضارة الاسلامية (القاهرة : ١٩٦٣) ، ص ٥٦ .

(٦٤) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٠ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ٨٣ — ٨٤ و ٢١٩ .

(٦٥) ابن عبدون ، ثلاث رسائل ، ص ٣٩ .

(٦٦) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١١ .

(٦٧) نفس المصدر والمكان .

(٦٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٣١ . وكيع اخبار القضاة ، جـ ٢ ، ص ٣٥١ و ٣٧٢ .

(٦٩) ابن بسام • نهاية الرتبة ، ص‌ص ٢٨ — ٢٩ .

وأكدت رقابة الدولة ، على أن تكون الاسواق في الارتفاع والاتساع بشكل مناسب ، وأن يكون على جانبي السوق ممرات يمشى عليها الناس[٧٠] ، ولا يجوز لاحد من أهل السوق اخراج مصطبة دكانه عن سمت أركان السقايف الى الممر لانه فيه عدوانا وتضييقا على المارة ، ويجب على المحتسب ازالته والمنع من فعله ، لما في ذلك من الضرر بالناس[٧١] .

ويلزم المحتسب الباعة أن يتخذوا الارطال والاواقي من الحديد ، وأن تختم بختم الدولة ، ويجدد النظر فيها بعد كل حين[٧٢] . وله منع اتخاذ العيارات من الحجارة ، لانها اذا قرع بعضها ببعض تنقص . لكن مثل هذا الشرط وضع له استثناء تدعو اليه الضرورة ، فكثيرا من فقراء الباعة لا يستطيعون اقتناء مثل تلك العيارات الحديدية ، لذلك جوز لهم المحتسب أن يقدموا عياراتهم الحجرية اليه ليعيرها بين حين وحين ويختم عليها[٧٣] .

وللدولة أو من ينوب عنها ، أن تتدخل في عملية البيع والشراء في الاسواق وبخاصة في المواد الاساسية التي تشكل قوت الشعب ، مثل الحنطة والشعير وبقية الحبوب . فباستطاعة ممثل السلطة أن يمنع بيع الحنطة الى تاجر محتكر ، لان في ذلك ضررا للمسلمين[٧٤] . وكانت الحكومة قد حرمت

---

(٧٠) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١١ . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٧ .

(٧١) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١١ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٢ ــ ب . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٧ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٧٨ . ابن خلدون ، المقدمة ، جـ ٢ ، ص ٧٤٦ . المقريزي ، شذور العقود ، ص ١١٨ .

(٧٢) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٩ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٦ ــ أ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٨٥ .

(٧٣) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٩ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٨٥ .

(٧٤) ابن عبدون ، ثلاث رسائل ، ص ٤٢ .

على بائعي الحبوب والدقاقين احتكار الغلة[٧٥] ، ولا يخلطوا رديء الحنطة بجيدها ، ولا عتيقها بجديدها ، فأنه تدليس على الناس[٧٦] .

وأجاز الماوردى[٧٧] للمحتسب أن يسعر على الناس الاقوات بينما لم يبيح الشيرزى[٧٨] للمحتسب تسعير البضائع على أربابها ، ولا يحق له أن يلزمهم بيعها بسعر معلوم .

وتلزم الدولة الخبازين برفع سقائف حوانيتهم ، وأن يفتحوا أبوابها ، ويجعلوا في سقوف الافران منافس واسعة يخرج منها الدخان[٧٩] . ويدون المحتسب في دفتره اسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم ، فان الحاجة تدعو الى معرفتهم ، وعليه أن يأمرهم بنظافة أوعية الماء والمعاجن[٨٠] .

أما البزازون فكان لابد لهم أن يكونوا عارفين باحكام البيع وعقود المعاملات وما يحل لهم منها ، وما يحرم عليهم ، ويتطلب المحتسب منهم صدق القول في عمليات البيع والشراء ، ويراعى حسن معاملتهم مع المشترين وجالبي البضائع[٨١] .

---

(٧٥) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٢١ . الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٥٣ ـ أ ،و ٥٤ ـ أ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ٨٩ ـ ٩٠ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٣٥ ـ أ و ٤٨ ـ ب . ابن عبدون ، ثلاث رسائل ، ص ٤٢ .

(٧٦) الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٥٤ ـ أ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

(٧٧) الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ . انظر : الجرسيفي ، ثلاث رسائل ، ص ١٢١ . ابن تيمية ، رسالة الحسبة ، ص ٢٨ .

(٧٨) نهاية الرتبة ، ص ١٢ .

(٧٩) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٢٢ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٨ ـ ب .

(٨٠) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ٢٢ ـ ٢٣ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٨ ـ ب . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

(٨١) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٦١ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٧٠ ـ أ و ب . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

وعلى المحتسب ان يمنع الجزارين من اخراج اللحم المذبوح خارج مصاطب حوانيتهم لئلا تلاصقها ثياب الناس ، ويأمرهم ان يفرقوا لحوم الماعز عن لحوم الضأن ، ولا يخلطوا بعضها ببعض[٨٢] . ويمنعهم من الذبح أمام دكاكينهم لان ذلك يلوث الطرق والاسواق بالدم[٨٣] ، ويأمر الرواسين بنظافة سمط الرؤوس والاكارع بالماء الشديد الحرارة ، ولا يخلطوا رؤوس الماعز برؤوس الضأن عند البيع[٨٤] ، ويحث الطباخين بتغطية أوانيهم وحفظها من الذباب والحشرات[٨٥] وينبغي على المحتسب مراقبة الشوائين[٨٦] ، وقلائي السمك[٨٧] ، وبائعي الهريسة[٨٨][٨٩] ، والحلوى[٩٠] ، والصيادلة الذين يكثر غشهم ويلحق بالناس منهم ضرر بليغ[٩١] . ويمنع المحتسب أحمال الحطب ، وأعدال التبن

---

(٨٢) الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٤٦ ـ أ و ٥٨ ـ أ و ٥٩ ـ أ. الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٢٨ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٥١ ـ ب و ٥٢ ـ أ و ٥٢ ـ ب . ابن عبدون ، ثلاث رسائل ، ص ٤٤ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٩٧ .

(٨٣) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٥٣ ـ ب .

(٨٤) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٣٢ .

(٨٥) ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٥٧ ب . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٣٤ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ١٠٦ ـ ١٠٨ .

(٨٦) الماوردي ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٥٤ ـ ب . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٣٠ . ابن الرفعة ، الرتبة الحسبة ورقة ٥٠ ـ أ ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٨٧) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٣٣ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٥٩ ـ ب ابن الاخوة ، القربة ، ص‌ص ١١٠ ـ ١١١ .

(٨٨) الهريسة : حساء خليط القمح واللحم .

(٨٩) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٣٦ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٥٨ ـ ب و ٥٩ ـ أ . ابن الاخوة معالم القربة ، ص‌ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٩٠) الماوردي ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٦٦ ـ أ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٤٠ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ١١٣ ـ ١١٤ .

(٩١) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ٤٢ ـ ٤٣ . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ٨٥ ـ ٨٦ .

والرماد ، وأحمال الحلفاء والشوك وما أشبه ذلك من الدخول في الاسواق ، لما في ذلك من الضرر بالناس[٩٢] .

وتركزت رقابة الدولة على ضرورة توفر الامانة في الصاغة[٩٣] والصباغين[٩٤] والحاكة والخياطين ، لاحتكاك الجمهور المباشر بهم .فللمحتسب أن يأمر الحاكة بجودة عملهم[٩٥] . ويلزم الخياطين بجودة التفصيل ، وحسن فتح الجيب ، واعتدال الكمين والاطراف ، وأستواء الذيل . ولا يمكن خياطا في دكان الا بعد أن يقيم له ضامنا لئلا يأخذ ثبات الناس ويترك المكان[٩٦] . ويمنع الاساكفة من حشو الخرق البالية داخل اجزاء الحذاء[٩٧] . وللمحتسب مراقبة الدلالين في الاسواق ، وله أن يقر منهم الامناء ويمنع الخونة[٩٨] .

ولا يسمح المحتسب للقطانين أن يخلطوا جديد القطن بقديمه[٩٩] .

---

(٩٢) الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٤٦ ــ ب . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٣ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٣ ــ أ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٧٩ . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٩ .

(٩٣) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ١٠٦ ــ ١٠٧ .

(٩٤) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٧٢ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٤١ .

(٩٥) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٢ ، والرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٧٨ ب . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٦٥ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٣٦ .

(٩٦) السنامي ، نصاب الاحتساب ، ورقة ٣ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٦٧ و ٧٢ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٤١ .

(٩٧) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٧٣ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٤٩ .

(٩٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤١ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٣٤ و ٦٤ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٥٧ ــ ب . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ١٠٦ ــ ١٠٧ .

(٩٩) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٦٩ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٤٢ .

وينبغي على الكتانين الا يخلطوا جيده برديئه[١٠٠] .

وأعطت الدولة للمحتسب سلطة تنفيذية ، فأصبح باستطاعته ايقاع عقوبة « التعزير »[١٠١] بالمتلاعبين من الباعة والكيالين[١٠٢] . فكان المحتسب يستعين في تنفيذه بالاعوان . فمنه الردع بالقضاء على كل شيء محرم ، والتوبيخ بالقول ، او الضرب بالسوط المتوسط الغلظ ، او بالدرة ، وهي من جلد البقر او الجمل والنفى من البلد ، والتشهير[١٠٣] .

ويتمثل اشراف الدولة على اعمال الصيارفة في شخص المحتسب ، فقد كان عليه أن يراقبهم ، ويتفقد أسواقهم . فان كان هناك من رابى او خالف الشريعة فيما يخص أمور الصرف عزره وطرده من السوق[١٠٤] وعليه ايضا ان يمنعهم من ترويج الدراهم المزيفة وغش الناس بها[١٠٥] .

ومن حق المحتسب ان يرى في العرف الجارى بين أهل السوق اساسا

---

(١٠٠) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ٧٠ — ٧١ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٤٩ .

(١٠١) التعزير : عقاب المذنب أو المخالف لأمور لم تشرع فيها الحدود ، ولذلك يترك تقدير العقاب اولي الامر . ومختلف التعزيز بحسب ما يرتكبه الشخص من مخالفات .

(١٠٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢٧ . والرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٦٧ — أ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٩ و ١٠٩ و ١١٤ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٣ — ب . ابن تيمية ، الحسبة في الاسلام ، ص ٣٨ . ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٧٤٦ .

(١٠٣) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ٩ — ١٠ و ١٠٩ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٣ . وشذور العقود ، ص ١١٨ ، ابن تيمية ، الحسبة في الاسلام ، ص ٣٨ . عبدالمنعم ماجد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٥٦ .

(١٠٤) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٧٤ . ابن تيمية ، الحسبة في الاسلام ، ص ٣٨ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ١٤٣ — ١٤٤ .

(١٠٥) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ٧٤ — ٧٥ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٤٤ ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٣٧ — ب .

يستطيع الرجوع اليه[106] ، وله أن يثبت حكمه بالعرف السائد ، ذلك ان من صفات المحتسب أن يكون « من أهل الأجتهاد العرفي دون الشرعي »[107] .

وتعدت اختصاصات المحتسب ، اذ أصبح من حقه أن يمتحن الطبيب البيطرى ليجيز له ممارسة مهنته .[108] وعليه أ نيأخذ على الاطباء عهدا آلا يعطوا أحداً دواء مضرا ، ولايركبوا له سما ، ولايذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الاجنة ، ولا للرجال الذي يقطع النسل ، وله ان يمتحنهم[109] .

ويبدو ان هناك جماعة نذروا أنفسهم تطوعا للقيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وحث الناس على اجتناب الغش والتدليس في أسواق العاصمة بدون أن يحصلوا على اذن من الدولة بذلك[110] . وهم والحالة هذه ، لا يبغون أجرا ولا منفعة من وراء عملهم هذا ، وانما كانوا يرجون ابتغاء وجه الله ونصرة دينه .

وأرجح أن مثل أولئك كان عددهم قليلا ، ومع ذلك فان الحكومة كانت لا تسمح لهم بالقيام بمثل تلك المهمات دون أخذ الأذن منها والترخيص لهم . ذلك ان الخليفة المأمون لما بلغه أن رجلا نصب نفسه محتسبا ، يمشى في الاسواق ، ويأمر الناس بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ولم يكن مفوضا من

---

(١٠٦) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٣١ . وكيع ، اخبار القضاة ، جـ ٢ ، ص ٣٥١ و ٣٧٢ .

(١٠٧) ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١١ و ١١٣ .

(١٠٨) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤٢ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ٨٠ — ٨١ و ٨٣ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١٤٩ .

(١٠٩) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٩٨ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ١٦٥ و ١٦٩ .

(١١٠) الغزالي ، احياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ١١ .

الخليفة بذلك ، استدعاه ليمنعه عن عمله ، فلما أعجب بقوة منطقه ، وسعة اطلاعه ، وصدق مقصده ، عندئذ أذن له المأمون(١١١) .

ومن هنا نرى أن صدور التفويض الرسمي من السلطة ، كان أمرا ضروريا ، وان موقف الخليفة المأمون من ذلك المحتسب لا يمكن القياس عليه في كل الاحوال ، ذلك أن الخليفة وجد نفسه أمام مشكلة ، وصار ملزما أن يسبغ عليها نوعا من الشرعية الادارية . وان عمله هذا لم يكن اكثر من اقرار لأمر واقع . ويبدو ان الرجل ، بما يملك من علم وايمان ، لم يكن ينثني عن اداء مهمته تلك حتى ولو منعه الخليفة عن القيام بها ، وان المأمون كان قد ادرك ذلك .

تعيين عرفاء على الأسواق :

ولما توسعت بغداد ، وتعددت أسواقها ، ونشطت التجارة فيها ، أصبح من الصعوبة أن تدخل الاحاطة بافعال وأعمال أهل الاسواق تحت وسع المحتسب . وعندئذ جاز له أن يستعين بأناس يساعدونه في أداء مهمته(١١٢) .

فجعل على كل صنعة عريفا من صالح أهلها ، خبيرا بصناعتهم ، بصيرا لغشهم وتدليسهم ، مشهورا بالثقة والامانة ، يكون مشرفا على أحوالهم وتعاملهم مع زبائنهم ، ويطالع المحتسب باخبارهم وما جلب الى سوقهم من المتاجر والبضائع، وما تستقر عليه الاسعار ، لقوله (ص) : استعينوا على كل صنعة بصالح من أهلهـا »(١١٣) .

---

(١١١) الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(١١٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٢٧ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٧١ ـ ب . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ . ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٧٤٦ . المقريزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٣ . وشذور العقود ، ص ١١٨ .

(١١٣) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٢ . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ١٨ .

وتأتي أهمية الاستعانة بالعرفاء من ان الماوردي[١١٤] ، يرى ان العرف الجاري بين أهل السوق يجب ان يتخذ اساسا يرجع اليه المحتسب عند النظر في المشاكل التي تعترض عمله في الاسواق ومن هنا افترض (ابن الاخوة)[١١٥] ان يكون المحتسب من اهل الاجتهاد العرفي دون الشرعي ، واكد (ابن عبدون) ذلك عندما قال : « ويحق للقاضي ان يجعل في كل صناعة رجلا من أهلها ، فقيها عالما خبيرا ، يصلح بين الناس اذا وقع الخلاف في شيء من أمورهم ، ولا يبلغون به الى الحاكم .. فهو أرفق لهم واستر لانكشافهم »[١١٦] . وبين الشيزري [١١٧] أهمية العرفاء لمساعدة المحتسب في كشف الغش والتدليس لدى أهل السوق .

ويشير الصابي [١١٨] ، الى وجود عامل على سوق الغنم ، وعامل على دار البطيخ ، وآخر على دار القطن ، ورابع على سوق الرقيق وغيرها . ومن ذلك نستدل ان لكل سوق من اسواق العاصمة عاملا معينا يؤازره عدد من الاعوان ، وهؤلاء كلهم يتبعون بدورهم الى محتسب بغداد . وكان من حق عامل السوق أن يعرف ثمن ما يرد من سلع الى السوق المكلف بالاشراف عليه، وان الوزير علي بن الفرات قد « وقع الى عامل سوق المسك بالخطر على ثمن ما يرد من صيود » [١١٩] .

ولا شك ان الصلاحيات التي أعطيت للمحتسب واعوانه قد تفتح الباب أمامهم لسوء الاستغلال ، مما يدفع اهل السوق لتقديم الرشوة ، أو لجوئهم

---

(١١٤) الاحكام السلطانية ، ص ٢٣١ . وكيع ، اخبار القضاة ، ج ٢ ، ص ٣٥١ و ٣٧٢ .

(١١٥) معالم القربة ، ص ١١ .

(١١٦) ثلاث رسائل ، ص ٢٤ .

(١١٧) نهاية الرتبة ، صص ١٢ — ٢٠ .

(١١٨) الصابي ، الوزراء ، ص ١٥٨ .

(١١٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٥ .

الى الوساطات والشفاعات [١٢٠] . وبذلك وجب على الحاكم ان يحسن اختيار المحتسب وعرفاء الاسواق ، وأمناء الصناعات ، وشيوخ الدروب ، واصحاب الارباع [١٢١] .

ومهما يكن من امر فان واجبات المحتسب كانت تستهدف خدمة مصلحة الجمهور ، ولم يفرض على الصناع ، أو التجار ، أو الباعة قيودا ثقيلة ، ولم يتح للمحتسب مجال التدخل الكبير في شؤون اهل السوق .

ولم تقتصر مراقبة الاسواق على الدولة فحسب ، بل ان التجار كانوا **قد اقاموا من قبلهم نقابة مسؤولة عن مراقبة المعاملات التجارية ، ومنع الغش** والتدليس . وكان رئيسها ينتخب من بين الاعضاء المختارين ، ويسمى (رئيس التجار) كما كان يسمى أعضاء النقابة (الامناء) [١٢٢] .

---

(١٢٠) الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١٠ ، ٢٩ . الجرسيفي ، ثلاث رسائل ، ص ١١٩ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ١٣ — ١٤ .

(١٢١) ابن قلال العسكري ، آثار الاول ، ص ١٩٠ .

(١٢٢) سيد امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٦١ — ٣٦٢ .

الباب الرابع

دور أهل السوق في الحياة العامة

الفصل الاول : العاملون في الاسواق

١ ـ أجناس العاملين في الاسواق .

٢ ـ دخل أهل أسواق بغداد .

٣ ـ مكانة أهل السوق الاجتماعية .

الفصل الثاني : اشتراك أهل السوق في الفتن والاضطرابات الداخلية :

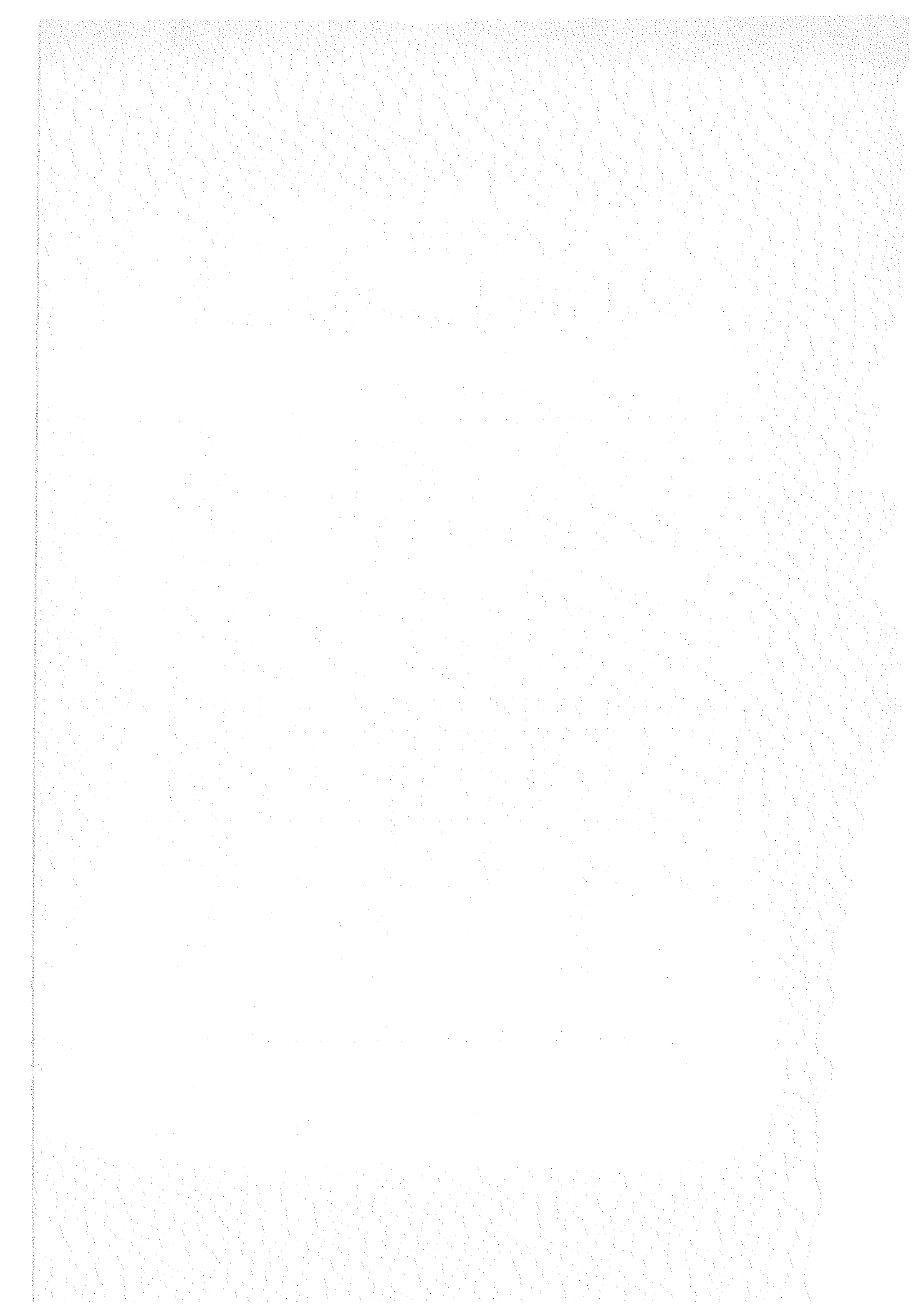
١ ـ موقف أهل السوق من النزاع بين الامين والمأمون .

٢ ـ موقف أهل السوق من الاضطرابات الداخلية .

الفصل الثالث : المنازعات بين أهل السوق

١ ـ تكتل أهل الحرف .

٢ ـ المنازعات بين الاصناف .



الفصل الأول

العاملون في الأسواق

أجناس العاملين في الأسواق :

منذ ان استقر الامر للعباسيين ، أخذت التجارة المنظمة تحل محل المضاربات ، وبدأ عدد التجار يتزايد ، وكانوا خليطا من العرب والاعاجم والعبيد[1] . ويختلفون في مكانتهم الاقتصادية والاجتماعية ، غير ان المهنة التي مارسوها كانت تجمعهم ، وتظهرهم بما يميزهم عن بقية افراد المجتمع .

لقد مارس العرب التجارة واتقنوها منذ عهد سحيق [2] . وخلال العصر العباسي الاول نشط العرب المسلمون في مجال التجارة ، وأخذوا يحلون

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٧١ . الصولي ، الأوراق ، ص ٢٥١ . أبو السعود ، رسالة معنى الانام ، ورقة ٢٩ .

(٢) سورة قريش ، آية ١ و ٢ . الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٩٣ . ورسائل الجاحظ ، ص ٥٧ . البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، ص‌ص ٤ — ٥ و ٧ — ٩ و ١٢ — ١٣ و ١٧ — ١٨ و ٢١ — ٢٢ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٤٩ . البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة بيروت) ، ص ٤٢٠ — ٤٢١ . وأنساب الأشراف ، ج ٩ ، ورقة ٥٥٣ . الطبري ، م. ق ، ج ٤ ، ص ٢٠٦٥ (طبعة بيروت) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص‌ص ١٧٩ — ١٨٠ . المرزوقي ، الازمنة والامكنة ، ج ٢ ، ص‌ص ١٦٢ — ١٦٣ و ١٦٥ و ١٦٩ — ١٧٠ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٩ ، ٨٩ — ٩٠ و ٥٤٧ . وخاص الخاص ، ص ٦٤ . ولطائف المعارف ، ص ١١ و ١٢٧ — ١٢٩ . أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ١ ، ص ٨٣ — ٨٥ . البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٣٢٨ . القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٦٥ . الأفغاني ، اسواق العرب ، ص‌ص ١٥ — ١٦ و ١٦٦ — ١٦٧ و ١٨٤ و ٢٤٣ — ٢٤٩ . جواد علي ، تاريخ العرب ، ج ٨ ، ص ٢٤٦ و ١٦١ . أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٨٠ — ٨١ .

محل الاقوام الاخرى في تسلم زمامها ، ولم ينظروا الى التجارة بشيء من الاحتقار كما نظروا الى الزراعة [٣] .

وقد ازداد عدد التجار العرب في أسواق العاصمة خاصة وان الظروف السياسية التي مرت بها الدولة العباسية كانت قد ابعدت الكثيرين منهم عن ممارسة السياسة وشؤون القتال ، وبخاصة بعد ان امر الخليفة المعتصم بالله اسقاط من في الديوان من العرب [٤] . وهكذا اصبح العرب المسلمون يشكلون اغلبية في اسواق بغداد [٥] .

وظل جُل الصناع وأهل الحرف بأسواق بغداد من الموالي وأهل الذمة حتى بداية القرن الثالث الهجري ، اذ انضم اليهم بعض العرب المسلمين، وزاولوا تلك المهن بسبب تحسن النظرة الاجتماعية .

ونظرا للموقع الجغرافي الفذ الذي تمتعت به مدينة بغداد ، ولكونها اصبحت حاضرة الخلافة العباسية ، سكنها من اصناف الناس ، ومن أهل الامصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، « فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر » [٦] .

ومن الذين انتقلوا الى بغداد وعملوا في اسواقها الفرس [٧] . الذين نبغوا في الصياغة ، وبلغت صناعتهم شأوا بعيدا في الدقة والجمال ، حتى أنهم كانوا يرصعون الزجاج بالجوهر ، ويكتبون عليه بالذهب المجسم ، ويصنعون للخلفاء والامراء أقداحاً تبهر الابصار . وكانوا يتخذون على الكؤوس صورا يحكمون صناعتها الى مقاربة الحقائق [٨] .

---

(٣) حتي ، تاريخ العرب ، جـ ٢ ، ص‌ص ٤٢٠ — ٤٢١ .
(٤) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، جـ ١ ، ص ٨ .
(٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٦ .
(٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .
(٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٦ . اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٤ . ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٨ .
(٨) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ .

وكان الرجل الفارسي يعد من أمهر التجار العاملين في أسواق بغداد ، وأقام في القسم الاعلى من الكرخ تجار خراسان البزازون[٩] . الذين تكتلوا في السوق الممتدة على جانبي الشارع الموصل من محلة الشرقية ، بالجانب الغربي ، الى شارع باب الكرخ . وقد اقتصر بيع هؤلاء التجار على السلع الواردة من خراسان ، سواء أكانت من الثياب أو النسيج ، التي لا يختلط بها شيء من الاصناف الاخرى [١٠] .

ولم يكن تكتل التجار الخراسانيين مقتصرا على الاسواق التي يبيعون فيها بضائعهم فحسب ، بل في أماكن سكناهم ايضا [١١] .

ويبدو ان محلة الحربية كانت مركز التجار الاعاجم ، وبخاصة في سوق باب الشام ، التي فيها جميع التجارات والبياعات ، والممتدة في شارع عظيم . ومن تجار هذه السوق أهل بلخ [١٢] . وأهل مرو [١٣] وأهل الختل[١٤] ، وأهل بخارى [١٥] وأهل كابل شاه [١٦] ، وأهل خوارزم [١٧] . ولكل أهل

---

(٩) اليعقوبي ، البلدان ، الطبعة الاوروبيـة ، ص‌ص ٢٤٥ — ٢٤٦ . لسترانج ، بغداد ، ص ٧٥ .

(١٠) اليعقوبي ، البلدان ، (المطبعة الاوروبية) ، ص‌ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .

(١١) نفس المصدر والمكان . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢١٧ .

(١٢) بلخ : بلدة من أجل وأشهر مدن خراسان واكثرها غلة . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٦٣) .

(١٣) مرو : اشهر مدن خراسان ، وهي مدينة قديمة . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٨ ، ص‌ص ٣٣ — ٣٨) .

(١٤) الختل : كورة واسعة تقع خلف نهر جيحون ، واضافتها الى مدن ما وراء النهر اوجب ، اذ تقع على تخوم السند . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٠١) .

(١٥) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها . كثيرة البساتين ، فتحت في زمن معاوية بن ابي سفيان . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص‌ص ٨١ — ٨٦) .

(١٦) كابل شـاه : هي بلدة من ثغور طخارستان ، اقليم متاخم للهند . (انظر ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ٤٦٩) .

(١٧) خوارزم : اسم لاقليم ، أو موضع ، ثم اصبحت ولاية . كثيرة النزيز متقاربة القرى كثيرة الشجر . (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص‌ص ٤٧٤ — ٤٧٨) .

بلد قائد ورئيس[١٨] ، وهذا مما يبقى التمييز قائما بينهم .

وتجمع التستريون في احد اسواق الكرخ ، وتخصصوا في صنع الثياب التسترية التي كانت تشتهر بها مدينتهم في وطنهم الاصلي . وقد سميت المحلة التي يسكنونها بهذا الاسم أيضا [١٩] .

وهنا تتبين ان تكتل اهل السوق وتجانسهم ، ليس فقط مرجعه الى نوع المهن التي كانوا يحترفونها ، بل ان الجنسيات التي كانوا يمثلونها . وان وقفة قصيرة عند هذه النقطة نستطيع ان تتبين منها شدة التماسك بين أهل كل سوق من اسواق بغداد .

ولم تكن التجارة في اسواق بغداد مقتصرة على الاحرار من الرجال ، بل كان بمقدور العبيد ممارستها بعد الحصول على اذن من سادتهم[٢٠] .

ولم يكن في التشريع الاسلامي ما يغلق دون اهل الذمة اى باب من ابواب الاعمال [٢١] ، بل كانت بعض الاعمال التجارية تكاد تكون مقتصرة عليهم . وبذا اصبحت اقدامهم راسخة في الحرف التي تدر عليهم الارباح الوفيرة ، فكانوا صيارفة وتجارا ماهرين [٢٢] . وسبب ذلك عزوف المسلمين عن الصيرفة التي اعتبروها ضربا من الربا الذي نهى عنه الدين الاسلامي

---

(١٨) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٨ . انظر : ابن الفقيه الهمداني ، بغداد ، ص ٤٤ — ٤٦ و ٤٨ .

(١٩) ياقوت ، البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ — ٣٨٩ . لسترانج ، بغداد ، ص‌ص ٩١ — ٩٢ .

(٢٠) ابو السعود ، رسالــــة معنى الانام ، ص ٢٩ . العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٢٤٢ — ٢٤٣ .

(٢١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٧١ . الصولي ، الاوراق ، ص ٢٥١ .

(٢٢) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٣ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ٥٢ Fischel, op. cit, pp. 346-348.
الحسيني ، بغداد ، ص‌ص ١٤١ — ١٤٢ .

واعتبره حراما [٢٣] ، يقول تعالى :

« وأحل الله البيع وحرم الربا »[٢٤] . و « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة » [٢٥] .

لقد مارس اليهود والنصارى التجارة والصيرفة ، وركزوا أعمالهم في أسواق بغداد[٢٦] ، وأثرى هؤلاء ثراءاً فاحشاً ، واشتهر منهم الصرافان اليهوديان : يوسف بن فنخاس وهارون بن عمران اللذان استطاعا ان يقرضا الدولة مبالغ كبيرة [٢٧] ، وظل التجار اليهود يعدون من مياسير تجار العاصمة العباسية حتى الربع الاول من القرن الرابع الهجري ، اذ اضطر جماعة منهم الى ترك مدينة السلام عام ٣٣٢هـ ـ ٩٤٣م على أثر احتدام الصراع بين أمير الجيش توزون وبين ناصر الدولة الحمداني أمير الموصل[٢٨] .

---

(٢٣) احمد بن حنبل ، المسند ، ج ٦ ، ص ٧١ ، و ١٤٠ و ١٥٧ و ١٨٨ و ١٩٧ . و ج ٨ ، ص ١٨٤ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٥٥ و ٥٩ . مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٥ ، ص ٤٢ ، ٥٠ . العيني ، شرح صحيح البخاري ، ج ٥ ، ص ٢٩١ . الاصبهاني ، محاضرات ، ج ٢ ، ص‌ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .

(٢٤) سورة البقرة ، آية ٢٧٥ ـ ٢٨٠ .

(٢٥) سورة آل عمران ، آية ١٣٠ . انظر : سورة الروم ، آية ٣٩ . وسورة النساء ، آية ١٥٩ و ١٦٠ .

(٢٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٦ .

Fischel, op. cit. pp. 347-587.

ديموبين ، النظم الاسلامية ، ص ٢٥٨ .

(٢٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٨٠ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ٨ ، ص‌ص ٢٥ ـ ٢٦ .

Kremer, Abbasiden - Reiches, p. 63.
Fischel, op. cit. p. 345, 579, 582.

(٢٨) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٥١ ـ الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٣٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣١ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٧٢ .

كما مارس النصارى التجارة في اسواق الكرخ [٢٩] ، وسيطر قسم منهم على معظم التجارة الخارجية [٣٠] • وكان للروم والهنود معاملات تجارية مع أهل اسواق بغداد [٣١] •

كان التجار منظمين كغيرهم من عناصر المجتمع البغدادى ، سواء أكانوا في أسواقهم [٣٢] ، أو في أحيائهم السكنية [٣٣] • اذ كانت عليهم التزاماتهم ، كما كان عليهم التقيد بقوانين وتقاليد معلومة ، اثناء ممارستهم التجارة [٣٤] •

دخل أهل أسواق بغداد :

يشتغل في اسواق بغداد ، التجار وصغار الباعة وغيرهم من اصحاب الحرف الاخرى • وكان بمقدور اهل السوق ان ينعموا بثمار عملهم ويزيدوا من دخلهم بمهارتهم ونشاطهم التجارى ، خاصة وان الضرائب المفروضة عليهم

---

(٢٩) ابن طيفور ، بغداد ، ص ٤١ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٦ .

(٣٠) ديمومبين ، النظم الاسلامية ، ص ٢٥٨ .

(٣١) متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

(٣٢) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٤ ، و ٢٤٦ — ٢٤٧ ، و ٢٥٣ . ابن طيفور ، بغداد ، ص ٩٨ . الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٢٨ . ابن الجراح ، الورقة ، ص ٧٢ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٤٧ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٨٠ — ٨١ و ١١٣ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٣ — ١٤ و ١٩ و ٢٦ . ابن عبدالرزاق ، ثلاث رسائل في الحسبة ، ص ٩٧ . العسكري ، آثار الاول في ترتيب الدول ، ص ١٨٩ . الاكمة ، تزيين الاسواق ، ص ٣٠ .

(٣٣) اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٤٥ — ٢٤٦ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٨ .

(٣٤) الماوردي ، الرتبة في طلب الحسبة ، ورقة ٤٦ — أ . و ٥٣ — أ . و ٥٤ — أ . و ٥٨ — أ . و ٥٩ — أ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٢ — ب . و ٥١ — ب و ٥٢ — أ . و ١١٥ — ب . الشيزري ، نهاية الرتبة، ص‌ص ١١ — ١٢ و ١٤ و ٢١ — ٢٢ و ٢٤ و ٢٨ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص ٧٩ و ٩٧ و ٢١٩ . ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٧٤٦ .

لم تكن باهظة وانما كانت خفيفة [٣٥] ، وبذلك حقق بعضهم ارباحا طائلة [٣٦] .

ولاجل ان نعرف دخل اهل السوق ومستوى معيشتهم ، يجدر بنا ان نميز بين نوعين منهم . الاول التجار الموســـرون الذين يسلكون ملايين الدنانير [٣٧] والنوع الثاني العمال العاملون في الاسواق والذين لا يستطيعون ان يسدوا رمقهم من دخلهم الشحيح الا بصعوبة . وهؤلاء يعملون بايديهم وأدواتهم ، ويعيشون من ثمن ماينتجون [٣٨] .

ومن المؤكد ان دخل التاجر باسواق العاصمة أعلى بكثير من دخل اصحاب بقية الحرف الاخرى [٣٩] ، ذلك ان التاجر البارع يكون عادة ملما بحالة السوق ، بما فيه من سلع ، وحاجة المستهلكين . وبخبرته وتجاربه يستطيع ان يقدر احتمالات ارتفاع او انخفاض الاسعار قبل عقد الصفقة التجارية التي ينوي الاقدام عليها . فهو والحالة هذه لديه الفراسة لاستقراء صعود الاسعار ونزولها [٤٠] . ويلجأ التاجر احيانا الى استعمال طرق غير مشروعة للتأثـــير

---

(٣٥) ابن آدم ، الخراج ، ص ٣٤ . عريب ، الصلة ، ص ٢٤ . ابن رجب ، الاستخراج لاحكام الخراج ، ورقـــة ١٠ ـــ ب . اليعقـــوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٣٢ و ١٤٦ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٣٦) المسعودي ، مروج ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ . الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠ و ١١١ . عريب ، الصلة ، ص‌ص ٤٧ ـــ ٤٨ . مسكويه ، تجـــارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٥ . الهمداني ، تكملـــة ، ج ١ ، ص ٩ و ٦٣ و٦٥ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٢١٢ ـــ ٢١٤ .

(٣٧) عريب ، الصلة ، ص ٤٨ . ابن دقماق ، نزهة الانام ، ج ٢ ، ورقة ٤٨ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٥ . التنوخي ، نشوار ، ج ١ ، ص ٢٥ .ابن الجوزي ، اخبـــار الحمقى ، ص ٣٤ و ٣٧ . والمنتظم ، ج ٥ ، ص ١٢٨ ، ج ٦ و ٢١٢ و ٢١٤ و ١٢٧ .

(٣٨) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣٩ ، الانباري ، نزهة الألباء ، ص‌ص ١٨٣ ـــ ١٨٤ ، اليافعي ، مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٣٩) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٢ ، ص‌ص ١٠٢ ـــ ١٠٣ .

(٤٠) الشابشتي ، الديارات ، ص ٩٧ . الاكمـــة ، تزيين الأســـواق ، ص ١٦٣ .

على السوق ، كأن يبث اخبارا كاذبة كي يحدث ارتفاعا أو انخفاضا في الاسعار وفقا لمصلحته (٤١) .

ويبدو ان دخل بعض تجار العاصمة ازداد كثيرا من جراء اتمام صفقات تجارية رابحة في فترة زمنية قصيرة . ففي خلال يومين ربح التاجر البغدادي أحمد بن ابي عوف عشرة الاف دينار(٤٢) . كما تصور لنا ارجوزة ابن المعتز جانبا من الدخل الكبير الذى كان يحصل عليه تجار بغداد الذين قلما تصيبهم الخسارة (٤٣) .

ولعل ابرز مثل على تجار بغداد الاثرياء ، الحسين بن عبدالله بن الجصاص الجوهري ، الذي بلغت قيمة عقد واحد من عقود الجوهر التي كان يمتلكها مائتي الف دينار (٤٤) . وتواترت الروايات (٤٥) التي تصور لنا الغنى المستفيض الذي تمتع به ابن الجصاص المقيم في سوق يحيى ، وقد شكى الخليفة الراضي

---

(٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢١٤ . الدمشقي ، الاشارة ، ص ٤٤ ــ ٤٥ .

(٤٢) الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٩ .

(٤٣) ابن المعتز ، ارجوزة في تاريخ امير المؤمنين المعتضد بالله ص‌ص ٨ ــ ٩ .

متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ١٦٦ . السامرائي ، شعر ابن المعتز ، « رسالة دكتوراه مقدمة لكلية الآداب بجامعة عين شمس » ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .

(٤٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٢١٢ ــ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٥٦ .

(٤٥) انظر : المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٥ . عريب ، الصلة ، ص‌ص ٣٣ ــ ٣٤ و ٤٧ ــ ٤٨ و ٤٩ . ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص ٣٧ . والمنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٧ و ٢١٣ ــ ٢١٤ . الذهبي ، العبر ، ج ٢ ، ص ٢١ . ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٧٢ . بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

Bowen, op. cit. p. 147.

Sourdil, op. cit., Tom II, pp. 403-404.

حين وقعت له ازمة مالية سنة ٣٢٢هـ ـ ٩٣٣م ، لانه لا يجد في عصره تجارا أغنياء « يجمل بمثلهم الملك ويلجأ اليهم مثل ابن الجصاص »[٤٦] •

معنى هذا انه بعد عام ٣٢٠هـ ـ ٩٣٢م قلّ الاغنياء والموسرون من الكتاب والتجار • وهذا يوضح لنا ضعف الحركة التجارية وعدم رواجها ، كما اننا نخرج بفكرة اخرى من هذا النص هي ان الخلفاء كانوا يعتبرون وجود التجار الموسرين من الامور الضرورية التي يجمل بمثلهم الملك •

ونستطيع ان ندرك أيضا ضخامة الثروه التي كان يمتلكها الحسين ابن الجصاص ، من مقدار المبالغ التي صادرتها منه الدولة ، ومع ذلك لم يتعرض للافلاس لكثرة ما كان عنده من نقود ، فعلى أثر اخفاق حركة عبدالله بن المعتز سنة ٢٩٦هـ ـ ٩٠٨م صودر ابن الجصاص [٤٧] ، وأخذ منه ستة الاف الف دينار [٤٨] •

كما صودر ابن الجصاص مرة اخرى سنة ٣٠٢هـ ـ ٩١٤م • وقد اختلف في مقدار ما خسره في هذه المرة ، فابن الجصاص يدعى أنه خسر عشرين مليون دينار [٤٩] • اما المؤرخون فتتراوح تقديراتهم للخسارة بين ستة ملايين دينار [٥٠] وبين ستة عشر مليون دينار [٥١] • في حين ان الوزير علي بن

---

(٤٦) الصولي ، الاوراق ، ص ١٦ •

(٤٧) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٨ •

(٤٨) التنوخي ، نشوار ، جـ ١ ، ص ٢٥ • ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ ١ ، ص ٢٧١ •

(٤٩) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ، ص ٣٥ •

(٥٠) عريب ، الصلة ، ص ٤٨ • ابن الجوزي ، أخبار الحمقى ، ص ٣٧ ـ التنوخي ، نشوار ، جـ ١ ، ص ٢٥ • ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٢ • الذهبي ، دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٤ • ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، جـ ١ ، ص ٣٥١ •

(٥١) ابن دقماق ، نزهة الانام ، جـ ٢ ، ورقة ٤٨ • ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص ٣٧ • والمنتظم ، جـ ٦ ، ص ١٢٧ • التنوخي ، نشوار ، جـ ١ ، ص ٢٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٢٢ و ١٥٦ • ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، جـ ١ ، ص ٢٧١ • الذهبي ، دول ١٣٤/١ • ابن العماد ، شذرات ٢٣٨/٢ •

الفرات قدرة المصادرة بعشرة ملايين دينار من النقد والبضائع[٥٢] ، ومع ذلك بقى معه من الاموال شيء كثير جدا[٥٣] عدا ما كان بحوزته من البساتين والضياع التي قدرت قيمتها بحوالي سبعمائة الف دينار ، ومن الجواهر والمتاع ما يساوي ثلثمائة الف دينار من الذهب والفضة المسكوكة [٥٤] .

وقد بلغ التاجر الجوهري ابن الجصاص من القوة وسعة النفوذ ، حتى هدد الوزير علي بن الفرات قائلا : « لأقصدن الخليفة ولاحولن اليه من خزانتي الفي الف دينار عينا وورقا ولا اصبح الا وهي عنده ، وانت تعلم قدرتي عليها ، وأقول له : خذ هذا المال وسلم ابن الفرات الى فلان واستوزره »[٥٥] ولم يجد الوزير بدا امام هذا التهديد الا ان يذعن ، ويتغاضى عن مخالفات هذا التاجر ، وهكذا انتصرت قوة المال على الوزير ، وتمكن التاجر البغدادى من ان يؤثر في سياسة الدولة .

وتتيجة للازدهار الاقتصادى الذى شهده القرن الرابع الهجري ، اصبح الاشتغال بالتجارة مربحاً ، يدر على العاملين فيه دخلا جيداً[٥٦] ، فقد كانت ارباح احد الباعة ثمانمائة دينار خلال سنة واحدة ، علما بان رأسماله كان مائتي دينار فقط ، وهو بذلك يعادل ٤٠٠٪ من رأس المال [٥٧] . ودفع

---

(٥٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢٣ . البيروني ، الجماهر في معرفة الجواهر ، ص ١٥٣ .

(٥٣) عريب ، الصلة ، ص ٤٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ص ٢١٢ — ٢١٤ . التنوخي ، نشوار ، جـ ١ ، ص ٢٨ ، والفرج بعد الشدة ، جـ ١ ، ص ١١٨ .

(٥٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص ٢١٢ .

(٥٥) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠ و ١١١ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٢ — ٣٣ (مطبعة المفيد) . ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص ص ٣٥ — ٣٦ .

(٥٦) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٨٩ .

(٥٧) الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٥٩ .

بعض تجار الكرخ للوزير علي بن الفرات ثلاثين الف دينار لقاء اطلاق سراح احد المحبوسين [٥٨] .

وتؤكد المصادر ان عملية البيع والشراء في اسواق بغداد كانت نشطة [٥٩] الامر الذي أدى الى زيادة دخل اهل السوق الذين كانت تأتيهم موارد اخرى طارئة تتحكم فيها المناسبات الدينية او السياسية . ففي سنة ٣٠٥هـ - ٩١٧م زار رسول ملك الروم بغداد ، فبالغ الخليفة في عمل الزينة لاستقباله ، فزينت الطرقات والاسواق ، وتلهف الناس للمشاركة في ذلك الموكب ومشاهدته « وقد اكترى كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة » [٦٠] .

وشكل بعض التجار شركات كانت تدر عليهم ارباحا طائلة [٦١] ، كما انهم كانوا يقرضون الاموال للصرافين [٦٢] ، ويبيعون عملاءهم أحياناً بالدين أو يقرضون الناس الدراهم ، وقد تصل هذه القروض الى خمسين الف درهم [٦٣] ، كما انهم منحوا الشعراء أموالا جزيلة [٦٤] . وهذا دليل على كثرة دخلهم وأرباحهم الطائلة .

وخلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، توسعت الاعمال التجارية في أسواق بغداد ، وصار التجار يجهدون انفسهم في الحصول على

---

(٥٨) الصابي ، الوزراء ، ص ٧٤ .
(٥٩) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ١ و ٢٠ - ٢١ . اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٥٤ . الطبري ، م . ق ، ج ٧ ، ص ٦٢٠ . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٤١ ، و ١٥٤ - ١٥٥ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ٢٠ . الازدي ، حكاية ابي القاسم البغدادي ، ص ٢٤ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١٠٠ و ١١٧ - ١١٩ و ٢١٥ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ص ٣٠ - ٣١ .
(٦٠) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٠ .
(٦١) الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٦ و ٣١٩ - ٣٢٠ .
Fischel, op. cit., pp. 349-350, 352, 573.
(٦٢) الدمشقي ، الاشارة الى من نال التجارة ، ص ٤٠ .
(٦٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٥٩ .
(٦٤) ابن الجراح ، الورقة ، ص ١١٥ .

الارباح ومضاعفة دخلهم [٦٥] . وعندئذ برزت رغبة مذهلة للحصول على المال والاثراء ،وان تلك الرغبة ، في المال ، لم يكن يساويها الا الخوف من فقدانه ، وساد الاعتقاد بين اصحاب المال بضرورة استثمار اموالهم في مجال التجارة والا تعرضت للنفاد[٦٦] .

ومما يؤكد زيادة دخل اهل السوق وارتفاع مستوى معيشتهم ، أنهم كانوا يمتلكون القصور الفخمة ، المفروشة باجمل الفرش وأنفسها فيقيمون بها الولائم الكبيرة التي تحتوي على ألوان كثيرة من مفاخر الطعام ، وتعقد فيها مجالس المنادمة ، ولديهم اجمل الجوارى واحذقهن في الغناء [٦٧] .

ومما يؤكد كثرة دخل تجار بغداد ، انه اصبح باستطاعتهم اقراض الدولة عندما تصاب ميزانيتها بعجز مالي ، أو عندما تحتاج الى المال في ظروف استثنائية طارئة لم يكن في بيت المال ما يكفي ذلك [٦٨] .

وقد اقترض طاهر بن الحسين سنة ١٩٨هـ – ٨١٣م عشرين الف دينار من التاجر سعيد بن مالك [٦٩] . وأقرض تجار بغداد ابراهيم بن المهدي عندما تقلد الخلافة سنة ٢٠١هـ – ٨١٦م [٧٠] .

والتجأ الى التجار الوزير صاعد بن مخلد سنة ٢٧٠هـ – ٨٨٣م عندما

---

(٦٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص‌ص ٢٥٤ – ٢٥٥ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ١٦٨ .

(٦٦) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ .

(٦٧) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ . التنوخي ، المستجاد من فعلات الاجواد ، ص‌ص ٥٥ – ٥٦ ، ٥٨ . الاكمة ، تزيين الاسواق، ص ١٦٥ .

(٦٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٣٦ ، مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ، ص ٨٣ . ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٥١ . Fischel, op. cit., p. 579.

(٦٩) الطبري ، م. ق ، جـ ٨ ، ص ٤٩٧ .

(٧٠) الصولي ، اشعار اولاد الخلفاء ، ص ٢٦ .

تعرض لازمة مالية اضطرته ان يأخذ من التجار قرضا لتجهيز حملة لمحاربة الصفارين الذين امتنعوا عن حمل المال الى الحضرة [٧١] . ونصح عبيدالله بن سليمان وزير المعتضد بالله ، ابنه القاسم ان يقترض من التجار عند الضرورة [٧٢] .

وتكررت الحاجة الى الاقتراض من التجار عام ٣٠١هـ ـ ٩١٣م اذ احتاج الوزير الى شيء من المال فسلفه التجار [٧٣] . وفي سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م تعرض الوزير لازمة مالية شديدة بحيث انه لم يستطع ان يتغلب عليها الا بعد ان اقترض من احد تجار بغداد مائتي الف دينار [٧٤] . واقرض ذلك الثري البغدادي نفسه اموالا اخرى للوزير الحسين بن القاسم في السنة التالية [٧٥] .

وفي سنة ٣٢٣هـ ـ ٩٣٤م لم تدفع للتجار اموالهم التي سبق ان استلفها منهم الوزير [٧٦] ، فدفعته الضرورة الى ان احالهم الى عمال السواد لسداد بعض مالهم . ثم باع عليهم بالباقي ضياعا سلطانية . وفي سنة ٣٢٤هـ ـ ٩٣٥م احتاج الوزير الى مال لدفع استحقاق الجند ، فطالب مياسير التجار بأموال يعجلونها . ويكتب لهم بها سفاتج [٧٧] وساهم تجار بغداد في ايجاد الحلول

---

(٧١) الشابشتي ، الديارات ، ص ١٧٥ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٧٢) الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ١٨٧ ـ ١٨٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٣٦ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ١٧٢ . الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٢٤ .

(٧٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٨٠ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص‌ص ٢٥ ـ ٢٦ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, p. 63.
Fischel, op. cit. 580-582.

(٧٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢١٣ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٦٣ .

(٧٥) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٢٠ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٦٥ .

(٧٦) الوزير هو محمد بن مقلة .

(٧٧) الصولي ، الاوراق ، ص ٧٦ .

اللازمة للضائقة الاقتصادية التي تعرضت لها الدولة عام ٣٣٤هـ ـ ٩٤٥م(٧٨).

ولم تكن الدولة وحدها تقترض من التجار ، وانما كان يلجأ اليهم أناس آخرون من قادة الجيش (٧٩) . واصحاب الاراضي والعقارات عندما تكون بذمتهم اموال الدولة ، من ضرائب وخراج ، ولا يستطيعون تسديدها فيعرضون لعقاب الحكومة (٨٠) .

ومن ضمن اهل السوق البقالون والباعة المتجولون الذين كانوا يقومون بالبيع والشراء . بشكل محدود ، دون ما حاجة الى رأس مال كبير ، او مهارة، أو تخصص دقيق . ومثل هذه التجارة يكون عادة ، نطاقها محدود ، ومداها ضيق ، ومبيعاتها صغيرة ، وأرباحها قليلة (٨١) .

ومن العاملين في اسواق بغداد الصناع . ومع ان المصادر لا تعطينا تفاصيل دقيقة عن احوالهم خلال فترة البحث ، الا اننا نستطيع ان نميز نوعين: منهم المأجورون الذين يقومون بعملهم لحساب غيرهم لقاء اجور محدودة يأخذونها(٨٢) . ومنهم الصناع المستقلون الذين يمارسون عملهم في حوانيتهم لحسابهم الخاص ، من ذوي الحرف الذين ورثوها عن آبائهم . وهم على العموم احسن مكانة من الصنف المأجور ، فهم يمتلكون وسائل الانتاج والادوات البسيطة ورأس المال ، ولهم حرية التصرف في عملهم كما يشاؤون

---

(٧٨) مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ٢ ، ص ٨٣ .
(٧٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص‌ص ١٣٠ ـ ١٣١ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، جـ ٢ ، ص ١٧ .
(٨٠) ابن المعتز ، ارجوزة في تاريخ امير المؤمنين المعتضد بالله ، ص ٩ ـ ١٠ . متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ١ ، ص‌ص ١٨٨ ـ ١٨٩ . احمد أمين ، ظهر الاسلام ، جـ ١ ، ص ٣٢ . يونس أحمد السامرائي ، شعر ابن المعتز ، (رسالة دكتوراه) ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ .
(٨١) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٥٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٣ . الدوري ، تاريخ العراق ، ٢٦٠ .
(٨٢) الانباري ، نزهة الالباء ، ص‌ص ١٨٣ ـ ١٨٤ . الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٣٩ .

بعيدا عن السيطرة والتسلط والاستغلال [٨٣] .

وكان بمقدور الصنف الثاني من الصناع ، ان ينعموا بثمار اتعابهم ، ويزيدوا دخلهم بمهارتهم في الصناعة ، وحماسهم في العمل ، كيفما شاءوا .

الا أنه يظهر ان الصناعة ، كانت آنذاك ، لا تدر الا دخلا محـــدودا قد يضمن للصناع حياة متوسطة . وبذا لم يكن في مقدورهم جمع رأسمال كبير [٨٤] على الرغم من ان قسما منهم كان يمارس اكثر من عمل واحد ، ذلك ان شيخا خياطا في سوق الثلاثاء كان يقرىء القرآن في مسجد هناك ، ويخيط الثياب في حانوته باجرة [٨٥] .

وترد اشارات قليلة في المراجع عن موارد عدد قليل من اهل الحرف . لكن تلك المعلومات لاتعطي صورة صادقة وكاملة للوضع المالي ـ خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها ـ لانها لا تدلنا الا على دخل أقلية صغيرة من الصناع العاملين في أسواق بغداد [٨٦] .

ويبدو ان الحكومة لم تعمل شيئا لحماية اصحاب الحرف من المشتغلين في الاسواق ، ولم تكلف نفسها مشقة معرفة ما يصيبهم من ظلم وتعسف ، أو ما يفرض عليهم من ضرائب .

وقد كانت اجرة العمال زهيدة ، مما يدل على انهم كانوا يعيشون في فاقة . ولم تطرأ زيادة ملموسة في اجورهم . ولعلها كانت تمثل الحد الادنى لحاجاتهم البسيطة . ففي أواخر القرن الثالث الهجري كانت يومية العامل الذي يشتغل في خرط الزجاج درهما ونصف الدرهم [٨٧] . وأجرة عامل في

---

(٨٣) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢١٨ .
(٨٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٦ ، ص‌ص ١٧٦ ـ ١٧٧ .
(٨٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٣١ .
(٨٦) الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٣٩ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ .
(٨٧) الانباري ، نزهة الالباء ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

حانوت نصف درهم في اليوم مع كسوته وطعامه . وأجرة عامل الحفر ثلاثة دراهم في اليوم ، وأجرة الحداد خمسة دراهم ، بينما اجرة عامل الحمام خمسة دراهم (٨٨) .

ويتقاضى العامل الذي يحفر قبور الموتى ما بين درهم وثلاثة دراهم عن حفر كل قبر (٨٩) . في حين كانت أجرة البناء تتراوح بين قيراط وخمس حبات (٩٠) . واشتغل عامل أسود عند أبي العتاهية مقابل رغيفين من الخبز كل يوم ، فلما شكا العامل حاله زاده ابو العتاهية رغيفا آخر (٩١) .

وحتى من كان يشتغل منهم في دار الخلافة ، فان راتبه كان زهيدا لا يتجاوز الثلاثين درهما في الشهر ، كما هو الحال بالنسبة للحرفيين الذين اشتغلوا في قصر الخليفة المعتضد بالله (٩٢) .

ونستطيع ان ندرك تفاهة يومية العامل التي يشتغل في أسواق بغداد ، اذا ما علمنا ان وجبة الغداء التي كان يتناولها في أحد مطاعم العاصمة تكلف ما بين دانق الى عشرين دانقا (٩٣) . وان باستطاعة العامل ان يعيش يومه بدرهم (٩٤) واذا قتر على نفسه يكفيه نصف درهم (٩٥) ، وان الفقهاء يعتبرون الشخص الذي يكون دخله مائتي درهم في السنة فما دون ، فقيرا ويستحق الصدقة ، اذ يصبح دخله الشهري ١٦ر٥ درهما . وبهذا المورد الزهيد لا يستطيع المرء ان يحصل على الضروري من الحاجيات (٩٦) .

---

(٨٨) ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص ٣٨٤ .
(٨٩) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥٦٠ . الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٣ ، ص ١٣٤ .
(٩٠) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٠ .
(٩١) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ٣ ، ص ١٣٣ .
(٩٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢ .
(٩٣) متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .
(٩٤) ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص ١٣٨ .
(٩٥) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣٩ . الانباري ، نزهة الالباء ، ص ١٨٣ — ١٨٤ .
(٩٦) العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية ، ص ١٦٠ .

مكانة اهل السوق الاجتماعية :

لقد ركز المؤرخون العرب جل اهتمامهم على تدوين شؤون دار الخلافة وحوادث السياسة والحروب ، واسهبوا في ذكر ترف الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة والحاشية (٩٧) • ولم يتركوا لنا صورة واضحة عن احوال الطبقة العامة ، من الناحية الاجتماعية والاقتصادية في تلك الحقبة • غير اننا نستطيع ان نرسم الخطوط الرئيسة لتلك الصورة ، مستعينين بما نعثر عليه ، من نصوص مبعثرة هنا وهناك في كتبهم وادابهم •

وكان الاسلام قد شجع التجارة ، وزكى الحرف (٩٨) • الا أن الامويين

---

(٩٧) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، صص ٦٠٨ ــ ٦٠٩ . و ج ١٠ ، ص ٣٠ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ . الصابي ، الوزراء ، ص ١٩٥ و ٢١٦ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ٦ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٣٠ . ولطائف المعارف ، صص ١٢٠ ــ ١٢١ . ابن طيفور ، بغداد ، ص ١١٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ١١٧ ــ ١١٨ و ٢١٥ . و ج ٢ ، ص ١٢٠ و ج ٧ ، ص ٢١٧ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٥ ، و ٣٧ . الازدي ، حكاية ابي القاسم ، صص ٢٣ ــ ٢٤ . ابن دقماق ، نزهة الانام ، ورقة ٩ . والانتصار لواسطة عقد الامصار ، ص ٦٧ و ١١٧ . ابن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٣٢ ــ ٣٣ و ٩١ ــ ٩٢ ، و ٩٨ ــ ٩٩ و ١٠٣ ــ ١٠٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٧ ، ١٣٨ . الاكمة ، تزيين الاسواق ، ج ٢ ، ص ١١٧ . الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ٢٢٢ . الشابشتي ، الديارات ، صص ١٠٠ ــ ١٠١ .

(٩٨) البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ . البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٩ ، ورقة ٥٥٣ . ابن آدم ، الخراج ، ص ٩٤ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، صص ٥ ــ ٦ . رسائل أخوان الصفا ، ج ١ . صص ٢٨٦ ــ ٢٩٠ . الاصفهاني ، محاضرات الادباء ، ج ص ٤٥٩ . الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

كانوا لا ينظرون للتاجر بعين التقدير ، فلم نجد لفئة التجار شأنا كبيرا في تاريخهم وهكذا كان الحال في بداية قيام الدولة العباسية (٩٩) .

ثم ما لبث هذا الوضع ان تغير ، فالخليفة هرون الرشيد اشرك أهل أسواق بغداد في البيعة لابنه المأمون سنة ١٨٣هـ ـ ٧٩٩م (١٠٠) .

وأحدث القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) تغييرا كبيرا في نظرة المجتمع الى التجارة والحرف الاخرى وصرنا نلمس بوضوح شغف الناس بحب المال من اجل تحقيق السعة في العيش والمنزلة اللائقة بين الناس الذين نظروا الى الثراء نظرة عالية (١٠١) . واخذ بعض افراد حاشية الخليفة يمارس التجارة التي كانت تدر عليهم ارباحا طائلة (١٠٢) .

ولما اصبح الاشتغال في أمور التجارة والمال وضمان الخراج ، قد يوصل صاحبه الى منصب الوزارة . فقد سبق للفضل بن مروان ، وزير المعتصم ، ان مارس التجارة قبل ان يتقلد الوزارة (١٠٣) . كما ان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات اشتغل بالتجارة ، ووجدت له بيوت فيها انواع التجارات من

---

(٩٩) يورد الجهشياري رواية مفادها ان تاجرين من تجار الطعام في أسواق بغداد قالا لشريكهما : « انت رجل شريف وابن شريف ، وليست التجارة من شأنك » . انظر : الوزراء ، ص ١٨٦ .
وأمام هذا النص يقف الباحث بحذر ، ذلك ان التاجرين لم يكونا صادقين في زعمهما بان محترفي التجارة غير شرفاء . ولابد أن يكون وراء قولهما هذا اطماع مادية ، ارادا ان يستأثرا بها دون شريكهما الجديد الذي قرضه عليهما كاتب الخليفة المهدي . اذ ليس من المنطق أن يدعيا انهما لم يكونا من الشرفاء . ودليلنا على ذلك أنهما أعطيا لهذا الشريك ثلاثين الف دينار مقابل تخليه عن شركتهما . (انظر : الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٦) .

(١٠٠) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٤٦ .

(١٠١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٣١٣ ، و جـ ٣ ، ص ١٠١ .

(١٠٢) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٧٢ ، و ٣١٨ ر ٣٢٠ . الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، جـ ١ ص ١٥٢ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, p. 68.

(١٠٣) الثعالبي ، الاعجاز والايجاز ، ص ١٠٢ .

مختلف الحبوب ، والظاهر انه استغل منصبه في تصريف أموره التجارية مما دفع الخليفة المتوكل على الله مصادرة امواله [١٠٤] .

وكان محمد بن عبدالملك الزيات يفتخر بانه كان تاجرا ، وعن طريق التجارة والادب استطاع ان يتقلد منصب الوزارة ، وقد عبر عن ندمه على تركه التجارة حين أخذ يؤنب نفسه التي حبذت له ترك التجارة ، وتقلد منصب الوزارة [١٠٥] .

وصار التجار وأهل السوق يؤخذ رأيهم في بعض الامور السياسية . ففي سنة ٢٦٢هـ ــ ٨٧٥م جلس أبو احمد بن المتوكل ببغداد « ودعا بجماعة من التجار ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين (المعتمد) أمر بتولي يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس والشرطة بمدينة السلام » [١٠٦] .

وكان لعلي بن عيسى ، وعلي بن الفرات ، سلع تجارية معروضة في اسواق بغداد [١٠٧] ، واشتغل حامد بن العباس في بدء حياته بالتجارة ، وكان لازدياد ثروته ، وعظم مكانته ، أثر كبير في تقلده منصب الوزارة عام ٣٠٦هـ ــ ٩١٨م [١٠٨] . فقد رشح لهذا المنصب لأنه ذو يسار عظيم [١٠٩] ، وضياع كثيرة [١١٠] .

---

(١٠٤) الوطواط ، غرر الخصائص ، ص‌ص ١٤٢ ــ ١٤٣ . ابن دحية ، النبراس ، ص ٨٣ . الصولي ، اشعار اولاد الخلفاء ، ص ٢٦ . الريس ، الخراج ، ص ٤٧٩ .

(١٠٥) الوطواط ، غرر الخصائص ، ص ١٤٢ .

(١٠٦) الطبري ، م. ق . ج ٩ ، ص ٥١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٧ .

(١٠٧) الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

(١٠٨) نفس المصدر والمكان . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

(١٠٩) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٧٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٥٨ .

(١١٠) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، (مطبعة المفيد) ، ج ٨ ، ص ٦٣ .

وعندئذ لم يكن بالامكان حرمان اهل السوق من حقوقهم الطبيعية نظراً للمكانة التي صارت لهم[111] . وأصبح الثراء من المعايير التي يؤخذ بها لتحديد المركز الاجتماعي للفرد . وهكذا صار المال يقوم بدوره المعهود في المكانة الاجتماعية ، وأصبح شرطا ضروريا في التقدم الاجتماعي ورفع مستوى المعيشة لاصحابه[112] . فالثراء والمال ، وسعة ذات اليد والسخاء ، كانت من جملة الشروط التي قد تؤهل صاحبها لان يتولى الوزارة [113] .

وبات الرأي العام لا يغض ابدا من شأن التجارة والصناعة . فامتدح الجاحظ استقلال التجار « لانهم في افنيتهم كالملوك على أسرتهم ، يرغب اليها أهل الحاجات . وينزع اليهم ملتمسوا البياعات ، لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا تستعد الضرع لمعاملاتهم » [114] . الا ان الجاحظ [115] استكثر على التجار ركوب البرذون [116] .

واشار اخوان الصفا بشيء من المبالغة حين قالوا : « ان الناس كلهم ، اما صناع او تجار » [117] . واعتبر السبكي [118] تجار البز من الظرفاء ، ولهم مكانة مرموقة في المجتمع . وهكذا اعتبرت التجارة من أفضل أنواع

---

(١١١) التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
(١١٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٢ ، صص ٣١٢ – ٣١٣ . و ج ٣ ، ص ١٠١ . الابشيهي ، المستطرف ، ج ٢ ، صص ٦٠ – ٦١ .
(١١٣) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٢ .
(١١٤) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص ١٥٦ .
(١١٥) البخلاء ، ص ٢٢٣ .
(١١٦) البرذون : هو حيوان من فصيلة الخيول ، الا أنه يختلف عن الخيول العراب . (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٧٩ ، ج ٥، ص ١٩٥) .
(١١٧) رسائل اخوان الصفا ، ج ١ ، صص ٢٨٥ – ٢٨٦ .
(١١٨) عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٢ ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، صص ١٠٢ – ١٠٣ .

الكسب [١١٩] ، واعتبر التجار ضمن الطبقة الخاصة [١٢٠] ، ومن الضروري اشتراكهم في البيعة للخليفة الجديد [١٢١] . وفي هذا اعتراف رسمي واجتماعي بهم ، كما انه يشير الى الدور الهام الذى يلعبه التجار في الحياة السياسية ، وان السلطة كانت تنظر اليهم باعتبارهم فئة متضامنة معها في المسؤولية .

هكذا ازدادت أهمية المال ، واحتل كثير من الاثرياء وظائف ادارية رئيسة ، وبلغوا مكانة عالية في المجتمع ، ولعبوا دورا هاما في الامور السياسية، وشاركوا في سياسة الدولة ، وحاولوا توجيهها حتى تتفق مع مصالحهم الخاصة [١٢٢] .

وتؤكد الروايات التاريخية ان بعض تجار بغداد كان يمتلك ثروة عظيمة تقدر بملايين الدنانير [١٢٣] ، وصار لديهم نفوذ واسع ، اذ اصبح باستطاعة بعضهم الوصول الى الخليفة والتأثير عليه وتهديد الوزير وهو في منصبه ، وابداله بوزير غيره يأتمر بأمرهم [١٢٤] .

وعن طريق الثروة التي كان يمتلكها ابو بكر بن قرابة ، نشأت له صلة قوية مع الخليفة المقتدر بالله ، واستطاع أن يؤثر عليه وان يجعله يوافق على

---

(١١٩) جرونيباوم ، حضارة الاسلام ، ص‌ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(١٢٠) عادل محيي الدين الالوسي ، الرأي العام في القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير قدمت لعمادة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٣ ، ص ٦١ .

(١٢١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٤٦ .

(١٢٢) الصابي ، الوزراء ، ص ١١١ . الصولي ، أشعار اولاد الخلفاء ، ص ٢٦ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(١٢٣) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٥ . عريب ، الصلة ، ص‌ص ٣٣ ـ ٣٤ ، الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٦٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢٧ ، ٢١٢ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, p. 63.

(١٢٤) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠ و ١١١ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٣ . ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص‌ص ٣٥ ـ ٣٦ .

اسناد منصب قاضي القضاة الى ابن ابي عمر بعد وفاة ابيه [١٢٥] .

وبحكم تلك الصلة الوثيقة التي قامت بين ابن قرابة وبين الخليفة المقتدر بالله ، كان الاخير يطلعه على الضائقة المالية التي كانت تتعرض لها الدولة . ومن المؤكد ان الخليفة كان يرمي من وراء ذلك الحصول على مساعدات مالية لميزانية الدولة من هذا الثري البغدادي ،الذي كان يملك من المال ما لايحتاج اليه [١٢٦] . وعلى الرغم من تعرض امواله للمصادرة ، الا ان مورده السنوي بقي أكثر من عشرين الف دينار خالصة له ، اضافة الى الاملاك والفرش والرقيق والخدم والغلمان والكراع التي قدرت بحوالي ثلاثين ألف دينار[١٢٧] .

وهكذا احتل تجار بغداد منزلة اجتماعية عالية في السلم الاجتماعي ، وصاروا يسكنون في احياء ودروب علية القوم . قال ابن الجوزي : « وكان لارباب المروآت دروب تخصهم ، درب الزعفران بالكرخ لا يسكنه ارباب المهن ، بل أهل البز والعطر . ودرب سليمان في الرصافة مقصور على القضاة والشهود وكبار التجار »[١٢٨] .

واصبح تجار بغداد خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، يتطلعون الى حياة الترف والبذخ التي كان يحياها الخلفاء والامراء والوزراء [١٢٩] . كما انهم كانوا بين المدعوين في الحفلات التي كان يقيمها الخلفاء والامراء [١٣٠] . واذ زار احدهم الوزير علي بن الفرات ، أمر بعض غلمانه ليوصل التاجر الى داره اكراما له ، كما ان الوزير كان يوصي بانجاز

---

(١٢٥) الهمداني ، تكملة ، جـ ١ ، ص ٦٧ .
(١٢٦) نفس المصدر والمكان .
(١٢٧) نفس المصدر ، ص ٦٨ .
(١٢٨) مناقب بغداد ، ص ٢٨ . انظر : الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣ .
(١٢٩) الوطواط ، غرر الخصائص ، ص‌ص ٢٢١ ــ ٢٢٣ . سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٨١ .
(١٣٠) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٣٤ .

معاملاتهم [١٣١] . ويخصهم بعقد ضمان الاقاليم [١٣٢] وكانت لهم مخاطبات خاصة [١٣٣] . وبذلك اعتبرهم الصابي [١٣٤] ضمن خواص الناس لـدى استدعاهم امير الجيش ليشاركوا في اختيار الخليفة الجديد بعد وفاة الراضي بالله سنة ٣٢٩هـ ـ ٩٤٠م [١٣٥] واطلق احد الباحثين المحدثين على مياسير التجار هؤلاء اسم « بياض العامة [١٣٦] .

وقد اصبح تجار بغداد موضع ثقة بعض المسؤولين ، يلجأون اليهم في الظروف العصيبة ، ويودعون عندهم الاموال التي يخشون عليها من غائلة المصادرة التي قد يلحقها بهم الخليفة . وكان الوزير علي بن الفرات قد أودع عند جماعة من تجار بغداد اموالا جليلة أثناء وجوده في وزارته الاولى [١٣٧] .

وفي أثناء محنته استرجع من تاجرين سبعمائة الف دينار واعطاها للخليفة كجزء من الغرامة التي فرضت عليه [١٣٨] . وتبين أن ابن الفرات اودع عند التجار مائة وخمسين الف دينار اثناء تقلده الوزارة المرة الثالثة [١٣٩] . وكذلك فعل حامد بن العباس وغيره من المسؤولين [١٤٠] .

---

(١٣١) الصابي ، الوزراء ، ص ١١٢ . ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص‌ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(١٣٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٧١ .
(١٣٣) نفس المصدر ، ص ١٥٨ .
(١٣٤) رسوم دار الخلافة ، ص ٢٠ . انظر : ابن مهمندار ، فضائل بغداد العراق ، ص ٢١ . الالوسي ، الرأي العام ، ص ٦١ .
(١٣٥) الصولي ، الاوراق ، ص‌ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
(١٣٦) آمال العمري ، المنشآت ، ص ٦٨ .
(١٣٧) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٤٤ .
Fischel, op. cit. pp. 571-572.
(١٣٨) مسكويه ، تجارب الامم ،ج ١ ، ص ٦٦ و ٥٢ .
(١٣٩) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٢٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ١٩٠ . الصابي ، الوزراء ، ص ٦٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٨ .
(١٤٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٩٤ .
Fischel, op. cit. pp. 571-572.

على الرغم من كثرة موارد التجار ، الا أن بعضهم كان يتطلع الى تقلده المناصب الحكومية ويفضلها على ممارسة التجارة (١٤١) .

ولم تشكل التجارة عائقا امام أهل السوق في تحصيل العلم والادب . فقد واكبوا التطور الثقافي الذي شهدته حاضرة الخلافة العباسية بغداد (١٤٢). وقال الضحاك : « ما من تاجر ليس بفقيه ، الا من أكل من الربا شيئا » (١٤٣). وعندئذ أصبح في مقدور اهل السوق أن يشتركوا في حوادث عصرهم ويعبروا عن وجهة نظرهم فيها .

ويبدو ان عدد المثقفين من أهل السوق كان كبيرا ، بحيث تساءل الجاحظ قائلا : « فأي صنف من العلم لم يبلغ التجار فيه غاية ، أو يأخذوا منه بنصيب » (١٤٤) . وبذلك عد قسم من التجار في صفوة العلماء الذين تحلوا بالعلم والمعرفة والصلاح والوقار (١٤٥) .

ومن العاملين في الاسواق ممن تقدمت بهم الحال ، وبلغ مكانة مرموقة في السلم الاجتماعي : ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، الذي كان يشتغل بخرط الزجاج في أسواق بغداد ، وكان كسبه في اليوم درهما ونصف درهم .

---

(١٤١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١١٦ ، و ٢٩٢ . الثعالبي ، الاعجاز والايجاز ، ص ١٠٢ . مسكويه ، تجارب ، ج ٢ ، ص ١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٨٩ . محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ص ٢٥٨ . جرونيباوم ، حضارة الاسلام ، ص‌ص ٢٢١ – ٢٢٢ .

(١٤٢) انظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٣١ ، و ج ٦ ، ص ١٩ ، و ١٠٥ – ١٠٦ ، و ١١٩ – ١٢٠ .

(١٤٣) المقدسي ، لطائف الظرائف ، ص ٢٨ . انظر : وكيع ، اخبار القضاة ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(١٤٤) رسائل الجاحظ ، ص ١٥٧ .

(١٤٥) الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٢٨٤ – ٢٨٥ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص‌ص ٤٧ – ٤٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٣ . وكيع – أخبار القضاة ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

وقد درس النحو على يد المبرد فكان يعطيه في كل يوم درهما ويكفي نفسه بما تبقى من أجر يومه • واستمر على تلك الحال الى أن أصبح من ائمة النحو البارزين [١٤٦] •

ورغبة الزجاج في التعلم قد يكون لها دافعان : أولهما دافع موضوعي ، ورغبة ذاتية خاصة ، وشغف بحب العلم مجرد من النزوات الاخرى • وثانيهما : ان الزجاج أدرك واقعه الاجتماعي والطبقي المنخفض ، وشعر أنه من الصعب عليه تغيير ذلك الواقع ما لم يحصل على قسط كاف من التعلم الذي كان يأمل من ورائه ان يزداد دخله اليومي أكثر مما كان عليه ، وهذا بدوره يغير من وضعه الاجتماعي •

ومنذ ان انشئت بغداد تقاطر عليها أهل الحرف اذ ان « حذاق أهل الصناعات انتقلوا اليها من كل بلد واتوها من كل افق » [١٤٧] • ثم أن نظرة الثورة الاجتماعية التي رافقت قيام الدولة العباسية ، أثرت بدورها على وضع أهل الحرف ومركزهم ، فلم يعودوا من الموالي فقط ، بل وجدت بينهم جماعات عربية ، كما انهم لم يقفوا بعيدين عن الحركات الاجتماعية ، بل شاركوا فيها بصورة فعالة [١٤٨] •

وفي عهد الخليفة المأمون ارتقت طبقات أهل الحرف ، وصار الخليفة يرعاها ، واصبحت لهم مكانة خاصة ، الامر الذي جعل (حتي)[١٤٩] يضع التجار والصناع واهل الحرف ضمن الطبقة العليا ، في حين اعتبر قوام الطبقة

---

(١٤٦) الانباري ، نزهة الالباء ، ص ١٨٣ — ١٨٤ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٧٤ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ١٧٦ — ١٧٧ . متز ، الحضارة الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

(١٤٧) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٥١ .

(١٤٨) الدوري ، « نشوء الاصناف والحرف في الاسلام » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الاول ، لسنة ١٩٥٩ ، ص ١٣٤ .

(١٤٩) تاريخ العرب ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ و ٤٢٠ . انظر : عادل الالوسي ، الرأي العام في القرن الثالث الهجري ، ص ٦١ .

السفلى ، الفلاحين ورعاة المواشي وسكان الارياف . لكن (ابن الربيع) وضع أهل السوق في مرتبة العامة [150] .

وخلال الربع الاخير من القرن الثالث الهجري (النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي) ، اصبح اهل الحرف يشتركون في حشم الخليفة المعتضد بالله ، ويتقاضون ارزاقا من الدولة ، ومنهم الصاغة والخياطون والاساكفة ، والحدادون ، والفراءون ، والمطرزون ، والوراقون ، والنجارون، والخراطون وغيرهم [151] . وارجح ان عددهم كان غير قليل ، وبذا يكون ما يتقاضونه من مبالغ كبيرا ، لذا وجدنا ان الاجراءات التقشفية التي اتخذها الوزير علي بن عيسى سنة ٣١٥هـ - ٩٢٧م لتلافي العجز في ميزانية الدولة قد شملت اولئك الحرفيين أيضا [152] .

---

(١٥٠) ابن الربيع ، سلوك المالك في تدبير الممالك ، ص ٦٦ و ٨٨ . انظر ايضا : اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٥٣ . جرونيباوم ، حضارة الاسلام ، ص ٢٧٤ . أحمد امين ، ظهر الاسلام ، ج ١ ، ص ١١٤ .

(١٥١) الصابي ، الوزراء ، ص ٣١٤ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٥٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٤ .
Kremer, Abbasiden - Reiches, p. 68.
Sourdel, op. cit. Toom II, pp. 443-444.

(١٥٢) مسكويه ، تجارب ، ج ١ ، ص ١٥٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٧٤ .

الفصل الثاني

اشتراك أهل السوق في الفتن والاضطرابات الداخلية

كانت الخلافة العباسية تخشى ان تغضب أهل السوق والعامة ، أو ان تستفز مشاعرهم ، حتى لا تدخل في غمارهم ، اذ انها ادركت ان ذلك اصلح في تسيير أمور الدولة [1] .

الا أن أهل اسواق بغداد لم يكونوا بمعزل عما يدور في مجتمعهم . فشاركوا في الفتن والاضطرابات ضد السلطة منذ وقت مبكر . وقد يكون مرد ذلك الى أن جل المعارضين للحكومة كانوا يتخذون من الاسواق مواضع للتعبير عن سخطهم ومعارضتهم . فذكر الطبري عن الفضل بن سليمان الهاشمي عن ابيه رواية مفادها ان انصار (محمد ذو النفس الزكية) أثاروا اضطرابات في المدينة المدورة وأسواقها عام ١٥٧هـ – ٧٧٣م ، وكان محتسب بغداد أبو زكريا يحيى بن عبدالله قد تعاطف معهم ، وكان ذلك أول مظهر لتبرم أهل السوق في بغداد [2] .

وشكا الخليفة المهدي للمقربين منه ، من ان اهل السوق ، وبخاصة التجار والصيارفة ، أفسدوا ذمم الناس وعودوهم على مخالفة الحكومة [3] . وهذا يعني اتساع الهوة بين السلطة وبين أهل السوق .

---

(١) ابن طيفور ، بغداد ، ص‌ص ٥٤ – ٥٥ . ابن قلال العسكري ، آثار الأول ، ص ٦٩ .

(٢) الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص‌ص ٦٥٣ – ٦٥٤ . الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٢٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٧٩ – ٨٠ ، الالوسي ، أخبار بغداد ، ورقة ٢٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ .

(٣) المدور ، حضارة الاسلام ، ص ٨٨ .

ويبدو ان الحكومة لم تحاول جديا استصفاء قلوب أهل السوق ، كما كانت تحاول ترضية الجند عندما يشغبون [٤] . ولهذا نجدها تفقد تأييد هؤلاء الناس لها ، خاصة عندما كانت تتعرض بغداد لاضطرابات داخلية تكاد ان تزعزع اركان الدولة [٥] .

ومن المؤكد ان اهل السوق لم يكونوا متحمسين للاشتراك في الاضطرابات التي تثور على السلطة ، فقد التزم اهل السوق جانب الهدوء والسكينة عندما شغب الجند على أثر سماعهم نبأ وفاة الخليفة محمد المهدي [٦] . وفي بعض الاحيان كانت الظروف تدفع بهم رغم انفهم ، أو عندما تمس مصالحهم بصورة مباشرة وحينذاك لا يتوانون عن الخوض في مثل تلك الاضطرابات بكل طاقاتهم [٧] .

لقد عانت بعض فئات العاملين في اسواق بغداد من الحرمان والجوع [٨]

---

(٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٥ و ١٣ و ٣٨ و ٧٤ و ٧٥ و ١٢٧ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٥٧ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٨٢ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٦ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٠٨ و ٢٣٦ . الكندي ، الولاة ، ص ٢١٧ . عريب ، الصلة ، ص ٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٣ .

(٥) ابن طيفور ، بغداد ، ص ١٠ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ . ص ٢٠٢ . الصولي ، الاوراق ، ص ٢٢٦ و ٢٤١ . عريب ، الصلة ، ص ٢٣ و ٢٩ و ١٤٤ . ابن دقماق ، نزهة الانام ، ورقة ٥٨ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص‌ص ١٧٣ — ١٧٤ .

(٦) الطبري ، م. ق ، ج ٨ و ص‌ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(٧) الصابي ، الوزراء ، ص ٨٨ و ١١٦ و ٢٩٢ . مسكويه ، تجارب الامم . ج ١ ، ص ٨ و ٣٨ و ٥٠ و ٤٢ و ١٨٤ و ١٩٩ ، و ٢٠٠ و ٣٢٠ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٦ و ٦٢ و ٧٥ و ٨٣ و ١٢٢ .

(٨) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٣٤٩ . الصولي ، الاوراق ، ص ٦١ . العيون والحدائق ، ج ٤/قسم ١ ، ص ١٩٦ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ٢ ، ص ٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣١٨ ، و ٣٣١ و ٣٤٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٢٣ و ٢٨٨ و ٢٩٤ و ٣٢١ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٢٥ — ابن العماد ، شذرات ، ج ٢ ، ص ١٢٤ — ١٢٥ . ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

والازدراء الاجتماعي[٩] • وهذا ما يفسر تأييدها لبعض الحركات المعارضة للسلطة او لجوءها الى اساليب متطرفة تفتقر الى النظام والوسيلة المشروعة[١٠]• وهذا امر قد نجد ما يبرره في وضعهم السيء من جهة ،وفي تعسف الحكومة وما مارسته من قسوة وظلم من جهة أخرى[١١] •

تأثر بعض أهل السوق بالاوضاع السياسية التي حدثت في العاصمة ، كالفتن والمنازعات الدينية والعنصرية والاطماع الشخصية التي شهدتها الحقبة التي نحن بصدد دراستها • فيبدو ان بعض أهل اسواق بغداد قد انحازوا الى الخليفة الامين في صراعه مع أخيه المأمون ، اذ كانت اسواقهم قد حشرت بالجند في اثناء اعداد جيش علي بن عيسى بن ماهان الذى ارسل لمحاربة المأمون « وأشخص مع ابن ماهان الصناع والفعلة »[١٢] •

وخلال حصار بغداد سنة ١٩٧هـ – ٨١٢م قاوم اهل اسواق الكرخ جيش المأمون المطبق على العاصمة بغداد ، لذلك ، « سمى طاهر (بن الحسين) الارباض التي خالف أهلها ، ومدينة ابي جعفر الشرقية ، واسواق الكرخ والخلد وما ولاها دار النكث »[١٣] •

وابان اقتحام جيش المأمون لبغداد ، كان احد البزازين من باب الطاق قد أخفى الفضل بن الربيع لينقذه من مطاردة رجال المأمون وعيونهم الذين كانوا جادين في طلب الوزير ابن الربيع[١٤] •

---

(٩) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٢٢٣ ، الجهشياري ، الوزراء ، ص ١٨٦ • ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص‌ص ١٢٩ – ١٣٠ • الدمشقي ، الاشارة ص ٤٣ – ٤٤ • الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ٩ •

(١٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٤ – ٧٥ • ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٥٨ ، و ج ٦ ، ص ١٦٦ •

(١١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٣٢ و ١٤٦ • الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨١ •

(١٢) الطبري ، م• ق ، ج ٨ ، ص ٤٠٦ •

(١٣) نفس المصدر ، ص ٤٤٧ • ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٥٨ •

(١٤) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٢٦ •

ولما سمع طاهر بن الحسين ، أن أهل السوق لم يلزموا اسواقهم ، ولم يتخلوا عن الخوض في المناوشات الحادة بين الخليفة الامين وجيش المأمون ، تقدم الى الشرقية وأرباضها ، والكرخ وأسواقها وقاتل اهلها بنفسه . ولشدة ما لاقى من مقاومة أهل السوق له ، اضطر أن يضع « بقصر الوضاح وسوق الكرخ والاطراف قوادا وجندا في كل موضع على قدر حاجته منهم »(١٥) .

وقد سبق ان تذمرت بعض فئات أهل السوق من سوء احوالهم الاقتصادية . فتآزر أهل الحرف والباعة المتجولون وصغار التجار الذين كسدت سوقهم ، وبارت سلعهم . فقد ذكر الطبري (١٦) : ان باعة الطريق وأهل السجون والأرباض وأهل السوق انخرطوا في صفوف العيارين وحاربوا ببسالة قبالة جيش طاهر بن الحسين ، وحصلت مضاعفات ، ونهبت الحوانيت والاسواق وبيوت الاغنياء خلال تلك الفتنة التي دامت اربعة عشر شهرا (١٧) . الا ان اسلوبهم هذا كان يفتقر الى النظام .

ويبدو أن أهل السوق ـ وبخاصة التجار منهم ـ قد شعروا بان كفة المأمون هي الراجحة ، وخاصة بعد أن هرب عبدالله بن حازم بن خزيمة أحد قواد الامين ، من بغداد الى المدائن ، وشاع هذا الخبر بين سكان العاصمة عندئذ « اجتمع التجار بالكرخ على مكاتبة طاهر »(١٨) ، ومفاوضته بعد أن تمكن من احتلال الجهة الجنوبية من العاصمة .

---

(١٥) الطبري ، م. ق ، جـ ٨ ، ص‌ص ٤٧٣ ـ ٤٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٦١ .

(١٦) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ٤٤٨ . انظر : ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ .

(١٧) العيون والحدائق ، جـ ٣ ، ص ٣٣٣ . ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٥٨ ، الدميري ، حياة الحيوان ، جـ ١ ، ص ٨٧ .

(١٨) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠ . لسترانج ، بغداد ، ص ٢٦٣ .

وبذا يكون قائد جيش المأمون قد أحدق تماما بأسوار المدينة المدورة وحينئذ لم يكن ثمة مناص من الوصول الى النهاية المفجعة ، وحينذاك : مشى تجار الكرخ بعضهم الى بعض ، فقالوا : ينبغي لنا أن نكشف أمرنا لطاهر ونظهر له براءتنا من المعونة عليه ، فأجتمعوا وكتبوا كتابا أعلموه فيه أنهم أهل السمع والطاعة والحب له ، لما يبلغهم من ايثاره طاعة الله والعمل بالحق ، والاخذ على يد المريب ، وأنهم غير مستحلى النظر في الحرب ، وأوضحوا للقائد المنتصر أن الذين حاربوه ليسوا من تجار الكرخ ، وانما هم من العيارين وصغار التجار وباعة الطرق[١٩] . وان صحت هذه الرواية ـ وهي الارجح صحيحة ـ فأن موقف تجار الكرخ انما هو خروج صريح على الخليفة الشرعي محمد الامين .

وفي رواية اخرى للطبرى ، أن أهل السوق ما ان سمعوا بان كلا من عبدالله بن حازم ، ومحمد بن علي بن عيسى بن ماهان قد خلعا الخليفة الامين ، ودعوا لعبدالله المأمون ، عندئذ « سكن اهل عسكر المهدي ولزموا منازلهم وأسواقهم »[٢٠] ، وتخلوا عن موقفهم السابق القاضي بمناصرة الخليفة الامين .

وكان مقتل الامين طعنة أصابت انصار الخليفة المقتول ، وعلى رأسهم أهل أسواق الكرخ الذين عطلت أسواقهم وتضررت مصالحهم[٢١] .

ومهما يكن من أمر أهل الاسواق ، فقد جعل طاهر بن الحسين ـ لما دخل بغداد ـ من أسواق الكرخ مكاناً يستأمن فيه أهل بغداد ، اذا أرادوا الامان ، ووضعوا السلاح ، وبايعوا المأمون[٢٢] . مما يدل على أن تلك الاسواق كانت تشكل مركز المعارضة لجيش المأمون المقتحم بغداد .

---

(١٩) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ .
(٢٠) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٧٣ .
(٢١) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٥١ .
(٢٢) العيون والحدائق ، ج ٣ ، ص ٣٣٥ .

يورد اليعقوبي رواية طريفة اذ يقول : « وكان طاهر في الجانب الغربي وهرثمة في الجانب الشرقي ، وحرب بغداد قائمة في الجانبين جميعا ، الا أن الاسواق قائمة والتجار على حالهم لا يهاجمون ، ويجتمع على التاجر الواحد جماعة من أصحاب المأمون وجماعة من أصحاب محمد فلا يكون بنهم تنازع »(٢٣) .

وكأنى باليعقوبي يريد أن يضفى على الاسواق شيئا من القدسية ، وأن أهل السوق كانوا غير آبهين لما كان يجري في داخل مدينتهم وأسواقهم من صراعات دموية ساخنة بين الاخوين المتناحرين وأنصارهما . ان منطق الاحداث يتعارض كل التعارض مع ما ورد في هذا النص .

ولكن من المرجح أن أهل أسواق بغداد كانوا وراء مبايعة أهل المدينة لابراهيم بن المهدى بالخلافة بعد مقتل محمد الامين . وبقاء الخليفة المتغلب في خراسان(٢٤) . فصار أهل السوق يتوددون الى بنى هاشم ، وزينوا لهم خلع الخليفة المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي ، ذلك أن المأمون كان قد هجر بغداد وأقام في خراسان . وأثر هذا على النشاط التجارى فيأسواق المدينة بعد أن أنتقلت منها دار الخلافة ومؤسسات الدولة الادارية والعسكرية ، وربما انتقلت من بغداد الطبقة العليا الى حيث يقيم الخليفة(٢٥) .

ولم يكتف أهل الاسواق بتنصيب خليفة جديد يطمئنون الى سياسته

---

(٢٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، جـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(٢٤) الصولي ، أشعار اولاد الخلفاء ، ص‌ص ١٧ ـ ١٨ . الكندي ، الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٦٨ . ابن الساعي . مختصر تاريخ الخلفاء ، ص‌ص ٣٩ ـ ٤٠ . ابو الفداء . المختصر في أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص‌ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢٥) الطبري ، م. ق . جـ ٨ ، ص ٥٥٥ ، ٥٥٧ . ابن الجراح ، الورقة ، ص ١٩ . ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٦٣ . ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣ . الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٠٠ .

ويقيم في بغداد ، ويتخذها عاصمة له • بل ان مياسير التجار أقرضوا ابراهيم بن المهدى (الخليفة الجديد) ، أموالا كبيرة ليصلح بها شأنه • وكان ابراهيم ابن المهدى قد أخذ من التاجر عبدالملك الزيات عشرة الاف دينار • ولما فشلت حركته ، وقدم المأمون الى بغداد ، لم يرجع ابراهيم بن المهدى الاموال التي سبق أن اقترضها الى اصحابها[٢٦] •

ويذكر (ابن كثير)[٢٧] ، أن الجزارين ببغداد أيدوا ابا الحسين يحيى بن عمر العلوى الذي خرج في الكوفة على السلطة العباسية • ولا بد أن تكون وراء هذا التأييد دوافع مذهبية يدين بها اولئك الجزارون •

وكان الخليفة المعتصم بالله قد أكبر من شأن أهل السوق وقوتهم ، وخاف جانبهم ، وتصنع مداراتهم وتلبية مطالبيهم ، لذلك اضطر الخليفة الى نقل العاصمة من بغداد الى سر من رأى بعد أن اعترض عليه أهل السوق لتجاوزات جنده[٢٨] •

وقد انحاز أهل الاسواق في بغداد الى جانب الخليفة المستعين بالله ضد منافسه المعتز بالله ، لان المستعين كان يفضل أعادة مركز الخلافة الى العاصمة السابقة بغداد • وهذا معناه زيادة النشاط التجارى في أسواق دار السلام بعد أن فقدت مركزها منذ أن انتقل الخليفة المعتصم بالله الى سامراء سنة ٢٢١هـ/٨٣٥م[٢٩] • وهكذا اشترك بعض أهل السوق في القتال بصورة فعلية بحيث أسر بعضهم من قبل الجيش المهاجم ، ولما ادعوا بانهم أجبروا على الاشتراك في القتال اطلق سراحهم[٣٠] •

---

(٢٦) الصولي ، أشعار اولاد الخلفاء ، ص ٢٦ •

(٢٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ٥ •

(٢٨) الطبري ، م• ق • ج ٩ ، ص ١٨ • ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ •

(٢٩) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص‌ص ١٩٨ – ١٩٩ • المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ • الالوسي ، أخبار بغداد ، ورقة ٣٠ • ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٧٢ • ابن دحية ، النبراس ، ص‌ص ٦٤ – ٦٥ •

(٣٠) الطبري ، م• ق ، ج ٩ ، ص ٣٢٤ • ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ •

واشترك بعض تجار بغداد في مهاجمة دار القائد محمد بن عبدالله ابن طاهر ، وكادوا أن يفتكوا به ، لانهم لمسوا تراجعه عن تأييد الخليفة المستعين بالله ، وميله نحو المعتز بالله . فأمر القائد ان تحرق الحوانيت التي على باب الجسر يمنة ويسرة ، انتقاما من أهل السوق الذين قاتلوه ، فاحترق فيها للتجار متاع كثير(٣١) .

ومعنى هذا ان أهل الاسواق كان لهم دور كبير في الحياة العامة ، وان انحيازهم بجانب احدى الفئات المتنازعة كان له أثره الفعال في اختلال موازين القوى ، ورجحان كفة على أخرى ، وخلق متاعب جمة امام السلطة . وان الحاق الاذى بالاسواق كثيرا ما كان يربك الحكومة فيفلت من يدها زمام الامور ، ويضطرب حبل الامن ، وقد أدرك ذلك أبو أحمد بن المتوكل ، قائد جيش المعتز عندما كان يحاصر بغداد عام ٢٥١هـ/٨٦٥م ، فعمد الى تعبيئة قوم يحرقون ظلال الاسواق من جانبي بغداد(٣٢) .

ويبدو أن اقدام قائد الجيش ـ الذي حاصر مدينة بغداد ـ على حرق الاسواق وظلالها ، كان يرمي من ورائه الى محاولة احداث ارتباك في مواقع الجيش المدافع عن المدينة المحاصرة وأرغام أهلها على الاستسلام . كما ان قائد الجيش ، أقدم على خطوته تلك ظنا منه أن أهل السوق قد لعبوا دورا كبيرا في احكام الاسوار ، وتعميق الخنادق ، لتقف حائلا دون تقدم الجيش الزاحف من سامراء صوب بغداد .

وأحتج تجار بغداد على ابراهيم المؤيد ، أخي المعتز ، لان اسواقهم قد تعرضت للنهب ، لكنه أفهمهم أنه كان ينبغي عليهم نقل أمتعتهم الى منازلهم أبان الفتنة(٣٣) .

---

(٣١) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٣٥٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ .

(٣٢) الطبري ، م. ق . ج ٩ ، ص ٢٩١ .

(٣٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٢٣ .

وكان أهل السوق احيانا يتحاشون الاصطدام بالسلطة أو بموظفي الحكومة البارزين خوفا على مصالحهم الا أنهم في أحيان اخرى لا يسعهم السكوت ، ولا يطيقونه ، عندما يلحقهم الضرر . فقد أوصل تاجر جواهر ظلامته الى الخليفة المعتضد بالله عندما أخذ منه مؤنس الخادم صاحب الشرطة عقد جوهر قوم بألف دينار ، وعندئذ أجبر الخليفة صاحب شرطته برد العقد الى التاجر(٣٤) .

وعلى الرغم من انشغال أهل الاسواق بامور تجارتهم ، الا أنهم كانوا يشعرون بسوء الاوضاع العامة التي كانت تحيق بالشعب وبهم ، وكثيرا ما عبروا عن استيائهم بأقوال وافعال تتناسب مع مكانتهم في السوق من جهة ، وأهمية الموضوع الذي أثار استياءهم من جهة أخرى . وقد روى ان قطانا قال : « ليس للمسلمين من ينظر في أمورهم »(٣٥) . فلما سمعه الخليفة المعتضد بالله ، استدعى الرجل وكاد أن ينزل به أشد أنواع العقاب ، لولا انه استرحم الخليفة ، وادعى انه انما قصد بقوله هذا ، المحتسب وليس الخليفة(٣٦) .

وكان بعض أهل السوق يتخذون من دكاكينهم مقرا للخوض فيما لايروق للدولة واطلاق الاراجيف والتخرصات التي تسيء الى السلطة . وقد علم الخليفة المعتضد بالله ان اولئك كانوا يجتمعون بباب الطاق ، ويجلسون في دكان أحد التجار ، فأوعز الى وزيره عبيدالله بن سليمان ان يشعرهم بأن الحكومة على علم بنواياهم ، وحذرهم مغبة التمادى في مثل تلك الامور لانها سوف تجر عليهم أسوأ العواقب(٣٧) .

وضغط التجار وأهل السوق على الحكومة عندما شعروا أنها مقصرة

---

(٣٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص‌ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(٣٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص‌ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٣٦) نفس المصدر والمكان .

(٣٧) ابو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ٣ ، ص ٨٨ — ٩٠ .

ومتراخية في اقامة الحدود . ففي سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م احتج اهل باب الطاق وما يليهم من الاسواق ، ومضوا الى دار السلطان محتجين وثائرين لتراخي السلطة بأقامة الحد على رجل نصراني شتم النبي (ص) ، ولم يهدأوا الا بعد أن اوصلوا ظلامتهم تلك الى الخليفة المعتضد بالله الذي انصاع لمشيئتهم ، وكلف يوسف القاضي للنظر في أمر أهـل الســوق ، وتحقيق ما كانوا يطالبون به[٣٨] .

ويبدو أن التجار وأهل السوق كانوا يستشارون في سياسة الدولة . فقد جلس ابو احمد بن المتوكل ببغداد « ودعا بجماعة من التجار واعلمهم أن أمير المؤمنين [المعتمد] أمر بتولية يعقوب بن الليث خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس والشرطة بمدينة السلام »[٣٩] .

ولما حدثت حركة عبدالله بن المعتز سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م كان قسـم من تجار بغداد بتعاطف معها ، فآوى احدهم زعيم تلك الحركة لما اخفقت حركته[٤٠] . في حين آوى تاجر آخر من تجار بغداد علي بن الفرات ، أحـد الاقطاب المناوئين لحركة ابن المعتز[٤١] .

فالتاجر الذي آوى ابن الفرات كان قد حدد موقفه من حركة استهدفت الاطاحة بالخليفة الشرعي . وقد تكون هناك اعتبارات أخرى وراء ايواء التاجر البغدادى لابن الفرات ، الا أن ذلك لا يضعف من الاتجاه السياسي لذلك التاجر .

---

(٣٨) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٥ ، ص ١٧٠ .

(٣٩) الطبري ، م. ق ، ج ٦ ، ص ٥١٦ .

(٤٠) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٧ ــ ٨ الثعالبي ، لطائف المعارف ، ص ٢٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٨١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٢٢ . الانباري ، نزهة الالبـاء ، ص ١٦١ . ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .

(٤١) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣ . ابن الجـوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٦٦ . (ان اسم التاجر الذي تخبأ عنده ابن الفرات هو : الاحوص ابن المفضل ، في حين كان التاجر الحسين بن عبدالله بن الجصاص قد آوى ابن المعتز) .

وليس من شك في أن من مصلحة أهل الاسواق ، ان يسود بلدهم الهدوء والاستقرار والطمأنينة ، لان رواج التجارة وزيادة ارباح التجار تتم عادة في مثل هذه الاجواء . اما الفترات التي تتخللها الفتن والاضطرابات فانها تشل حركة التجارة في الاسواق ، وتلحق الاضرار الفادحة بالتجار وبأهل السوق معا .

وليس معنى ذلك ان أهل السوق كانوا دائماً خنوعين ، يتجاوزون عن الاساءات التي تمتد الى أشخاصهم ففي بعض الاحيان نجدهم يردون بسرعة وعنف على السلطة اذا تضررت مصالحهم ، ففي سنة ٣٢٩/٩٤٠م قتل تجار التمر ببغداد الموظف المسؤول عن حركة السفن المصعدة ، والمنحدرة بين مدينة السلام والبصرة ، ونصبوا رأسه في سوق التمارين بالكرخ لانه كان يتعمد اعاقة تجاراتهم[٤٢] .

وكانت ظاهرة الغلاء ، وارتفاع اسعار المواد والحاجيات عادة ، تؤدى الى شغب العاملين في الاسواق من أصحاب الدخل المحدود . وكانت الجماعات المعارضة للسلطة تتخذ من الاسواق مراكز يتجمعون فيها ، وبخاصة في أوقات الازمات والفتن ، لذلك كانت مشاركة بعض العاملين في الاسواق في تلك الاضطرابات أمرا محتما[٤٣] .

---

(٤٢) الصابي ، الوزراء ، ص ٢٠٦ .

(٤٣) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٣٤٣ و ٣٤٩ . الصولي ، الاوراق ، ص ٦١ و ٦٦ و ٧٠ — ٧١ و ٢٧٨ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٧٣ —٧٥ . و ج ٢ ، ص ٨ . العيون والحدائق ، ج ٤/قسم ١ ، ص ٩٦ و ١١٢ و ١٢٤ — ١٢٥ و ٢٢٩ و ٢٣٥ و ٣٠٩ . الصابي ، رسوم دار الخلافة ، ص ١٨ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٥٦ ، و ٢٨٢ ، و ٣١٨ و ٣٣١ و ٣٤٤ . حمزة ، تاريخ سنى ملوك ، ص ١٣٠ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٢١ و ٢٢ و ٤٨ و ٥٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٦٠ و ٣٢٧ . و ج ٦ ، ص ١٦٣ و ١٦٦ و ١٧٨ و ٢٢٣ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/قسم ٤ ، ص ٧٧٩ .

وفي سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م ، انتصر أهل باب الطاق لشخص منهم كانت الحكومة قد أمرت بضربه بالسياط ، وكانت ضجتهم تلك ، وشفاعة الصولي له ، سببا في تخفيف العقوبة التي كاد أن يتعرض لها الرجل[٤٤] .

ويبدو ان وقوف أهل السوق في الصفوف المعارضة للحكومة ، كان يؤثر مباشرة ، على حرية نشاطهم التجارى ، وتعاملهم في الاسواق ، لان الحكومة كانت تضع أمامهم معوقات كثيرة . مما حدا ببعض تجار بغداد الى الانتقال من هذه المدينة الى بلاد الشام أو مصر تجنباً لتعسف السلطة ومضايقاتها[٤٥] .

واحيانا كانت الحكومة توعز الى بعض رجالها ليستفزوا أهل السوق ، لتتمكن من أن تلحق أفدح الاضرار بهم . ففي سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م تشاجر بقال في سوق الثلاثاء مع بعض أصحاب محمد بن رائق قائد الجيش ، فأوعز القائد لاصحابه بحرق حوانيت كثيرة في سوق الثلاثاء ، فالتهمت ألسنة النيران سلعا كثيرة[٤٦] .

ومن أدلة اشتراك اهل السوق في الحياة العامة . ومساهمتهم في الامور السياسية ، أن أمير الجيش بجكم لما أراد اختيار خليفة جديد بعد وفاة الراضي بالله في ربيع الاول سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م ، أمر أن : « يجتمع مشايخ بنى هاشم من ولد علي والعباس (صلوات الله عليهما) ، ومشايخ الكتاب ، ووجوه العدول والتجار »[٤٧] للمساهمة في اختيار الخليفة الجديد ، فاختير ابراهيم بن المقتدر ، وسمى المتقى لله ، وكان التجار في مقدمة من وفد الى دار الخلافة لمبايعة الخليفة الجديد[٤٨] .

---

(٤٤) الصولي ، الاوراق ، ص ٩٧ .
(٤٥) نفس المصدر ، ص ٢٥١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣١ .
(٤٦) الصولي ، الاوراق ، ص ١٠٤ .
(٤٧) نفس المصدر ، ص ١٨٧ .
(٤٨) نفس المصدر ، ص‌ص ١٨٧ — ١٨٨ .

وكانت لاهل الاسواق مواقف ايجابية تجاه الدولة . فأن أشتراكهم في الامور لم يكن مقتصرا على الفتن والاضطرابات الداخلية التي كانت تثور ضد السلطة بين الحين والحين ، وانما كانوا يشاركون في الحروب الخارجية التي تخوضها الحكومة ضد اعدائها . ففي الحملة التي قادها (هارون بن محمد المهدي) لحرب الروم سنة ١٦٥هـ/٧٨١م « كانت المرتزقة سوى المطوعة وأهل السوق مائة الف »(٤٩) ممن ساهم في تلك الحملة .

وهنا نتساءل ، كيف أن أهل السوق تركوا حرفهم وتجاراتهم ، وبيعهم وشراءهم ، وانخرطوا في سلك الجندية ؟ . لابد أنه كان يحدوهم أمل في الربح والتجارة ، اذ « بيع البرذون بدرهم ، والبغل باقل من عشرة دراهم، والدرع بأقل من درهم ، وعشرون سيفا بدرهم »(٥٠) . ومن المرجح أن اهل السوق في حملة (هارون بن محمد المهدي) ، أستغلوا رخص الاسعار هناك فاشتروا بضائع كثيرة وأتجروا بها بعد رجوعهم .

كما ساهم تجار بغداد بأموالهم لتقوية الثغور ، وحرب الروم(٥١) . وكان أهل السوق أحيانا يؤازرون السلطة للقضاء على العابثين بالامن واللصوص . ففي زمن الخليفة المكتفي بالله تعاون التجار مع صاحب الشرطة في الكشف عن جماعة من اللصوص الذين قلما خرجوا في وضح النهار ، الا في قضاء حاجة ، واذا برحوا مخبأهم ، عادوا اليه بسرعة حتى لا يكتشف أمرهم(٥٢) .

ولا ريب ، أن تعاون اهل السوق مع الحكومة في هذا المجال أملته مصلحتهم التي التقت مع مصلحة السلطة القائمة انذاك ، فأندفعوا مخلصين لاداء تلك المهمة التي عهد بها اليهم .

---

(٤٩) الطبري ، م. ق ، جـ ٨ ، ص ١٥٣ .
(٥٠) نفس المصدر والمكان .
(٥١) الطبري ، م. ق ، جـ ٩ ، ص ٢٦٢ .
(٥٢) ابن الجوزي ، الاذكياء ، ص ٤١ ، ٤٦ ــ ٤٧ .

وفي سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م « تنصح الى (الوزير) علي بن عيسى رجل من التجار ، بأنه وقف على خبر رجل شيرازي ، يتخبر للقرمطى ويكاتبه »[٥٣] وقد قبض على ذلك الرجل فلم ينكر اتصاله بالقرمطي وولاءه لمذهب القرامطه[٥٤] .

وتظهر أهمية الاسواق وأهلها من مشاركتهم في الحياة العامة . اذ كانوا يساهمون في المسرات والابتهاجات التي تعم سكان العاصمة ، فتزين أسواقهم ودكاكينهم بعلامات الزينة والبهجة ، وتضاء بالشموع ، وتكتظ بالناس في المناسبات كالذي حدث سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م عندما ورد رسول ملك الروم الى بغداد[٥٥] . ولما رجع حجاج عام ٣١٩هـ/٩٣١م سالمين « أظهر اهل مدينة السلام لذلك السرور والفرح ، ونشروا الزينة في الاسواق ، وأخرجوا الثياب والحلى والجواهر ونصبت القباب في الشوارع »[٥٦] .

واستبشر أهل أسواق العاصمة برجوع الخليفة المتقى لله الى بغداد بعد غياب دام اكثر من سنة ، فنصبت القباب بباب الطاق تعبيرا عن تأييدهم وابتهاجهم لعودة الخليفة الى عاصمة ملكه[٥٧] .

ولكننا لم نشهد لاهل السوق أى دور في العملية التي أقدم عليها توزون قائد الجيش في ١٩ صفر سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م . التي أدت الى عزل الخليفة المتقى لله وسمل عينيه ، وتنصيب خليفة بدلا منه[٥٨] .

---

(٥٣) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٨١ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٥٤) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٨١ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ٢٠٩ — ٢١٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٨ .

(٥٥) مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص‌ص ٥٣ — ٥٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٥٦) عريب ، الصلة ، ص ١٥٧ . انظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٧١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢١٩ .

(٥٧) الصولي ، الاوراق ، ص ٢٨٠ .

(٥٨) نفس المصدر ، ص ٢٨٢ .

الفصل الثالث

المنازعات بين أهل السوق

تكتل أهل الحرف :

اجتمعت عوامل متعددة لاثارة المنازعات بين أهل أسواق بغداد . بعضها ناتج من ظروف مهنية احاطت بهم ، وعملت عملها في اذكاء حدة خلافاتهم، او بسبب التيارات السياسية والمذهبية ، واشتباك المصالح ، واختلاف الاتجاهات والآراء التي كانت تضطرم في عاصمة الخلافة العباسية عامة وأسواقها خاصة .

كل ذلك أدى – بلا ريب – الى تنوع الصور في أذهان الناس ، واختلاف ميولهم ، وتباين أحكامهم ونظراتهم الى مجالات الحياة السياسية والاقصادية والاجتماعية .

ثم ان تطور المجتمع العباسي نحو العناية بالتجارة[1] والصناعة[2] واتساع مدينة بغداد[3] ، وزيادة رقابة الدولة على الاسواق[4] . كل ذلك ادى

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان (مطبعة لجنة البيان العربي) ، ص ٣٦١ . اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٢ و ٢٥٢ – ٢٥٣ . الطبري ، م. ق ، ج ٧ ، ص ٦٥٣ و ٦٥٥ . ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٣١٢ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٦٩ و ٧٩ – ٨٠ و ١١٩ . الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٧٢ و ٣١٨ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٩ و ٣٠ – ٣١ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ . ياقوت ، البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ .

(٢) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥١ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ١٥٢ . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٢ و ٣١٤ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص‌ص ١٧٦ – ١٧٧ . ياقوت ، البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ و ٣٨٩ .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان (طبعة لجنة البيان) ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .

الى ظهور مهن وحرف مختلفة ، كما أوجد شعورا بضرورة تماسك أصحاب الحرف في الازمات السياسية والاقتصادية التي كانت تتعرض لها مدينتهم بين الحين والآخر[٥] .

وحدثت تطورات داخلية في تنظيم أهل الحرف أكسبتها اطارها العام ، فأصبح لكل حرفة (رئيس) من اصحابها تعينه الحكومة عادة ، او تعترف به[٦] .

وكان تكتل أهل اسواق بغداد قد رافق توسع المدينة المدورة منذ أن

اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٥٢ — ٢٥٣ — ٢٥٤ . الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٣٧ و ٥٢ و ٤٠٥ . الصولي ، الاوراق ، ص ٢٩٢ . الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٢٦ . المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٤٧ و ١٧٩ و ١٨٢ . ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٤١ و ٦٦ — ٦٧ و ١٥٤ . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٧٩ و ٨١ — ٨٢ و ٩٣ و ١١٧ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٢ — ١٣ و ١٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ و ٣٣ .

Coke, Baghdad, p. 40.

(٤) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٩٦ . الصولي ، الاوراق ، ص ٢٠٦ . الصابي ، الوزراء ، ص‌ص ٢٥٦ — ٢٥٧ . عريب ، الصلة ، ص ٩٠ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ٢٤١ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص‌ص ٦ — ٧ و ١٠ و ١٤ و ٢٤ . ابن الاخوة ، معالم القربة ، ص‌ص ٧ — ٨ و ٧٩ .

(٥) ابن طيفور ، بغداد ، ص ١٠ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ . الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص‌ص ٤٤٧ و ٤٥١ و ٤٧٣ و ج ٩ ، ص ٣٢٤ و ٣٥٩ و ٢٩١ . عريب ، الصلة ، ص ٢٣ و ٢٩ و ١٤٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ .

(٦) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٨ .

امتدت الاسواق التجارية الى ناحية الكرخ[٧] • ومن ثم الى جانب الرصافة[٨] فبان التكتل القومي في الاحياء السكنية[٩] ، وفي الاسواق[١٠] • فلم تحتفظ تلك الاقليات بهويتها المنفصلة فحسب ، ولكنها احتفظت ايضاً بآمالها ومشاعرها •

ثم ان طبيعة الدعوة العباسية ، استدعت وجود عناصر وشعوب متعددة في حاضرة الخلافة العباسية الجديدة • ومارست تلك العناصر شتى الحرف في أسواقها ، ولكنها كانت تتعصب لوجودها وانتمائها القومي • وقد ذكر الطبري سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م « **أن اهل خراسان يتعصب بعضهم لبعض** »[١١] •

وقد كانت كل طائفة من التجار ، وأصحاب الحرف تتجمع في مكان واحد تتسمى به[١٢] • وسجل محتسب بغداد قائمة بأسماء الصناع وأهل الحرف

---

(٧) الطبري ، م • ق ، جـ ٨ ، ص ٥٢ • الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٩ و ٨١ و جـ ٧ ، ص ٦٥٣ • الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢٢٦ • ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢١ • الالوسي ، أخبار بغداد ، ورقة ٢٦ • ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص‌ص ١٣ ــ ١٥ • ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٧ ، ص ٢٣٣ •

(٨) الطبري ، م• ق ، جـ ٨ ، ص ٣٧ ــ ٣٨ و ١١٠ • اليعقوبي ، البلدان، ص‌ص ٢٥١ ــ ٢٥٣ • ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ و ١٥ و ٢٦ • والمنتظم ، جـ ٥ ، ص ١٤٣ • ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص‌ص ٣٣ ــ ٣٤ • ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٢٧ • الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص ٥٩ •

(٩) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٦ • ابن طيفور ، بغداد ، ص ٤١ و ٩٨ • اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٦ و ٢٤٨ • ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢١٧ • ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ و ٣٨٩ •

(١٠) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٤ ــ ٢٤٦ • ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٨ •

(١١) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ، ص ٥٧٨ •

(١٢) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ و ٢٥٠ • الخطيب البغدادي ، بغداد ، جـ ١ ، ص ٨٠ و ١١٣ و ١١٩ •

وحوانيتهم وأوضاعها للرجوع اليها عند الحاجة[١٣] .

ويبدو أن رابطة المهنة ، ووجود الكثير من أهل الذمة في الحرف[١٤] ، ولدت تسامحاً وتعاونا بين اهل هذه الحرف ، بصرف النظر عن الفوارق الدينية ، وبخاصة في الاوقات التي تتعرض فيها مصالحهم للخطر[١٥] .

ونجد ان أهل الحرف يشار اليهم بـ « الاصناف »[١٦] و (أهل المهن) و (أهل الصنايع)[١٧] . وبمرور الزمن قويت الرابطة بين أهل الصنايع هؤلاء ، وصار كل يشعر بالارتباط الوثيق باهل صنفه ، وصار من اقوالهم المأثورة « الصناعة نسب »[١٨] .

ويتصل بالتماسك الحرفي ، والشعور بالكيان لدى أهل الصنايع انتشار الانتساب الى المهنة بجوار الانتساب الى المدينة او القبيلة ، فصرنا نسمع

ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ و ١٤ و ١٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ، و ج ٢ ، ص ٣٨٧ و ٣٨٩ . Ibn Serapion, op. cit. p. 25-26.

(١٣) اليعقوبي ، البلدان (الطبعة الاوربية) ، ص‌ص ٢٤٥ — ٢٤٦ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ٢٨ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ٢٢ و ٢٣ . ابن الرفعة ، الرتبة في الحسبة ، ورقة ٤٨ — ب . ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص ٢١ .

(١٤) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ١٢٦ . ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٣ .

Fischel, op. cit., p. 346-348, 584-587.

(١٥) الدوري ، « نشوء الاصناف والحرف في الاسلام » . مجلة كلية الآداب ، العدد الاول ، لسنة ١٩٥٩ ، ص ١٦٩ .

(١٦) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص‌ص ١٧ — ١٨ .

(١٧) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٨ و ٣٤٦ .

(١٨) الجاحظ ، البخلاء ، ص‌ص ٥١ — ٥٢ .

الزجاج[١٩] ، والزيات[٢٠] ، والجراح[٢١] ، والحلاج[٢٢] ، والثعالبى[٢٣] ، وغيرهم .

وبلغ من تماسك أصحاب الحرف وتكتلهم ان الماوردى[٢٤] أصبح يرى في العرف الجارى بين أهل الصنايع أساسا يستطيع المحتسب الرجوع اليه حين ممارسة مهمته في مراقبة الاسواق ، وفض المنازعات بين أهلها .

وقد سبق لاهل الحرف أن اشتركوا في الدفاع عن انفسهم حين دهمهم الخطر وحوصرت العاصمة ابان الخلاف بين الامين والمأمون ، اذ كان أهل السوق من جملة المتطوعين في الدفاع عن المدينة المحاصرة[٢٥] .

---

(١٩) الانباري ، نزهة الالباء ، ص ١٨٣ — ١٨٤ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٣٩ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، صص ١٧٦ — ١٧٧ .

(٢٠) الصولي ، اشعار اولاد الخلفاء ، ص ٢٦ . الوطواط ، غرر الخصائص ، صص ١٤٢ — ١٤٣ . ابن دحية ، النبراس ، ص ٨٣ .

(٢١) الطبري ، م . ق ، ج ٢ ، ص ٢١٩٠ (الطبعة الاوربية) . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢ و ٥ و ٢٦ . العيون والحدائق ، ج ٤/قسم ١ ، ورقة ٧ ب . ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٥ ، ص ٢٧٧ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ١٢ و ٢٠ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ١٢١ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٩٢ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٩٦ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ١٢ ، قسم ٢ ، ورقة ١٣٣ — أ . ابن حزم ، انساب العرب ، ص ٥١٢ Bowen, op. cit., p. 113-114, 125.
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٢٠ .

(٢٢) عريب ، الصلة ، ص ٩٩ — ١٠٠ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ٨ ، ص ١١٢ و ص ١١٤ . السمعاني ، الانساب ، ورقة ١٨٢ ب . ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٨٥ . الاسفرائيني ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٠ ، والتبصير في الدين ، ص ١١٩ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ١ ، صص ٤٠٥ — ٤٠٧ . ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٥٦ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج ٧ ، ورقة ١٢ . والعبر ، ج ٢ ، ص ١٣٨ .

(٢٣) الباخرزي ، دمية القصر وعصرة اهل العصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ . الانباري ، نزهة الالباء ، ص ٢٤٩ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،

ومن مظاهر تماسك أهل الحرف ، وقوف الصنف كوحدة تجاه الخطر الخارجي • ففي سنة ٣٠٧هـ - ٩١٩م اقتتل الاساكفة مع أهل الطعام بالموصل، فاحترق من جرائها سوق الاساكفة وما فيه [٢٦] • ولابد ان يكون سبب الخلاف بين اولئك احتكار الجماعة الثانية للطعام والتحكم في اسعاره ، فأصبح من المتعذر على الاساكفة ، ومن هم على شاكلتهم من الطبقة الفقيرة ، الحصول على قوت اولادهم • ومع ذلك نجد ان الفئة المحتكرة صاحبة النفوذ هي المتغلبة ، حيث استطاعت ان تجعل السنة النار تلتهم سوق الاساكفة وتأتي على جميع ما فيه [٢٧] •

وربما تعود هذه الفتنة الى عوامل عنصرية بسبب كون الاساكفة اعاجم اعتادوا ان يحترفوا مثل هذه المهن ، بينما تجار الطعام من العرب • وهنا كان التكتل الاجتماعي الطبقي قائما على اساس مهني ، وان اهل الحرف كان يشد أزر بعضهم بعضا في الشدائد والملمات •

وفي سنة ٣١٧هـ - ٩٢٩م أقتتل اصحاب الطعام مع البزازين في الموصل، ثم اشترك الاساكفة مع البزازين فقهروا اصحاب الطعام واحرقوا اسواقهم [٢٨] •

ومن ذلك يتبين ان تكتل أهل الاسواق وتماسكم كان قد بدأ بتجمعهم في اسواق ومحلات خاصة لكل صنف نتيجة الشعور بالمشاركة في الحرفة • ويبدو ان هذا التجمع كان طبيعيا وموروثا في المجتمع ، وظهر أثره بوضوح

ج ٢ ، ص ٣٥٠ . السمعاني ، الانساب ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

(٢٤) الاحكام السلطانية ، ص ٢٣١ .

(٢٥) الطبري ، م. ق ، ج ٨ ، ص ٤٠٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٧٣ - ٤٧٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٥٨ و ١٦١ .

(٢٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١٦٥ . ابن خلدون ، العبر ، المجلد ٣/قسم ٤ ، ص ٨١٣ .

(٢٧) حمدان الكبيسي ، عصر الخليفة المقتدر بالله ، ص ٤٠٤ .

(٢٨) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٠٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١١ ، ص ١٦٢ .

منذ تخطيط المدينة المدورة ، اذ خصصت محلات خاصة للاسواق وانفرد كل صنف بسوقه (٢٩) .

المنازعات بين أهل الاصناف :

وفي بيئة بغداد ، الزراعية الصناعية التجارية (٣٠) ، حدث التباين الاقتصادي ، لذا كان طبيعيا ان يكون للعامل الاقتصادى اثر واضح في المنازعات التي كانت تحدث بين أهل الاسواق .

ثم ان التطور الاقتصادى والاجتماعي الهام الذى نتج عن انتقال المجتمع من طور زراعي الى طور تجاري حرفي . ادى الى تباين الثروات ، وتكديس رؤوس الاموال عند فئة محدودة من الناس (٣١) ، وشعورها بالخطر من الطبقات الفقيرة ، مما ولد اتحادا وتآزرا بين الاغنياء من أهل الاسواق ،

---

(٢٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، و ٢٥٠ و ٢٥٣ . الجهشياري ، الوزراء ، ص ٢٢٨ . ابن طيفور ، بغداد ، ص ٩٨ . الصولي ، الاوراق ، ص ٦٨ . الازدي ، حكاية ابي القاسم ، ص ٢٣ . التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٤٠ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٢٤٧ . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٤٥ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٨٠ و ٩٣ و ١١٣ — ١١٤ . ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، ص ١٣ — ١٤ و ١٨ — ١٩ و ٢٦ و ٢٧ — ٢٨ . والمنتظم ، ج ٦ و ص ١٣٠ و ١٥٣ و ١٥٩ و ٢٧٦ . الشيزري ، نهاية الرتبة ، ص ١١ . ياقوت ، البلدان ، ج ١ ، ص ٣٠٨ ، و ج ٤ ، ص ٨ و ج ٥ ، ص ١٧٦ . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٣١ .
Coke, Bagdad; p. 16
Le Strange, des Cription of Mesopotamia, p. 15, 21-22.

(٣٠) اليعقوبي ، البلدان ، (الطبعة الاوربية) ، ص ٢٣٥ .

(٣١) الصابي ، الوزراء ، ص ٣٠ و ١١١ . عريب ، الصلة ، ص‌ص ٤٧ — ٤٨ . الصولي ، الاوراق ، ص ١٦ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٣٥ . الهمداني ، تكملة ، ج ١ ، ص ٩ . التنوخي ، نشوار المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥ . ابن الجوزي ، اخبار الحمقى ، ص ٣٤ و ٣٧ . ابن دقماق ، نزهة الانام ، ج ٢ ، ورقة ٤٨ .

كما تولد اتحاد ، يناظره بين مصالح الفقراء على أساس اقتصادي أيضاً(٣٢) .

ومن هنا برز الانقسام الطبقي ، ولم تحاول السلطة القائمة آنـذاك الحد من التفاوت في الملكية بالطرق المشروعة ، وضمان الحقوق والواجبات المترتبة على ذوي اليسار .

وظاهرة التمايز الطبقي اصبحت لافتة للنظر منذ منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وكان سوء الاحوال الاقتصادية مما شكا منه الفقراء علانية ، وأظهروا تذمرهم منه مرات عديدة(٣٣) .

ولما كانت حركة العيارين حركة شعبية ، فهي تضم بين صفوفها الكثيرين من أهل الصنايع . ومع ان الاسواق عامة تضررت منهم واصابها الكثير من الدمار الا ان هدفهم الاساس كان التجار لا أهل (الصنايع)(٣٤) . وكان من شيمة العيارين الا يعرضوا لاصحاب البضائع القليلة التي تكون قيمتها دون الالف دينار (٣٥) .

وقد شهد المجتمع البغدادي تكتلات اجتماعية قائمة على أساس قومي منذ العقد الاخير من القرن الثاني الهجري . وتمثل ذلك أيضا في انقسام عنصري ومنافسات بين العرب والاعاجم .

---

(٣٢) لويس ، الاصول الاسماعيلية ، ص‌ص ٦ ــ ٧ .

(٣٣) الطبري ، م. ق ، ج ٩ ، ص ٣٤٣ و ٣٤٩ . مسكويه ، تجارب الامم ، ج ١ ، ص ٧٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ و ٣٣١ . الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١١٠ و ١٤٢ و ١٥١ . ابن العماد ، شذرات ، ج ٢ ، ص‌ص ١٢٤ ــ ١٢٥ . الصولي ، الاوراق ، ص ٦١ و ٢٣٦ و ٢٤٣ ــ ٢٤٤ . ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٦ ، ص ٣٣١ و ٣٤٤ .

(٣٤) الدوري ، « نشوء الاصناف والحرف في الاسلام » ، مجلة كلية الآداب العدد ١ لسنة ١٩٥٩ ، ص‌ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٣٥) التنوخي ، الفرج بعد الشدة ، ج ٢ ، ص ١٠٨ .

ويؤكد المقدسي [٣٦] وجود ظاهرة التكتل القومي والمذهبي في أسواق بغداد ، عندما يشير الى وجود المجوس ضمن العاملين في اسواق العاصمة بالاضافة الى أهل الذمة ، سواء أكانوا من النصارى او اليهود ، مع وجود اغلبية مسلمة من الحنابلة والشيعة • وما بين اولئك من مشاحنات تنعكس على علاقاتهم مع بعضهم البعض •

ويلمس الباحث تنابذا شديدا بين بعض فئات أهل الحرف ، وصل في بعض الاحيان ، حد التراشق بالتهم ، وربما تصاعد الى درجة الاقتتال واراقة الدماء بسبب الحسد والبغضاء ، نتيجة للتنافس في الرزق ، وربما يكون مرد ذلك الى الاحتقار والازدراء الذي ينشأ عند اهل السوق نتيجة لنظرتهم الى نوع المهن التي يمارسها بعضهم • فقد اورد الاصبهاني [٣٧] اقوالا كثيرة يتندر بها أهل الحرف على بعضهم البعض ، الامر الذي يثير فيهم شعور الامتعاض ، والنقمة التي لا تلبث ان تتحول الى عداء سافر •

ولكن الامر الذي كان يفرق بين أهل السوق فعلا ، ويثير بينهم مالا نهاية له من الاحتكاك ، انما هو اختلافهم في المعتقدات المذهبية ، التي راحت بعض الفئات تقويها حتى وصلت الى درجة الثورة • فتسود كل فئة نزعة كريهة من العدوان والتعصب ، تدفع اصحابها الى انزال الاضرار بخصومهم • ففي سنة ٣٢٧هـ – ٩٣٨م حدثت مناوشات حادة بين الحنابلة وبين النخاسين وقد تطورت تلك المناوشات الى قتال شديد بينهم • وفي الوقت الذي كان على الشرطة أن تقف كطرف محايد بين المتقاتلين ، وتحاول فض النزاع بينهم ، أعانت الطرف الثاني على الحنابلة [٣٨] •

---

(٣٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٦ . انظر : اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٣٣ – ٢٣٤ و ٢٤٥ – ٢٤٦ و ٢٤٨ . ياقوت ، البلدان ، ج ٢ – ص ٣٨٧ و ٣٨٩ . Fischel, op. cit., pp. 346-348

(٣٧) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ و ٤٦٣ .

(٣٨) الصولي ، الاوراق ، ص ١٣٥ .

ومما يزيد في بروز الصراع الطائفي بين أهل السوق ، ذلك التوتر الذى ساد علاقات الفرق الدينية ، والذى كان الدعاة يذكون ناره بدون انقطاع . خاصة اذا ماعلمنا ان بغداد لم تكن العاصمة السياسية ومركز الخلافة فحسب، بل كانت الى جانب ذلك ملتقى العلماء والتجار ، وزعماءالحركات السياسية والمذهبية وكان باسواقها لجميع المذاهب انصار . لكن اكبر حزبين كانا بها - في بداية القرن الرابع الهجري - هما الحزبان المتشددان في التمسك بمذهبهما وهما الحنابلة والشيعة (٣٩) .

ويبدو ان تلك الحزازات المذهبية كانت تنعكس آثارها السيئة على علاقات أهل السوق . هذا بالاضافة الى ما قد تثيره روح المنافسة الحرفية والمهنية فيما بينهم من حزازات قد تؤدي الى التصادم فيما بينهم (٤٠) .

وقد يكون منشأ المنازعات بين أهل السوق ، حسد بعضهم لبعض ذلك ان تلك الفئة من الناس عرف عنها شدة تسترها على أرباحها ورواج سوقها(٤١) .

وربما تبرز المنازعات بين أهل السوق بسبب سلعة معينة . فمثلا يحدث أن ينادى الباعة على ما عندهم من بضاعة كقول بائع الهريسة في أسواق بغداد : « أنزل ولك الأمان . وآخر يقول : يا قوم الحقوني أدركوني أجذبها وتجذبني والغلبة لها . والثالث يقول : أنا لا ادرى من أكل من هريستي لقمتين أسرج ببوله شهرين » (٤٢) .

وقد تدور المنازعات بين أهل اسواق بغداد حول ملكية الدكاكين الموجودة في تلك الاسواق . وكانت الخصومات في هذا الشأن ترفع الى ديوان المظالم الذى كان يتولاه الوزير في كثير من الاحيان . وكان علي بن الفرات في بداية وزارته الاولى ٢٩٦-٢٩٩هـ قد نظر في مثل تلك الخصومات سنة ثمان

(٣٩) متز ، الحضارة الاسلامية ، جـ ١ ، ص ٨٧ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٨٨ .
(٤٠) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، جـ ٢ ، ص ٨٢ .
(٤١) ابن الجوزي ، الاذكياء ، ص ١١٥ .
(٤٢) الاصبهاني ، محاضرات الادباء ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

وتسعين ومائتين ، اذ تقدم اليه خصمان في دكاكين الكرخ ، ومن حسن طالع احدهما انه كان لدى الوزير اثبات باحقيته في تلك الدكاكين ، ذلك أن أباه كان قد رفع نفس القضية الى ابن الفرات سنة ٢٨٢هـ ـ ٨٩٥م . فظل الوزير يتذكرها حوالي ست عشرة سنة فحكم لصالحه [٤٣] .

ويبدو ان المنازعات بين أهل السوق كانت تظهر بين آونة واخرى وأنها كانت تبلغ درجة عالية من الشدة بحيث استدعى الامر من السلطة ان تعين قاضيا خاصا للنظر في الشكاوى التي تحدث بين أهل اسواق الكرخ [٤٤] .

وقد وصل الامر ، ان السلطة نفسها كانت تغذي المنافسات والمنازعات بين أهل الاسواق . اذ اقدم سعيد الخرشي (صاحب شرطة الخليفة المهدى) على بناء سوق العطش في جانب الرصافة ، وحول اليه التجار [٤٥] . وكان يرمي من وراء ذلك تخريب اسواق الكرخ . وقد لاقت خطوة صاحب شرطة بغداد هذه قبولا وتأييدا من الخليفة المهدي الذى كان يرغب في أن يدب النشاط التجارى في اسواق الجانب الشرقي من بغداد ، الذي سكنه منذ ان كان وليا للعهد [٤٦] .

وهكذا نجد ان المنازعات بين أهل اسواق بغداد كانت تحركها دوافع متباينة ، قومية ، وطائفية ، وسياسية ، واقتصـــادية وغيرها . لكن تلك المنازعات اشتد اوارها بعد عام ٣٣٤هـ ـ ٩٤٥م .

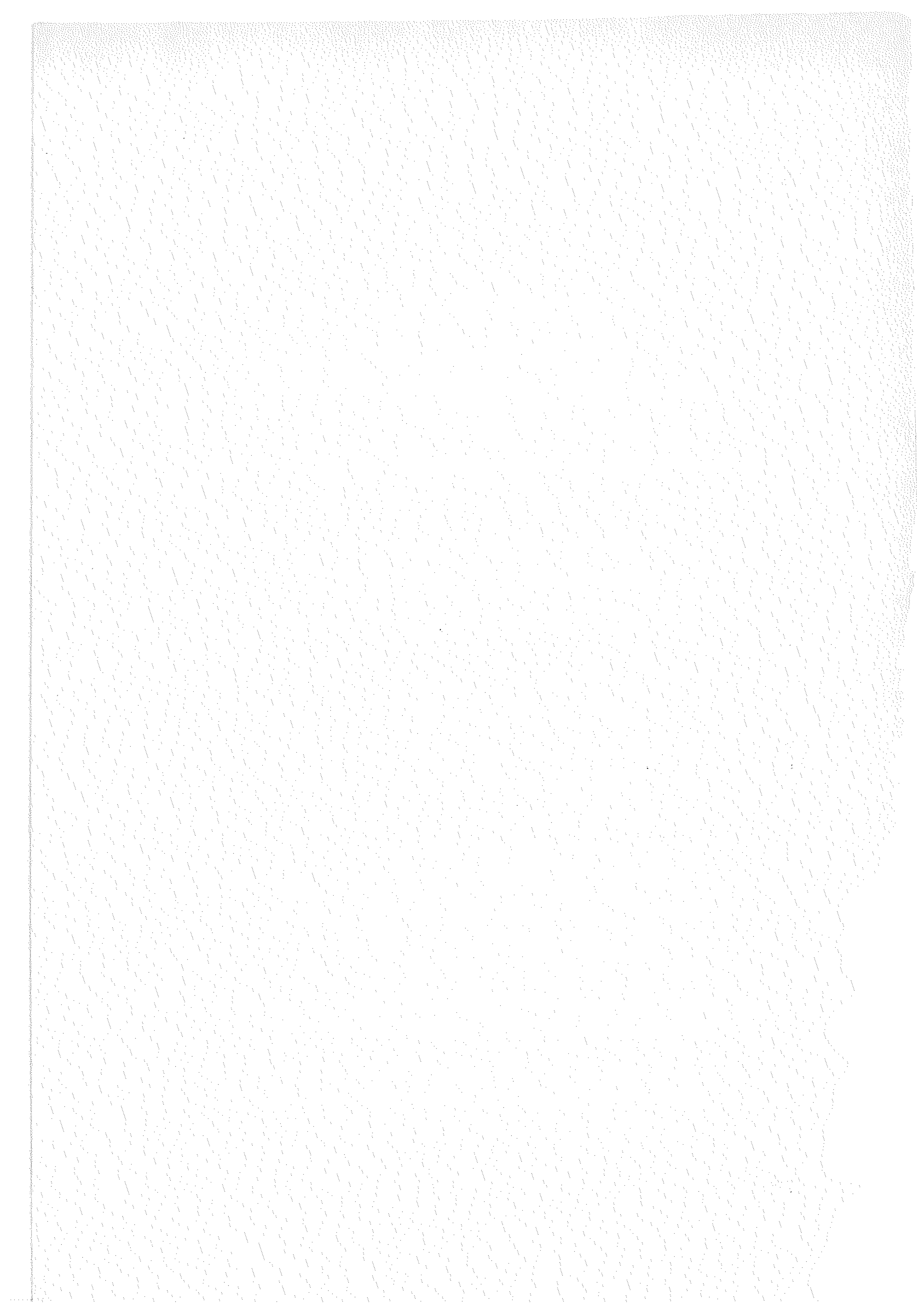
---

(٤٣) الصابي ، الوزراء ، ص ١٤٣ .

(٤٤) الطبري ، م. ق ، ج ١٠ ، ص ٣٤ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص‌ص ٨٠ ـ ٨١ . جواد وسوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص ٨٢ ، و ٨٧ .

(٤٥) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٥٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٣ . لسترانج ، بغداد ، ص‌ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٤٦) اليعقوبي ، البلدان ، ص‌ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ . الصابي ، الوزراء ، ص ٢٣ . الخطيب البغدادي ، بغداد ، ج ١ ، ص ٩٣ . ياقوت ، البلدان ، ج ٥ ، ص‌ص ١٧٦ ـ ١٧٧ والمشترك ، ص ٣٦٠ . ابن عبدالحق ، مراصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ٦٩ .



الخاتمة

تناولت هذه الرسالة دراسة « اسواق بغداد » منذ بناء المدينة المدورة وحتى بداية التغلب البويهي ، وتبين لي ان الخليفة المنصور أقام مدينته عند قرية قديمة تقوم بها للفرس في كل سنة سوق عظيمة . وكان العرب المسلمون قد تلمسوا الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية لهذه القرية منذ بداية العقد الثاني من القرن الاول الهجري . كما شعر الامويون بالاهمية الاستراتيجية لموقع بغداد فجعلوه معسكرا لعدد من جنودهم ، ينطلقون منه لاخماد الفتن والثورات المحتمل قيامها ضد الحكم الاموي .

لقد وردت روايات ، عديدة تبين أن هناك اناسا اقترحوا على الخليفة المنصور اختيار موقع المدينة المدورة . ولكنني بينت في ثنايا هذا البحث الجوانب الضعيفة في تلك الروايات والتنبؤات التي أوردها بعض المؤرخين وأوضحت ان اختيار موقع المدينة المدورة كان قد تم من قبل الخليفة المنصور نفسه ، وهذا لا يمنع ان يكون المنصور قد استشار اناسا آخرين ليستطلع رأيهم فيما عزم على تنفيذه . كما تأكد ان المنصور قد تحكم أيضا في تسمية العاصمة الجديدة .

وقد اشتركت التأثيرات الدينية والحضارية والمناخية في ابتكار اسلوب فني تمتاز به عمارة بغداد . وان انشاءها بذلك الشكل الهندسي الفريد ، يعتبر على جانب عظيم من الاهمية ، من وجهة النظر التخطيطية . فهي تجمع بين التحصينات العسكرية والاغراض المدنية .

وتلمست ان الطابع المعماري لمدينة الزوراء ، اقتضته مستلزمات الدولة العباسية اذ برزت ظاهرة معمارية جديرة بالملاحظة . ذلك ان الداخل من باب خراسان يلاحظ عطفا على يساره في دهليز معقود بالاجر والجص ، وان هذا الازورار كان مقصودا من قبل الخليفة المنصور ، وان له اهمية عسكرية بالغة .

وهنا لابد من الاقرار بعظمة هذه المدينة وبراعة تخطيطها ، ذلك ان مهندسي مدينة السلام كانوا قد اخذوا بهذه الحسابات العسكرية الدقيقة في تلك الحقبة التاريخية الباكرة • وان خططهم تلك اصبحت ظاهرة معمارية جديدة تدل على الابداع والابتكار •

وصيّر الخليفة المنصور الاسواق في طاقات المدينة المدورة من كل جانب فوجدت اربعة اسواق رئيسة في الطاقات الممتدة في الطرق الاربعة الواقعة بين الرحبتين اللتين بين السور الثاني والثالث ، وهي ثلاثة وخمسون طاقا • وقدر للحوانيت مساحات مناسبة في الارباض الاربعة ، واعتبر الاسواق من المؤسسات الاساسية التي تولت الدولة الانفاق على انشائها •

وفي الطاقات غرف كانت لمرابطة غلمان الخليفة • وأرجح ان هذا التداخل بين الطاقات التي شغلها التجار ، وبين الغرف التي اعدت للمرابطة ، انما هو أجراء متعمد ، وتخطيط مبتكر ، وضعت تقديراته الدقيقة وحساباته المسبقة من قبل مخططي المدينة المدورة • ولعل هؤلاء تلمسوا منذ البداية ، حاجة اسواق بغداد الى مراقبة الدولة لها •

وان اقدام المنصور على انشاء بنايات حكومية في الجانب الشرقي من دجلة سنة ١٥١هـ ـ ٧٦٨م • وبناء قصر الخلد في شاطيء دجلة الغربي سنة ١٥٧هـ ـ ٧٧٣م • وتمليكه الناس اراضي خارج اسوار المدينة ، كل ذلك يؤكد ان المنصور كان قد تنبه للنقص الذى وقع فيه بعد ان كان قد أرسى اساس المدينة المدورة ،فأذا اضفنا الى ذلك الروايات التي اوردها المؤرخون ومفادها ان رسول ملك الروم كان قد نبه المنصور الى ضرورة نقل الأسواق الى خارج اسوار المدينة عندئذ نلمس الدوافع التي حدت بالخليفة الى نقل الاسواق الى الكرخ ، وقد تولى بنفسه عملية تخطيط الاسواق بوضعها الجديد •

وتميزت خطط أسواق الكرخ بظاهرة جديدة هي : تجمعها حول مجارى الانهار المنسابة في هذا الجانب من بغداد • كما ان الحياة التجارية استطاعت ان تؤثر في اسماء الانهار وتصبغها بصبغتها الخاصة ، فسميت بعض الانهار باسم نوع السلع المباعة عندها •

واستخلصت ان بناء الرصافة واسواقها ، أملته ضرورات اقتصـــادية ودوافع سياسية وعسكرية • ويبدو ان بناء الرصافة حقق الغرض الذى رمى اليه المنصور •

ومن خلال تتبعي للنصوص التي وردت في كتاب « البلدان » لليعقوبي وغيره استطعت ان احدد مواقع اسواق الرصافة والكرخ ، ونوع البضاعة المباعة في كل سوق •

وأوضحت ، ان الدولة العباسية لم تكد تتخذ بغداد عاصمة لها حتى اقبل عليها الناس من كل الاقاليم • وتكاتفت فيها مساعي رجال المال والاعمال مع الحكومة على اقامة المنشآت التجارية ، فتدفقت السلع على أسواقها ، كما تدفقت اليها الاموال والميرة من الامصار ، وأياها قصدت الرسل والسفارات ونشطت الحركة التجارية في اسواقها من جراء التطور الذى شهده المجتمع والاجراءات التي اتخذها المسؤولون ، وزيـادة رواتب الموظفين ، وأرزاق الجند ، وكثرة المنح التي وهبها الخلفاء والوزراء • وتوجهت عناية الخلفاء وكبار المسؤولين الى تأمين السبل للقوافل ، وتمهيدها للتجار • هذا اضافة الى الاستقرار السياسي الذى شهدته بغداد في فترات غير قصيرة •

وفي مدينة السلام برزت ظاهرة تخصص الاسواق • فبناء على رغبة المنصور اصبحت اسواق الكرخ منفصلة عن بعضها البعض ، ومنظمة بشكل جعل لكل تاجر وتجارة شارع معلوم ، لا يختلط قوم بقوم ، ولا تجـــارة بتجارة ، كذلك حدث بالنسبة لاسواق الرصافة •

وتبين ان هناك فرصا كثيرة في ان تصبح اسواق بغداد مصدرة لبعض

السلع التجارية • فالمركز السياسي الذى كانت تتحلى به ، جعلها قبلة انظار التجار النشيطين ، والصناع الماهرين الذين فضلوا الاقامة في حاضرة الخلافة وممارسة نشاطهم المهني فيها • كما اهتم الخلفاء وكبار رجال الدولة بالعمل على تقدم الصناعة • على اعتبار انها تشكل موردا هاما من موارد الثروة • فصدر الفائض من هذا الانتاج الى الاسواق الخارجية •

واتضح لي ان الدرهم والدينار ، هما النقدان الاساسيان اللذان بهما تم التبادل والتعامل والتقدير في اسواق بغداد ، وكان الخلفاء العباسيون الاوائل قد انقصوا وزن الدرهم حبتين ، ونقشوا آيات جديدة على الدينار والدرهم اشارة لحق العباسيين في الخلافة وقرابتهم من الرسول (ص) • كما وضعوا اسماءهم على الدراهم والدنانير المتداولة في الاسواق ، وضربوا نقودا ذات وزن كبير سميت « نقود الصلات » •

وجرى تحويل الدراهم الى دنانير وبالعكس ، حسب سعر الصرف السائد في السوق الذى تحدده المؤثرات التجارية دون تدخل الحكومة • كما جرى التعامل في اسواق بغداد بالنقود التي ضربت في اقاليم الدولة العباسيةوتعاملوا برغيف الخبز الذى كانوا يقيسونه مقام الدرهم في الانفاق •

واستخدم الصك كوسيلة لدفع الاموال في مؤسسات الدولة وفي الاسواق • وتجنبا لمخاطر الطريق استعملت الحوالة او السفتجة • وقام الصرافون والتجار مقام البنوك في تحويل هذه السفاتج الى نقود مقابل خصم من المبلغ المحول ، الامر الذى سهل اجراء التعامل التجارى في اسواق بغداد • وبلغت حركة الصيرفة في اسواق بغداد غاية ازدهارها في الربع الاول من القرن الرابع الهجري •

وعند تتبعي لاسعار السلع المعروضة في اسواق بغداد ، لاحظت انها كانت تجنح للصعود منذ بناء المدينة المدورة وحتى بداية التغلب البويهي وكان للمؤثرات السياسية والظواهر الطبيعية اثر كبير في ذلك .

ومارس التجار وبعض المسؤولين ، احتكار المواد الغذائية . غير ان تلك الاحتكارات كانت غالبا ، مؤقتة وفردية ، وقد لا تدعمها امتيازات حكومية منصوص عليها ، وانما هي من باب استغلال موقع وظيفي لا غير . لذلك لم يكن لها تأثير طويل الامد على الاسعار .

ومع ان مسألة التسعير محل اجتهادات كثيرة من جانب الفقهاء ، الا ان الدولة العباسية قد فرضت سعرا محددا لمواد الطعام عندما اشتدت ازمات الغلاء من جراء الاحتكار .

وقد تبين لي ان ارتفاع الاسعار وحصول الاحتكار في اسواق بغداد ، لم تكن السمة الوحيدة التي ميزت الحقبة التي نحن بصدد دراستها . ذلك ان فترات عديدة من الرخاء الاقتصادى تخللت تلك الحقبة ولمس السكان منافعها .

واهتمت الدولة بمراقبة الاسواق وتنظيمها وفق قواعد وقوانين ضابطة ، ولم تترك التعامل بها يسير وفق هوى النفس ومصالح التجار وأهل السوق . وأشرف على الاسواق موظف مختص هو المحتسب ، اختير وفق مواصفات معينه ، يعاونه عرفاء من أهل الحرف .

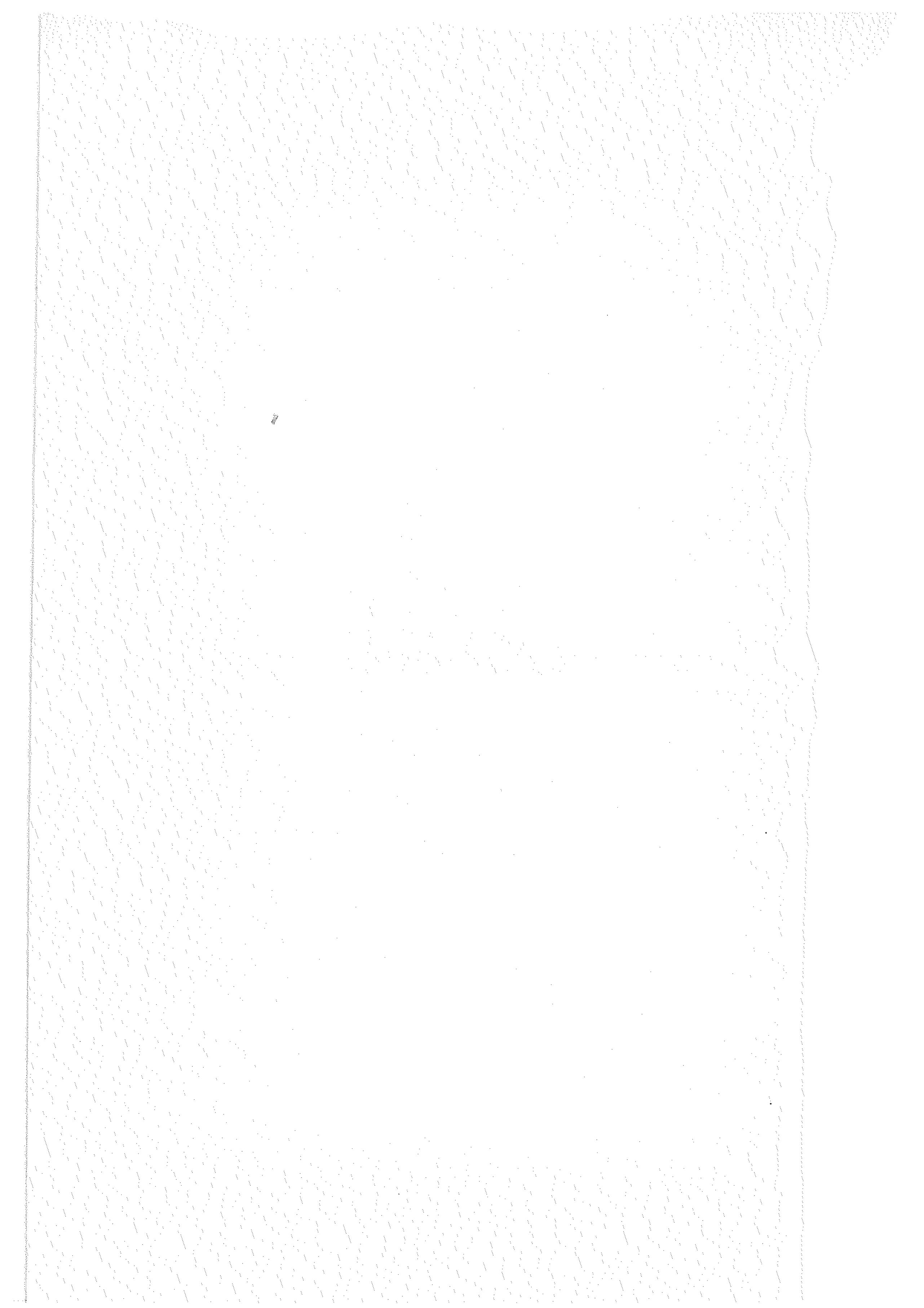
وكان العاملون في اسواق بغداد خليطا من العرب والاعاجم ، ويختلفون في قدراتهم المالية ، ومكانتهم الاجتماعية . ولمست ان تجار بغداد حققوا ارباحا طائلة ، واحتلوا مكانة اجتماعية عالية ، وصار بمقدورهم التأثير في سياسة الحكومة . بينما ظل الصناع لا يستطيعون ان يسدوا رمقهم من دخلهم

الشحيح الا بصعوبة ، ولم تعمل الحكومة شيئا لحماية اصحاب الحرف من المستغلين في الاسواق • ولم يكن اهل السوق بمعزل عما يدور في مجتمعهم من احداث •

واجتمعت عوامل متعددة لاثارة المنازعات بين أهل اسواق بغداد : بعضها ناتج من ظروف مهنية احاطتبهم ، وعملت عملها في اذكاء حدة خلافاتهم او بسبب التيارات السياسية والمذهبية واشتباك المصالح والاتجاهات والاراء التي كانت تضطرم في عاصمة الخلافة العباسية واسواقها •

ذلك هو ما خرجت به من تتائج في دراستي هذه • وأن كنت لا ادعي لها الكمال ، فانني أرجو ان تكون قاربته ، اذ الكمال لله وحده ، ومنه السداد والتوفيق •

الفهارس



فهرست الاعلام

(أ)

ابراهيم بن بطحا المحتسب ٣٠١ ، ٣١٠ ، ٣١٤ .

ابراهيم بن حبيش الكوفي ٧٦ .

ابراهيم بن المقتدي بالله ٣٦٤ .

ابراهيم بن المهدي ١٢ ، ٣٨ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ٣٢٨ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

ابراهيم المؤيد (اخو الخليفة المعتز بالله) ٣٦٠ .

ابراهيم الموصلي ١٤٢ ، ١٤٣ .

ابن الاثير (علي بن أبي الكرم) ١٣ ، ٩٦ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

ابن الاخوة (محمد بن محمد بن احمد) ٣٢٣ .

ابن تيمية (احمد بن عبدالحكيم) ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٣ .

ابن جبير (كاتب ديوان الخراج) ١٣٤ ، ٢١٩ .

ابن الجوزي (عبدالرحمن بن علي) ١٤ ، ٢٦ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٨٤ ، ٣٤٨ .

ابن حمدي ١٦٤ .

ابن خرداذبة (عبيدالله بن عبدالله) ١٥ ، ٢٥٥ .

ابن خلكان (أحمد بن أبي بكر) ١٤ .

ابن خلدون ٢١٤ .

ابن دريد (محمد بن الحسن) ١٤٥

ابن الربيع (محمد بن محمد) ٧٨ ، ٣٥٢ .

ابن رسته (أحمد بن عمر) ٢٧ .

ابن الرفعة (أحمد بن محمد) ٢٩٧ .

ابن الزبير (أحمد بن علي) ٢٤٤ .

ابن الساعي (علي بن انجب) ٣١ .

ابن شاكر الكتبي ١٤ .

ابن شيرزاد (الوزير) ١٦٤ ، ١٩٠ ، ٣٠٣ .

ابن عائشة (المغني) ١٤٥ .

ابن عباس ٢٦٤ .

ابن عبدالرزاق (أحمد بن عبدالله) ٢٩٧ .

ابن عبدون (محمد بن أحمد) ٣٢٣ .

ابن كثير (عماد الدين اسماعيل بن عمر) ٤١ ، ٢٩٠ ، ٣٥٩ .

ابن المسيب ٢٩٩ .

ابن يحيى ثعلب النحوي ٢٤٢ .

ابو الازهر التميمي ٥٦ .

ابو أيوب المورياني ٣٢ ، ٢٩٤ .

ابو بكر بن قرابة ٢٧٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ·
ابو بكر الصديق ٢٢٧ ·
ابو جعفر الكرخي (محمد بن القاسم الوزير) ١٥٨ ، ٢٦٨ ٢٦٨ ·
ابو الحسين (يحيى بن عمر العلوي) ٣٥٩ ·
ابو حنيفة (النعمان بن ثابت) ٤٢ ، ٥١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ·
ابو حمزة اليماني ٢٩٨ ·
ابو حيان التوحيدي ٢٥١ ·
ابو زكريا (محتسب بغداد) ٧٩ ، ٣٥٣ ·
ابو زكريا بن زياد الفراء ١٤٣ ·
ابو السعود (محمد بن محمد العمادي) ٢٤٩ ·
ابو سعيد الاصخطري (المحتسب) ١٧٥ ، ٣١٤ ·
ابو طاهر القرمطي ١٨٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٦٦ ·
ابو العتاهية ٢٤٨ ، ٣٤٢ ·
ابو علي الحسن بن اسماعيل (القاضي) ٣٠٩
ابو القاسم بن اسماعيل زنجي ١٤٩ ·
ابو الهيجاء (عبدالله بن حمدان) ١٩٣ ·
ابو يوسف (القاضي) ٢٩٨ ·
أحمد بن أبي داود ٢٧٠ ·
احمد بن ابي عوف (تاجر) ٢٢٢ ، ٣٣٤ ·
أحمد أمين ١١٨ ·
احمد بن بويه (معز الدولة) ١٠٨ ، ١٦٥ ، ٢٣٨ ·
احمد بن جعفر بن موسى بن يحيى البرمكي (جحظة) ٢٦٠ ، ٢٦١ ·
احمد بن حنبل ١١٨
احمد بن الخصيب (الوزير) ١٠٩ ، ١٦٠ ·
احمد بن طولون ٢٣٦ ·
احمد بن علي (المحتسب) ٤٠ ·
احمد بن محمد بن رستم ٢٦٨ ·
احمد بن محمد بن الفرات ١٤٦ ، ١٤٩ ·
احمد المحرز المعروف بالاحول ١٤٣ ·
اخوان الصفا ٢٧٥ ، ٣٤٦ ·
الآراميون ٤٤ ·
الاربلي (عبدالرحمن سنبط) ٥٠ ، ٥٥
الازدي (يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم) ١٣ ·
الاسحاقي (محمد بن عبدالمعطي) ٤٠ ·
الاصطخري (ابراهيم بن محمد) ١٥ ، ٩٣ ·
الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين) ١٦ ، ٦٠ ، ٣٧٥ ·
الاكراد ٢٠٣ ، ٢٢١ ·

الالوسي (محمود شكري) ٥٠ ٠
ام جعفر (زوجة الخليفة) ١٠٥ ، ١٧١ ، ٢٨٦
الامويون ٢٧ ، ٦٢ ، ١٩٥ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٣٠٣ ، ٣٤٣ ، ٣٧٩ -
الامين (الخليفة) ١٠ ، ٣٧ ، ٦١ ، ١٠٥ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ،
٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٧١ ٠
اياس بن معاوية (محتسب) ٣٠٦ ٠

(ب)

البابليون ٢٧ ، ٤٤ ٠
بارتولد ١٣٣ ٠
بجكم (القائد) ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٩ ، ٣٦٤ -
بدر (القائد) ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ٠
البرامكة ١٤٥ ، ١٤٦ ٠
برنارد لويس ١٥٧ ٠
البريديون ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٩ ، ٢٦٨ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ٠
البلاذري (أحمد بن جابر) ١١ ، ٢٦ ، ٢٧ ٠
البلغار ١٢٥ ٠
بليق (القائد) ١٥٧ ٠
بوران (زوجة الخليفة المعتضد) ١١٦ ، ١١٧ ٠
البويهيون ٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٧٤ ، ٣٨٣ ٠

(ت)

الترجمان (صاحب الشرطة) ٢٥٢ ٠
التنوخي (المحسن بن علي) ١٥ ، ١٦ ، ٢٤٩ ٠
توزون (القائد) ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٣٣١ ، ٣٦٦ ٠
تيوفيل (الامبراطور) ٢١٠ ٠

(ث)

الثعالبي (عبدالملك بن محمد) ١٣٣ ، ١٧٥ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٣٧١ -

(ج)

الجاحظ (عمرو بن بحر) ١٥ ، ١٤١ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ،
٣٤٦ ، ٣٥٠ ٠
الجزل عثمان بن سعيد ٢٦ ، ٢٧

جعفر بن يحيى البرمكي ١٤٦ ، ٢١٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
جعفر الملاح ١٣٥ .
الجهشياري (محمد بن عبدوس) ١٢ ، ١٩٥ ، ٢٤١ .
جواس بن المسيب اليماني ٧٧ .

(ح)

حاتم بن الصقر (قائد الامين) ١٥٠ .
حامد بن العباس (الوزير) ١١٧ ، ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ٢١٨ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ .
الحجاج بن أرطأة ٤٢ ، ٥١ .
الحجاج بن يوسف الثقفي ٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ .
الحجاج بن الوصيف (مولى المهدي) ١٠٩ .
حسان بن مجالد الاجدع الهمداني ٢١٣ .
الحسن بن بويه (ركن الدولة) ٢٣٨ .
الحسن بن سهل ١١٦ ، ١١٧ ، ١٤٦ .
الحسن بن عمران (صاحب البطيحة) ١٥٢ .
الحسن بن مخلد ٢٦١ .
الحسن بن هارون ٢١٢ .
الحسين بن أحمد الماذراني ١٣٤ .
الحسين بن عبدالله بن الجصاص ١٦١ ، ٢٠٢ ، ٢٥٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
الحسين بن علي بن الحسن ١٤١ .
الحسين بن القاسم (الوزير) ٢٣٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٣٩ .
الحلاج (الحسين بن منصور) ٢٠٩ ، ٣١١ ، ٣٧١ .
الحنابلة ١٥٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(خ)

خالد البرمكي ٣٢ ، ٥٣ .
خالد بن عبدالله القسري ٥٣ ، ١٦٦ ، ٢٣١ .
خالد بن الوليد ٢٥ ، ٢٦ .
خالد العكي ٥٦ .
الخــزر ١٢٥ .
الخوارج ٢١٣ .
الخطيب البغدادي ١٤ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ١٠٥ ، ١٢٦ .

(د)

الدينوري (احمد بن داود) ١١ ، ٢٦ ٠

(ر)

الراضي بالله (الخليفة) ٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٩١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٩ ، ٣٦٤
الراوندية ٢٩ ، ٣٨ ، ٩٦ ٠
الربيع بن يونس (الوزير) ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٢٢١ ٠
ربيعة (قبيلة) ٩٦ ٠
الرجالة (أحد فرق الجيش) ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ٠
الروم ٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٧٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٨٠ ٠

(ز)

زبيدة (زوجة الرشيد) ١١٦ ٠
الزجاج (ابراهيم بن السري) ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٧١
الزنج ٩٨ ، ١٥١ ، ١٢٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ٠
زيد (مولى عيسى بن نهيك) ١٤١ ٠
زهير بن المسيب الضبي ١٥٠ ٠

(س)

سالم بن أبي الجعد ٢٩٨ ٠
السبكي (عبدالوهاب بن تقي الدين) ٣٤٦ ٠
السفاح (الخليفة) ٢٨ ، ١٣٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ٠
سعيد بن مالك (تاجر) ٣٣٨ ٠
سعيد الخرشي ١٠٧ ، ٣٧٧ ٠
سلامة الحاجب ٢٦٣ ، ٢٦٨
سلم الخاسر (الشاعر) ١٤٢ ٠
سليمان بن الحسن ٢٦٨ ٠
سليمان بن خالد ٣٢ ٠
سليمان بن مجالد (القائد) ٥٦ ٠
السندي بن شاهك (صاحب الشرطة) ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥١ ٠
السيدة (أم الخليفة المقتدر بالله) ١١٧ ، ١٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ٠
سيف الدولة الحمداني ٢٣٨ ٠

(ش)

الشابشتي (علي بن محمد) ١٩٢ .
شبيب بن زيد بن نعيم الشيباني ٢٦ ، ٢٧ .
الشطار ١٥٦ ، ٢٧٥ .
شميس (مولى المنصور) ٧٨ .
الشيرازي (عبدالرحمن بن نصر) ٣١٧ ، ٣٢٣

(ص)

الصابي (الهلال بن المحسن) ١٤ ، ١٤٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٣٠٨ ، ٣٢٣ ، ٣٤٩ .
صاعد بن مخلد (الوزير) ٣٣٨ .
الصابئة ٣١٤ .
صالح أحمد العلي ١٨٦ .
الصفدي (خليل بن آيبك) ١٤ .
الصقالبة ٢٩ .
الصولي (محمد بن يحيى) ١٢ ، ٣٨ ، ١٤٤ ، ٢٢١ ، ٢٣٨ ، ٣٦٤ .

(ض)

الضحاك ٣٥٠ .

(ط)

طاهر بن الحسين ١٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٣٥ ، ٢٧٧ ، ٣٣٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧، ٣٥٨.
الطبري (محمد بن جرير) ١١ ، ١٣ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩ .

(ع)

العباس بن الحسن (الوزير) ٢٦٢ ، ٢٩٤ .
العباس بن عبدالمطلب ٣٦٤ .
العباس بن الفضل بن الربيع ٢٣٤ .
العباس بن المأمون ١٣٦ .
العباسيون ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٦٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٨٢ .
عبدالرحمن فهمي ٢٣١ .
عبدالله بن حازم بن خزيمة (القائد) ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
عبدالله بن الزبير ٢٢٨ ، ٢٦٤ .

عبدالله بن المعتز ١٥ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٦٢ -
عبدالملك بن حميد الكاتب ٣٢ .
عبدالملك بن قريب الاصمعي ١٤٣ .
عبدالملك بن مروان (الخليفة) ١٤٣ ، ٢٢٨ .
عبدالملك الزيات (التاجر) ٣٥٩ ، ٣٧١ .
عبدالواحد بن محمد الخاقاني ١٣٤ .
عبيدالله بن سليمان (الوزير) ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ٣٣٩ ، ٣٦١ .
عبيدالله بن عبدالله بن طاهر الخزاعي ٢٩٠ .
عبيدالله بن محمد الخاقاني (الوزير) ١٤٣ .
عبيدالله بن محمد الكلوذاني (الوزير) ٢٧٢ .
عثمان بن عفان ٢٢٨ .
عريب (القرطبي) ١٣ ، ٢٨١ .
العلويون ٣٩ ، ١٣٣ .
علي بن أبي طالب ٣٠٦ ، ٣٦٤ .
علي بن بويه (عماد الدولة) ٢٣٨ .
علي بن حمزة الكسائي ١٤٣ .
علي بن عيسى (الوزير) ١٣٤ ، ١٥٨ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،
٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٣١١ ، ٣٤٥ ، ٣٥٢ ، ٣٦٦ .
علي بن عيسى بن ماهان ٢١٣ ، ٣٥٥ .
علي بن محمد بن الفرات (الوزير) ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ،
١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٩٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ،
٢٩٤ ، ٣٠٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٢ ،
٣٧٦ ، ٣٧٧ .
العطاف بن سفيان الازدي ٢١٣
عمر بن الخطاب ١٤٩ ، ٢٢٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٦ .
عمر بن هبيرة ٢٣١ .
عمر بن يوسف (القاضي) ١١٩ .
العيارون ١٥٥ ، ١٦٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٧٤ .
عيسى دأب ١٤٢ .
عيسى بن الشيخ ٢١٦ .
عيسى بن علي (عم المنصور) ٢٣ ، ٢٤ .
عيسى بن موسى ١٥١ .
عيسى بن نهيك ١٤١ .

(غ)

الغلمان ٣٧ ، ٦٨ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢١١ ، ٣٨٠ .

(ف)

الفراعنه ٥٢
الفرس ٨ ، ٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٧٩ .
الفرسان ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .
الفضل بن جعفر بن الفرات (الوزير) ٢٤٩ .
الفضل بن الربيع (الوزير) ٣٥٥ .
الفضل بن سليمان الهاشمي ٧٩ ، ٣٥٣ .
الفضل بن سهل ١٣٣ ، ٢٣٥ .
الفضل بن مروان (الوزير) ٣٤٤ .
الفضل بن يحيى البرمكي ١٤٦ ، ٢١٨ ، ٢٦٠ .

(ق)

القاسم بن دينار ٢٦٨ .
القاسم بن عبيدالله بن سليمان ١٣٣ ، ٢٣٦ .
القاهر بالله (الخليفة) ١٤٠ ١٥٧ ، ٢٤٩ ، ٣١٤ ، ٣٣٩ .
قبيحة (ام المعتز) ١٦١ ، ٢٣٦ .
قثم بن العباس بن عبدالله بن العباس ٩٦ ، ٩٧ .
القرامطة ١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ٢١٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٦٦ .
قطر الندى ١١٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ .

(ك)

الكلدان ٤٤

(ل)

لسترانج ٣٣ ، ١٨٣ .
لؤلؤ (القائد) ٢٣٦ .

(م)

مالك بن انس ٢٩٧ ، ٢٩٩ .
الماوردي ٣١٧ ، ٣٢٣ ، ٣٧١ .
المأمون (الخليفة) ١٠ ، ١٢ ، ٣٧ ، ٦١ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ،

٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ،
٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ ٠
مؤنس المظفر (القائد) ١٣٥ ، ١٥٧ ، ١٨٨ ، ٢٤٩ ، ٢٨٢ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،
٣٦١ ٠
المبرد ١٥١ ٠
متز ٢١٩ ٠
المتوكل على الله (الخليفة) ١١٦ ، ٢٨٧ ٠
المتقي لله (الخليفة) ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٨٩ ، ٢٢١ ، ٢٨٣ ، ٣٤٥ ،
٣٦٤ ، ٣٦٦ ٠
المثنى بن حارثة الشيباني ٢٥ ، ٢٦ ٠
المحسن بن علي بن الفرات ١٣٤ ٠
محمد بن ابراهيم الامام ٢٦٠
محمد حازم ١٤٣ ٠
محمد بن خلف النيرماني ٢٤٥ ٠
محمد بن داود بن الجراح ٢٦٢ ٠
محمد بن رائق (القائد) ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ٢٨٣ ، ٢٦٤ ، ٣٧١ ،
محمد رباح ١٥٢ ٠
محمد بن عبدالله بن طاهر (القائد) ٣٦٠ ٠
محمد بن عبيدالله الخاقاني (الوزير) ١٣٣ ، ٢٦٧ ٠
محمد بن عبدالله (ذو النفس الزكية) ٥٤ ، ٧٩ ، ٣٥٣
محمد بن علي (والد المنصور) ٢٩ ٠
محمد بن علي القنائي ٢٠٨ ٠
محمد بن عبدالملك الزيات (الوزير) ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٧١ ٠
محمد بن علي بن عيسى بن ماهان ٣٥٧ ٠
محمد بن القاسم الانباري ٤٥
محمد بن القاسم الكرخي (الوزير) ٢٦٨ ٠
محمد بن مقلة (الوزير) ١٠٧ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٨٩ ، ٢٦٨ ٠
محمد بن الوراق ٤٠ ٠
محمد بن ياقوت (القائد) ٣١٠ ٠
محمد ضياءالدين الريس (الدكتور) ٦٤
مروان بن أبي حفصة ١٤١ ، ١٤٢ ٠
المستعين بالله (الخليفة) ١٠ ، ٣٧ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٥١ ، ١٨٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ،
٣٥٩ ، ٣٦٠ ٠
المستكفي بالله (الخليفة) ٢٣٨ ٠
المسعودي (علي بن الحسين) ١٣ ٠
مسكويه (أحمد بن علي) ١٣ ، ١٥٨ ، ١٦٩ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧ ٠

مسلمة بن صهيب الغساني ٥٦ ·
مصعب بن الزبير ٢٢٨ ·
مضر (قبيلة) ٩٦ ، ١٨٩ ·
معاوية بن أبي سفيان ٢٢٨
المعتز بالله (الخليفة) ١١٦ ، ١٦١ ، ٢٣٦ ، ٢٧٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ·
المعتصم بالله (الخليفة) ٣٧ ، ٩٣ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤٤ ، ٣٥٩ ·
المعتضد بالله (الخليفة) ٣٨ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٧ ق ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٨٤ ، ٢٣٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ·
المعتمد على الله (الخليفة) ٢٦١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ ·
المقتدر بالله (الخليفة) ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ، ٢٩٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ·
المقدسي (محمد بن احمد البشاري) ١٥ ، ١٠٤ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٣٧٥ ·
المقريزي ٢٤٣ ·
المكتفي بالله (الخليفة) ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٤٤ ، ٢٣٦ ، ٣٦٥ ·
المنصور (ابو جعفر) ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٩ ، ٢٩٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ·
المهدي (الخليفة) ٢٩ ، ٣٦ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٣٠٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ، ٣٧٧ ·
مهدي بن عبدالرحمن (المحتسب) ٣٠٦ ·
الموفق (ابو احمد بن المتوكل) ٩٨ ، ١٨٤ ، ٢٧٨ ، ٣٤٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ·

(ن)

ناصر الدولة الحمداني (الحسن بن عبدالله) ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢١٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٧١ ، ٣٣١
الناصر لله (الخليفة) ١٣٦ ·

تازوك (صاحب الشرطة) ٢٨١ ٠
النبي (محمد صلى الله عليه وسلم) ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٥٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٣٦٢ ، ٣٨٢ ٠
النصارى ٣٣ ، ٤٤ ، ٢٧٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ٠
نجح الطولوني ٢٦٣ ٠
نصر بن عبدالله ٩٢ ، ١٠٢ ٠
نصر القشوري (الحاجب) ٣٠٢ ٠
النصر بن شميل ١٤٣ ٠
نوبخت (المنجم) ٤٠ ٠

(هـ)

الهادي (الخليفة) ١٤٢ ، ١٥١ ٠
هارون بن ابراهيم الهاشمي (المحتسب) ٣١٣ ٠
هارون بن عمران ٣٣١ ٠
هارون الرشيد (الخليفة) ٣٦ ، ١٠٥ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٨١ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣٤٤ ، ٣٦٥ ٠
هارون بن غريب (القائد) ٣١٠ ٠
الهاشميون (بنو هاشم) ٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٨٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٥٨ ، ٣٦٤ ٠
هرثمة بن أعين (القائد) ٣٥٨ ٠
هشام بن عبدالملك (الخليفة) ٢٧ ٠
الهمداني (محمد بن عبدالملك) ٢٨٩ ٠
الهنـــود ٣٣٢ ٠
الهيثم بن معاوية ٩٢ ٠

(و)

الواثق بالله (الخليفة) ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٩٨ ٠
ولي الدولة (الوزير) ٢٣٦ ٠

(ي)

ياقوت الحموي ١٤ ، ١٥ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ٠
يحيى بن خالد البرمكي ١٠٥ ، ٢١٣
يحيى بن سعيد ٢٩٩ ٠
يحيى بن الوليد ١٠٤ ٠

يعقوب بن الليث الصفار ٢١٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ ٠
يعقوب بن اسطفى (كاتب القائد مؤنس) ١٣٥ ٠
اليعقوبي (احمد بن ابي يعقوب بن جعفر) ١٢ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٦٧ ، ١٩٢ ٢٠٩ ، ٣٥٨ ، ٣٨١ ٠
يوسف بن ابي الساج ١٣٨ ، ٢٨١ ٠
يوسف بن عمر (القاضي) ٣٤٨ ، ٣٦٢
يوسف بن عمر (والي العراق) ٢٣١ ٠
يوسف بن منخاس ٣٣١ ٠
اليهود ١٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٣١ ، ٣٧٥ ٠

فهرست الاماكن

(أ)

الابلة ١٥١ ، ١٨٦ .
الابواب (مدينة باب الابواب) ٢٠٤ .
أذربيجان ٢٠٢ .
أرّجان ١٩٧ .
أرمينية ٣٠ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٠٢ .
الاسواق الاربعة (سوق الهيثم) ٩٢ ، ١٧٨ .
آسيا ١٢٤ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٠١ .
آسيا الصغرى ٢١٠ .
اصفهان ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥ .
آقور (اقليم) ١٩١ .
آمد ١٩١ ، ٢٠١
الانبار ٢٩ ، ٢٢٩ .
الاندلس ١٩٥ ، ٢١٩ .
الانضول ٢٢٣ .
الاهواز ١٥٣ ، ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ .
أوربا ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ .
ايران ١٨٠ ، ١٨٢

(ب)

باب البصرة ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١١ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٢١٩ .
باب التبن ١٧٤ .
باب خراسان ٥٤ ، ٥٦ ، ١٠٣ ، ١٧٣ ، ٣٧٩ .
باب الذهب ٩٦ .
باب سوق التمر ١٧٥ .
باب سوق الثلاثاء ٩٣ ، ١٧٥ .
باب سوق الغنم (الدواب) ٩٣ ، ١٧٥ .
باب الشام ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ٢٤٢ ، ٢٨٧ ، ٣٢٩ .
باب الشعير ٧٩ ، ١٨٣
باب الشماسية ١٠٨ ، ١٢١ .
باب الطاق ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٧ ، ٢٤٨ ، ٢٨٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ .

باب طاق الحراني ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ١٧٤ ، ٣٢٩ ٠
باب الكوفة ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٨٥ ، ٩٢ ، ١٧٨ ٠
باب المحول ٧٩ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧٨
باب المحرم ١٠٨
باب المخرم ١٠٨
بادوريا ٢٨ ، ٩٧ ٠
باريس ٢٣٠ ٠
البحر الاحمر ٢٠٧ ٠
البحر الاسود ١٢٤ ، ٢١٧ ٠
بحر البلطيق ١٢٥ ٠
بحر قزوين (الخزر) ١٢٤ ، ٢١٧ ٠
بحر الصين ٢٢٣
البحرين ٢١٥ ٠
بحيرة تنيس ١٩٣
بخـــارى ١٩٩ ، ٣٢٩ ٠
برذعة (مدينة) ٢٠٤ ٠
بستان الزاهر ١٠٩ ٠
البصرة ٣٥ ، ٤٢ ، ٦٤ ، ٩٧ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٦٣ ٠
البطائح ٣٣ ، ١٥ ، ٢١٥
بغـداد ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ،
٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،
٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،
٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ،
٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ،
٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،
٣٨٤ ٠

بلخ ٢٠١ ، ٢١٧ ، ٣٢٩ ٠

(ت)

تارم (مدينة) ١٩٧ ٠
التبت ٢٠٩ ٠
ترمذ ٢٠٦
تستر ٢٠٤ ، ٢١٩ ٠
تكريت ١٣٤ ، ١٨٩ ٠
تينس ١٩٣ ، ١٩٤ ٠

(ج)

جرجرايا ٣٠
جرجان ٢٠١ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ ٠
جزيرة بن عمر ١٩١ ٠
جزيرة سومطرة ٢٢٣ ٠
جزيرة سيلان ٢٠٨ ، ٢٢٢ ٠
جزيرة العرب ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٧٨ ٠
جهرم ١٩٧ ٠

(ح)

الحبشة ١٩٦
الحجاز ٥٤ ، ١٠٤ ، ١٨٦ ، ٢٣٤ ، ٢١٩ ، ٢٤١ ، ٢٧٨ ٠
حران ١٩١ ٠
الحربية ٨٣ ، ٩٨ ٠
الحسنية ١٩١ ٠
حلوان ١٨٢ ، ١٩٩ ٠
الحيرة ٢٦ ، ٢٩ ٠

(خ)

خان مرجان ٦٨ ٠
الختل **٣٢٩** ٠
خراسان ٩٥ ، ٩٦ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٧١ ، ١٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ٠
خليج البنغال ٢٢٢ ٠
الخليج العربي ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ ٠
خوارزم ٢٠١ ، ٣٢٩ ٠

(د)

دار البطيخ ٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٣٢٣ ٠
دار القز ٩٢ ، ١٧٠ ، ٢١٨
دار القطن ١٦٨ ، ٣٢٣ ٠
دبيق ١٩٣ ٠
دبيل (مدينة) ٢٠٤ ٠
دجلة (نهر دجلة) ٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٥١ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢١٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٨٠
درا بجرد (مدينة) ١٩٧ ٠
درب الاساكفة ٦٨ ، ٨٠ ٠
درب الزعفران (بالكرخ) ٣٤٨ ٠
درب الزيت ٦٨ ، ٨٠ ٠
درب سليمان (بالرصافة) ٣٤٨ ٠
درب العاج ٦٨ ، ٨٠ ٠

درب عون (بالكرخ) ١٦٩ ، ١٧٠ .
دمشق ١٣٦ ، ١٨٤ ، ١٦٣ ، ٢١٧
دمياط ١٩٣ ، ١٩٤ .
الدورة ٢٣ .
ديار بكر ٩٧ .
ديار ربيعة ١٨٩ .
ديار مضر ١٨٩ .
دير بستان القس (الدير العتيق) ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ .

(ر)

الرافقة ٦٥ .
الرحاب ٢٠٤ .
الرحبة ١٩١ .
الرصافة ٨ ، ٩ ، ١٤، ١٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٣٤٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧ ، ٣٨١ .
الرصافة (مدينة قرب الكوفة) ٢٩ .
الرقة ٣٠ ، ١٩٧ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ٢٢٢ .
روسيا ١٢٤ ، ٢١١ ، ٢١٢ .
الري ٢٠٠ ، ٢٣٢ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ .

(ز)

الزوراء ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٩ ، ٣٧٩ .

(س)

سامراء (سر من رأى) ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٥ ، ٩١ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٨٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٣٦٠ .
سجستال (مدينة) ٢٠٥ .
سر (مدينة) ٢٠٠ .
سرخس (مدينة) ٢٠٥ .
سمرقند ١٢٥ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٧ ، ٢١٨ .
سنجار ١٩١ .
السند ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
سندان (مدينة) ٢٠٦ .
سوريا ١٨٢ .

السوس ٢٠٤ .
سوق الاساكفة (بالرصافة) ١٠٣ ، ١٧٣ ، ٣١٩ .
سوق الاشنان ٨٩ ، ١٦٩ .
سوق باب الشام ٩٣ ، ١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ٣٢٩ .
سوق باب البصرة ١٧٨ .
سوق بغداد ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٥ .
سوق البزازين ٨٥ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ٣١٧
سوق التبن ١٠٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ .
سوق التمر (بالرصافة) ١٧٥ .
سوق التمر (بالكرخ) ١٦٨ ، ٣٦٣ .
سوق الثلاثاء (بالرصافة) ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٨٩ ، ٣٤١ ، ٣٦٤ .
سوق الثلاثاء (بالكرخ) ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ .
سوق الجرار ١٠٤ ، ١٧٣ .
سوق الجواري (بالرصافة) ١٧٤ .
سوق الجوهريين (بالكرخ) ٢٧٠ ، ٢٨٩ .
سوق الحدادين ١٦٨ ، ٣١٥ .
سوق الحلوى ١٧٧ ، ٣١٨ .
سوق الخمام (بالرصافة) ١٧٤ .
سوق الحطب (بالرصافة) ١٠٤ ، ١٧٣ .
سوق الحناء (بالكرخ) ١٧٠ .
سوق خالد البرمكي ١٠٥ .
سوق الخبازين (بالرصافة) ١٠٣ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٣١٥ ، ٣١٧ .
سوق الخزازين (بالكرخ) ١٧٠ ، ٢٨٩ ، ٣١٨
سوق خضير ١٠٤ ، ١٧٣ .
سوق دار البطيخ ٦٨ ، ٩٠ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٣٢٣ .
سوق دار القز ٩٢ ، ١٧٠ .
سوق دار القطن ٩٠ ، ١٦٨ ، ٣٢٣ .
سوق الدباغين (بالكرخ) ١٧٠ .
سوق الدجاج ٨٦ ، ١٦٨ .
سوق الوقافين ١٧٤ ، ٣١٧
سوق الدهون (بالكرخ) ١٧٠ ، ٢٨٩ .
سوق الدواء (بالرصافة) ١٧٥ .
سوق الدواب أو الغنم (بالرصافة) ٩٢ ، ١٠٨ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ٣٢٣ .
سوق الدواب أو الغنم (بالكرخ) ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٧٠ .
سوق الرصافة ١٠٤ .
سوق الرقيق ٣١٤ ، ٣٢٣ .

سوق الرمان ٩٠ ، ١٦٩ ٠
سوق الرياحين ١٠٦ ، ١٧٤ ٠
سوق الزياتين ٨٩ ، ١٦٩ ، ٢٨٩ ٠
سوق السلاح (بالرصافة) ١٠٩ ، ١٧٤ ، ٣١٢ ٠
سوق السلاح (بالكرخ) ١٧٠ ٠
سوق الشوك ٨٩ ، ١٦٩ ٠
سوق الصابون ٨٦ ، ١٦٨ ٠
سوق الصاغة ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٥٦ ، ١٧٣ ، ٣١٩ ٠
سوق الصفارين (بالرصافة) ١٢١ ، ١٧٢ ٠
سوق الصيادلة (بالكرخ) ١٧٠ ، ٢٨٩ ، ٣١٨
سوق الصيارفة (بالرصافة) ٢١ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٣٢٠ ٠
سوق الصيارفة (بالكرخ) ١٦٩ ، ٢٨٩ ٠
سوق الطعام (بالرصافة) ١٠٣ ، ١٧٣ ، ٢٩٤ ٠
سوق الطعام (بالكرخ) ٨٩ ، ١٦٨ ٠
سوق الطيب (بالرصافة) ١٠٣ ، ١٧٣ ٠
سوق عبدالواحد ٨٤ ٠
سوق العتابية ٩٢ ، ١٧٠ ٠
سوق العروس (بالرصافة) ١٧٥
سوق العطش (سوق الري) ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٧٧ ، ٣٧٧ ٠
سوق العطارين (بالرصافة) ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٧٢ ٠
سوق العطارين (بالكرخ) ١٧٠ ، ٢٨٩ ٠
سوق عكاظ ١٠٤ ٠
سوق العلافين (بالرصافة) ١٠٨ ، ١٧٢ ٠
سوق غالب ٨٥
سوق الفرائين ١٢١ ، ١٧٢ ٠
سوق القصابين (بالرصافة) ١٧٣ ٠
سوق القصابين او الجزارين (بالكرخ) ٨٠ ، ٨٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٣١٨ ٠
سوق القلائين ٨٦ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ٣١٨ ٠
سوق المسك (بالرصافة) ١٧٤ ، ٣٢٣ ٠
سوق النبيذ (بالرصافة) ١٧٥ ٠
سوق النجارين (بالكرخ) ١٧٠ ، ٢٨٧ ٠
سوق النخاسين (بالرصافة) ١٧٤ ٠
سوق النخاسين (بالكرخ) ١٧٠ ٠
سوق الهراسين (بالرصافة) ١٧٥ ، ٣١٨
سوق الوراقين (بالرصافة) ١٠٣ ، ١٧٣ ٠
سوق الوراقين (بالكرخ) ٨٩ ٠
سوق يحيى ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٧٧ ، ٣٣٤ ٠

سويقة أبي الورد ٨٥ ، ١٧٨ ٠
سويقة جعفر ١٠٥ ٠
سويقة الحجاج بن الوصيف ١٠٩ ٠
سويق الحمص ٨٦ ، ١٦٨
سويقة الخرسي ١٠٧ ٠
سويقة عبدالوهاب ٩٢ ٠
سويقة نصر (بالرصافة) ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ٠
سيراق ١٩٧ ٠

(ش)

الشام ١٢ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٥٢ ، ٩٧ ، ١٣٤ ، ١٦٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٧٨ ، ٣٦٤ ٠
شطا (مدينة بمصر) ١٩٣ ٠
شيز (مدينة) ١٩٧

(ص)

صبرة (مدينة) ٦٥ ٠
الصين ٣٠ ، ٤٥ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ٠

(ط)

طبرستان ٢٠٢ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ ٠
طربزون ٢١٧ ٠
طوس ٢٠٥ ٠

(ع)

عبادان ٥ ٢ ٠
عربستان ٢٩٥ ٠
عسكر مكرم (مدينة) ٢٠٥ ٠
عقرقوف ٣٣ ، ٢١٤ ٠
عمان ١٨٨ ٠
عمورية ٢٢٣ ٠

(ف)

فارس ١٤٣ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٣٩ ، ٢٦٧ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ ·

فاس (مدينة) ٦٥ ·

الفرات (نهر الفرات) ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ١٢٣ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٨٨

فرضة المحول ٩١ ، ١٨٤ ·

فسا (مدينة) ١٩٧ .

فلندا ٢١١ ·

الفيوم ١٩٣ ·

(ق)

القاهرة ١٦ ·

القبة الخضراء ٦٠

القوس ٦٥

قرج (مدينة) ١٩٧ ·

قزوين ١٩٩ ·

قرية بغداد ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٩٧ ، ٣٧٩ ·

القسطنطينية ١٢٤ ، ١٢٥ ·

قصر باب الذهب ٦٠ ، ٩٨ ·

قصر الحسني ١٧٤ ، ٢٣٣

قصر الخلد ٧٥ ، ٣٥٥ ، ٣٨٠ ·

قصر عيسى ٢٤ ، ٩٠ ·

قصر وضاح ٨٤ ، ٣٥٦ ·

قطربل ٩٧ ·

قطيعة ام جعفر ١٧١ ، ٢٨٦ ·

قطيعة الربيع ٢٢١ ·

قطيعة العباس ٢٨٦ ·

قم (مدينة) ٢٠٠ ·

قنطر الدسنان ٨٩

قنطرة البستان ٩٠ ·

قنطرة الحديد ٨٦ ·

قنطرة دمما ٢٢ ، ١٨٣ ·

قنطرة الرمان ٩٠ ، ١٦٩ ·

قنطرة الزياتين ٨٩ ·

قنطرة الشوك ٨٩ ، ١٦٩ ·

قنطرة اليهود ٩١ ٠
قومس (مدينة) ١٩٩ ٠
القيروان ٦٥ ، ٢١٩ ٠

(ك)

كابل شاه ٣٢٩ ٠
كانتون ١٢٥ ، ٢٢٢
الكرخ ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٤ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ٠
كرمان ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧
كرمينية ٢٠٦
كسكر ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٨٦ ٠
كلواذى ٩٧ ، ١٠٦ ٠
كوريا ٢١٠ ٠
الكوفة ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ٠

(م)

المباركة ٢٧
محلة باب التبن ١٧٤ ٠
محلة باب الشعير ١٨٣ ٠
محلة التستريين (بالكرخ) ٩١ ، ٢١٩ ، ٣٣٠ ٠
محلة الحربية ٣٢٩ ٠
محلة دار القز ٢١٩ ٠
محلة سوق السلاح ١٠٩ ٠
محلة سوق العطش ١٠٧ ٠
محلة الشرقية (بالكرخ) ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٧١ ، ٣٢٩ ٠
محلة الصابون ٢١٨ ٠
محلة طابق ٩٠ ٠
محلة العتابية ٩٢ ، ١٧٠ ، ٢١٨ ٠
محلة القلائين ١٧١ ٠

المحمدية ٢٣٢ ٠
المحول ٢٢ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٦٩ ٠
المحيط الهندي ١٢٥ ٠
المخرم ٣٢ ، ٣٤ ، ١٤٠ ، ٢٨٩ ٠
المدائن ٣٣ ، ٥٣ ، ٣٥٦ ٠
مدينة السلام ٧ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧ ، ٣٣١ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
المدينة المدورة ٨ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١١٩ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٧٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣ ٠
المدينة المنورة ٢٩٨ ، ٢٩٩ ٠
مرو ١٩٨ ، ٢٤٦ ، ٣٢٩ ٠
المستنصرية ٦٨
مسقط ٢٢٢ ٠
مشهد أبي حنيفة ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ٠
مصر ١٢ ، ٩٧ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٦٦ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٦٧ ، ٣٦٤ ٠
معلتايا ١٩١ ٠
المغرب ٩٧ ، ٢٣١ ٠
مكران ٢٠٠
مكة ٢١٤ ، ٢٦٤ ٠
الموصل ٣٠ ، ٤٢ ، ٩٧ ، ١٢٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٣١ ، ٣٧٢ ٠
ملطية ١٣٥ ٠
مهربان ١٩٧ ٠
ميسان ١٨٥ ٠

(ن)

النروج ٢١٢ ٠
نصيبين ١٩١ ، ٢٨٢ ٠

نهر بوق ٩٧ .
نهر البزازيق ٢٤ ، ٨٤ ، ١٦٨ ، ١٧١
نهر الدجاج ٢٤ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١٦٨ ، ١٧١ .
نهر الرفيل ٢٣ ، ٢٤ .
نهر الصراة العظمى ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٧ .
نهر الصراة الصغرى ٢٤ .
نهر طابق ٢٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٥٥ .
نهر عيسى ١٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٢٣ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٢٨٧
نهر عيسى الاصغر ٢٣ .
نهر الفولغا ٢١١ .
نهر القلائين ٨٤ ، ٨٦ ، ١٥٥ .
نهر الكلاب ٨٩ .
نهر كرخايا ٢٤ ، ٥٩ ، ٩١ .
نهر المعلى ١٠٧ .
نهر موسى ١٠٨ ، ١٠٩ .
نهر المهدي ١٠٥
نيسابور ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(و)

واسط ٤٢ ، ٥٢ ، ٩٧ ، ١٢٤ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٣٠٦ .

(هـ)

الهاشمية ٢٨ ، ٢٩ .
هراة ٢٠٥ .
همدان ٢٠٠ .
الهند ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(ي)

اليابان ٢١٠ .
اليمن ٩٦ ، ١٨٢ ، ١٨٧ .

ثبت المصادر

اولا : كتب عربية مخطوطة :

ابن حمدون ـ محمد بن الحسن بن حمدون (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) .
١ ـ التذكرة الحمدونية ، ج ١٢ ، نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ـ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد ، برقم ١٢٧٣ .

ابن دقماق ـ ابراهيم بن محمد (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) .
٢ ـ نزهة الأنام في تاريخ الاسلام ، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٨٥١ .

ابن رجب الحنبلي ـ زين الدين عبدالرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٣م) .
٣ ـ الاستخراج لاحكام الخراج ، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٣ فقه حنبلي .

ابن الرفعة ـ نجم الدين أحمد بن محمد بن علي الشافعي (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م).
٤ ـ الرتبة في الحسبة ، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية برقم ٥٥١ .

ابو السعود ـ محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤م) .
٥ ـ رسالة أبي السعود بجواز وقف النقود ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ١٧١٩ .

٦ ـ رسالة معنى الأنام في صحة وقف الدراهم والدنانير ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٦٥٢٣ .

الألوسي ـ محمود شكري بن عبدالله الحسيني (ت ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م) .
٧ ـ اخبار بغداد وما جاورها من البلاد ، مخطوطة بمكتبة جامعة الحكمة ببغداد برقم ١٣٥ .

البلاذري ـ أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .
٨ ـ انساب الأشراف ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١١٠٣ .

الحموي ـ ابو الفضائل محمد بن علي (ت ٦٤٤هـ/١٢٤٦م) .
٩ ـ التاريخ المنصوري ، « تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان » نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ـ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد .

الذهبي ــ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .
١٠ ــ تاريخ الاسلام . ج ٧ ، مخطوطة مصورة في مكتبة المتحف العراقي برقم ١٦٥٨ .

السنامي ــ عمر بن محمد بن عوض .
١١ ــ نصاب الاحتساب ، مخطوطة في خزانة المتحف العراقي ببغداد برقم ٩ .

الصفدي ــ صلاح الدين خليل بن آيبك (٦٩٦ ــ ٧٦٤هـ/١٢٩٦ ــ ١٣٦٣م) .
١٢ ــ الوافي بالوفيات ، ١٧ جزء ، مخطوطة مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم ٩٢٠ .

القطبجي ــ يوسف بن طوغان الشهير بالقياني .
١٣ ــ نزهة الافكار في معرفة أحوال الاسعار ، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٥٤ سياسة واجتماع

الماوردي ــ نورالدين ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ/١٠٥٨ م) .
١٤ ــ الرتبة في طلب الحسبة ، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، برقم ٢٤ .

مؤلف مجهول ــ
١٥ ــ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ج ٤/قسم ١ ، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ــ بكلية الآداب ــ جامعة بغداد ، برقم ١٥١٣ .

ثانيا : كتب عربية مطبوعة :

ابن ابي الربيع ــ أحمد بن محمد (٢١٨ ــ ٢٧٢هـ/٨٣٣ ــ ٨٨٥م) .
١٦ ــ سلوك المالك في تدبير الممالك ، ط ١ ، نشره محيي الدين صبري الكردي ، مطبعة كردستان العلمية ، (القاهرة : ١٣٢٩هـ) .

ابن الاثير ــ أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبدالكريم الجزري (٥٥٥ ــ ٦٣٠هـ/١١٦٠ ــ ١٢٣٣م) .
١٧ ــ الكامل في التاريخ ، ٨ أجزاء ، ادارة الطباعة المنيرية ، (القاهرة : ١٣٥٣هـ) .

ابن الأخوة ــ محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/١٣٢٧م) .
١٨ ــ معالم القربة في احكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبن ليوي؛ مطبعة دار الفنون (كمبرج ١٩٣٧) .

ابن آدم ـ يحيى القرشي (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) .
١٩ ـ كتاب الخراج ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٨٩٥) .

ابن بسام ـ محمد بن احمد (عاش في القرن الثامن الهجري) .
٢٠ ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق الدكتور حسام السامرائي، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٦٨) .

ابن بطوطة ـ ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) .
٢١ ـ رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار ، جزءان ، مطبعة وادي النيل . (القاهرة : ١٢٨٧هـ) .

ابن بعرة ـ منصور الذهبي الكاملي .
٢٢ ـ كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق الدكتور عبدالرحمن فهمي ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، (القاهرة : ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م) .

ابن تغري بردى ـ جمال الدين ابو المحاسن يوسف الأتابكي (٨١٣ ـ ٨٧٤هـ / ١٤١٠ ـ ١٤٧٠م) .
٢٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزء ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (القاهرة : ١٣٨٦هـ/١٩٥٦م) .

ابن تيمية ـ تقي الدين أبي العباس احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحنبلي (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٦م) .
٢٤ ـ الحسبة في الاسلام « او وظيفة الحكومة الاسلامية » ، مطبعة المؤيد ، (دمشق : ١٣١٨هـ) .
٢٥ ـ معارج الوصول ، ط ١ ، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين ابو فراس النعساني الحلبي ، « ضمن مجموعة رسائل » . المطبعة العامرة الشرقية ، (القاهرة : ١٣٢٣هـ) .

ابن جبير ـ محمد بن احمد الكناني الاندلسي (٥٤٠ ـ ٦١٤هـ/١١٤٥ ١٢١٧م)
٢٦ ـ رحلة ابن جبير ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، مطبعة دار مصر للطباعة (القاهرة : ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) .

ابن الجراح ـ ابو عبدالله محمد بن داود (ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م) .
٢٧ ـ الورقة ، تحقيق الدكتور عبدالوهاب عزام وعبدالستار احمد فراج ، الناشر دار المعارف ، (مصر : ١٩٥٣) .

ابن الجوزي ـ ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ/١١١٤ ـ ١٢٠١م) .
٢٨ ـ اخبار الحمقى والمغفلين ، مطبعة التوفيق ، (دمشق : ١٣٤٥هـ).
٢٩ ـ أخبار الظراف والمتماجنين ، مطبعة التوفيق ، (دمشق : ١٣٤٧هـ) .
٣٠ ـ الأذكياء ، المطبعة الشرقية ، (مصر : ١٣٠٤هـ) .
٣١ ـ مناقب بغداد ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، مطبعة دار السلام ، (بغداد : ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) .
٣٢ ـ نقد العلم والعلماء ، أو تلبيس ابليس ، عني بنشره محمد امين الخانجي ومحمد منير الدمشقي ، مطبعة السعادة ، (مصر : ١٣٤٠هـ) .
٣٣ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ١٠ اجزاء ، ط ١ ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن : ١٣٥٧هـ) .

ابن حزم ـ ابو محمد علي بن سعيد الاندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ)
٣٤ ـ جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبدالسلام هرون ، مطبعة دار المعارف (القاهرة : ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) .

ابن حنبل ـ أحمد (١٦٤ ـ٢٤١هـ/٧٨٠ ـ ٨٥٥م) .
٣٥ ـ المسند ، ١٢ جزء ، دار المعارف للطباعة والنشر ، (مصر : ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) .

ابن خرداذبة ـ ابو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) .
٣٦ ـ المسالك والممالك ، طبع بالأوفسيت لمكتبة المثنى ببغداد .

ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .
٣٧ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، أربعة مجلدات ، دار الكتاب اللبناني ، المطبعة الباسلية (بيروت : ١٩٥٧) و (طبعة مصر : ١٩٣٦) .
٣٨ ـ مقدمة ابن خلدون ، جزءان ، ط ١ ، تحقيق الدكتور علي عبدالواحد وافي ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة : ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) .

ابن خلكان ـ ابو العباس شمس الدين أحمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/١٢٨٣م) .
٣٩ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ستة أجزاء ، ط ١ ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، الناشر مكتبة النهضة المصرية مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) .

ابن دحية ـ عمر بن حسن بن علي المعروف بذي النسبين دحية والحسين (٥٤٤ ـ ٦٣٣هـ/١١٥٠ ـ ١٢٣٥م) .

٤٠ ـ النبراس في تاريخ بني العباس ، تحقيق المحامي عباس العزاوي ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) .

ابن دقماق ـ ابراهيم بن محمد العلائي (٧٥٠ ـ ٨٠٩هـ/١٣٤٩ ـ ١٤٠٧م) .

٤١ ـ كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٤ و ٥ ، ط ١ ، المطبعة الكبرى الاميرية ، (مصر : ١٣٠٩هـ) .

ابن رستة ـ ابو علي أحمد بن عمر (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .

٤٢ ـ الأعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٨٩١) .

ابن الزبير ـ القاضي احمد بن علي بن ابراهيم الغساني (ت ٥٦٣هـ/١١٦٧م) .

٤٣ ـ الذخائر والتحف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، نشر دار المطبوعات والنشر في الكويت ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت : ١٩٥٩) .

ابن الساعي البغدادي ـ علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م) .

٤٤ ـ مختصر أخبار الخلفاء ، ط ١ ، المطبعة الاميرية ، (مصر : ١٣٠٩هـ) .

ابن الطقطقي ـ محمد بن علي بن طباطبا (٦٦٠ ـ ٧٠٩هـ/١٢٦٢ ـ ١٣٠٩م) .

٤٥ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، عنى بنشره يوسف توما البستاني ، المطبعة الرحمانية ، (مصر : ١٣٤٠هـ) .

ابن طيفور ـ ابو الفضل احمد بن طاهر الكاتب (٢٠٤ ـ ٢٨٠هـ/٨١٩ ـ ٨٩٣م)

٤٦ ـ كتاب بغداد ، تحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوثري ، عنى بنشره السيد عزت العطار الحسيني ، (مصر : ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) .

ابن عبدالحق ـ صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٧م) .

٤٧ ـ مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، جزءان ، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة : ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .

ابن عبد ربه ـ شهاب الدين أحمد بن محمد المرواني الاندلسي (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ/٨٦٠ ـ ٩٣٩م) .

٤٨ ـ العقد الفريد ، ثمانية أجزاء ، ط ٢ ، تحقيق محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة : ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) .

ابن عبدالرزاق ــ احمد بن عبدالله .

٤٩ ــ رســالة في آداب الحسبة والمحتسب « ضمن مجموعــة ثــلاث رسائل في الحسبة » ، تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، (القاهرة : ١٩٥٥) .

ابن عبدون ــ محمد بن احمد .

٥٠ ــ رسالة في القضــاء والحسبة ، « ضمن ثلاث رســائل في آداب الحسبة والمحتسب » ، تحقيق ، ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، (القاهرة : ١٩٥٥) .

ابن العبري ــ غريغوريوس ابو الفرج هارون الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

٥١ ــ تاريخ مختصر الدول ، ط ٢، المطبعة الكاثوليكيــة ، (بيروت : ١٩٥٨) .

ابن العماد الحنبلي ــ ابو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) .

٥٢ ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ أجــزاء (القاهــرة : ١٣٥٠هـ) .

ابن الفقيه الهمداني ــ أبو بكر أحمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م) .

٥٣ ــ مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٣٠٣هـ) .

ابن الفقيه الهمداني ــ ابو بكر احمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)

٥٤ ــ بغداد مدينة السلام ، تحقيق الدكتور صالح احمد العلي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (باريس : ١٩٧٧) .

ابن الفوطي ــ كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن تاج الدين أحمد (٦٤٢ ــ ٧٢٣هـ/١٢٤٤ ــ ١٣٢٣م) .

٥٥ ــ تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب ، ج ٤/قسم ١ ــ ٤ ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، الناشر وزارة الثقافة والارشاد القومي ، المطبعة الهاشمية ، (دمشق : ١٩٦٢ ــ ١٩٦٧) .

ابن قتيبة الدينوري ــ ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) .

٥٦ ــ المعارف ، ط ١ ، تحقيق محمد بن اسماعيل الصاوي ، المطبعة الاسلامية ، (القاهرة : ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) .

ابن قلال ــ الحسن بن عبدالله العسكري (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م) .

٥٧ ــ آثار الأول في ترتيب الدول ، بهامش كتاب الخلفــاء للسيوطي المطبعة الميمنية ، (القاهرة : ١٣٠٥هـ) .

ابن كثير ــ عماد الدين اسماعيل بن عمر (٧٠٠ ــ ٧٧٤هـ/١٣٠٢ ــ ١٣٧٣م) .
٥٨ ــ البداية والنهاية في التاريخ ، ١٤ جزء ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٣٢) .

ابن المعتز ــ عبدالله (ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م) .
٥٩ ــ أرجوزة في تاريخ امير المؤمنين المعتضد بالله ، ط ١ ، المطبعة الجمالية ، (مصر : ١٣٣١هـ/١٩١٣م) .

ابن مماتي ــ أسعد بن المهذب (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٣م) .
٦٠ ــ كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية . مطبعة مصر ، (القاهرة : ١٩٤٣) .

ابن منظور ــ ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م) .
٦١ ــ لسان العرب ، الناشر دار صادر ودار بيروت ، (بيروت : ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) .

ابن النديم ــ محمد بن اسحق (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م) .
٦٢ ــ الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة) .

ابو حيان التوحيدي ــ علي بن محمد بن العباس (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) .
٦٣ ــ الامتاع والمؤانسة ، ٣ أجزاء ، تحقيق أحمد أمين وأحمد زين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٣٩ ــ ١٩٤٤) .

ابو الفداء ــ اسماعيل بن نور الدين بن علي بن محمود بن محمد (ت ٧٣٢هـ/١٧٣١م) .
٦٤ ــ تقويم البلدان ، تحقيق البارون ماك كوكين ديسلان ، مطبعة دار الطباعة السلطانية ، (باريس : ١٨٤٠) .
٦٥ ــ المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت : ١٣٤٨هـ) ، (ومطبعة القسطنطينية لسنة ١٢٨٦هـ) .

ابو يوسف ــ يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) .
٦٦ ــ كتاب الخراج ، ط ١ ، المطبعة الميرية ببولاق ، (مصر : ١٣٠٢هـ)

الأبشيهي ــ الشيخ شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) .
٦٧ ــ المستطرف في كل فن مستظرف ، ط ٢ ، جزءان ، المطبعة الكستلية ، (القاهرة : ١٢٧٩هـ) .

أخوان الصفا ــ
٦٨ ــ رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، ٣ مجلدات ، مطابع دار صادر ودار بيروت ، (بيروت : ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) .

الأربلي ــ عبدالرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتوت بدر الدين (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧م) .
٦٩ ــ خلاصة الذهب المسبوك مختصر في سيرة الملوك ، تحقيق مكي السيد جاسم ، قام صاحب مكتبة المتنبي ببغداد باعادة طبعه بالأوفسيت مستفيدا من الطبعة الاولى التي طبعت بمطبعة القديس جاورجيوس (بيروت : ١٨٨٥م) .

الأزدي ــ الشيخ ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (٣٣٤ هـ / ٩٤٥م) .
٧٠ ــ تاريخ الموصل ، تحقيق الدكتور علي حبية ، الناشر مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، (القاهرة : ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

الأزدي ــ محمد بن أحمد أبي المطهر ، (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)
٧١ ــ حكاية أبي القاسم البغدادي ، طبع بمطبعة كرل ونتر ، (هيدلبرج : ١٩٠٢) .

الاسحاقي ــ محمد بن عبدالمعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبدالغني بن علي (ت ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) .
٧٢ ــ أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول ، المطبعة الميمنية ، (القاهرة : ١٣١٠هـ) .

الأسفرائيني ــ عبدالقاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .
٧٣ ــ الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة المدني (القاهرة) .

الاصبهاني ــ ابو القاسم حسين بن محمد الراغب (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م) .
٧٤ ــ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ٤ أجزاء ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت : ١٩٦١) .

الاصطخري ــ الشيخ ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤١ هـ / ٩٥٢م) .
٧٥ ــ كتاب الأقاليم ، طبعة بالاوفسيت لمكتبة المثنى ببغداد .
٧٦ ــ المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبدالعال الحسيني ، الناشر دار العلم ، مطابع دار القلم ، (القاهرة : ١٣٨١هـ/١٩٦١م) .

الاصفهاني ــ حمزة بن الحسين (٢٧٠ ــ ٣٦٠هـ/٨٨٣ ــ ٩٧٠م) .
٧٧ ــ تاريخ سنى ملوك الأرض والانبياء ، مطبعة كاوباني ، (برلين) و (طبعة بيروت ١٩٦١) .

الاصفهاني ــ ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (٢٨٤ ــ ٣٥٦هـ/٨٩٧ ــ ٩٦٧م) .
٧٨ ــ الأغاني . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، مطابع لوستاتسوماس وشركاه) (القاهرة : ١٩٦٣) .

الأكمـة ــ داود بن عمر الانطالى (ت ١٠٠٨هـ/١٦٠٠م) .
٧٩ ــ تزيين الأسواق بتفضيل أشواق العشاق ، جزءان ، المطبعة العامرية ، (القاهرة : ١٢٩١هـ) .

الأنبـاري ــ كمال الدين عبدالرحمن بن محمد (٥١٣ ــ ٥٧٧هـ/١١١٩ ــ ١١٨١م) .
٨٠ ــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ط ٢ ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، الناشر مكتبة الاندلس ، (بغداد : ١٩٧٠) .

البخـاري ــ ابو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (١٩٤ ــ ٢٥٦هـ/ ٨١٠ ــ ٨٧٠م) .
٨١ ــ الجامع الصحيح ، ٤ أجزاء ، اعتنى بتصحيحه وطبعه لودلف قرهل ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٨٦٤) .

البلاذري ــ ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .
٨٢ ــ فتوح البلدان ، تحقيق عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع ، دار النشر للجامعيين (بيروت : ١٩٥٨) و (طبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة : ١٩٥٦) .

البيروني ــ ابو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (٣٦٢ ــ ٤٤٠هـ/٩٧٣ ــ ١٠٤٨م) .
٨٣ ــ الآثار الباقية عن القروان الخالية ، (لايزيك : ١٩٢٣) .
٨٤ ــ الجماهر في معرفة الجواهر ، ط ١ ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد : ١٣٥٥هـ) .

البيهقي ــ ابراهيم بن محمد ، (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م) .
٨٥ ــ المحاسن والمساوىء ، جزءان ، عنى بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٩٠٦) .

التنوخي ــ القاضي ابو علي المحسن بن علي بن محمد (٣٢٧ ــ ٣٨٤هـ/٩٣٩ ــ ٩٩٤م) .

٨٦ ـ الفرج بعد الشدة ، جزءان ، مطبعة الهلال ، (مصر : ١٩٠٣ و ١٩٠٤) .
٨٧ ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، مطابع دار صادر ، (بيروت : ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) .
٨٨ ـ المستجاد من فعلات العباد ، تحقيق محمد كرد علي ، مطبعة المدني ، (دمشق : ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) .

الثعالبي ـ ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ/٩٦١ ـ ١٠٣٨م) .
٨٩ ـ الاعجاز والايجاز ، ط ١ ، تحقيق اسكندر صادق ، المطبعة العمومية ، (القاهرة : ١٨٩٧) .
٩٠ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، مطبعة الظاهر ، (القاهرة : ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) .
٩١ ـ خاص الخاص ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، (القاهرة : ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) .
٩٢ ـ لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الانباري وحسن كامل الصيرفي، دار احياء الكتب العربية ، (مصر : ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) .
٩٣ ـ يتيمة الدهر ، ط ١ ، جزءان ، مطبعة الصاوي ، (القاهرة : ١٩٣٤) .

الجاحظ ـ ابو عثمان عمرو بن بحر ، (١٦٣ ـ ٢٥٥هـ/٧٧٩ ـ ٨٦٨م) .
٩٤ ـ البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٥٨) .
٩٥ ـ البيان والتبيين ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت : ١٩٥٩) .
٩٦ ـ التاج في اخلاق الملوك ، ط ١ ، تحقيق أحمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة : ١٣٢٢هـ/١٩١٤م) .
٩٧ ـ التبصر بالتجارة ، عنى بنشره وتصحيحه حسن حسني عبد الوهاب التونسي ، (دمشق :١٣٥١ هـ/١٩٣٢) .
٩٨ ـ رسائل الجاحظ ، ط ١ ، مطبعة التقدم ، (مصر : ١٣٢٤هـ) .

الجرسيفي ـ عمر بن عثمان العباسي .
٩٩ ـ رسالة في الحسبة ، « ضمن ثلاث رسائل اندلسية في آداب الحسبة والمحتسب » ، تحقيق ليفي بروفنسال . مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، (القاهرة : ١٩٥٥) .

الجهشياري ــ ابو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) .
١٠٠ــ الوزراء والكتاب ، حققه مصطفى السقا وابراهيم الانباري وعبد الحفيظ شلبي ، ط ١ ، مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده (القاهرة : ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) .

الخطيب البغدادي ــ ابو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .
١٠١ــ تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، ١٤ جزء ، مطبعة السعادة (القاهرة : ١٣٤٩هـ/١٩٣١م) .

الخوارزمي ــ ابو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٤٠٧هـ/١٠٠٣م) .
١٠٢ــ مفاتيح العلوم ، عنى بنشره ادارة الطباعة المنيرية ، مطبعة الشرف ، (القاهرة : ١٣٤٢هـ) .

الدمشقي ــ الشيخ أبو الفضل جعفر بن علي (ت ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) .
١٠٣ــ الاشارة الى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض وغشوش المدلسين فيها ، مطبعة المؤيد ، (دمشق : ١٣١٨هـ) .

الدمشقي ــ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) .
١٠٤ــ تحفة الدهر في عجائب البر والبحر . طبع بالأوفسيت من قبل مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة مطبعة أكاديمية الامبراطورية ، (بطرسبورغ : ١٨٦٥ م) .

الدميري ــ كمال الدين محمد بن موسى بن علي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .
١٠٥ــ حياة الحيوان الكبرى ، جزءان ، (مصر : ١٣٧٤هـ) .

الدياربكري ــ الشيخ حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) .
١٠٦ــ تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس ، جزءان ، المطبعة الوهبية ، (القاهرة : ١٢٨٣هـ) .

الدينوري ــ ابو حنيفة احمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) .
١٠٧ــ الاخبار الطوال ، تحقيق فلاديمير جرجاس ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٨٨٨) .

الذهبي ــ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) .
١٠٨ــ دول الاسلام ، جزءان ، ط ١ ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن : ١٣٦٤هـ) .
١٠٩ ــ العبر في خبر من غبر ، ٤ اجزاء ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة حكومة الكويت ، (الكويت : ١٩٦١) .

الزبيدي ـ محب الدين ابو الفيض محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .
١١٠ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، ١٠ أجزاء المطبعة الجبرية ، (مصر : ١٣٠٦هـ) .

السبكي ـ ابو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (٧٢٧ ـ ٧٧١هـ/١٣٢٧ ـ ١٣٧٠م) .
١١١ـ طبقات الشافعية الكبرى ، ٦ أجزاء ، ط ١ ، المطبعة الحسينية (القاهرة) .

السرخسي ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت ٤٨٣هـ/١٠٩١م) .
١١٢ـ كتاب المبسوط ، ٣٠ جزء ، مطبعة السعادة (القاهرة : ١٣٢٤هـ) .

السمعاني ـ ابو سعيد عبدالكريم بن محمد التميمي ، (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) .
١١٣ـ الانساب ، نشره ماجليوت ، (لندن : ١٩٢٠) .

السيوطي ـ جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) .
١١٤ـ تاريخ الخلفاء ، المطبعة الميمنية ، (القاهرة : ١٣٠٥هـ) .
١١٥ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، جزءان مطبعة الوطن (مصر : ١٢٩٩هـ) .

الشابشتي ـ ابو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) .
١١٦ـ الديارات ، تحقيق كوركيس عواد . مطبعة المعارف (بغداد : ١٩٥١) .

الشيباني ـ الامام الجليل محمد بن الحسن ، (ت ١٨٩هـ/٨٠٤م) .
١١٧ـ الجامع الصغير ، « في هامش كتاب الخراج لأبي يوسف » . المطبعة الميرية ببولاق ، (مصر : ١٣٠٢هـ) .

الشيزري ـ عبدالرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م) .
١١٨ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) .

الصابي ـ ابو الحسن الهلال بن المحسن بن ابراهيم بن زهروب (٣٥٩ ـ ٤٤٨هـ/٩٧٠ ـ ١٠٥٦م) .
١١٩ـ تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، مطبعة الاباء اليسوعيين . (بيروت : ١٩٠٤) .
١٢٠ـ رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني ، (بغداد : ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) .

١٢١ـ فصول ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة المعارف ، (بغداد : ١٩٤٨) .

الصولي ـ ابو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله (ت ٣٣٥هـ/٩٤٦م) .

١٢٢ ـ اخبار الراضي بالله والمتقي لله (الأوراق) ، عنى بنشره ج . هيورث دن ، مطبعة الصاوي ، (مصر : ١٩٣٥) .

١٢٣ ـ اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم ، تحقيق ج . هيورث دن ، مطبعة الصاوي ، (مصر : ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) .

الطبري ـ محمد بن جرير (٢٤٤ ـ ٣١٠هـ/٨٥٨ ـ ٩٢٢م) .

١٢٤ـ تاريخ الرسل والملوك ، ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٦٦) .

علوي ـ ناصر خسرو (توفى أواسط القرن الخامس الهجري/أواخر العاشر الميلادي) .

١٢٥ ـ سفرنامة ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م) .

العيني ـ بدر الدين أبو احمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (٧٦٢ ـ ٨٥٥هـ/١٣٦١ ـ ١٤٥١م) .

١٢٦ـ عمدة القارىء لشرح صحيح البخاري ، ١١ جزء ، مطبعة دار الطباعة العامرة ، (مصر : ١٠٣٨) .

الغزالي ـ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ/١٠٥٨ ـ ١١١٣م) .

١٢٧ـ احياء علوم الدين ، ٤ أجزاء ، بولاق (مصر : ١٣٠٩هـ) .

قدامة ـ ابن جعفر الكاتب (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) .

١٢٨ـ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، طبع بالأوفسيت لمكتبة المثنى ببغداد **مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة .**

القرطبي ـ عريب بن سعيد (ت ٣٦٦هـ/٩٧٦م) .

١٢٩ـ صلة تاريخ الطبري ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة : ١٩٣٩) ، و (طبعة ليدن : ١٨٩٧) .

القرماني ـ ابو العباس احمد بن يوسف الدمشقي (ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م) .

١٣٠ـ أخبار الدول وآثار الأول ، الموجود « بهامش الجزء الثاني من كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير ، دار الطباعة ، (القاهرة : ١٢٩٠هـ) .

القزويني ـ زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .
١٣١ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار الصياد ، (بيروت : ١٩٦١) .
١٣٢ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، مطبعة التقدم (مصر) .

القلقشندي ـ ابو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م) .
١٣٣ ـ صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ جزء ، المطبعة الاميرية . (القاهرة : ١٣١٨ ـ ١٣٣١هـ/١٩١٣ ـ ١٩٢٠م) .

الكندي ـ ابو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م) .
١٣٤ـ كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، (بيروت : ١٩٠٨) .

الماوردي ـ القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م).
١٣٥ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة الوطن ، (مصر : ١٢٩٨هـ) .

مؤلف مجهول :
١٣٦ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، جـ ٣ ، نشر دى غويه (ليدن : ١٨٦٩) و جـ ٤/قسم ٢ مطبعة الأرشاد ، (بغداد : ١٩٧٣) .

المرزوقي ـ ابو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .
١٣٧ـ الأزمنة والامكنة ، جزءان ، مطبعة مجلس ادارة المعارف الكائنة بالهند ، (حيدر آباد الدكن : ١٣٣٢هـ) .

المسعودي ـ ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .
١٣٨ـ التنبيه والاشراف ، مكتبة خياط ، (بيروت : ١٩٦٥) .
١٣٩ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزءان ، المطبعة الازهرية المصرية ، (القاهرة : ١٣٠٣هـ) ، (مطبعة دار الرجاء) .

مسكويه ـ ابو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .
١٤٠ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، جزءان ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، (القاهرة : ١٩١٤ ـ ١٩١٥) .

مسلم ـ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) .
١٤١ـ الجامع الصحيح « صحيح مسلم » ، ٨ أجزاء ، دار الطباعة العامرة ، (مصر : ١٣٢٩ ـ ١٣٣٢هـ) .

المقدسي ــ ابو نصر أحمد بن عبدالرزاق .
١٤٢ــ اللطائف والظرائف ، المطبعة العامرة الشرفية ، (مصر : ١٣٢٥هـ) .

المقدسي ــ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري ، (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) .
١٤٣ــ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، مطبعة بريل ، (ليدن : ١٩٠٦) .

المقريزي ــ تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) .
١٤٤ــ اغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٤٠) .
١٤٥ ــ الخطط المقريزية . « او المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ، جزءان ، مطبعة النيل ، (مصر : ١٣٢٤هـ) .
١٤٦ــ شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق محمد السيد بحر العلوم ، ط ٥ ، المطبعة الحيدرية ، (النجف : ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

المقري ــ أحمد بن محمد بن علي (ت ٦٦٠هـ/١٣٦٨م) .
١٤٧ــ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المطبعة الكبرى الأميرية ، (القاهرة : ١٣١٦هـ) .

مهمندار ــ يزدجرد بن مهندار الفارسي .
١٤٨ــ فضائل بغداد العراق ، تحقيق ميخائيل عواد ، (بغداد : ١٩٦٥) .

الوطواط ــ الشيخ ابو اسحاق برهان الدين محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م) .
١٤٩ــ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة ، دار الطباعة العامرة ببولاق ، (القاهرة : ١٢٤٨هـ) .

وكيع ــ محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م) .
١٥٠ــ اخبار القضاة ، ٣ أجزاء ، تحقيق عبدالعزيز مصطفى المراغي ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة : ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م) .

الهمداني ــ ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود .
١٥١ــ صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل (ليدن : ١٨٨٤م) .

الهمداني ـ محمد بن عبدالملك بن ابراهيم بن احمد (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م) .
١٥٢ـ تكملة تاريخ الطبري ، ج ١ ، ط ٢ ، تحقيق البرت يوسف كنعان ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت : ١٩٦١) .

ياقوت ـ شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .
١٥٣ـ المشترك وصفا والمفترق صقعا ، حقق (سنة ١٨٤٦) وطبع بالأوفسيت من قبل مكتبة المثنى ببغداد .
١٥٤ـ معجم الادباء ، المعروف بارشاد الأريب في معرفة الأديب ، ٢٠ جزء ، مطبوعات دار المأمون ، (القاهرة : ١٩٣١ ـ ١٩٣٨) .
١٥٥ـ معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، دار صادر ودار بيروت ، (بيروت) .

اليعقوبي ـ احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) .
١٥٦ـ البلدان ، (بريل : ١٨٩٢م) . و (طبعة النجف : ١٩٥٧) .
١٥٧ـ تاريخ اليعقوبي ، ٣ أجزاء ، مطبعة الغري بالنجف ، (العراق ١٣٥٨هـ) .

ثالثا : كتب عربية حديثة :

احمد أمين :
١٥٨ ـ ضحى الاسلام ، ٣ اجزاء ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٣٧١هـ/١٩٥٢م) .
١٥٩ ـ ظهر الاسلام ، ٣ اجزاء ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٣٧١هـ/١٩٥٢م) .
١٦٠ـ هرون الرشيد ، الناشر دار الهلال ، (القاهرة : ١٩٥١) .

احمد (باشا) تيمور :
١٦١ـ التصوير عند العرب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٤٢) .

احمد نسيم سوسة (الدكتور) :
١٦٢ـ فيضانات بغداد في التاريخ ، ٣ اقسام ، مطبعة الأديب ، (بغداد : ١٩٦٥) .

احمد نسيم سوسة (الدكتور) ومصطفى جواد (الدكتور) :
١٦٣ـ دليل خارطة بغداد المفصل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد : ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) .

آدم متز :
١٦٤ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، جزءان ، ط ٢ ، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٤٧ – ١٩٤٨) .
آمال أحمد حسن العمري :
١٦٥ـ المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه مقدمة الى عمادة كلية الآداب بجامعة القاهرة (غير مطبوعة) .
بدر الدين ص. الصيني :
١٦٦ـ العلاقات بين العرب والصين ، ط ١ ، الناشر مكتبة النهضة المصرية (القاهرة : ١٩٥٠) .
برنارد لويس :
١٦٧ـ اصول الاسماعيلية ، نقله الى العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ، مطبعة دار الكتاب العربي (مصر : ١٩٤٧) .
بطرس البستاني :
١٦٨ـ قاموس محيط المحيط .
بندل جوزي :
١٦٩ـ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، مطبعة بيت المقدس (القدس : ١٩٢٨) .
توفيق أحمد عبدالجواد :
١٧٠ـ تاريخ العمارة والفنون الاسلامية ، ٣ اجزاء ـ المطبعة الفنية الحديثة ، (القاهرة : ١٩٦٩ – ١٩٧٠) .
جرجي زيدان :
١٧١ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، ٣ أجزاء ، مطبعة الهلال (مصر : ١٩٢١) .
جميل بن نخلة المدور :
١٧٢ـ حضارة الاسلام في دار السلام ، مطبعة المقتطف ، (مصر : ١٨٨٨) .
جواد علي (الدكتور) :
١٧٣ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٨ أجزاء ، مطبعة المجمع العلمي العراقي . (بغداد : ١٩٥٣ ـ ١٩٥٩) .
جوستاف جرونيبارم :
١٧٤ـ حضارة الاسلام ، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد وعبدالحميد العبادي ، مطبعة دار مصر للطباعة ، (القاهرة : ١٩٥٣) .

جورج فضلو حوراني :
١٧٥ ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى ، مطابع دار الكتاب العربي ، (القاهـــرة : ١٩٥٨) .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :
١٧٦ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٤ أجزاء ط ٣ ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ، مطبعـــة السعادة (مصر : ١٩٥٣) .
١٧٧ـ الفاطميون في مصر ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة : ١٩٣٢) .
١٧٨ـ النظم الاسلامية ، (القاهرة : ١٩٣٩) .

حسن احمد محمود (الدكتور) :
١٧٩ـ الاسلام والحضارة العربيـــة في آســيا الوسطى ، مطبعة دار الحمامي للطباعة (القاهرة : ١٩٦٨) .
١٨٠ـ العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ط ١ ، مطبعـــة المدني ، (القاهرة : ١٩٦٦) .

حسن الباشا (الدكتور) :
١٨١ـ الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ٣ أجـــزاء ، ملتزم الطبع والنشر دار النهضة العربية ، مطبعة لجنة البيـــان العربي ، (القاهرة : ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦) .

حمدان عبدالمجيد الكبيسي :
١٨٢ـ عصر الخليفة المقتدر بالله ، مطبعة النعمان (العراق : ١٩٧٤) .

خولة شاكر محمد الدجيلي :
١٨٣ـ بيت المال ، نشأته وتطوره من القرن الاول حتى القرن الرابـــع الهجري ، رسالة ماجستير قدمت الى عمادة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، نيسان ١٩٧٤ .

رزق الله منقريوس الصدفي :
١٨٤ـ تاريخ دول الاسلام ، ٣ أجزاء ، مطبعة الهلال بمصر ، (القاهرة : ١٣٤٤هـ/١٩٢٣م) .

رفائيل بابو اسحق :
١٨٥ـ أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، (بغـــداد : ١٩٦٠) .

رمزية محمد الاطرقجي (الدكتورة) :
١٨٦ـ **بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور ، مطبعة النعمان (النجف ـ العراق : ١٩٧٥) .**

رينهارت دوزي :
١٨٧ـ المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة الدكتور أكرم فاضل ، مطبعة دار الحرية للطباعة ، (بغداد : ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .

زكي محمد حسن (الدكتور) :
١٨٨ـ التصوير في الاسلام ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م) .
١٨٩ـ الفنون الاسلامية ، (مصر : ١٩٤٨) .

سعيد الافغاني :
١٩٠ـ أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، المطبعة الهاشمية ، (دمشق : ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) .

سيد أمير علي :
١٩١ـ مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ، ترجمة رياض رأفت مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة : ١٩٣٨) .

سيد موسى المازندراني :
١٩٢ـ العقد المنير ، المطبعة العلمية . (النجف ـ العراق : ١٣٦١هـ) .

سيدة اسماعيل كاشف (الدكتورة) :
١٩٣ـ مصر في فجر الاسلام ، الناشر دار الفكر العربي ، (القاهرة : ١٩٤٧ م) .

سيرت و. ارنولد :
١٩٤ـ الدعوة الى الاسلام ، ط ٣ ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن وآخرون ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، المطبعة الشبكشي بالأزهر ، (القاهرة : ١٩٤٧) .

صالح أحمد العلي (الدكتور) :
١٩٥ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ـ مطبعة المعارف، (بغداد : ١٩٥٣) .

عباس العزاوي (المحامي) :
١٩٦ـ تاريخ النقود العراقية ، مطبعة شركة التجارة والطباعة . (بغداد ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) .

عبدالرحمن فهمي محمد (الدكتور) :
١٩٧ـ صنج السكة في فجر الاسلام ، مطبوعات متحف الفن الاسلامي، مطبعة دار الكتب المصرية ، (القاهرة : ١٩٥٧) .
١٩٨ـ مجموعة النقود العربية وعلم النميات ، « فجر السكة العربية » مطبعة دار الكتب ، (القاهرة : ١٩٦٥) .

عبدالعزيز الدوري (الدكتور) :
١٩٩ـ تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مطبعة المعارف (بغداد : ١٩٤٨) .
٢٠٠ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان ، (بغداد ، ١٩٤٥) .
٢٠١ـ العصر العباسي الأول ، مطبعة التفيض الاهلية (بغداد : ١٩٤٥) .

عبدالله البستاني :
٢٠٢ـ البستاني « وهو معجم لغوي » مجلدان ، المطبعة الامريكانية (بيروت : ١٩٢٧) .

عبدالمنعم ماجد (الدكتور) :
٢٠٣ـ تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، مطبعة دار الكتاب العربي ، (القاهرة : ١٩٦٣) .

علي حسني الخربوطلي (الدكتور) :
٢٠٤ـ تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ، مطابع دار المعارف بمصر (القاهرة : ١٩٥٩) .

غي لسترانج :
٢٠٥ـ بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ط ٢ ، ترجمة بشير يوسف فرنسيس ، المطبعة العربية ، (بغداد : ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) .

فاروق عمر فوزي (الدكتور) :
٢٠٦ـ طبيعة الدولة العباسية ، دار الأرشاد للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت : ١٩٧٠) .
٢٠٧ـ العباسيون الاوائل ، ج ١ ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت : ١٩٧٠) .

فاسيلي فلاديمرويج بارتولد :
٢٠٨ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ، ط ٣ ، ترجمة حمزة طاهر ، مطابع دار المعارف (القاهرة : ١٩٥٨) .

فريد شافعي :

٢٠٩– العمارة العربية في مصر الاسلامية ، (القاهرة : ١٩٧٠) .

فون كريمر :

٢١٠– الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية ، تعريب الدكتور مصطفى طه بدر ، الناشر دار الفكر العربي ، (القاهرة : ١٩٤٧) .

فيليب حتي وآخرون :

٢١١– تاريخ العرب (مطول) ، مطابع دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، (بيروت : ١٩٥٠) .

كارل بروكلمان :

٢١٢– تاريخ الادب العربي ، ٣ أجزاء ، ط ٢ ، الناشر دار المعارف بمصر (القاهرة : ١٩٦٨) .

٢١٣– تاريخ الشعوب الاسلامية ، ٤ أجزاء ، ط ١ ، ترجمة الدكتور نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، (بيروت : ١٣٨٦هـ/١٩٤٩م) .

محمد امين (بك) واصف :

٢١٤– الفهرست ، « معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية » ، مطبعة المعارف (القاهرة : ١٩١٦) .

محمد جمال الدين سرور (الدكتور) :

٢١٥ – تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ،مطبعة دار الثقافة العربية للطباعة (القاهرة : ١٩٦٥) .

محمد الخضري :

٢١٦– تاريخ الامم الاسلامية ، مطبعة المعارف ، (مصر : ١٣٣٩هـ) .

محمد دياب الاتليدي :

٢١٧– اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، المطبعة العامرة الشرقية . (مصر : ١٣٠١هـ) .

محمد صادق الحسيني :

٢١٨– عمران بغداد ، مطبعة دار السلام ، (بغداد : ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م) .

محمد ضياء الدين الريس (الدكتور) :

٢١٩– الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، ط ٢ ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (القاهرة : ١٩٦١) .

٢٢٠- النظريات السياسية الاسلامية ، ط ٥ ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٦٩) .

محمد كرد علي :

٢٢١- الادارة الاسلامية في عز العرب ، مطبعة مصر ، (القاهرة : ١٩٣٤) .

٢٢٢- الاسلام والحضارة العربية ، جزءان ، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة : ١٩٣٤ و ١٩٣٦) .

٢٢٣- تاريخ الحضارة في القرون الوسطى ، مطبعة التقدم ، (مصر : بلا) .

مديرية الآثار القديمة :

٢٢٤- بقايا القصر العباسي ، مطبعة الحكومة ، (بغداد : ١٩٣٥) .

معين الدين الندوي :

٢٢٥- معجم الامكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد الدكن : ١٣٥٣هـ) .

مليحة رحمة الله (الدكتورة) :

٢٢٦- الحالة الاجتماعية في القرن الثالث والرابع بعد الهجرة ، مطبعة الزهراء ، (بغداد : ١٩٧٠) .

موريس جود فواي ديمومبين :

٢٢٧- النظم الاسلامية ، ترجمة الدكتور صالح الشماع والدكتور فيصل السامر ، مطبعة الزهراء ، (بغداد : ١٩٥٢) .

الموسوعة العربية الميسرة :

٢٢٨- باشراف محمد شفيق غربال ، الناشر دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، (القاهرة : ١٩٦٥) .

ناجي معروف (الدكتور) :

٢٢٩- تخطيط بغداد ، مطبعة دار الجمهورية ، (بغداد : ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦) .

٢٣٠- عروبة المدن الاسلامية ، ط ١ ، مطبعة العاني ، (بغداد : ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) .

ناصر السيد محمود النقشبندي :

٢٣١- الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، مطبعة الرابطة ، (بغداد : ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م) .

نخلة (بك) صالح شغوات :

٢٣٢ـ تاريخ الخلفاء ، ط ١ ، مطبعة هندية ، (مصر : ١٩١٤) .

يونس أحمد السامرائي (الدكتور) :

٢٣٣ـ عصر ابن المعتز ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب بجامعة عين شمس ١٩٧٤ (غير مطبوعة) .

رابعا : الدوريات :

أحمد امين :

٢٣٤ ـ « عكاظ والمربد » ، مجلة كلية الآداب ، المجلد الأول ، جـ ١ ، لسنة ١٩٣٣ (القاهرة : ١٩٣٣) .

احمد الشنتناوي :

٢٣٥ـ دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٢ ، (تحت كلمة سوق) .

انتشارات جهان :

٢٣٦ـ دائرة المعارف الاسلامية ، (تحت كلمة بغداد) .

بطرس البستاني :

٢٣٧ـ دائرة المعارف ، (بيروت : ١٨٨٣) .

٢٣٨ـ جريدة الثورة ، العدد ٢١٣٩ في ٣٠ تموز لسنة ١٩٧٥ (بغداد).

حبيب زيات :

٢٣٩ـ « معجم المراكب والسفن في الاسلام » ، مجلة الشرق ، جـ ٣ و ٤ ، آب وكانون الأول لسنة ١٩٤٩ .

ستيفن رانسيمن :

٢٤٠ـ « بغداد والقسطنطينية » ، ترجمة بشير فرنسيس ، مجلة سومر ، جـ ١ و ٢ المجلد الثاني ، لسنة ١٩٥٦ ، مطبعة الرابطة بغداد .

السيد الباز العريني (الدكتور) :

٢٤١ ـ « الحسبة في بيزنطة في القرن العاشر الميلادي » ، فضلة من مجلة كلية الآداب . المجلد التاسع عشر ، جـ ١ ، مايو سنة ١٩٥٧ ، مطبعة جامعة القاهرة .

السيد الباز العريني (الدكتور) ويحيى الخشاب :

٢٤٢ـ « ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي » مستخرج من المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع ، لسنة ١٩٥٨ .

السيد محمود يوسف (الدكتور) :

٢٤٣ ـ « علاقات العرب التجارية بالهند منذ اقدم العصور الى القرن الرابع الهجري » مستل من مجلة كلية الآداب ، المجلد الخامس
الرابع الهجري « مستل من مجلة كلية الآداب ، المجلد الخامس
عشر ، جـ ١ ، مايو ١٩٥٣ .

عبدالعزيز الدوري (الدكتور) :

٢٤٤ـ « نشوء الاصناف والحرف في الاسلام » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الاول ، حزيران لسنة ١٩٥٩ . (مطبعة العاني ، بغداد) .

عبدالمجيد محمود :

٢٤٥ـ « المصارف في العراق » ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، لسنة ١٩٤٢ .

عطا الحديثي :

٢٤٦ـ « سقايا بغداد » ، مجلة سومر ، جـ ١ ، و ٢ المجلد ٢٩ ، لسنة ١٩٧٣ (بغداد) .

عيسى سلمان (الدكتور) :

٢٤٧ـ « دراهم فريدة للخليفتين العباسيين المستنصر بالله والمعتمد على الله » ، مجلة المسكوكات ، لسنة ١٩٧٤ ، مطبعة الحرية (بغداد) .

فيصل السامر (الدكتور) :

٢٤٨ـ « ملاحظات في الاوزان والمكاييل الاسلامية وأهميتها » ، مجلة كلية الآداب ، العدد الرابع عشر ، لسنة ١٩٧١ ، (مطبعة المعارف ـ بغداد) .

محمد حسن آل ياسين :

٢٤٩ـ « المشهد الكاظمي في العهد العباسي » ، مجلة سومر ، جـ ١ ، المجلد الثامن عشر ، لسنة ١٩٦٢ (بغداد) .

مهاب البكري :

٢٥٠ـ « الدعوة العباسية على النقود المضروبة في ايران » ، مجلة سومر ، جـ ١ ، المجلد الرابع والعشرون ، لسنة ١٩٦٨ ، (بغداد) .

وداد القزاز :

٢٥١ــ « الدرهم العباسي » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد الثامن عشر السنة ١٩٦٢ بغداد .

٢٥٢ــ « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين المهدي والهادي » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد العشرون لسنة ١٩٦٤ ، بغداد .

٢٥٣ــ « الدرهم العباسي في زمن الخليفة هرون الرشيد » ، مجلة سومر ، ج ١ و ٢ ، المجلد الحادي والعشرون ، لسنة ١٩٦٥ ، بغداد .

٢٥٤ــ « الدرهم العباسي في زمن الخليفتين الامين والمأمون » ، مجلة سومر ، ج ١ ، ٢ ، المجلد الثالث والعشرون ، لسنة ١٩٦٧ ، بغداد .

يوسف غنيمة :

٢٥٥ــ « الجهبذة والجهابذة » ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، لسنة ١٩٤٢ .

٢٥٦ــ « النقود العباسية » ، مجلة سومر ، ج ١ ، المجلد التاسع ، لسنة ١٩٥٣ ، مطبعة الرابطة ، بغداد .

خامسا : المراجع الأجنبية :

٢٥٧- Bowen - Harold:
The life and times of "Ali Ibn Isa", the good Vizior (Campridge: 1927).

٢٥٨- Coke - Richard :
Baghdad the city of peace, (London: 1927).

٢٥٩- El-Samarraie - Husam Quam :
Agriculture in Iraq during the 3rd century (London: 1970).

٢٦٠- Encyclopedia Britannica, Vol II, (Chicago : 1965).

٢٦١- Encyclopedia of Islams, "Entery Baghdad", Vol II, (Leyden 1934).

٢٦٢- Fischel - Walter :
"The origin of Banking in mediaval Islam" in the tenth century. (1933).

٢٦٣- Gasshoff-Dr. Richard :
Das wechselrecht der araber, (Berlin : 1899).

٢٦٤- Hitti - Philip :
The Arabs, "Ashopt History", (London : 1948)

٢٦٥- KREMER - V.
Einnahmebudget des Abbasiden - Reiches Vom Jahr 306 H. (918 - 919) , (Wien : 1887).

٢٦٦- Lane - Poole, Stanley :
Catalogue of Arabic coins in the Khedivial library at Cairo, (London : 1897).

٢٦٧- Lane - Poole, Stanley :
History of Egypt in the middle ages, Vol. VI, (London: 1901).

٢٦٨- Lavoix - M - Henri :
Catalogue des monnaies musulmanes, Imprimerie nationale, (Paris : 1887).

Le Strangeguy : —٢٦٩

Desoription of Mesopotamiaand Baghdad, written about the year 900 A. D. by Ibn Serapion from the, "Journal of the Royal asiatic society," January and April, 1895.

LeuJu - Kua : —٢٧٠

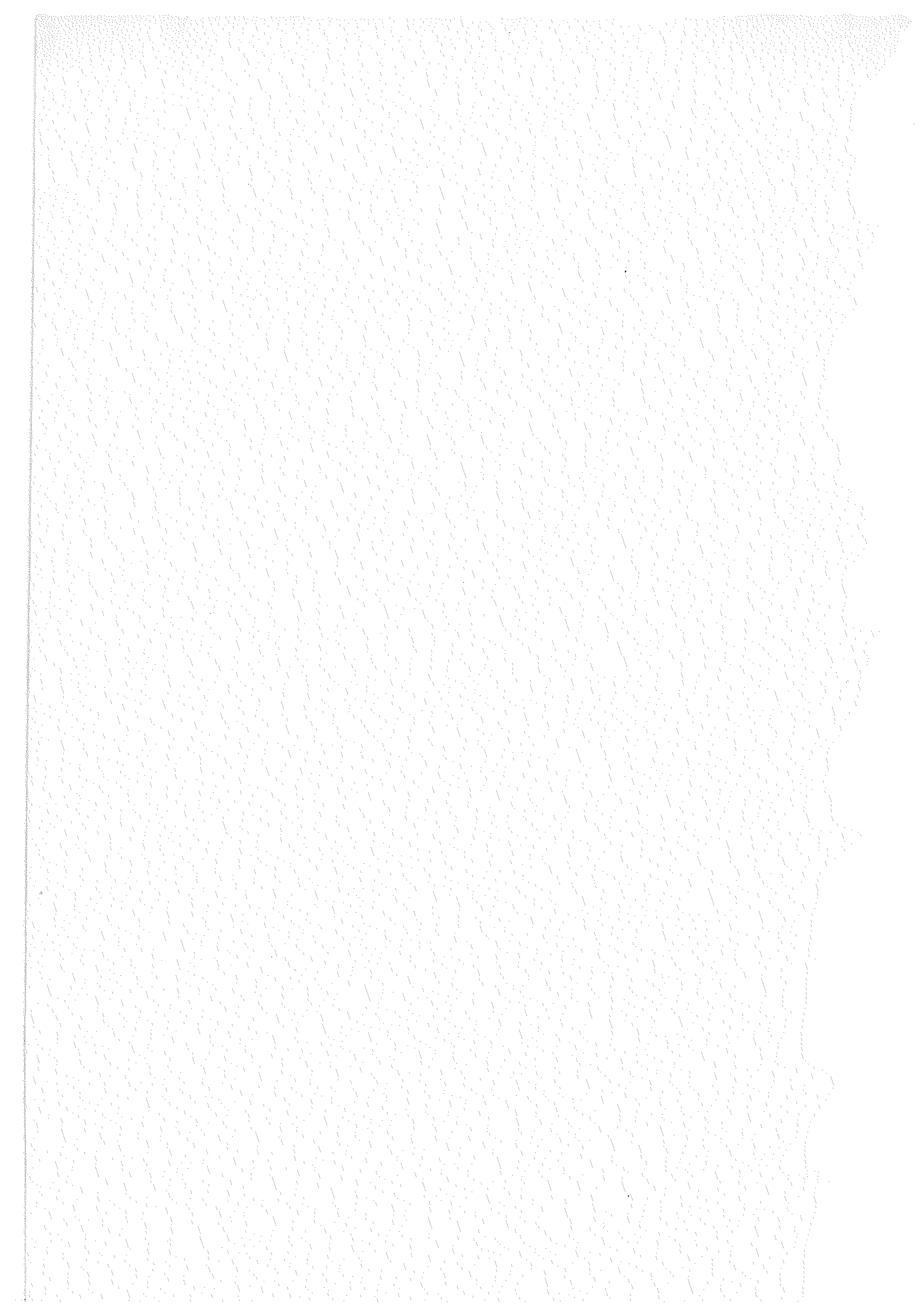
On the chinese and Arab trade in the twelfth and thirteenth centuries, (Amsterdam : 1955).

Lewis - Bernard : —٢٧١

The Arabs in history, (London : 1950).

Sourdel - Dominique : —٢٧٢

Le vizirat Abbaside, de 749 A. 936 "132 A 324 der, begire", Tome II, (Damas = 1960).



المقدمة .. ٥

البـاب الاول

نشأة اسواق بغداد وتخطيطها

الفصل الاول : بناء المدينة المنورة ٢١

الفصل الثاني : انتقال الاسواق الى الكرخ ٧٢

الفصل الثالث : أسواق الرصافة ٩٥

البـاب الثاني

النشاط التجاري في أسواق بغداد

الفصل الاول : العوامل المؤثرة في النشاط التجاري بأسواق بغداد .. ١١٣

الفصل الثاني : تخصص الاسواق وتعددها ١٦٦

الفصل الثالث : السلع الواردة على أسواق بغداد والصادرة عنها .. ١٧٩

البـاب الثالث

المعاملات المالية والتجارية

الفصل الاول : اسلوب التعامل في أسواق بغداد ٢٢٧

الفصل الثاني : الاسعار والاحتكار ٢٧٤

الفصل الثالث : الرقابة على الاسواق ٣٠٥

البـاب الرابع

دور أهل السوق في الحياة العامة

الفصل الاول : العاملون في الاسواق ٣٢٧

الفصل الثاني : اشتراك اهل السوق في الفتن والاضطرابات الداخلية .. ٣٥٣

الفصل الثالث : المنازعات بين أهل السوق ٣٦٧

الخـاتمة ٣٧٩

تصميم الغلاف : راجحة القدسي
الخطـــوط : رضـــا الخطاط
الاشراف الفني : نجم عبدالله كاظم

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
٦٧ لسنة ١٩٧٩

دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

may not be supported by government privilages, but they were the results of exploiting their official posts. Thus, they had no influence on the prices.

Though Al-Fokaha'a had different opinions about the fixation of the prices, the Abassi state fixed the prices for the foods when a crisis occupied.

The high prices and the disappearance of goods from Baghdad markets were not the only features during that period, but there were some periods of economical prosperity which were advantageous to people.

The state cared for watching and organizing the markets according to some defined laws and rules. Trading was not left for choice and according to the merchants interests. The specialized official who watched the merchants was called Al-Muhtaseb, who was to be choosen according to certain qualifications. He was helped by Aurafa'a from the crafts men.

The merchants were a mixture of Arabs and foreigners and they differed in their financial ablities and their social standard. I found that Baghdad merchants gained high profits and achieved a higher social standard. Thus, they were able to influence the government policy, whereas the craftsmen were unable to satisfy their hunger. The government did not try anything to protect the craftsmen against their exploiters in the markets. The merchants were not far away of the events that occured in their society.

Many factors gathered together to arise the quarrels among the merchants. Some of them, which were professional, helped in sharpening their quarrels. Some of the factors were political, religious and the interaction among the benefits, the directions and the attitudes which were present in the capital and its markets.

These ar the results that I concluded but I do not pretend that they are perfect. I hope that I approached perfection because God is the only perfect one who directs and help us.

Al-Salam City markets witnessed the specialization. According to the caliph's wish, Al-Karkh markets were separated from each other. They were so organized that for each merchant and for each kind of goods there was a certain road. This happened in Al-Rusafa markets also.

I found that there were many chances for Baghdad to become a centre of exportation of some goods; its political situation made from it a centre of attraction for all the active merchants and the skillful craftsmen who preferred to stay in the capital to practise thier crafts there. The caliphs and the statesmen worked for the improvement of industry because they regarded it as one of the best surces of in come.

I found that Al-Derham and Al-Dinar were the main coins by which the exchange and the estimations were carried on in Baghdad markets. Al-Caliph Al-Abassi reduced two grains from Al-Derhams and they engraved new Ayaat on Al-Derham and Al-Dinar so that may refer to the rights of Al-Abassyen in Al-Calipha and their kinship to the prophet Mohamed. They put their names on these coins and they coined coins of a heavier weight and they called it "The money of Gifts".

They began to change Al-Derham for Dinars and visa versa according to the value of the market that could be defined by the commercial influence without the interpretation of the government. They used the coins which were being used in other Abassi countries. They used the bread as to be valued to one Derham.

They used the cheques to pay the money in the state institutions and in the markets.

In order to avoid the dangers of roads robbery, they used Al-Hawalat or Al-Savtage. The exchangers and the merchants carried out the tasks of the today bank. Those steps made the commercial exchanges easier in Baghdad markets. The activities of money exchange flourished in Baghdad in the first quarter of the fourth Hijrit century.

I pursued the prices of the goods which were displayed in Baghdad markets and I noticed that they were rising up during the period between the building of the round city and the beginning of the Bowaihi age. This fact was due to the political influences and the natural phenomena.

Some merchants and those in charge hid some of the foods but those processes were temporary and individual. These processes

In the Arches, there were rooms for the Caliph's Gulman. I conceive that the interaction between the Arches which were occupied by the merchants and the groups which inhabited them was a delibrate thing taken into the consideration of the planners of the round city. They feel, perhaps from the beginning, the need of the government supervision on Baghdad markets.

Al-Mansor's step to build the government buildings on the Eastern side of the Tigris in (157 H/773 A.D), his building of Al-Khuld place on the western in (157 H/773 A.D) and his encouragement for the people to possess the land outsside the soor, all these things emphasise the fact that Al-Mansor became aware of the deficiency which he encountered after putting the foundations of the round city. If we add to this the tales reported by the historians which include that Al-transferring the markets outside the soor of the city, we can feel the stimuli, which pushed the caliph to convey the markets to Al-Karkh. He, himself, took the resposibility of planning the markets in its new situation.

The plans of Al-Karkh markets was characterized by their position round the rivers which run through this side of Baghdad. The commercial life influenced the names of the rivers and gave them its own marks, some of the rivers were named of tep the name of the goods which were being sold near by.

I concluded that the building of Al-Rusafa and its markets was due to economical, political and military needs. It seemed that the building of Rusafa fulfilled the purposes which were aimed at by Al-Mansor.

Through my pursuit of the texts which I found in Al-Buldan by Al-Yaqobi and other books. I was able to define the places of Al-Rusafa and Al-Karkh markets and the kind of goods which were being sold in each.

I made it clear that as soon as Baghdad became the capital, it attracted the people from all the other parts. The businessmen helped the government in establishing the commercial institutions. The goods were brought to Baghdad markets. Money and provisions came from other countries. The messangers arrived. The commercial movement in the markets became more active as a result of the society development that stammed from the increase of the officials and the officers salaries and the increase of gifts endowed by the caliphs and their ministers, those in charge paid more attention for supplying the markets with everything.

CONCLUSION

In this thesis, I studied Baghdad Markets from the building of the Round city till the beginning of Al-Buwaihi triumph. I found out that Al-Calipha Al-Mansor established his city near an old village. The Arab Moslems realized the strategic and commercial significance of that village from the beginning of the second decade of the first Hijrit century. Al-Amwayon realized the strategic significance of Baghdad situation as well.

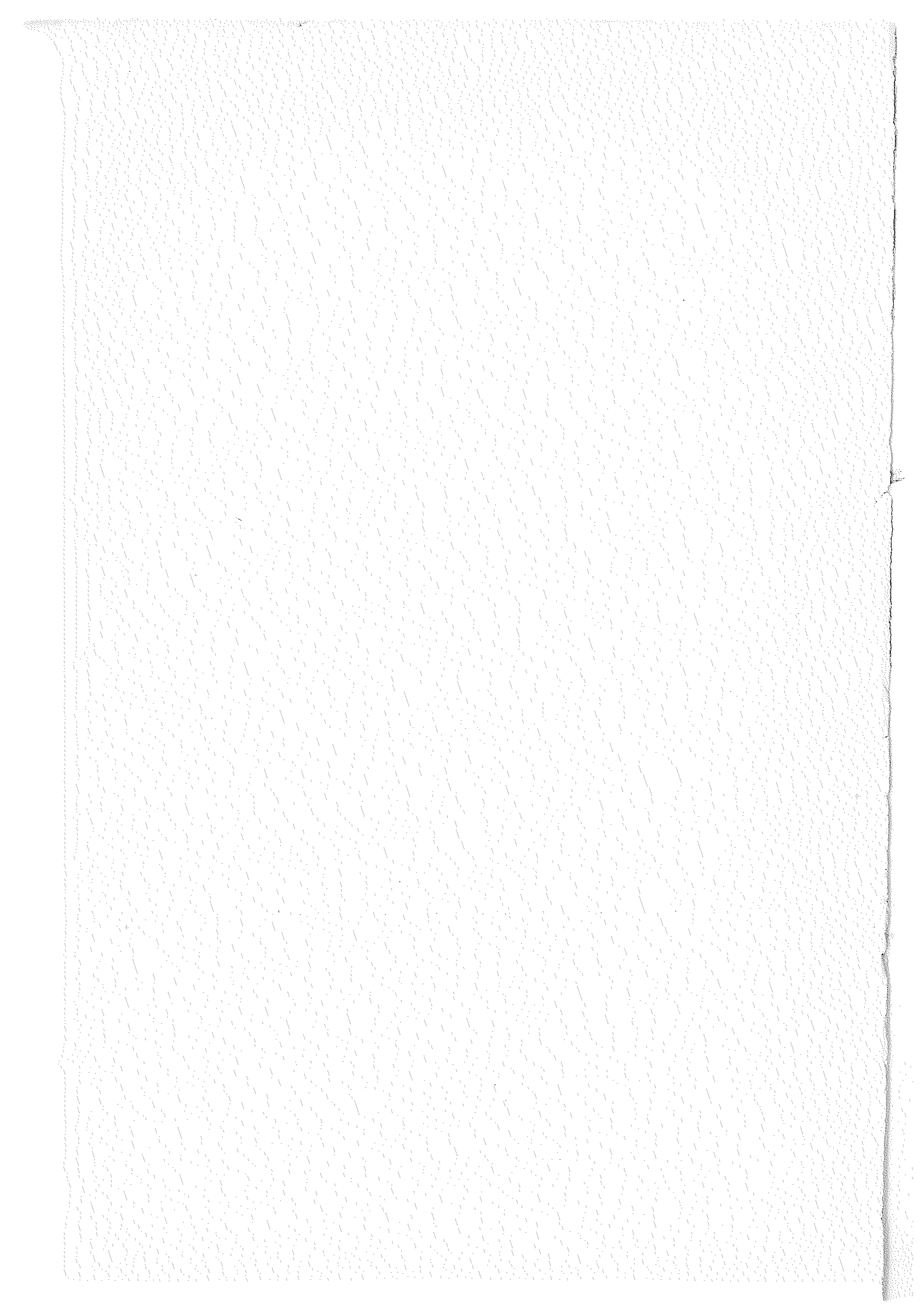
There are many tales that show that some people suggested to Al-Calipha Al-Mansor to choose the situation of the Round city, but throughout this thesis, I showed the points of weakness of these tales and the prophecies reported by some of the historians. I made clear that the choice of the situation of the round city was done by Al-Calipha Al-Mansor himself. This does not negate that he consulted some people about what he decided to carryout. What become sure is Al-Mansor's emphasis on naming the new capital.

The religious, cultural and climatical influences shaped in forming an artistic style which characterised Baghdad buildings. The erection of Baghdad according to this unique architectural style is looked upon as an important thing from the planning point of view. It put side by side the military fortification and the civil purposes.

I felt that the architectural style of Al-Zawraa was required by the needs of the Abasid state, because there appeared an architectural phenomena that must be taken into account. The one who enters from Kharasan gate notices a turn to the left toward a dihlies built of stone. This turn was meant by Al-Calipha Al-Mansor and it had great military importance.

Here, one must confess of the greatness of this city and its skiliful planning because the engineer of Al-Salam city took into consideration those exact military requirements during that early stage and their plans became a new architectural phenomena that refelects their innovation.

Al-Calipha Al-Mansor Built the markets in the Arches of the round city from all directions. They set up four main markets in the Arches that were there along the four roads that linked the sequares between the second and the third soor. There were fifty-three Arches. The markets were regapded as public institutions, thuse, the government took the responsibility of the costs of their establishment.



BAGHDAD MARKETS

UNTIL THE BEGININING OF THE BUWAIHI AGE

145-334 H/762-945 A.D.

BY

Dr. Hamdan Abdul - Majied Al-Kubaaisi